مجلة المدد
((جامعة الزيتونة))
كلية العلوم الإجتماعية

مجلة المدد

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدرها كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الزيتونة

العدد الرابع | السنة الثانية | ديسمبر – 2019م

مجلة المدد

مجلة علمية ثقافية مُحكمة نصف سنوية تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف التخصصات العلمية. والدعوة للإسهام فيها مفتوحة للباحثين من سائر انحاء الوطن .

المشرف العام

د. الصادق امحمد السنوسي

رئيس التحرير

د. على رحومة أبوبريق

مدير التحرير

أبو عجيلة سالم الأزرق

رئيس لجنة البحوث

د. طارق ضو الشائبي

الهيئة الاستشارية

أ .د أحمد عطية امدلل

أ. محمد الصادق البكوش

أ. خالد على عمر بن عيسى

مجلة المدد

رقم الإيداع القانوني 2017/397 دار الكتب الوطنية - بنغازي

عنوان المجلة

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الزيتونة / ليبيا

هاتف: (0916466733)

Email address: (almadad.j2017@gmail.com)

Facebook: www.facebook.com/almadad.2017

- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمجلة المدد بكلية العلوم الاجتماعية / جامعة الزيتونة، ويسمح باستعمال ما يرد في هذه المجلة شرط الإشارة إلى مصدرها.
- البحث المنشـــــــور في المجلـــــــة يعبر عن رأي صاحبه، وهو المسؤول عنه أدبيا وقانونياً، ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة، أو الجامعة.

قواعد ومعايير النشر

حرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات التي تنشرها المجلة، وأخذاً إلى التيسير على الباحثين والقراء نأمل من الجميع الالتزام بالقواعد والمعايير التالية:

1- أن يكون البحث أصيلاً ومبتكراً ولم يسبق نشره في أي جهة أخرى، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث.
2- اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة، وترحب المجلة بنشر البحوث المكتوبة باللغة الأجنبية على أن يرفق لها ملخص باللغة العربية.
3- أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومراعياً لقواعد ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت) ومطبوعا على ورق (A4) بنوع الخط (Simplified Arabic) وبحجم (14) للنص للبحوث العربية، ونوع خط (Times new roman) بحجم (12) للبحوث الانجليزية.
4- تدرج الهوامش بأرقام في نهاية البحث.
5- أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث على النحو التالي :

- المصادر:

يثبت المصدر بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم يوضع تاريخ نشره بين حاصرتين (...)، و يلي ذلك ذكر عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر ومكان النشر ورقم الصفحة.

- المراجع :

عند استخدام المراجع يراعى ما يلي :
يتم كتابة اسم المؤلف كاملاً تم يوضع تاريخ النشر بين حاصرتين (...)، يلي ذلك عنوان الكتاب وتحته خط، ويلي ذلك اسم دار النشر ، ومكان النشر ، ورقم الصفحة.
عند استخدام الدوريات (المجلات) بوصفها مراجع للبحث: يذكر اسم أصحاب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين (...)، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة وتحته خط، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد ورقم الصفحات.

6- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويراعى ألّا تتجاوز حجم حيز الكتابة في صفحة (Microsoft Word).
7- يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) صفحة.
8- توضع الآيات القرآنية بين قوسين زهراويين وفقاً لرسم المصحف الحاسوبي ، وتضبط الأحاديث وأبيات الشعر.

إجراءات النشر:

1- ترسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة على العنوان التالي:
كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الزيتونة .
هاتف: (0945941057 –0916466733)
البريد الإلكتروني :(almadad.j2017@gmail.com)

2- ترسل نسخة من البحث مطبوعة (hard copy)، شريطة أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ونسخة محفوظة بقرص مدمج (CD) قابل للقراءة والكتابة، وذلك إلى عنوان

المجلة أعلاها، أو تسلم إلى إدارة المجلـــة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، وتخصصه.

3- يرفق ملخص للبحث المراد نشره في حدود (250 كلمة) باللغة العربية ، أو الإنجليزية حسب لغة البحث المقدم

4- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتفه ، وبريده الإليكتروني، وجهة العمل لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.

5- في حالة قبوله مبدئياً، يعرض على مُحكّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية ، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويُطلب من المُحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها، وتكون توصيات المُحكم ملزمة.

6- يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ثلاثة أشهر(على الأكثر) من تاريخ استلام البحث.

7- البحـــوث المنشـــورة في المجلـــــة تكـــــون ملكـــاً لها بمجرد تسليمها ولا ترد أصولها إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

8- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

محتويات العدد

الموضوع	اسم الكاتب	رقم الصفحة
كلمة العدد	**رئيس تحرير المجلة**	**7**
البحوث والدراسات		
التواجد المذهبي في بلاد المغرب قبيل قيام الدولة العبيدية	د. مفتاح جمعة ابراهيم اشكيك د. حمزة محمد البكوش د.علي عبدالسلام سعد كعوان	8
تطهير المجتمع الإسلامي من معاملات الجاهلية (سورة النساء أنموذجا)	د. أحمد عبد الرحمن مفتاح	24
المرحلة الأولى من الفتح العربي الإسلامي لولاية افريقية	د. عبدالسلام على بشر احمد	46
التفكير السياسي لدى ميكافلي من خلال الأمير	د. حنان أحمد حبيب	63
دراسة تقويمية لمهارات الاتصال غير اللفظي بين أخصائي خدمة الفرد والعميل	د. رمضان عياد الطويل	85
التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب وعلاقته بمتغيري الجنس والتخصص	فتحية إمحمد علي أحليلي	104
سكان قورينائية الليبيين وعلاقتهم مع المستوطنين الاغريق منذ مجيء الاغريق الى نهاية عهد اسرة باتوس	د. موسى امعمر زايد الريحاني	125
المتغيرات الثقافية والاجتماعية وأثرها على التنمية المحلية	د.سالم محمد الحاج	145
المصحات الايوائية الخاصة في مدينة طرابلس: بين جودة الخدمات ومخاطر النفايات	د. نجاة محمد المهدوي	158
الأضرار العامة الناتجة عن التصريف الخاطئ لمياه الصرف الصحي منطقة العواتة " نموذجاً "	د. عرفات قرينات أ. حافظ رحيم المبروك أ. فرج الجعراني عثمان	177
الصورة الحالية لمظاهر العمران الريفي ببلدية ترهونة	د. ابوعائشة الهمالي عمر امطيرق د. خالد عبدالله محمد ابراهيم	189
التصحر في منطقة سرت "2008-2013م" الأسباب البشرية للتصحر، وأثارها، والجهود المبذولة لمكافحته	د. أحمد علي أبو مريم	209
تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في دراسة التتابع الزمني للنمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبري خلال الفترة من 1972-2012	د. إنتصار محمد الزنان	226
Exploring The Concept Of Error In English : A Content Analysis	Alemmari A.M Almusbahi	245
The role of assessments and feedback techniques in improving teaching English as a foreign language in Ean Zara secondary school	Ali Alnafati Ali Saleh	255

كلمة العدد

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}
سورة النساء، الآية 112

التعليم رافعة التقدم في أي مجتمع، وهو أداة تنمية موارده وإمكاناته، وإن التقدم والتطور مرتبطان بتألق الجامعات والكليات وبعدد العلماء والباحثين لتلك المجتمعات، وإذا كانت إحدى أهم وأسمى وظائف الجامعة تتمثل في التدريس وتأهيل الخريجين لخدمة مختلف القطاعات في المجتمع، فإن وظيفة البحث العلمي لا تقل أهمية كون الجـامعات هـي المسئول الرئيس عن نشر البحوث العلمية وتطويرها في مختلف العلوم .

ومن هنا تتشرف أسرة التحرير بأن تضع بين أيديكم العدد الرابع من مجلة المدد، وهي مجلة علمية ورقية والكترونية محكمة نصف سنوية، تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية جامعة الزيتونة، وغايتها نشر الأبحاث المحكمة في مختلف العلوم والتخصصات، وتنشر بحوثها باللغات العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، كما تهدف المجلة إلى تفعيل البحث العلمي وإثرائه في كافة المجالات إلى جانب الاهتمام بقضايا التنمية، علاوة على إتاحة الفرص للباحثين وبخاصةٍ أعضاء هيئة التدريس منهم لنشر بحوثهم ، ونتائج دراساتهم العلمية من أجل توسعة دائرة المعرفة لدى الباحثين، وصانعي القرارات ، ومحاولة خلق حوار علمي بنّاء بين الباحثين ، والمهتمين بالموضوعات المستجدة في كافة المجالات ذات العلاقة بالتخصصات العلمية بمختلف جامعات الوطن، واستعانت المجلة في سبيل تفعيل الأبحاث التي وصلتها وتحكيمها بنخبة من خيرة الأساتذة المختصين بمختلف الجامعات الوطنية.

ويطيب لأسرة التحرير أن تشكر جميع الباحثين الذين أسهموا في المشاركة بالبحوث في العدد الرابع، أو المراسلة لغرض الاشتراك والحصول على أعدادها الدورية، ونقدر الجهود المبذولة من طرف الجامعة لجعل المجلة تبدأ مزاولة نشاطها. كما يسعد كافة أعضاء هيئة التحرير أن تعرب لكم عن استعدادها لتقبل أي مقترحات، أو أفكار على أعداد المجلة، أو البحوث التي تنشر فيها. وهذه المقترحات والمداخلات سوف تؤخذ بعين الاعتبار وسيتم نشرها، أو التعقيب عليها إلكترونيا في العدد التالي لورودها.

نحن نتطلع لإسهاماتكم الجادة والفاعلة في تعزيز الجهود التي يطمح لها أعضاء هيئة تحرير المجلة، وتطمح لها الجامعة وخاصة فيما يخص نشر البحوث العلمية الرصينة في كافة مجالات العلوم .

نسأل الله أن يبارك عملنا وأن يوفقنا في أداء رسالتنا وتحقيق مبتغانا، والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. علي أبوبريق
رئيس التحرير

التواجد المذهبي في بلاد المغرب قبيل قيام الدولة العبيدية

كلية الاداب والعلوم الخمس - جامعة المرقب

د. مفتاح جمعة ابراهيم اشكيك

د. حمزة محمد البكوش

د.علي عبدالسلام سعد كعوان

المقدمة

أثار انتباهنا منذ زمن ليس بالقريب التفكك الذي أصاب العالم الإسلامي لاسيما بعد عصر القوة الذي تمتعت به تلك الدولة، فخرج من أحشائها كثير من الدول المستقلة التي رغبت في إقامة كيان سياسي مستقل عن الدولة الأم، وظهر ببلاد المغرب ما ظهر ببلاد المشرق من فِرَق وأحْزاب ومنازعات وانتفاضات كان لها صداها البعيد وتأثيرها الواضح في بناء هيكل الثقافة الإسلامية بهذه الربوع... ظهر الخوارج من صفرية وإباضية، وأرباب الاعتزال، والإرجاء، وساد التشيع في أبشع مظاهره، كما ظهر الفقه برجاله من المالكية والأحناف والشافعية...

وكان ما لزم أن يكون من صراع بين الخوارج وولاة الأمر... وبين المالكية المحافظين والأحناف المنفتحين... وبين السنيين والشيعة العبيديين...

إنها ألوان من الصراع أنشأت حياة عقلية، وأطلقت الحركة العلمية من عقالها، فأينعت وازدهرت وحفظت لبلاد المغرب تراثًا علميا مرموقًا، ووسمت الطبيعة الدينية بطابع جنَّبها أعاصير الزيغ والضلال.

وكان أولًا وأخرًا للسياسة دورها الفعال في تعقيد الأمور وإيغار الصدور وإيقاد الفتن... ويُعتبر التاريخ المذهبي أحد الأسس التي بنيت عليه الأحداث التاريخية لدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبح من الضرورة تدارسه وتداركه والعناية به تحقيقاً وتصحيحاً ونشراً، فالاطلاع على التاريخ المذهبي للأفراد والأمم يُساعدنا على فهم المواقف وتفسير الأحداث، ودراسة التاريخ المذهبي لبلاد المغرب يُجيبنا على الكثير من الإشكاليات التي تتجه الدراسات التاريخية الحديثة نحو توجيه الاهتمام بدراستها، أما الموضوعات التي درست دون أن يختلف بصددها الدارسون؛ فلا مجال لتكرار دراستها. من هنا جاءت "الإشكاليات" وتعني الموضوعات التي لا تزال محل خلاف؛ إما لندرة المعلومات أو اختلاف المناهج والرؤى في التناول رغم وفرتها.

وسيتم تناول البحث وفق منهج ابن رشد الذي يربط بن المعتقدات المذهبية ومعطيات الواقع في الزمان والمكان؛ ذلك لأن المذهبية تشكل قسمًا هامًا من موضوع الدراسة، وفي مجال التفسير استرشدنا بالمنهج المادي التاريخي الذي يعول كثيرًا على العامل الاقتصادي- الاجتماعي، ويتصور

حركة التاريخ على انه صراع بين الطبقات. وكذلك لم نهمل المنهج المقارن حين قارنا أحداث تاريخ بلاد المغرب بنظيرتها بالمشرق.

أما عن محتوى البحث فقد قسمنا محاوره إلى تمهيد وثلاث محاور وهي على النحو التالي: خصص المحور الأول لدراسة الصراع المذهبي في بلاد المغرب قبيل قيام الدولة العبيدية لرصد المذاهب والفرق ومسمياتها وأماكن تواجدها وكيفية انتشاها وتبيان دورها في الصراعات السياسية والفكرية وأسبابها.

يعالج المحور الثاني: التحولات المذهبية وأثرها في بلاد المغرب وذلك برصد هذه التحولات وفق عرض مختصرًا موضحًا من خلاله الآثار الايجابية والسلبية في تغيير الخارطة السياسية والمذهبية لمجتمعات بلاد المغرب.

أما المحور الثالث: نتائج الصراع المذهبي وأثره في بلاد المغرب فقد أفردناه لتبيان أثر الصراع المذهبي في إذكاء الصراع السني الخارجي الشيعي، موضحين تأثير الصراع التقليدي القبلي فيما جرى من أحدث دموية، في عرض موجز لمراحل الصراع.

وفي خاتمة الدراسة أوجزنا ما توصلنا إليه من نتائج.

المحور الأول: الصراع المذهبي في بلاد المغرب قبيل قيام الدولة العُبيدية

كان عهد الولاة عهد إخفاق تام في أسلمة البربر وتعريبهم، إن لم نقل إنه عهد أعطى صورة مناقضة لما جاء به الإسلام من مساواة وكرامة لمعتنقيه بغير تمييز؛ ولذلك دارت رحى المقاومة البربرية للولاة، وبدون هوادة، على امتداد زهاء القرن من الزمن[1]؛ وعندما سرى الضعف إلى دولة الخلافة في دمشق، كان هذا الضعف سببًا في انهيار سلطة الخلافة في الولايات[2]؛ فانتهزت قبائل البربر في بلاد المغرب هذه الفرصة، رافضة بطبيعتها حكم ولاة دمشق، فتمكنت من خوض ثورات تحررت على إثرها من التبعية لدولة الخلافة. ولكنها وقعت في انشقاقات قبلية، أسفرت عن قيام إمارات التجزئة السياسية الإقليمية لمغرب ما بعد الفتح الإسلامي.

بعد سقوط دولة بني أمية سنة (132ه/749م)، واستقلال بني العباس بالأمر؛ نزع عبد الرحمن الداخل الأندلس قاصيةَ دولة الإسلام، فاستحدث بها ملْكًا واقتطعها عن دولتهم سنة (138ه/756م)[3]، وصير الدولة دولتين، ثم نزع إدريس بن عبد الله إثر مطاردة العباسيين له المغرب الأقصى وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده كل من بايعه من قبائل أوربة ومَغيلة وزناتة، واستولى على ناحية المغربين سنة (172ه/798م)[4]، ثم ازدادت الدولة تقلصًا فاضطرب الأغالبة في الامتناع عليهم، فما بقي لهم غير الدعاء لهم على المنابر، ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتامة وصنهاجة، واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الأدارسة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول: دولة بني العباس؛ مركز الدولة والخلافة في بغداد، ودولة بني أمية المجددين بالأندلس ملْكهم القديم

(1) عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2012م، ص88؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، ج2، ص293.

(2) فتحي أبو سيف: الماوردي عصره فكره السياسي، شركة سعيد رأفت للطباعة، القاهرة، 1990م، ص15.

(3) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة، 2000م ص287.

(4) محمود إسماعيل: الأدارسة في المغرب، حقائق جديدة- مكتبة مَدبولي، القاهرة، (1411هـ/ 1991م).ص21.

وخلافتهم بالمشرق، والدعوة للدولة العُبيدية (الفاطمية) التي قامت فيما بعد بأفريقية وانتقلت إلى مصر[5] بعد إحباط مخططاتهم في السيطرة على الأندلس، وتفاقم الحركات المناهضة في بلاد المغرب، فغادروا المغرب وهم في عنفوان قوتهم، فسيطروا ـــ بالإضافة إلى مصر ـــ على بلاد الشام والحجاز[6].

بالرغم مما عرف عن بلاد المغرب من ازدهار ثقافي، واجتماعي واقتصادي حققته الإمارات القائمة في هذه البلاد؛ إلا أنها تعرضت لعوامل الضعف السياسي منذ مطلع (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، وازدادت درجة هذا الضعف أواخر هذا القرن، حتى أصبحت بلاد المغرب بكاملها تعاني من فراغ سياسي يمكن لأي قوى خارجية أن تسيطر عليه، ذلك لما اعترى هذه البلاد من أزمات داخلية تمثلت في الصراع على السلطة والانقسامات المذهبية، بالإضافة إلى تعدد الأجناس من عرب ومغاربة وعجم وأخلاط من بقايا الروم البيزنطيين وغيرهم؛ نتج عنه عدم التجانس السياسي، ووحدة الهدف، إضافة إلى أن البربر ـــ أهل البلاد الأصليين ـــ كانوا لا يطمعون في الاستيلاء على السلطة، وذلك لتنازعهم ولقبليتهم التي جعلتهم يرضون بحكام من غير أهل البلاد الأصليين (البربر)[7].

إن هذا القطر الشاسع كانت تتقاسمه عدَة إمارات مختلفة الاتجاهات، باستثناء برقة التي كانت تابعة لوالي مصر الذي كان يحفظ ولاءها لبني العباس، حيث كانت برقة تمثل خط الدفاع الأول عن مصر عند حدودها الغربية، لذلك نجد أنها لا زالت تابعة لمصر ويعين عليها عاملها من قبل واليها.

أما باقي بلاد المغرب فقد كانت تتقاسمه عدة إمارات:

إمارة الأغالبة[8]: وتشمل تونس وطرابلس منذ سنة (184هـ/800م)، وكان المذهب الرسمي للإمارة هو مذهب أبي حنيفة، تبعًا لما كان الحال في الدولة العباسية، وكانت هذه الإمارة دون سائر إمارات بلاد المغرب ترتبط بتبعية اسمية للعباسيين.

الإمارة الرّستميّة: وتشمل المغرب الأوسط منذ سنة (161ه/778م)[9]، وهي إمارة خارجية إباضية تنتشر في طرابلس وجبل نفوسة[10]، وتتخذ من "تِيهَرْت" -وهران الحالية- مقرًّا لها.

إمارة بني مِدْرار: بسِجِلْماسة جنوب المغرب الأقصى ـــ تافللت الحالية ـــ منذ (140ه/757م) [11]، وهي إمارة خارجية صُفْرية تنتشر في بعض نواحي افريقية والمغرب الأدنى[12].

الإمارة الإدريسية: العلوية الحسنية بالمغرب الأقصى منذ سنة (172ه/798م)[13]، وهي إمارة شيعية زيدية تتخذ من مدينة فاس مقرًا لها.

(5) ابن خلدون: العبر، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983، ج1، ص293؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م، ج2، ص429.

(6) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005م، ج1، ص174.

(7) بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص36.

(8) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ/923م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، موسوعة الأعلمي، بيروت – لبنان 1879م، ج8، ص272؛ وصل العهد بولاية إفريقية إلى ابن الأغلب في سنة (184هـ/800م). ابن عذارى: المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ج1، ص92.

(9) محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (1406ه/1985م)، ص150.

(10) ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص120-121.

(11) ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص129.

(12) ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص189.

(13) محمود إسماعيل: الأدارسة، ص21.

إمارة ناكور: في منطقة الريف (بلاد غمارة) في مدينة ناكور على البحر المتوسط، وتعرف بإمارة بني صالح[14]؛ أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري[15]، وهي بين نهرين أحدهما نكور، وبه سميت المدينة[16]. وقد تأثرت بحركة "داود الرُّندي" على المذهب الخارجي الصُّفْري[17]، وسقطت هذه الإمارة على يد العبيديين سنة (305هـ/917م)[18].

إمارة برغواطة: التي قامت بإقليم تامسنا سنة (125ه/742م)، الذي يمتد ما بين وداي نهر أبي الرقراق ووادي أم الربيع[19]من بلاد المغرب الأقصى على ساحل البحر المحيط فيما بين سلا وآسفي، وهي قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وإنما هم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف (تـ127ه/744م)، وهو من أهل العلم والدين[20]، على عقيدة المذهب الخارجي الصفري[21].

أسباب الصراع

لم يكن المغرب بمعزل عن المشرق، فانعكست أحداثه من اضطرابات وفتن وضعف وظهور الفرق والمذاهب المختلفة، وذلك من خلال رحلات الكثير من العلماء المشارقة إلى بلاد المغرب لتعليم أهله الدين الإسلامي، ومن ذلك: البعثة التعليمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز (تـ101ه/719م) من الفقهاء والتابعين وغيرهم من المتطوعين والذين كانوا يجلسون في المساجد والكتاتيب لتعليم البربر، وكذلك الجنود القادمون من الشرق يدخلون إلى المغرب مقالات الفرق والأحزاب المتصارعة[22]، وكان من هؤلاء كثير من أصحاب المذاهب المختلفة، وكذلك رحلات المغاربة للحج وطلب العلم وهؤلاء المغاربة الذين رحلوا للمشرق أو سافرًا للحج، اتصلوا بعلماء المذاهب في المشرق ونقلوا أفكارهم إلى بلادهم[23].

ويذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أنه لم تكن مسألة الاختلاف المذهبي في العصر الوسيط في العالم الإسلامي، وكما هو الشأن في العالم المسيحي، إلا وسيلة من وسائل التعبير عن الأوضاع الاجتماعية والاختلافات المادية للناس؛ لذا لا يمكن النظر إلى الاختلافات المذهبية من الزاوية الدينية الصرفة، إذ لم يكن هناك مجال للتعبير عن الاختلاف وعن الرفض إلا من خلال المنظومة الدينية، كما أن هذه الاختلافات المذهبية، بالإضافة إلى طبيعتها التعبيرية عن الاختلاف، هي في حد ذاتها اختلاف في فهم النصوص الدينية[24].

---

(14) بني صالح كما يقول البكري هو: المعروف بالعبد الصالح، وهو الذي افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل أرض المغرب في الافتتاح الأول، انظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز: المسالك والممالك، تحقيق، دريات فان ليوفش، وأندري فيري، الدار العربية، 1992، ج2، ص91؛ وينظر ابن عذارى: البيان المغرب، ح1، ص246.

(15) البكري: المسالك والممالك، ص 91؛ وينظر ابن رُسْتة، الأعلاق النفيسة، ص357.

(16) ابن عذارى: البيان المغرب، ح1، ص 247.

(17) محمود إسماعيل: الأسُطغْرافيا والميثولوجيا، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2009م، ص87.

(18) ابن عذارى: البيان المغرب، ح1، ص 247.

(19) ابن الوزان: الحسن (ابن محمد الفاسي المعروف باسم ليو الأفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب 2005. ص199؛ وجاء في الدراسة التي أجرتها سحر السيد عبد العزيز سالم بعنوان: من جديد حول برغواطة هرطقة المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص26.

(20) ابن خلدون: العبر، ج6، ص207؛ الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954م، ج2، ص16؛ مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبدالقادر بابوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2004م، ص47.

(21) محمود إسماعيل: الأسُطغْرافيا والميثولوجيا، ص87.

(22) عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ص140.

(23) ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، دراسة وتحقيق حسن علي حسن، القاهرة، 1984م، ص 601؛ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب، الطبعة الثالثة، 2001م، ص 25.

(24) حسن حافظ علوي: منسق سلسلة ندوات ومناظرات رقم157، الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط. الطاهر المنصوري: علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (1429ه/2009م)، ص47 .

عزت الدراسة التي قام بها أحد الباحثين عن الصراع الإثني والمذهبي في المغرب، أسباب الصراع إلى كونه أسبابًا اقتصادية واجتماعية بالإضافة إلى الإثنية التي مثلت قاعدة هذا الصراع والمذهبية التي مثلت أيديولوجيته، مصححًا خطأ من ذهب إلى أن العامل الإثني كان الحافز على الثورة، في حين لم تكن بين العرب والبربر أو بين البتر والبرانس، بل كانت جامعة لعناصر من الإثنيات كافة في بلاد المغرب؛ معللًا لمن أخطأ في إرجاع سبب الثورة إلى العامل المذهبي وحده، ذلك أن أتباع مذاهب شتى؛ خارجية ومعتزلية، وحتى سنية أحيانًا شاركوا فيها ولو بدرجة محددة، وهو ما أكده ابن خلدون عن عجز العصبية وحدها عن الفعل التاريخي، كما أن المذهبية وحدها لا تقدم ولا تؤخر في حركة التاريخ؛ وهذا يعني أن حركة التاريخ تتوقف على تضافرهما معًا، وأن هذا التضافر لا يتم إلا بفعل العامل الاقتصادي – الاجتماعي[25]، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أهمية المنهج المادي في تبيان أثر الجغرافيا في الاقتصاد، وأثر الأخيرة في الصيرورة التاريخية؛ ولعل هذا النهج كان وراء تمييز رؤية الإشكالية من منظور تاريخي لا عقدي[26].

لقد كان من سياسة الدولة الأموية لإضعاف العصبية، أن اتبعت سياسة التوازن بين قطبين متنافرين هما القيسية واليمنية، التي أثبتت المصادر التاريخية أن ولاة المغرب كانوا يُختارون من اليمنية أحياناً ومن القيسية مع قلة عددهم في بلاد المغرب أحياناً أخرى. وكذلك استغلت الخلافة العباسية شعبية فقهاء المالكية لإحداث التوازن بين الأغالبة والقوى الشعبية؛ حتى تضمن سيطرتها على بلاد المغرب عندما أدرك الأغالبة مدى قوة الفقهاء المالكية. وتأثيرهم على العامة؛ لذلك عملوا على التقرب إليهم واستمالتهم وكسب تأييدهم، خاصة في الأوقات التي يواجهون فيها مشاكل، ولكن شعبية فقهاء المالكية لم تنل رضا أمراء الأغالبة فعملوا على إضعاف قوتهم؛ بالعزل، أو بتقديم فقهاء الحنفية عليهم، وذلك لأن المذهب الحنفي هو مذهب الخلافة العباسية الرسمي في تلك الفترة التي سبقت قيام الدولة الفاطمية سنة (296ه/908م)، وهم دائمًا في خلاف مع فقهاء المالكية وهذا الخلاف يرجع إلى اختلاف طبيعة كل مذهب فالأول يعتمد على الرأي والقياس بينما يميل الثاني إلى الأثر والحديث[27]؛ لذلك كان مِن السهل على أصحاب الحنفية اعتِناق أحد مبادئ المُعتزلة التي تَميل أيضًا إلى النواحي العقلية، مع وجود نوع من التعايش والتعاون بين المذهبين، حتى إنه قد نجد فقهاء ينتمون إلى المذهبين معًا مثل أسد بن الفرات (142ـــ213ه/759ـــ 828م)، إلى أن تدخل الأغالبة لتعميق الصراع بينهما، وقد اتخذ هذا الصراع عدة مظاهر انتهت بمسألة "خلق القرآن" التي أثارها المعتزلة في القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، وأحدثت جدلًا واسعًا، عانى منه أهل السُّنة كثيرًا؛ لدرجة أن فقهاء المالكية لم يكونوا يصلون على من يقول بخلق القرآن. وقد ظل هذا الجدل دائرًا حتى تبنى أحمد بن الأغلب (ت242هـ/856م) أراء المعتزلة تمشيًّا مع مذهب الخلافة الرسمي في ذلك الوقت[28] متخذًا أبا الجواد قاضيا مع ما عرف عنه من قوله بخلق القرآن وعدائه للإمام سُحنون (ت240ه/854م)[29]، الذي كان لا يرى رأي المعتزلة، ويُجاهر بخلافه والفتنة في أوجها[30].

(25) سلمى محمود إسماعيل: الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة المنصورة، 2009م، ص96.
(26) محمود إسماعيل: الأسُطغرافيا والميثولوجيا، ص81.
(27) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص93.
(28) الدباغ: معالم الإيمان، ج2، ص18.
(29) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المالكي: المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، (1427ه/2006م)،ص449؛ المالكي القيرواني (عبد الله بن أبي عبد الله، ت ق438هـ/1046م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، تحقيق: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1414هـ/1994م.، ج1، ص377.
(30) الخشني: محمد بن الحارث بن أسد، طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.ص227.

المحور الثاني: التحولات المذهبية وأثرها في بلاد المغرب

لما كان المغرب الإسلامي في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، مسرحًا للعديد من الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية، تعرض إلى تحولات وتغيرات عميقة في شخصيته، فمع طوالع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، الذي لم يكن سهلا بالنسبة للفاتحين، ودخل المغاربة في الدين الإسلامي، وحسن إسلامهم بتركهم النصرانية واليهودية، وهذا أول تحول عميق يمس الشخصية المغربية ويؤثر فيها.

ولما كان الخوارج في المشرق الإسلامي يتلقون الضربة تلو الأخرى علي أيدي ولاة الأمويين خاصة في العراق، فكَّروا في اللجوء إلى أطراف الدولة الإسلامية شرقا وغربا، فهناك عدة أسباب وعوامل جعلت من بلاد المغرب تربة خصبة لانتشار المذهب الخارجي، والمذاهب الأخرى. منها: الفتح الإسلامي وما حمل في طياته من العوامل التي أدت إلى انتشاره طول مدة الفتح ومراحله التي تم معظمها في هذا العصر، والأمور متزامنة مع ظهور المذاهب وانشغال الدولة بالنزاعات والانقسامات الداخلية، وانتقال هذه المذاهب وما تحمله من خلافات سياسية وفكرية مع الجيوش الفاتحة، والتي كانت خير فرصة استغلها أرباب المدارس الفكرية، والمذاهب الدينية؛ فظهرت الصراعات المذهبية كفروع امتدت عن أصولها في المشرق الإسلامي.

وكذلك أخطاء سوء الإدارة في بلاد المغرب وإرهاقه بالجبايات التي كانوا يحصلونها، وكذا التودد للخلفاء بالسبايا، كل ذالك كان له أثره في تقبلهم لأي أفكار تعارض الخلافة وتحقق لهم العدل والمساواة التي ينتظرونها[31].

هذا إضافة إلى جغرافية بلاد المغرب، وبُعْده عن الخلافة، وطبيعة البربر وخلفيتهم الدينية والثقافية التي جعلتهم يتقبلون مذهب الخوارج ومذهب العلويين الشيعة والمذهب السني المالكية دون بقية المذاهب الأخرى، لاتفاقهم مع تكوين هذه الفِرق والمذاهب وثقافتهم[32].

وقد غلب على أهل بلاد المغرب المذهب المالكي السني[33] الذي انتشر في سنة (184هـ/800م) وهو توقيت انتشاره نفسه بالمشرق[34]، وأصبح المذهب الرسمي في القيروان وفاس[35]، فضلا عن انتشاره في المغرب الأقصى، حيث كان يتبعه الحكام، والقضاة، والعامة، وخاصة في عهد الأغالبة[36].

وبقيت طرابلس، وجِرْبة وإقليم تِيهَرْت، حيث انتشر في ثلاثتها المذهب الخارجي؛ حيث نجح الخوارج الإباضية في نشر مبادئهم؛ لاشتراكهم مع البربر في رفض السيادة عليهم، كما أنهم لم يدعوا باسم مذهب معين بل طلبوا المساواة والعدل. واشتركوا معهم في سخطهم على الخلافة؛ لما عده البربر تناقضًا بين تعاليم الدين التي تنص على المساواة والعدل، وسياسة بعض الولاة الذين أساؤا السيرة في البربر برغم حسن إسلامهم ومشاركتهم في الفتوح، في حين اعتبرهم الولاة فيئًا لهم، فشعروا بالظلم، وزاد من إحساسهم بإجحاف السياسة المالية الخاطئة للدولة التي كانت تستنزف مواردها وتسبب الأضرار باقتصادهم، مما أدى لسخطهم على الولاة والخلافة لمسئوليتها عن اختيار

(31) داليا عبد الهادي طلبة: الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب في نهاية القرن الثالث الهجري، جامعة المنصورة، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2003، ص 29.

(32) المرجع السابق، ص30.

(33) ذكر القاضي عياض:أنه "كان الغالب على أفريقية وأما وراءها من المغرب في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد وأبن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا". ترتيب المدارك، ج1، ص8.

(34) يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في إفريقيا، مكتبة النهضة، القاهرة 1965م، ص 167.

(35) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الموسوعة الوطنية، الجزائر، 1984م، ص197.

(36) ابن حيون: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد: افتتاح الدعوة، ط1، دار الأضواء، بيروت – لبنان 1996م، ص 50.

ولاتها، وغضها الطرف عن أعمالهم، لخدمة مصالحها، ولانشغالها بأمور المشرق، فتجاوب البربر مع دعاة الخارجية والعلويين الذين نادوا بالمساواة[37].

هذا بالإضافة إلى طبيعة سكان البلاد الأصليين ـــــالبربرـــــ ومكوناتهم؛ فهم يتسمون بالشجاعة والاعتزاز بالنفس، وحب الحرية والقتال والرغبة في الزعامة والسيطرة والتعصب الشديد لما يعتقدونه، متأثرون بالسحر والشعوذة؛ ولهذه المكونات الثقافية والشخصية آثارها في انتشار المذاهب المختلفة، إذ جعلت انقيادهم لمن يحسن استغلال تلك الصفات، وهذا ما نجح فيه دعاة الخوارج، ومن بعدهم دعاة الشيعة على رأسهم أبو عبد الله الشيعي (ت298ه/910م) في تكوين جبهة معارضة قوية ضد العباسيين في المشرق الإسلامي ومن والاهم في بلاد المغرب[38].

تحول المغرب الأوسط من المذهب السني إلى المذهب الخارجي الإباضي تحت حكم الدولة الرستمية، ولأنه أعدل مذاهب الخوارج وأقربها إلى معتقد أهل السُّنة[39]؛ فقد تزايد أنصاره وكثر أتباعه، وقامت لهم دولة وصالت لهم جولة، وما يُظهر ذلك ويدل عليه هو قيام الدولة الرستمية على أساس المذهب الإباضي الخارجي في المغرب الأوسط، فانتشرت أفكارهم في الإمامة والحكم، كعدم اشتراط "القرشية" في الإمام، والثورة على أئمة الجَوْر متى ظهر منهم ذلك[40].

لقد التزموا تعاليم المذهب وشرائعه في تعاملاتهم الداخلية والخارجية[41]، وناصبوا العداء للخلافة العباسية بالمشرق وحُلفائها بالمغرب[42] ووثقوا صلاتهم بإباضية المشرق، فكانت كتب فقهاء إباضية المشرق تصل إلى المغرب وتفد إليه باستمرار، ونبغ عدد منهم في المذهب، بل كان أئمة الدولة الرستمية فقهاء في المذهب ولهم تصانيف وفتاوى خاصة بهم[43]، فأقاموا النظم الإباضية التي اشتهر منها نظام "العزابة"، وشيدوا مكتبتهم المعروفة باسم "المعصومة" [44]، فصار مذهبهم تيارًا عقديًّا له وزنه وتأثيره في بلاد المغرب.

تزامن قيام الدولة الصُّفارية في سِجِلْماسة في المغرب الأقصى مع قيام الدولة الإباضية، وقد حدث تعاون مرحلي بين التنظيمين في البداية، بدليل وصول داعيتي الخوارج الإباضية والصُّفْرية إلى بلاد المغرب "على ظهر جمل واحد"[45]، ثم تلاشى ذلك الوئام وحلت الخصومة محل التعاون، وبدأ كل تنظيم يعمل لحسابه الخاص، حتى اصطدمت المصالح بين الطرفين بالتنافس على مناطق النفوذ، واندلعت الحرب التي انتهت برجحان كفة الإباضية، ولكنهما تناسوا الخصومة والعداء وعقدوا أواصر السلم والموادعة[46]؛ لكنها كانت دولة صحراوية داخلية لم يكن لها تأثير عقدي يُذكر، ونظامها جرى على غرار النسق الإباضي.

والسر في ندرة المعلومات كامن في ضياع المصادر الصُّفْرية كافة نتيجة الغزو الشيعي لدولتهم في المغرب سنة (297ه/909م)، فقد كان عُبيد الله المهدي سجيناً في سِجِلْماسة عاصمة الدولة الصُّفْرية،

(37) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص 285؛ عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها، ص 55.
(38) داليا عبد الهادي: الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب، ص 28 .
(39) الشهرستاني:الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ج1، ط1، مكتبة الحسين، القاهرة 1948م، ص122.
(40) لا أدل على ذلك من مبايعتهم لعبد الرحمن بن رستم في سنة (160هـ/776م) وهو من أصل فارسي، أنظر: عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص73، 91.
(41) محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب ، ص154.
(42) من ذلك أنهم وثقوا علاقاتهم مع الأمويين في الأندلس.
(43) عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها، ص236-237.
(44) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص298.
(45) يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء: كتاب السير وأخبار الأئمة، الدار التونسية للنشر، تونس 1985م، ص14؛ السلاوي: الاستقصا، ج1، ص123.
(46) محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006م، ص36-37.

ورفض أميرها تحريره من سجنه رغم توسلات القائد الفاطمي أبي عبد الله الشيعي، لذلك أمعن الشيعي في التنكيل بالصُّفْرية بعد فتح سِجِلْماسة؛ فاستباحها لجنده، ثم أضرم فيها النيران فأتت على تراث الصُّفْرية عن آخره، وتفرقت البقية الباقية من الصُّفْرية في أصقاع بلاد المغرب [47].

وقد ظهرت بوادر تحول عَقدي آخر في المغرب الأقصى، من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الزيدي الحسيني في القرن (2ه/8م)، وقد برزت معالم هذا التحول في قيام دولة الأدارسة على أساس الولاء لآل البيت التي كانت كافية لاستقطاب الأنصار[48]، والتي تنسب للإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتعد أكثر فرق الشيعة اعتدالاً، فلم يقولوا بمبدأ "النص والتعيين"؛ ولذلك اعترفوا بخلافتي أبي بكر وعمر، وبمبدأ الشورى عن طريق تنصيب الإمام من نسل الحسن والحسين بعد اختيار أهل "الحل والعقد"[49]، وكلها أبجديات جديدة أدرجت في المفكرة العقدية لأهل المغرب الإسلامي، مبينة لسلامة معتقدهم وبساطته، بل أرجع بعض الباحثين الفضل للأدارسة في تعزيز الولاء لآل البيت وتعميقه، والمغالاة في حبهم، وبالتالي مهدت ذهنية أهل بلاد المغرب لتقبل المذهب الشيعي الإسماعيلي، وقيام الدولة العُبيدية (الفاطمية) فيما بعد، رغم الاختلاف والعداء بين الدولتين. وذهب بعضهم إلى اعتبار دولة الأدارسة الحموديين الشيعية في الأندلس امتدادًا فكريًّا وعقيديًّا للدولة الإدريسية، وثمرة من ثمار الدعوات الشيعية السابقة لها في بلاد المغرب والأندلس[50].

ويذهب عدد من الباحثين إلى أن هذا التحول لم يكن ظاهرًا جليًّا، ولا حتى ملموسًا، بل إن بعض الباحثين لم يعتبره تحولاً عقديًّا؛ ذلك لأن المذهب الزيدي أقرب إلى المذهب السني. وحِرْص الإمام إدريس الأول وخلفاؤه من بعده على التمسك بالمذهب المالكي طوعاً دون ضغط من سكان المغربِ يُبعد عنهم صفة التشيع. أما انتساب الإمام إدريس إلى آل البيت وخروجه عن سلطة العباسيين وكتابته اسم (علي رضي الله عنه) على أحد وجهي العملة الإدريسية، لا يعدو أن يكون اعتزازًا بنسبه من جهة، وليعطي المسوغ لقيام دولته من جهة أخرى، بالإضافة إلى أن المصادر تحفظ لنا نصًا يُعد بمثابة الدستور المؤسس لنظام الحكم الذي ستكون عليه دولة آل البيت الأدارسة بالمغرب، والموضح لهويتها السياسية والفكرية، ولا يُفهم من ظاهره ـــ أي ظاهر هذا الصنيع ـــ التشيع[51].

وسواء كان تشيع الأدارسة عقديًّا أو سياسيًّا، فإنه مثَّل – بلا شك – مظهرًا من مظاهر التحول المذهبي العقدي في المغرب الأقصى؛ حيث كانت معظم الدول المستقلة في بلاد المغرب ذات طابع عقائدي ومذهبي، إذ كان لكل منها مذهبها الأصولي والفقهي الخاص بها، والذي جعلته مسوغًا لدعوتها الانفصالية وخروجها على سلطة الخلافة، كما اتخذت منه أساسًا ومرتكزًا لنظام حكمها، ومسوغًا لشرعيته بعد انفصالها عن الدولة المركزية، فكما اعتمدت هذه الدويلات على القوة للاحتفاظ بالحكم واستخدام أساليب البطش والتنكيل بمعارضيها السياسيين، اعتمدت ـــ أغلبها ـــ على نشر مذهبها في المناطق التي تحت سيطرتها وفرضه بالقوة وقمع الآراء والأفكار كافة المخالفة لذلك المذهب. ونجد أن أول تحول عقدي عرفته بلاد المغرب كان عند مطلع القرن (2هـ/8م)، حيث تحول أهله من العقيدة السنية المأثورة عن الصحابة والتابعين إلى مذاهب دخيلة وفدت إليهم من المشرق، حيث تحول المغرب الأدنى من المذهب السني إلى عقيدة المعتزلة خلال فترة حكم

(47) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص210..
48(48) من معتقداتهم أيضًا جوزوا: خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص42.
(49) النوبختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة، بيروت، 1984م، ص221.
(50) محمود مكي: التشيع في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، (1383هـ/1954م)، ص162.
(51) علال الفاسي: المولى إدريس الأكبر، مجلة التضامن، العدد الثالث، سنة (1393ه/1974م)، ص 15-18.

الأغالبة[52] حين اعتنق بعض ولاته المذهب تشبُّهًا بمن اعتنق المذهب من الخلفاء العباسيين مجاملة لهم وتزلفًا إليهم، فعملوا على إقراره في بلاد المغرب تزامنًا مع سعي العباسيين لإقراره في المشرق (218ـــ232هـ/833-846م)، فلم يتوان الأغالبة في شيء من ذلك، فكُتبت السجلات بخلق القرآن وأُمر بقراءتها على المنابر، وحُمل الناس عليها، وتولى الأمير محمد بن أبي عقال (ت223هـ/840م) والأمير أحمد بن الأغلب (ت242هـ/856م)، امتحان العلماء والعوام، والتنكيل بمن أظهر خلاف ذلك[53]، فتعرض كثير من علماء السُّنة للامتهان والتنكيل والتهجير، ومع ذلك فقد أظهروا شجاعة علمية وصبرًا على الاضطهاد وثباتًا على الأمر[54].

ونتج عن ذلك تعزز مذهب المعتزلة في المغرب الإسلامي، فاعتنقه عدد من الفقهاء والعوام[55]، وكان من أبعاد ذلك –أيضًا– أن تهيأت أرضية بلاد المغرب لاستقبال المدارس الكلامية والفلسفية التي لم يكن لها سابق عهد بها[56]، فقد عُرف عن أهله سلامة الطوية وبساطة المُعتقد ومنافرة علم الكلام[57]وأهله، ولكن الذي يبدو أن الاعتزال مهد الأرضية لاستقبال مدارس كلامية أخرى، كالمدرسة الأشعرية التي لم يفصح التاريخ ولا نعرف على وجه التحديد متى وكيف وصلت إلى بلاد المغرب[58]. وقد تطور الأخذ بعلم الجدل والمناظرة والرد على المخالفين إلى قبول علم الكلام فيما بعد، واستحسان الخوض فيه لإظهار السُّنة وتأييد الحق[59].

وإذا كان السبب في تحول المغرب الأدنى إلى المذهب المعتزلي، هو الولاء للخلافة العباسية في المشرق، فإن داعي تحوله إلى المذهب الخارجي في المغرب الأوسط هو العداء للخلافة في المشرق، وكرد فعل على بعض الممارسات التي كان يقترفها عمال الخلافة في بلاد المغرب[60]، بالإضافة إلى هجرة عدد من الخوارج إلى بلاد المغرب طلبًا للأمن وفرارًا من تتبع الخلافة العباسية لهم.

المحور الثالث: نتائج الصراع المذهبي وأثره في بلاد المغرب

لقد أدى التعدد المذهبي في المغرب إلى تغير سياسة الخلافة تجاه بلاد المغرب، فبعد أن كان مصدرًا للهداية والطرائف أصبح مصدرًا للتوتر والمشاكل، وظلت الخلافة جاهدة تحاول استرداده من الخارجين عليها حتى سلمت بالأمر الواقع، وقررت الحفاظ على ما تبقى تحت طاعتها، ما جعل هارون الرشيد يتنازل عن إفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب، التي استقل بها استقلالًا فعليًّا ولم تكن

(52) تسرب المذهب المعتزلي إلى بلاد المغرب قبل ذلك في زمن واصل بن عطاء (ت131هـ/748م)، الذي أرسل دعاته إلى المغرب، انظر: أحمد أمين: فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م، ص300؛ وقد استطاع هذا الداعية جمع الأنصار حوله. انظر: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي: معجم البلدان، ط5، دار صادر، بيروت 1995م ج2، ص7، 9.

(53) أبو العرب تميم: المحن، ص449-451.

(54) إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، دراسة في الصراع العقدي في المغرب الإسلامي من الفتح العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة ناشرون، (1426هـ/2005م)، ص265-289.

(55) منهم ابن صخر المعتزلي، انظر: أبو بكر المالكي: رياض النفوس، ج1، ص264؛ ومنهم البهلول بن عمرو التجيبي، انظر: أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقيا وتونس، ص157؛ ومنهم: معد بن عقال. انظر: أبو بكر المالكي: رياض النفوس، ج1، ص477، والقاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص511-512.

(56) قال الناصري حاكيًا عن معتقد أهل المغرب: "مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل، مع التنزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها". أنظر: الاستقصا، ج1، ص63.

(57) علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السُّنة. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد. انظر: ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: حامد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص363.

(58) سلمى محمود إسماعيل عبد الرازق: الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى، ص72.

(59) الحبيب بن طاهر: ابن أبي زيد القيرواني وعقيدته "الرسالة" و"الجامعة" دراسة في المنهج والمضمون. ص46.

(60) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص52؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص108-111.

خاضعة للعباسيين إلا بالاسم فقط[61]، وأنشأت دولة الأغالبة حاجزة بينها وبين الخارجين عليها زهاء مائة عام (184-296ه/800-909م)، والتي دب فيها داء الأمم الذي يصيبها بعد أن تصل الذروة نتيجة لانتهاج آخر الأمراء سياسات سيئة عجلت بسقوط دولتهم، وتزامنت مع ازدياد النفوذ الشيعي الذي تسلل في فترة ضعف الدولة[62]، وانسلخ المغربان الأوسط والأقصى عن نفوذ الخلافة بعد قيام الخوارج الصُّفْرية بتأسيس دولة بني مِدْرار في سِجِلْماسة سنة (140ه/757م)، كما نجح الخوارج الإباضية في إقامة الدولة الرستمية بتِيهَرْت سنة (162ه/778م)، في حين تجمعت قبائل المغرب الأقصى حول مؤسسها إدريس بن عبد الله[63]، وترتب على ذلك انفصال المغرب الأقصى قاصية دولة الإسلام، عن الخلافة العباسية وقيام دولة الأدارسة[64].

تهيئة الظروف كذلك للأمويين لتجديد دولتهم الثانية في الأندلس، فلم تستطع الخلافة العباسية اللحاق بهم أو إرسال الجيوش للقضاء عليهم؛ لانقطاع الصلة بينها وبينهم[65]. كما كان من نتائجه أيضًا ظهور كيانات سياسية مستقلة مهدت الطريق لقيام أول خلافة شيعية، مستغلة ما ساد إفريقية من اضطراب في عهد الأغالبة الأواخر واندلاع الثورة ضدهم[66].

صارت الوضعية العامة في بلاد المغرب خلال القرن (2هـ/8م) غير الوضعية التي كان عليها نهاية القرن الأول من وحدة فكرية وعقدية وسياسية وجغرافية، فقد صار مجزأ إلى ثلاث دويلات متناقضة فكريًّا ومستقلة سياسيًّا ومنفصلة جغرافيًّا، وما إن حل القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، حتى خيم على المغرب الإسلامي تحول عقدي آخر يُعتبر أخطر مما سبقه من تحولات عقدية، ذلك لما كان لهذا التحول من أبعاد سياسية وجغرافية وعقدية، وهو التشيع الإسماعيلي[67].

اعتمدت معظم الدول المستقلة المعارضة للعباسيين على تأييد زعماء قبائل أمازيغية (بربرية) لها، فالدولة العُبيدية (الفاطمية) اعتمدت على تأييد قبيلة كتامة، في حين اعتمدت دولة الأدارسة على قبيلة أوربة، واعتمدت الدولة المِدْرارية على قبيلة مكناسة[68]، وعلى الرغم من ذلك فلم توفق أي من هذه الدول في نشر عقيدتها بتوسع بين المغاربة؛ ربما بسبب عدم توافق هذه المذاهب في الأصل مع التراث القبلي المغربي.

يرتبط قيام الدولة العبيدية بإفريقية سنة (296ه/908م)، بالتشيع الإسماعيلي فكرًا ودعوة وثورة، وهذا يعني أن الخيوط الأساسية لقيام تلك الدولة الإسماعيلية[69] نسجت في الشرق. وهو أمر يتسق مع طبيعة قيام الدول المستقلة في بلاد المغرب نتيجة دعوات مذهبية ذات أصول مشرقية خارجية، وسنية، وشيعية، وما أثبتته الدراسات الحديثة، ينفي المقولة الخاطئة التي ترددها مدارس الإستشراق الغربي، والتي فحواها تميُّز الصيرورة التاريخية في المغرب بالخصوصية والاستقلال عن المجريات العامة في المشرق[70].

(61) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص58.
(62) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج2، 126-148.
(63) محمود إسماعيل: الأغالبة، ص12-13.
(64) عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، (1428هـ/2007م)، ج3، ص241.
(65) داليا عبد الهادي طلبة: الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب، ص163.
(66) محمود إسماعيل: الأغالبة، ص187.
(67) بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي ، ص29.
(68) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص113.
(69) نشأت الفرقة الإسماعيلية ومعها ظهر التنظيم السري و"التبشير" بواسطة دعاة محترفين مبثوثين في مجموع دار الإسلام بعد اتقانهم طرق التلقين وقواعد التأويل حسب مستويات عقول الناس. تفرق الدعاة وبقوة على اتصال بمركز الدعاية الذي كان يوجد إلى غاية قيام الثورة القرمطية في سلمية بأرض الشام. انظر: عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ص219.
(70) محمود إسماعيل: الأدارسة، ص21.

بعد إسلام البربر ومشاركتهم للعرب في الجهاد، أساءت الخلافة الأموية إلى البربر، وفرقت بينهم وبين العرب في المعاملة، فمنذ ذلك وبلاد المغرب ملجأ للخارجين على الخلافة في الشرق، مثل الخوارج بفِرقها من الإباضية والصُّفْرية أو الأدارسة العلويين الذين ساعدهم البربر من زَناتةَ وغيرهم على إنشاء دولة لهم في المغرب الأقصى، طابعها سني وإن حكمها الأدارسة العلويون، وذلك في سنة (172ه/788م) [71]؛ ما جعل هارون الرشيد يتنازل عن إفريقية (تونس الحالية) إلى إبراهيم بن الأغلب، التي استقل بها استقلالًا فعليًّا ولم تكن خاضعة للعباسيين إلا بالاسم فقط[72].

أقام الأغالبة سلطانهم في إفريقية (المغرب الأدنى) زهاء مائة عام (184-296ه/800-909م)، التي دب فيها داء الأمم الذي يصيبها بعد أن تصل الذروة نتيجة لانتهاج آخر الأمراء سياسات سيئة عجلت بسقوط دولتهم، وتزامنت مع ازدياد النفوذ الشيعي الذي تسلل في فترة ضعف الدولة[73]، وانسلخ المغربان الأوسط والأقصى عن نفوذ الخلافة بعد قيام الخوارج الصُّفْرية بتأسيس دولة بني مِدْرار في سِجِلْماسة سنة (140ه/757م)، كما نجح الخوارج الإباضية في إقامة الدولة الرستمية بتِيهَرْت سنة (162ه/778م)، في حين تجمعت قبائل المغرب الأقصى حول مؤسسها إدريس بن عبد الله[74].

وبلغ الخليفة العباسي من الضعف بحيث لم يعد قادرًا على التدخل في أمور الولايات، مكتفيًا بذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السّكَّة. وهذان المظهران هما كل ما بقي للخلافة العباسية في جميع البلاد الإسلامية التي زال عنها نفوذ بغداد.

هذه الحالة تكشف لنا مبلغ الضعف الذي وصلت إليه السلطة المركزية في بغداد، ثم في سامراء (221-259ه/835-872م)، هذه السلطة التي عجزت حتى في الدفاع عن الولايات المتاخمة لحاضرة الدولة، وعن تحقيق التوازن بين القوى المركزية في بغداد وبين القوى اللامركزية النامية في الأقاليم، مما أدى إلى قيام الدول الانفصالية.

من هنا يتبين مبلغ السهولة التي أقام بها العبيديون دولتهم في إحدى ولايات الدولة البعيدة في إفريقية لما أصابها من وهن وما اشتهر عن أمرائها من ضعف وانحلال[75]، وبذلك نستطيع أن ندرك كيف هيأت الأحوال في إفريقية دخول كثيرين من البربر في حظيرة المذهب الشيعي الإسماعيلي بمثل ما تهيأت لهم من ظروف لتحقيق غايتهم. ولا غرو فقد وجه الإسماعيليون عنايتهم لتحقيق هذه الغاية على يد أحد دعاتهم الذي يدعى: أبا عبد الله الشيعي[76]، حتى إذا ما وصل بلاد كُتامة في سنة (280ه/893م)، وجد هذه البلاد موطَّأة ممهدة له من قبل الداعيين (الحُلْواني وأبو سفيان) الذَيْن بعث بهما محمد بن الحبيب المقيم بسلمية من أرض حمص سنة (145ه/762م)، ببث دعوته في بلاد كتامة، ونجحا في التمهيد لما قام به أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي فيما بعد[77].

(71) عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1982م، ص13.
(72) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص58.
(73) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج2، 126-148.
(74) محمود إسماعيل: الأغالبة، ص12-13.
(75) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص44.
(76) هو الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا، من أهل الكوفة، مهد الحركة الشيعية ومركز تخرج الدعاة الذين انتشروا في جميع أرجاء العالم الإسلامي للتعريف بقضية أهل البيت والدفاع عنهم. انظر: فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص80؛ وقيل من أهل صنعاء باليمن، كان يعتنق أول الأمر عقائد الاثنا عشرية، كما كان يعرف بالمعلم، لتعليمه مذهب الاثنا عشرية قبل أن يعتنق الإسماعيلية، وقد ولي الحسبة في بعض أعمال بغداد، فلما اتصل بمحمد الحبيب أبي عبد الله المهدي، آنس فيه الكفاية والذكاء، فأوفده إلى بلاد اليمن فاتصل بأبن حوشب داعي دعاة الإسماعيلية في هذه البلاد، وصار من كبار الصحابة. انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص47.
(77) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص127.

تعد الفترة مابين دخول هذين الداعيين بلاد المغرب ودخول أبي عبد الله الداعي الشيعي مرحلة الإعداد العقائدي النظري الذي تمثل في بَسْط ظاهر علم الأئمة، ونشر فضلهم بين قبائل البربر، ولا شك أن نشاط هذين الداعيين قد مهد السبيل أمام من جاء بعدهما ليقطف الثمار[78]، وأن الداعيين لم يقوما بالدعوة بالمعنى المعروف في الاصطلاح الإسماعيلي، وإنما قاما بشيء أبسط تمثل في نشرهما محبة آل البيت وفضلهم الذي صاحبه الأصول العامة للمذهب الإسماعيلي، وهو الذي أطلق عليه ابن حيون المغربي: "ظاهر علم الأئمة"[79].

ويبدو من النص الذي حدد مهمتهما، الإيحاء بأن المهمة التي أوكلت إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي بعد ذلك، لم تكن سوى تتويج لجهود دعاة الحركة الإسماعيلية التي ما فتئت تمارس نشاطها السري في العالم الإسلامي، متبنية طموحات القوى البرجوازية والطبقات الكادحة. وهذا يفسر سر توسيع الإمبراطورية الفاطمية لتشمل بلاد المغرب[80] الذي خضع بأقطاره الثلاثة إلى سيطرة المذهب الشيعي الإسماعيلي[81] تحت إمرة الدولة الفاطمية، وكان مخاض التحول أشد، باعتباره مذهباً أكثر انحرافًا وضلالًا من كل المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي، وأسباب هذا التحول والمنعرج الكبير في التاريخ الفكري للمغرب الإسلامي يرجع إلى سببين رئيسيين يُشكلان في الغالب أسباب التحولات المذهبية في أي قُطر، أولهما قوة الدعوة وحُسن تخطيطها والصبر عليها، والثاني غياب قاعدة عقيدية مستقرة لمسلمي بلاد المغرب الذين ما إن استقر الإسلام بينهم حتى عرفوا توالي الحركات المذهبية من المشرق والتي وجدت في المغرب ضالتها بعد فرارها من سطوة الخلافة في المشرق.

الخاتمة

لعل من أهم النتائج التي تستوقفنا هنا:ـــ

أولًا: هو ذلك الترابط التاريخي بين الجانبين السياسي والعقيدي في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، وأن الوحدة السياسية للمغرب مقرونة بوحدته الفكرية، حيث إن مرافقة هذه التحولات العقيدية تحولات سياسية يُـعزز حقيقتين: أولها أن الدول التي قامت على أرض المغرب الإسلامي قامت على أساس ديني، والدول تقوى بالدعوة الدينية وتزيد في أصل قوتها كما ذكر ابن خلدون[82]، والحقيقة الثانية أن وحدة المغرب الإسلامي السياسية تابعة لوحدته الفكرية والمذهبية، وهو تلازم تقرره الحقائق التاريخية.

ثانيــًا: تميز وجود العبيديين في المغرب منذ قيام دولتهم في سنة (296هـ/908م) بصراع عنيف مع كل من: الخوارج والمالكية حتى إن المالكية تحالفوا مع الخوارج الإباضية لمواجهة العبيديين،

(78) ابن حيون: افتتاح الدعوة، ص26-27؛ هناك من اسند إلى محمد بن إسماعيل الذي استقر في مدينة تدمر السورية؛ مهمة توزيع الدعاة الأكفاء ذوي الخبرة الواسعة، والولاء الخارق، إلى جميع البلدان الإسلامية؛ فأوفد إلى المغرب الداعيين الحلواني وأبو سفيان. انظر: الكرماني، أحمد بن عبد الله الكرماني حميد الدين، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1983م، ص25،26.

(79) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تعريب المنجي الصياد، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، (1415ه/1995م)، ص655-656.

(80) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج1، ص166.

(81) من معتقداتهم أنه لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم: إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور. فإذا كان الإمام ظاهراً؛ جاز أن يكون حجته مستوراً. وإذا كان الإمام مستوراً؛ فلابد أن يكنون حجته ودعاته ظاهرين، ومن مذهبهم: أن من مات ولم يعرف إمام زمانه: مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات جاهلية، وأشهر ألقابهم الباطنية؛ والقرامطة، والمزدكية؛ والملحدة. انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج4، ص56، وقد أخرجها ابن حزم من طوائف المسلمين، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبدالرحمن عميرة الناشر: دار الجيل، ج1، ص199.

(82) ابن خلدون: المقدمة، ص 110.

والحق أن العبيديين طعنوا في المعتقدات التي قام عليها إيمان الناس، حيث بالغوا في النيل منها بالتشنيع الفظيع في حق أبي بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب ،وعثمان بن عفان "رضي الله عنهم"، وسخروا لذلك جهالهم[83]، فكانت المحنة على كل من خالفهم وعلى رأسهم المالكية فنكلوا بهم أشد التنكيل ولم تسلم الإمارات المالكية من أذاهم في إفريقية، وكذلك المغرب الأقصى، فقد خربت جيوش العبيديين الإمارات وقضت على الدول، ودخلوا لمعاقلهم، كما دخلوا معاقل الخوارج من الصفرية والإباضية، وخضع المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة إلى سيطرة المذهب الشيعي الإسماعيلي تحت إمرة الدولة العبيدية (الفاطمية)، وكان مخاض هذا التحول أشد، باعتباره مذهبًا أكثر انحرافًا وضلالًا من كل المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي، وأسباب هذا التحول والمنعرج الكبير في التاريخ الفكري للمغرب الإسلامي يرجع إلى سببين رئيسيين يُشكلان في الغالب أسباب التحولات المذهبية في أي قُطر، أولهما قوة الدعوة وحُسن تخطيطها والصبر عليها، والثاني غياب قاعدة عقيدية مستقرة لمسلمي المغرب الإسلامي الذين ما إن استقر الإسلام بينهم حتى عرفوا توالي الحركات المذهبية من المشرق والتي وجدت في المغرب ضالتها بعد فرارها من سطوة الخلافة في المشرق.

ويأتي على رأس أسباب انتصار المالكية على غيرهم من أصحاب الفرق كونهم لم ينازلوا أصحاب مذاهب سنية؛ وإنما واجهوا أصحاب فرق متهافتة الأسس، جمع أصحابها بين الدجل وسفك كالعبيديين؛ فتحالف المالكية السنيين مع الإباضية الخوارج في صد المد الشيعي العبيدي ما هو إلا واقع ما يقتضيه الشرع؛ فالذي يختلف معك في فرع من فروع الفقه غير الذي يختلف معك في أصل من أصول الدين، والذي يختلف معك في قضية من قضايا العقيدة غير الذي يختلف معك في أصل الإسلام.

والواقع أن المذهبين الذين حققا نجاحًا في الأوساط الشعبية المغربية هما المذهب المالكي والمذهب الإباضي، ولعل السبب في ذلك هو أن كلا المذهبين يبدي قدرًا أكبر من المرونة في التعامل مع الإقطاع[84] والطموحات القبلية، وبالتالي فقد شهد المذهبان تنوع الانتماءات القبلية والعنصرية والطبقية للمعتنقين من المغاربة، في حين لم ينتج المتشيعون من المغاربة أية إنتاجات فكرية أو فقهية تذكر في العهد الإدريسي، فإن الإنتاجات الفقهية والعقائدية المغربية في المذهبين المالكي السني، والإباضي الخارجي، هي الأكثر نضجًا وتأثيرًا في أتباع المذهبين وسواء في مشرق البلاد الإسلامية أو مغربها.

(83) القاضي عياض:ترتيب المدارك، ج 5، ص 303 وما بعدها.

(84) الإقطاع: لغة: من أقطع، أي أعطى، ومنح، ووهب، " واصطلاح الإقطاع هو أن يقطع الخليفة أو الإمام رجلًا مسلمًا أرضًا فتصير له رُقْبتها وتسمى الأرضون " انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص119.

المراجع

1- أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر، النصف الثاني من القرن 4هـ/10م):
السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس د.ت.

2- أبو العرب تميم (محمد بن أحمد بن تميم، ت 333هـ/945م):
طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.

3- ابن أبي دينار (أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني):
المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدار التونسية، 1286.

4- **ابن الأثير** (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت 630هـ/1232م):
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت 1982.

5- البكري (عبد الله بن عبد العزيز محمد بن أيوب بن عمرو، ت 487هـ/1094م):
المسالك والممالك، تحقيق دريات فان ليوفش وأندري فيري، ج2، الدار العربية، 1992.

6- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت 456هـ/1063م):
الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت 1985.

7- ابن الصغير المالكي(القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي):
السير وأخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1886.

8- **الحسن الوزان** (ابن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليو الأفريقي، ت 957هـ/1550م):
وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب 2005.

9- ابن حيون (أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد، ت 363هـ/974م**):**
افتتاح الدعوة، ط1، دار الأضواء، بيروت – لبنان 1996.

10- الخشني (محمد بن الحارث بن أسد، ت 366هـ/976م):
طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.

11- **ابن خلدون (**عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ت 808هـ/1405م):
المقدمة، تحقيق: حامد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، 1425هـ/2004.
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983.

12- الدباغ (أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري)، (ت 699هـ/1300م):
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1989.

13- **ابن رستة** (أبي علي أحمد بن عمر:
الأعلاق النفيسة، ويليه كتاب:
البلدان، تأليف أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة ليدن، بمطابع بريل، 1893م

14- **ابن عذاري** (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي، ت 712هـ/1313م):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

15- عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي المالكي، ت 544هـ/1149م):

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: د. أحمد بكير محمود، مكتبة دارا لحياة، بيروت، لبنان، د.ت.

16- النوبختي: (الحسن بن موسى، 310هـ/922م):

فرق الشيعة، ط2، منشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان 1984م.

17- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، دراسة في الصراع العقدي في المغرب الإسلامي من الفتح العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة ناشرون، (1426هـ/2005م).

18- بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م.

19- جودت عبدالكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الموسوعة الوطنية، الجزائر، 1984م.

20- الحبيب بن طاهر: ابن أبي زيد القيرواني وعقيدته "الرسالة" و"الجامعة" دراسة في المنهج والمضمون.

21- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسوريا، وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1958م.

22- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م.

23- حسن حافظ علوي: الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط؛ سلسلة ندوات ومناظرات رقم157.

24- حسن حسني عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب، الطبعة الثالثة، 2001م.

25- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة، 2000م.

26- حسين مؤنس: مقدمة كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، لأبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، مكتبة النهضة المصرية، 1951م.

27- سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

28- الطاهر المنصوري: علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (1429هـ/2009م).

29- عبدالله العروي: مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،الطبعة الثالثة، 2012م.

30- عبدالعزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، (1428هـ/2007م).

31- عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1982م.

32- علال الفاسي: المولى إدريس الأكبر، مجلة التضامن، العدد الثالث، سنة (1393هـ/1974م).

33- عيسى الحريري: الدولة الرستمية، بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، (1408هـ/1987م).

34- فتحي أبوسيف: الماوردي عصره فكره السياسي، شركة سعيد رأفت للطباعة، القاهرة، 1990م.
35- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تعريب المنجي الصياد، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، (1415هـ/1995م).
36- محمود إسماعيل: الأدارسة في المغرب، حقائق جديدة- مكتبة مدَبولي، القاهرة، (1411هـ/ 1991م).
37- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005م.
38- الأسُطغْرافيا والميثولوجيا، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2009م.
39- الحركات السرية في الإسلام، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006م.
40- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (1406هـ/1985م).
41- الأغالبة (184-196ه) سياساته الخارجية، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2000م.
42- محمود مكي: التشيع في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، (1383هـ/1954م).
43- يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في إفريقيا، مكتبة النهضة، القاهرة 1965م.

ثالثُا: الرسائل الجامعية:-

44- داليا عبدالهادي طلبة: الاتجاهات المذهبية في بلاد المغرب في نهاية القرن الثالث الهجري، جامعة المنصورة، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2003م.
45- سلمى محمود إسماعيل: الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة المنصورة، 2009م.

تطهير المجتمع الإسلامي من معاملات الجاهلية (سورة النساء أنموذجا)

جامعة الزيتونة - كلية التربية

د. أحمد عبد الرحمن مفتاح

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فقد منّ الله على البشرية ؛إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون، وقد كانوا قبل مبعثه -صلى الله عليه وسلم - في ضلال مبين وانحراف عظيم في عباداتهم ومعاملاتهم وقوانينهم ونظم حياتهم ،فقد حكمتهم الأهواء والضلالات والعادات الباطلة والمألوفات الفاسدة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم دهورا طويلة، فتقاولوا عليها وارتاضوا على قبولها، فالتصقت بعقولهم التصاق العنكبوت ببيته؛ حتى إنهم إذا دعوا إلى اتباع ما أمر الله به حقا، أو التدبر فيه أعرضوا عنه وقالوا:(حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [1]، فقد كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه، وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله [2].

ولما كان إنزال القرآن على النبيء -صلى الله عليه وآله وسلم -أجزل نعماء الله تعالى على عباده المؤمنين ؛لأنه سبب نجاتهم في حياتهم الأبدية، وسبب فوزهم في الحياة العاجلة بطيب الحياة وانتظام الأحوال والسيادة على الناس، نزلت سورة النساء بالمدينة لتزيل آصار الجاهلية وترفع أغلالها وتحطّ أثقالها عن البشرية بما حوته من نظم ومقاصد وأحكام وشرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية ،[3] فقد بقيت في المسلمين أول الإسلام بقية من بقايا عوائد الجاهلية في المعاملات المالية ،وكانوا لا يشعرون بها كأكل أموال الناس بالباطل والتعدّي عليها ،والتساهل في حقوق الأرحام والأيتام بها ،فنزل القرآن لبيان تلك المفاسد والنهي عنها وبيان مصالح الدارين والإرشاد إليها ، هاديا للتي هي أقوم من مكارم الأخلاق ومحامد الصفات وكريم العادات، قال ابن

1 - المائدة، من الآية :104

2 - ينظر تفسير ابن كثير 116/8

3 -ينظر التحرير والتنوير246/15

تيمية :((فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها))[4]،فجاء الوفاء بهذا الغرض في السورة على أبدع الأساليب وأكمل الوجوه.

وقد حاولت تتبع الآيات الوارة في هذا الموضوع ودراستها دراسة موضوعية من خلال السورة ، والوقوف على ما فيها من مقاصد وهدايات مستعينًا - بعد الله -سبحانه وتعالى - بما تيسّرت لي مطالعته وقراءته من كتب التفسير،وعلوم القرآن وغيرها،وجعلت عنوان البحث **:تطهير المجتمع الإسلامي من معاملات الجاهلية (سورة النساء أنموذجا)** فجاء على إيجازه منبهًا على حقائق عظيمة ومقاصد جليلة اشتملت عليها هذه السورة المباركة، والتي أسأل الله- عز وجل - أن أكون قد وفقت فيما عرضت فيها ،وأسأله العفو عما به زللت، إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في الآتي

1- إبراز العلاقة بين مقاصد الشريعة والقرآن الكريم في جوانب الحياة المختلفة.

2- بيان حرص القرآن على إزالة رذائل الجاهلية وانحرافاتها من حياة المسلمين.

3- بيان ما اشتمل عليه القرآن من أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وتحصيل للمصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

4- إبراز بعض مقاصد سورة االنساء وبيان أغراضها.

5- إظهارأهمية التفسير الموضوعي في تدبر القرآن والوقوف على مقاصده .

دوافع البحث

1- استكثار أزمان تلاوة القرآن ،وجمع الفكر على تدبره وتعقل معانيه.

2- الوقوف على عظمة سورة النساء،والاطلاع على بعض مقاصدها وأهدافها

3- بيان سعي الشريعة الإسلامية لكمال الإنسان، وضبط نظامه الاجتماعي وتصرفاته في مختلف أحواله وعصوره، على وجه يعصم من التفاسد والتهالك.

4- إظهار بعض مظالم الجاهلية وتشريعاتها في التصرفات المالية،وبيان بعض أساليب القرآن وطرائقه في معالجتها .

إشكالية البحث: لما كان من مقاصد سورة النساء إصلاح المجتمع الإسلامي والارتقاء وبناء أركانه على العدل والحق وتطهيره من رواسب الجاهلية واستنقاذه منها قام البحث على الإشكالية التالية وتشوّف للإجابة عليها.

س - ما دور سورة النساء في معالجة وإصلاح نظم الجاهلية وتشريعاتها الباطلة ؟ وما مظاهر ذلك الإصلاح؟ وما أثره في حياة الأفراد والجماعات؟ وهل تكفي تلك التشريعات لضبط نظام الإنسان الاجتماعي وتصرفاته في مختلف أحواله وعصوره.؟ وهل للتفسير الموضوعي دور بارز في فهم مقاصد القرآن وتدبر آياته،والوقوف على أسراره وهداياته؟

4 - مجموع الفتاوى لابن تيمية 156/4

حدود البحث

اتخذ البحث من سورة النساء مجالا للدراسة والبحث،وقد اقتصر فيه على دراسة الآيات التي ورت في بيان مظالم الجاهلية وتشريعاتها المالية دراسة موضوعية،وبيان تشريعات الإسلام ومقاصده في ذلك

منهج البحث

اعتمدت في الدراسة على عدة مناهج حاولت من خلالها دراسة السورة والوقوف على بعض مقاصدها وأغراضها والكشف عن بعض أسرارها وحقائقها ،وهذه المناهج هي :المنهج النقلي، والوصفي ،والاستقرائي، والمقارن، والاستنباطي.

تقسيم البحث

رتّبت هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مطالب وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع تناولت في المقدمة أهمية الموضوع ودوافع اختياره ،والإشكالية التي بني عليها،وحدود دراسته ،ثم خصّصت المطلب الأول للحديث عن دور سورة النساء في تطهير المجتمع الإسلامي من معاملات الجاهلية، وجعلت المطلب الثاني لبيان مظالم الجاهلية وانحرافاتها في التصرفات المالية ،وأما المطلب الثالث فقد بينت فيه معالجة الإسلام لانحرافات الجاهلية من خلال بيان مقاصده وتشريعاته في التصرفات المالية ،وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها وألحقت البحث بثبت للمصادر والمراجع، وقدحاولت المقاربة في الطول بين مطالب البحث إلا أن طبيعة الموضوعات حالت دون ذلك فجاء بعضها أطول من بعض،وإنني إذ أقوم بهذا العمل فإنني أسأل الله - عز وجل - أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المطلب الأول: دور سورة النساء في تطهير المجتمع الإسلامي من معاملات الجاهلية

مثّلت سورة النساء جانباً من الجهد العظيم الذي أنفقه الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي وإرساء أسسه ومعالمه، على أسس سليمة وقواعد عظيمة ، جمعت بين صلاح النفوس بالاعتقاد والتزكية والتصفية، وبين إصلاح نظام الحياة ، فمنذ أن صارت للإسلام دولة في المدينة ،وسلطة تقوم على شريعة ومنهاج إلهي أخذت آيات القرآن وبيّناته طريقها في بناء المجتمع الإسلامي وإصلاحه وتطويره والارتقاء به بتخليصه من معاملات الجاهلية ورذائلها وعوائدها وتجاوز انحرافاتها وسيئاتها وموبقاتها ،فقد كان المسلمون أيامئذ قريبي عهد بشرك وجاهلية، فكان من مُهِمِّ سياسة الشريعة للمسلمين التباعد بهم عن كل ما يُسْتَرْوَحُ منه أن يذكّرهم بما كانوا يألفونه؛ قصد أن تصير أخلاق الإسلام ملكاتٍ فيهم [5]،وقد كانوا بعد مبعث النبي- صلى الله عليه وسلم- على ما كانوا عليه في الجاهلية في المناكحات والطلاق والميراث إلى أن نقلوا عنه إلى غيره بالشريعة الغراء المباركة، وروى عن سعيد بن جبير قال : بعث الله محمدا -صلى الله عليه وسلم- والناس على أمر جاهليتهم إلى أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه ، وإلا فهم على ما كانوا عليه من أمر جاهليتهم [6] ،فأراد الله أن

5 -ينظر التحرير والتنوير للطاهر لابن عاشور 156/18

6- ينظرأحكام القرآن للجصاص 2/3 و الموسوعة الفقهية الكويتية عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت 3 /18

يبعدهم عما قد يجدّد فيهم أخلاقاً أوشكوا أن ينسوها [7]،فبعث فيهم رسولا بشرع عظيم كامل ، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، يطهّرهم به من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون[8] قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[9] وأنزل فيهم قرآنا يهدي للتي هي أقوم ، فصاروا بعد هذا التعليم والتزكية أكمل الخلق أخلاقًا، وأحسنهم هديًا وسمتًا، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أئمة مهتدين [10].

ولما كان بناء سورة النساء قائما على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام ،وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت ناسب هذا المقصود من التواصل والألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [11] ، قال محمد الطاهر بن عاشور:((شروع في التشريع المقصود من السورة ، وأعيد فعل (وَاتَّقُوا) لأنّ هذه التقوى مأمور بها المسلمون خاصّة ، فإنّهم قد بقيت فيهم بقية من عوائد الجاهلية لا يشعرون بها ، وهي التساهل في حقوق الأرحام والأيتام)) [12] فقد كان الغالب على أحوال الجاهلية أخذ القوي مال الضعيف وقهره،ولم يكن بينهم تحاكم ولا شريعة ،ولم يكن للناس وازع عن الظلم والطغيان، وكان ضعف اليتامى والنساء مغرياً بانتهاب أموالهم ، وهضم حقوقهم.

قال الطبري :((قال الله تبارك وتعالى:(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [13] هي ما تقدَّم الله إلى عباده بالنهي عنه من أول"سورة النساء" إلى رأس الثلاثين منها)).[14] فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده شرعاً تحفظ فيه الحقوق ،وتصان فيه الأموال ،ويتحاكم الناس فيه إلى شريعة واحدة من عنده،شرعًا يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقوياؤهم وضعفاؤهم، وصغارهم وكبارهم، فإن العدل هو قوام صلاح الأمة- ولمثله تجيء الأديان والشرائع[15] ، فنبّهت على وجوب حسن معاملة الضعفاء ومراعاة حقوق النوع الذي خلقوا منه، بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة، ويرفقوا بالضعفاء من اليتامى في أموالهم والوصاية عليهم ، ويراعوا حقوق النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهن،[16].قال البقاعي :((فدعا إلى العفة والعدل فيهم ؛لأنهم بعد الأرحام أولى من يتقى الله فيه)) [17] ،فكان الأمن يومئذ هو الحيلولة بين القوي والضعيف، بما شرعه الله من أحكام ،وما أقامه من حكّامه ،فكان ذلك أمناً كافياً على مرّ العصور والدهور[18] .

7 -ينظر التحرير والتنوير156/18
8- ينظر تفسير ابن كثير464/1
9- آل عمران :164
10- ينظر تفسير السعدي 862/1
11 - النساء،:1وينظر نظم الدرر للبقاعي 192/4
12 -ينظر التحرير والتنوير217/4
13 - النساء،:31
14 -تفسير جامع البيان في تأويل القرآن الطبري 233/8
15 -ينظر التحرير والتنوير253/14
16 - ينظر تفسير الطبري 514/7
17 - نظم الدرر 177/4
18 - ينظر التحرير والتنوير709/1

وقد اشتملت السورة على أغراض وأحكام كثيرة ،أكثرها في تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم ، ومعالجة ما كان واقعاً في الجاهلية من ظلم وبغي وتعدّ، فجاءت لإصلاح الجامعة الإسلامية وبناء أركانها على العدل والحق ليزداد المؤمنون إيمانا بربهم ورفعة وعلو شأن بدينهم وأخلاقهم عن غيرهم[19]،وكان القرآن في تشريعاته تلك يتوخّى إما إنشاء حالة غير قائمة، أو إبطال حالة قائمة ، فشرع الميراث بالقرابة ، وحدّد إيثار الرجال على النساء بمقدار مخصوص، لإبطال إيثارهم المطلق، الذي كان متبعا في الجاهلية [20]،وحرص على إيصال نصيب كل وارث من الإرث إثباتا لنصيبه مما ترك له الوالدان والأقربون، وجعل للنساء حظوظاً في ذلك فقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[21]،وعيّن أصحاب الحقوق وحدّد الأنصباء،وشرع الوصية للأقربين،وأبطل عادة حرمان النساء والأطفال من الميراث، فقال :(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[22]، وأمر بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة فقال : (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ)[23] ونهى عن أكل أموالهم والتحايل عليها وضَمِّها إلى أموالهم، فقال: (وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)[24]، وحثّ على إيتاء النساء مهورهن عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فقال: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[25] ونهى عن عضل النساء ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)[26]،فألغى بذلك كثيرا من أحوال الجاهلية التي اعتبرها أهلها في بعض الأزمان مصالح ،وأثبت عوضا عنها مصالح أرجح منها على وجه يعصم من التفاسد والتهالك [27]،فجعل عبادة الله والإحسان إلى الخلق وأداء الأمانات، ،والحكم بالعدل بين الناس، والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة،من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة ،التي يبنى عليها المجتمع ويقوم ونهى عن كل ما يضيع ذلك ويفسده،كما قال سبحانه :(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)[28] وقوله:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [29]، وقوله:(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [30] فما القرآن إلا تذكير لجميع الناس ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم[31]فأتمّ الكلمة، وأسبغ النعمة [32] ،ثم أكّد على ذلك وجعله حدودا لاينبغي

19 - ينظر التحرير والتنوير65/15
20 - ينظر التحرير والتنوير401/2
21 - النساء ، من الآية : 11
22 - النساء ، الآية : 7
23 - النساء ، من الآية : 2
24 - النساء ،من الآية : 2
25 - النساء ، من الآية : 4
26- النساء ،من الآية : 19
27 - ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور 86،87
28- النساء ، الآية : 36
29 النساء ، الآية : 58
30 - النساء،:31
31 - ينظر التحرير والتنوير165/30

تجاوزها فقال:(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [33]،وربط تلك الأوامر والتشريعات بالمالك الذي له الخلق والأمر مهابة وتعظيما لها [34] فقال جل شأنه :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [35]، وذكّرهم بذلك في مطالع بعض الآيات ،وفي ثناياها ، وفي خواتيمها، ليتبين الأصل الذي تنبثق منه تلك الأحكام، وتقوم عليه، ،قال جل شأنه:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[36]،وقال :(فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [37]،وأقبل على خطابهم في ذلك بوصف الإيمان عناية بما سيقال لهم ، وإيماء إلى أن الإيمان هو سبب هديهم، فشأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به وينتهوا عما نهوا عنه [38]، فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)[39] وقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)[40] وقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)[41] ،وقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) [42] فأمرهم بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والعدل ، ونهاهم عن فعل ما يخالف ذلك .

وقد اتبع في ذلك أسلوب الاستئناس والتلطّف والتوجيه الرشيد، في حملهم على تلك الفضائل واستنزال نفوسهم إلى امتثالها ،وعدم الاسترسال على ما كانوا عليه في الجاهلية تارة ،[43] فقال:(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)[44] وقال:(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)[45] وقال:(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[46] وتارة بالتبشيع والتقبيح كقوله :(وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) [47] وقوله :(أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) [48] وتارة بالترغيب كقوله :(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [49]وقوله :(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا

32 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 573/17
33 - النساء ، الآية : 13
34 - ينظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 176/1
35 - النساء،:1
36- النساء ، من الآية : 11
37 -النساء ، من الآية : 11
38 - ينظر التحرير 303/9
39 - النساء،:من الآية 30
40 - النساء،:من الآية 19
41 - النساء،:من الآية 59
42 - النساء،:من الآية 135
43 - ينظر التحرير والتوير18/5
44 - النساء ، الآية : 28
45 -النساء ، الآيتان : 26،27
46 النساء ، من الآية : 11
47 - النساء،:من الآية 21
48 - النساء،:من الآية 2
49 - النساء،:من الآية 13

مُسْتَقِيمًا) [50]، وأخرى بالترهيب والتحذير كقوله :(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [51] وقوله:(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) [52]وقوله :(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [53]، ثم ختم تلك التوجيهات بقوله عز وجل:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)[54] ،فجعل تلك الأحكام نورا وهدى يهتدي بها من الضلالة، والجهالة،قال محمد الطاهر ابن عاشور:((فإنها أحكام جمة وأوامر ونواه تفضي إلى خلع عوائد ألفوها، وصرفهم عن شهوات استباحوها،))[55] .

ولما كان المراد من إنزال الشريعة الإسلامية كمال الإنسان، وضبط نظامه الاجتماعي وتصرفاته في مختلف أحواله وعصوره ، وكان لكلّ أمة غيرة على عوائدها وشرائعها وأخلاقها ونظمها[56] بيّن القرآن أنه لم يرد بتلك الأحكام والتشريعات أن يجعل عليهم حرجًافي الدين ومشقة، بل شرع ما شرع لتزكوا نفوسهم، وتتطهر أخلاقهم، وتحسن أعمالهم، ويعظم بذلك أجرهم. فقال تعالى:(وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [57] فبيّن أن في ذلك بيانا وهدًى، وأن هذاالدين أليق الأديان بالناس في كل زمان ومكان، حتى لا تكون شريعة هذه الأمة دون شرائع الأمم التي قبلها، بل تفوقها في انتظام أحوالها، وأنها أهدى مما قبلها، وأن القصد من تلك الأحكام إلحاق هذه الأمة بمزايا الأمم التي قبلها من الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاه. فقال: (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[58] ،فكان هذا كالاعتذار على ما ذكر من المحرمات، ثم نبّههم إلى دخائل أعدائهم، ليعلموا الفرق بين مراد الله من الخلق، ومراد أعوان الشياطين الذين يريدون انصرافهم عن الحق، وميلهم عنه إلى المعاصي بقوله تعالى:(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا)[59] فأعلمهم بهذا أنه لم يخصّهم بهذه التكاليف ، بل يسلك بهم فيها صراط الذين أنعم عليهم ؛ليكون ذلك أدعى لهم إلى القبول وأعون على الامتثال ، وليتحققوا أن إلقاء أهل الكتاب الشبه إليهم وتذكيرهم بالأضغان لإرادة إلقاء العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم في مننهم إذ هدوا ،فمعظم ما في السورة شرائع تفصيلية محكمة، داعية إلى الاجتماع والتوصل والتراحم ،مشتملة على كل خير دنيوي وأخروي في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية من نُظُم الأموال والمعاشرة وحقوق الأقارب وتشريعاتهم [60] قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [61]

50 - النساء،: الآيات 66-68
51 - النساء، : من الآية 1
52 - النساء،: الآية 30
53 - النساء،:من الآية 21
54 - النساء،:174
55 - التحريروالتنوير 18/5
56 -ينظر التحرير والتنوير255/16
57 - النساء: 26
58 -ينظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي 175/1
59 -ينظر تفسير ابن كثير267/2
60 - ينظرنظم الدرر171/4 و التحرير والتنوير 212/4- 214 .
61 - النساء: 26

المطلب الثاني: صور من مظالم الجاهلية وانحرافاتها في التصرفات المالية

سار العرب قبل الإسلام في تشريعاتهم ونظمهم المالية على أسس مستنكرة وأوضاع خاطئة وقواعد مجحفة تتنافى مع الفطرة السليمة،وتحيد عن الحق ؛ فقد كان أكل المال بالباطل عادة معروفة لهم، بل كان أكثر أحوالهم المالية؛ فإن اكتسابهم كان من الإغارة ومن الميسر، ومن غصب القوي مال الضعيف، ومن أكل الأولياء أموال الأيتام والنساء، ومن الغرر والمقامرة، ومن المراباة ونحو ذلك، وكل ذلك من الباطل الذي ليس عن طيب نفس [62] قال تعالى واصفا حالهم :(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [63].

وقد كان العرب في الجاهلية كسائر الأمم في حال البساطة يكون المال بيد كبير العائلة، فقلّما تجد لصغير مالا، وكان أكثر أموالهم حاصلا من اكتسابهم لقلة أهل الثروة فيهم، فكان جمهورهم إما زارعا أو غارسا أو مغيرا أو صائدا، وكل هذه الأعمال تنقطع بموت مباشريها، فإذا مات كبير العائلة وترك أبناء صغارا لم يستطيعوا أن يكتسبوا كما اكتسب آباؤهم إلا أبناء أهل الثروة، والثروة عندهم هي الأنعام والحوائط ، وكان توريث النساء والأطفال ذكوراً كانوا أو إناثاً مما أبته نفوسهم ، وأُشربت بغضه قلوبهم، فكان الأولياء يمنعون عن محاجيرهم أموالهم، وكان أكبر العائلة يحرم إخوته من الميراث معه ،فكان أولئك لضعفهم يصبرون على الحرمان، ويقنعون بالعيش في ظلال أقاربهم؛ لأنهم إن نازعوهم أطردوهم وحرموهم، فصاروا عالة على الناس، وأخصّ الناس بذلك النساء ،فإنهن يجدن ضعفا من أنفسهن، ويخشين عار الضيعة، ويتقين انحراف الأزواج، فيتخذن رضى أوليائهن عُدّةً لهن من حوادث الدهر، فقد تأصّل فيهم الكبر على الضعيف وتوقير القوي وإهانة اليتيم والمسكين ، والاعتداء على الضعيف وأكل المال بالباطل ونحو ذلك [64]، فتعوّدوا التساهل والتهاون في حقوق الضعفاء، وكثُر أن يأخذوا أموالهم ظلما وبغيا، وصرفوا معظم إحسانهم إلى الأباعد لاجتلاب المحمدة وحسن الذكر بين الناس، وقدابتدأت السورة الكريمة بالنداء العام لكل الناس بقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)[65]، داعية بذلك إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم، فكان من أعظم مقاصد ها العدل في الضعفاء من الأيتام وغيرهم ،والتحذير من أكل المال بالباطل والتهاون والتلاعب بحقوق الأرحام والأيتام[66]،وقد ذكرت السورة الكريمة في هذا السياق صورا ونماذج من معاملات الجاهلية مع الضعفاء لتستبين سبيل المجرمين ، وشرعت في الحديث عن جانبين مستضعفين في الجاهلية هما اليتيم، والمرأة،وحقين مغبون فيهما أصحابهما مال الأيتام، ومال النساء [67] ، فقدكانوا يمنعون النساء والصبيان من أموال مورّثيهم،ويطمعون فيها،ويتظاهرون بأنهم إنما يمنعونهم أموالهم خشية من استمرار السفه فيهم، فنزل القرآن فاضحاً لتلك الألاعيب متوعداً أهلها ،آمرا بدفع الحقوق إلى أهلها من أموال اليتامى إذا بلغوا الحُلُم وأنسوا منهم الرشد كاملة موفرة، قال جل شأنه:(وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ)[68] قال صاحب الكشاف:((يراد بإيتائهم أموالهم أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء ،وولاة السوء وقضاته، ويكفوا

62 - ينظر التحرير والتنوير2/355
63 - الفجر:19، 20
64 - ينظر التحرير والتنوير2/355
65 - النساء،: من الآية : 1وينظر نظم الدرر للبقاعي 5/416
66 - ينظر نظم الدرر 5/192
67 - ينظر التحرير والتنوير 4/229
68 - النساء : من الآية 2 وينظرأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي

عنها أيديهم الخاطفة ،حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة)) [69] ،فأمرهم أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، ثم تحدثت السورة عن نوع آخر من أنواع الظلم مع اليتامى كان يفعله الأوصياء على أموالهم ،وهوأنهم كانوا في الجاهلية يحتالون على أموالهم فيستبدلون النفيس الطيب منها بالخبيث ويجعلون بدله الخسيس الرديء،فنهاهم الله عن ذلك وحذرهم قال تعالى:(وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)[70]،قال القرطبي:((أي :لا تتبدلوا الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة، ولا الدرهم الطيب بالزيف، وكانوا في الجاهلية لعدم الدّين لا يتحرّجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون الطيب والجيّد من أموال اليتامى ويبدلونه بالرديء من أموالهم، ويقولون: اسم باسم ورأس برأس، فنهاهم الله عن ذلك)) [71] ،ثم تنساق السورة للحديث عن معاملة أخرى من معاملات الأيتام في الجاهلية ،وهي التحايل على أموالهم والاعتداء عليها عن طريق خلطها وضمّها إلى أموالهم،فقد كانوا يخلطون أموال اليتامى بأموالهم ويتسلّطوا عليها بالأكل والانتفاع، فنهوا عن ذلك قال تعالى:(وَلاَ تأكلوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ)[72].قال ابن عاشور:((لما كان الغالب وجود أموال للأوصياء، وأنهم يريدون من أكل أموال اليتامى التكثّر، ذكر هذا القيد رعياً للغالب، ولأنه أدخل في النهي لما فيه من التشنيع عليهم ،حيث يأكلون حقوق الناس مع أنهم أغنياء)) [73] فنبّههم المولى إلى قبح ذلك بقوله: (انه كان حُوبًا كَبِيرًا)[74].

ثم تبيّن السورة ضلالا آخر من ضلالات الجاهلية أشدّ قبحاً وأسوأ حالاً ،وهو أن اليتيمة إذا كانت في حجر وليها ،وكانت ذات جمال أو مال، ورغبوا في نكاحها لم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء، فنزل قوله تعالى:(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ)[75] قال الحسن: ((كان الرجل من أهل الجاهلية يكون عنده الأيتام وفيهن من يحلّ له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها ،وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن تموت ويرثها، فعاب اللّه تعالى ذلك، وأنزل اللّه هذه الآية)). [76] فنهوا عن نكاحهنّ إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، فجمعت الآيات إلى جانب حفظ حقوق اليتامى في أموالهم الموروثة حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقونها من مهور أمثالهن. [77]

ومن مظاهر ظلم الجاهلية للنساء هضم حقوقهن المالية، واستغلال ضعفهن، فقد كان ولي المرأة يأخذ مهر قريبته في الجاهلية ولا يعطيها شيئا ،قال الطبري :((كان الرجل إذا زوّج أيِّمه أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك، ونزلت:(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)))[78]، وكان الزوج في الجاهلية يعطي مالا لوليّ المرأة يسموّنه حُلوانا،ولا تأخذ المرأة منه شيئا،فأبطل الله ذلك في الإسلام

69 - ينظر الكشاف للزمخشري 10/2
70 - النساء،: من الآية 2 وينظر تفسير البيضاوي 59/2
71 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 5 /9
72 - النساء : من الآية 2
73 - التحرير والتنوير 221/4
74 - النساء : من الآية 2
75 - النساء،: من الآية 3
76 - معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي 1 /563
77 - التحرير والتنوير 223/4
78 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 553/7

بأن جعل المال للمرأة بقوله: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ) [79]، قال الكلبي ومجاهد: ((هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن وليّ المرأة كان إذا زوّجها ،فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرًا، وإن كان زوجها غريبًا حملوها إليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك، فنهاهم الله عن ذلك ،وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله،قال الحضرمي: كان أولياء النساء يُعطي هذا أُخته على أن يعطيه الآخرُ أُخته، ولا مهرَ بينهما، فنُهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد)). [80]

ثم تذكر السورة فعلا آخر من أفعال الجاهلية الشنيعة كان يفعله أهلها مع أزواج أقاربهم من جعل زوجة الميت موروثة كالمتاع تورث من أقرب أقربائه[81]،فقد كان أناس من أهل المدينة إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته، فورث نكاحها، فلم ينكحها أحد غيره، وحبسها عنده مع سوء العشرة طماعية في إرثها ،حتى تفتدي منه بفدية، فكان يعضُلها حتى يرثها، أو يزوجها من أراد، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)[82]،وكان أهل تهامة يُسِيء الرجل صحبة المرأة حتى يطلّقها، ويشترط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تفتدي منه ببعض ما أعطاها، فنهى الله المؤمنين عن ذلك. [83] قال القرطبي:((والمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه في جاهليتهم ، وألا تجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كما يورث المال)) [84]، وكان من عادتهم إذا كرهوا المرأة وأرادوا طلاقها والتخلّص منها، رموها بسوء المعاشرة، واختلقوا عليها ما ليس فيها، لكي تخشى سوء السمعة فتبذل للزوج ما لا فداء ليطلقها ،فصار أخذ المال من المرأة عند الطلاق مظنة بأنها أتت ما لا يرضي الزوج، فقد يصدّ ذلك الراغبين في التزوّج عن خطبتها[85]،وكان الأزواج يظلمون المطلقات ويمنعونهن من حليّهن ولباسهن، ويكثرون الطعن فيهن [86].فأنزل الله عز وجل: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)[87]،فجعل أخذ المال بهذا الوجه بهتانا وظلمًا، قال أبو جعفر: ((يعني بقوله تعالى ذكره: (أَتَأْخُذُونَهُ) أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن (بُهْتَانًا)، يقول: ظلمًا بغير حق (وَإِثْمًا مُبِينًا) يعني: وإثمًا قد أبان أمرُ آخذه أنه بأخذه إياه لمن أخذَه منه ظالم)) [88].

ثم لما ذكر- سبحانه - أفعال الجاهلية في أموال اليتامى والنساء ناسب أن ينتقل الكلام إلى بيان ما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا عوائدها في أموال الأموات ؛فقد ابتدعوا مالم يأذن به الله، فاستحدثوا لأنفسهم في الميراث بدعاً غريبة ، ومنكراتٍ كثيرة ، زعموا أنّها من الدين ، فنزل القرآن الكريم مبطلاً لها ، مغيّراً تلك الخرافات والأباطيل ، بالحق الساطع ، والبرهان القاطع ،مقرراً الأمر على أساس العدل والإنصاف،وكانوا قد جعلوا أصل الاستحقاق في الإرث الذكورة والبلوغ، واشترطوا القوة وحمل السلاح، والذود عن القبيلة ، ومنعوا الإناث والصغار ،فكانوا لا يورّثون

79 - التحرير والتنوير 230/4
80 - معالم التنزيل في تفسير القرآن 2 /163
81 - التحرير والتنوير 282/4
82 - سورة النساء من الآية 19 ،وينظر جامع البيان في تأويل القرآن 108/8
83 - ينظر تفسير ابن كثير 2/ 240
84 - الجامع لأحكام القرآن 5 /95
85 - التحرير والتنوير 289/4، 290
86 - التحرير والتنوير 407/2
87 - سورة النساء الآية 20
88 - جامع البيان في تأويل القرآن 124/8

بالبنوة إلا إذا كان الأبناء ذكورا، فلا ميراث للنساء عندهم ؛لأنهم كانوا يقولون إنما يرث أموالنا من طاعن بالرمح، وضرب بالسيف، فإن لم يكن الأبناء ذكورا ورث أقرب العصبة الأب ،ثم الأخ ،ثم العم وهكذا،أما الزوجات فكنّ موروثات لا وارثات، وكان بعض الأولياء يعضلون النساء ذوات المال من التزوج ؛خشية أنهن إذا تزوجن يَلِدن فيرثهن أولادهن ،ولم يكن للولي العاصب شيء من أموالهن، وهن يرغبن أن يتزوجن ،ومنها أن الأزواج كانوا يكرهون أزواجهم ويأبون أن يطلقوهن رغبة في أن يمتن عندهم فيرثوهن، فذلك إكراه لهن على البقاء على حالة الكراهية، إذ لا ترضى المرأة بذلك مختارة، [89]، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)[90]، وكانوا لا يورثون الزوجين، أما الرجل فلا يرث امرأته ؛لأنها إن لم يكن لها أولاد منه، فهو قد صار بموتها بمنزلة الأجنبي عن قرابتها من آباء وإخوة وأعمام، وإن كان لها أولاد كان أولادها أحق بميراثها منه إن كانوا كبارا، فإن كانوا صغارا قبض أقرباؤهم مالهم وتصرفوا فيه، وأما المرأة فلا ترث زوجها ،بل كانت تعدّ موروثة عنه يتصرف فيها ورثته فنوه الله في هذه الآيات بصلة العصمة، وهي التي وصفها بالميثاق الغليظ في قوله: (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [91].

وكانوا يورّثون بالتبني ،وهو أن يتخذ الرجل ابن غيره ابناً له فتنعقد بين المتبني جميع أحكام الأبوة، ويورّثون بالحلف وهو أن يرغب رجلان في الخلّة بينهما فيتعاقدا على أن دمهما واحد ويتوارثا [92].قال الطبري :((وكان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول:"دمي دمُك، وهَدَمي هَدَمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك". فجعل له السدس من جميع المال في الإسلام، ثم يقسم أهل الميرات ميراثهم، فنسخ ذلك بعد في"سورة الأنفال" فقال الله: (وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)[93]))،وكانوا يجعلون أموالهم بالوصية لعظماء القبائل ومن تلحقهم بالانتساب إليهم حسن الأحدوثة، وتجمعهم بهم صلات الاعتزاز والود، وكان صاحب المال ربّما أوصى ببعض ماله ،أو بجميعه لبعض أولاده أو قرابته أو أصدقائه ، وكانوا كثيراً ما يمنعون القريب من الإرث بتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وكان الرجل في الجاهلية يعطي أبناءه من ماله على قدر ميله [94] .

ولماّ كان هذا مما يفضي بهم إلى الإحن ،وبها تختلّ الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام ، فنبههم القرآن إلى بطلان ذلك وشرع الميراث بالقرابة،لأنهامن أوكد الوجوه في صرف المال،[95]،قال الله تعالى:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[96] فخصّ بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إيتاء المال إلى ذي القربى ؛تنبيها للمؤمنين يومئذ بأن القريب أحقّ بالإنصاف من غيره،وأحقّ بالإحسان من غيره ؛لأنه محل الغفلة

89 - ينظر المحرر الوجيز لابن عطية 19/2 والتحرير والتنوير284/4
90 - سورة النساء الآية 19
91 - النساء من الآية 21 وينظر التحرير والتنوير263/4
92 - ينظر التحرير والتنوير248/4
93 - التوبة:من الآية :75 ،وينظر جامع البيان في تأويل القرآن 275/8
94 - ينظر التحرير والتنوير 250/4
95 - ينظر التفسير الكبير للرازي 743/1 والتحرير والتنوير 146/2
96 سورة النساء ، الآية : 7

،ولأن مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة،[97]، ففي ذكر القرابة بيان لعلة الميراث مع التعميم لما يصدق عليه مسمّى القرابة من دون تخصيص، فاعتمدوا في توزيع المال أحوالا غير منضبطة ولا عادلة ، ولا موثوق بها، فقد اعتادوا إيثار الأقوياء والأشداء بالأموال، وحرمان الضعفاء، وإبقاءهم عالة على أشدائهم حتى يكونوا في مقادتهم ، فشرعوا تشريعا مثاره الجهل والقساوة والظلم والهوى، والشهوة ،فحرمان البنت والأخ للأم من الإرث جهل بأن صلة النسبة من جانب الأم مماثلة لصلة نسبة جانب الأب،وحرمانهم الصغار والإناث من الميراث قساوة وغلظة [98]،وتوريث الذكور دون الإناث بحجة أنهم قادرون على حمل السيف والذود عن القبيلة ، وحرمان الزوجة من ميراث زوجها ،بل وجعلها تركة ومالا تورث من ابن زوجها ظلم وجور، وعلى الهوى والتشهي كجعل نصيب مقدّر للمتبنى في تركة من تبناه ، والوصاية لعظمائهم وأصحابهم من وجوه القوم ،وعلى الوهم والظن كتوهم أن بعض الأقارب يتمنى موت مورثه حتى يرثه ،فتهاونوا في أكل حقوق الضعفاء وتحايلوا عليها ،واستبدالوا الجيِّد منها بالرديء والرفيع بالخسيس فتصرفوا بعقولهم العاجزة في أكل المال سفاهة افتراء على الله بغير علم ولا عدل فضلوا وأضلوا [99] فكانوا ينزلون في معاملاتهم وتشربعاتهم على جملة من العوائد الناشئة عن الظلم والهوى والتشهي، فما كان الإسلام ليتركهم في ضلالهم يتخبَّطون ، وفي سَكْرتهم يعمهون دون أن ينقذهم مما هم فيه من سفهٍ ، وجهالة ، وكفر، فامتن الله عليهم بتغيير أحوالهم من أشنع الحالات وأقبحها إلى أحسنها وأ فضلها ،فما كانوا عليه من الضلال والشقاء ، أصبحوا في الحسنى، والناس إذا كانوا في حالة بؤس وضنك وضلال واعتادوها صار الشقاء دأبهم، وذلّت له نفوسهم، فلم يشعروا بما هم فيه، ولم يتفطنوا لوخيم عواقبه، حتى إذا هيىء لهم الصلاح،والفلاح، وأخذ يتطرق إليهم استفاقوا من غيهم وشقوتهم، وعلموا سوء حالتهم [100]، تلك هي جملة من عوائد الجاهلية ومظالمها مع الضعفاء سجلها القرآن الكريم لتبقى شاهدة على ضلال الجاهلية وانحرافها قبل البعثة المحمدية ،موضحة لما صاروا اليه بعد الإسلام من خير ورحمة وهدى ونور، بعد أن كانوا في جَوْر عن قصد السبيل، وأخذ على غير هدى مبين قال الله تعالى :(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [101] .

المطلب الثالث :حفظ الحقوق المالية وضبطها في التشريعات الإسلامية

لما كان من مقاصد سورة النساء حفظ الأموال والحقوق، وضبط تصرّفات الناس على وجه يعصم من التفاسد والتهالك، وكان الكلام من أول السورة إلى قوله تعالى :(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)[102] في موضوع خاص،هو ما يكون بين الأهل والأقارب ،والأزواج واليتامى من المعاملات المالية والمصاهرة والإرث عقدت هذا المطلب لأبيّن فيه بعض ماشرعه الله لعباده في سورة النساء من نظم كاملة،بنيت على مصلحة النوع البشري واستدامة صلاحه،وتقويمه وهديه إلى سواء السبيل ، أبطل بها ما كان أهل الجاهلية من عوائد وقوانين استندت في تشريعاتها إلى أوهام وهوى وتشهي

97 - ينظر التحرير والتنوير256/41
98 - ينظر التحرير والتنوير262/2
99 - الجامع لأحكام االقرآن 7 /90
100 -ينظر التحرير والتنوير34/4
101 سورة النساء ، من الآية : 176
102 النساء ، الآيات :4- 36

وتخيلات باطلة، ومصالح خاصة ما أنزل الله بها من سلطان،فصار مجموع التشريع الحاصل بها، كافياً في هدي الأمة في عبادتها، ومعاملتها، ونظمها وسياستها، في سائر عصورها [103].

وقد أبانت السورة الكريمة من خلال تشريعاتها أن معظم قواعد التشريع المالي المقرّرة في سورة النساء متعلقة بحفظ أموال الأفراد،وآيلة إلى حفظ مال الأمة ،وأن المقصد الشرعي في الأموال كلّها راجع إلى خمسة أمور، هي: رواجها ،ووضوحها ،وحفظها ،وثباتها ،والعدل فيها،خلافاً لغايات ومقاصد أهل الجاهلية التي كانت غايتها الاحتكار والظلم والبغي والقهر والهوى ، فمن مقاصد التشريعات المالية في الإسلام رواج الأموال ودَوَرانها بين أيدي أكثر مَنْ يُمكن من الناس بوجه حق، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى:(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)[104] ففي الآية إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حقّ لمالكيه المختصّين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء ؛ ففي حصوله منفعة للأمة كلها؛ لأن ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالمنفعة والخير، فمن تلك الأموال ينفق أربابها ،ويستأجرون ويشترون، ويتصدّقون ، وينتفعون، ثم تورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها ، فالأموال المداولة بأيدي الأفراد تعود منافعها إلى أصحابها ، وعلى الأمة كلّها؛ لعدم انحصار تلك الفوائد المنجرّة إلى المنتفعين بدوالها، فقوام الأمة دَوَران أموالها بينها، ولا تجد شريعة ظهرت ،ولا دعاة خير دعوا إلاّ وهم يجعلون لتنويل أفراد الأمة حظّا من الأموال التي بين أيدي أهل الثروة وموضعا عظيما من تشريعهم أو دعوتهم، إلا أنهم في ذلك متفاوتون بين مقارب ومقصر أو آمل ومدبر[105]

وقد تمثّل هذا المقصد العظيم أيضا في عدة مواطن من سورة النساء، منها قوله تعالى:(وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[106]، وقوله تعالى:(فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)[107] وقوله:(وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ)[108] إيذانا بانتقال تلك الأموال من يد إلى أخرى، فقد أمر المولى -سبحانه - بإيتاء اليتامى أموالهم حين مؤانسة الرشد والصلاح منهم،وعبّر عن ذلك بقوله:(وَآتُوا) وقوله :(فَادْفَعُوا) وقوله :(وَارْزُقُوهُمْ)والإيتاء حقيقته الدفع والإعطاء الحسي[109] فإيتاء مال اليتيم تحقيق لإيصال نصيبه مما ترك له الوالدان والأقربون،[110] قال الطبري: ((يعني بذلك -تعالى ذكره- ولاةَ أموال اليتامى،يقول الله لهم: فإذا بلغ أيتامكم الحلم، فآنستم منهم عقلا وإصلاحًا لأموالهم، فادفعوا إليهم أموالهم، ولا تحبسوها عنهم))[111]،ومنه قوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[112] فقد قرّرت الآية دفع المهور للنساء، وجعلته شرعا، فصار المهر ركناً من أركان النكاح في الإسلام، قال ابن كثير:((ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتمًا،

103 -ينظر التحرير والتنوير99/6
104 النساء ، من الآية : 5
105 - ينظر التحرير والتنوير45/3،44
106 -النساء ، الآية : 2
107 -النساء ، من الآية :6
108 -النساء ، من الآية : 6
109 - ينظر التحرير والتنوير 219/4
110-ينظر التحرير والتنوير 248/4
111 -تفسير جامع البيان في تأويل القرآن 578/7
112- النساء ، الآية : 4

وأن يكون طيب النفس بذلك)) [113]، ومنه أيضا قوله تعالى :(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[114] فقد أبانت الآيات أن الإرث غير مختص بالرجال ،كما كان الجاهليون يفعلون ، بل هو أمر مشترك بين الرجال والنساء ، وأن المولى - سبحانه - جعل للنساء حظوظاً كما للرجال فيه بعد أن كنّ محرومات منه ، وأن قوله تعالى: (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) [115]كان أول إعطاء لحق الإرث للنساء في العرب [116]، ثم جاءت آيات المواريث بعد ذلك ، فزادت الأمر تأكيدا ووضوحا بتفصيل الأنصباء بين الورثة ، وبيان اختصاص كل وارث بنصيبه المقدر له شرعا بقوله جل شأنه:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [117] فكان ذلك مظهرًا من مظاهر تداول الثروة وانتقالها ،ومنع تكدّ س الأموال في أيدي فئة قليلة من الناس، بعد أن أبانت أن حكمة الميراث صرف المال وانتقاله إلى القرابة بالولادة وما دونها.

وأما وضوح الأموال، فالمقصود به إبعادها عن الضّرر، والتعرّض للخصومات، وهذا المقصد من أشرف المقاصد وأعلاها ؛ ففيه قطع ما شأنه أن يحدث بين الأمة الكثيرة من الاختلاف والتغالب والتقاتل الذي يفضي إلى التفاني ، خلافا لما كان عليه أهل الجاهلية ،فقد ((كان أكل الأموال أسهل عليهم، وهم أشدّ استخفافا به منهم بقتل الأنفس؛ لأنه كان يقع في مواقع الضعف ؛حيث لا يدفع صاحبه عن نفسه كاليتيم والمرأة والزوجة، فآكل أموال هؤلاء في مأمن من التبعات)) [118]، فقضت الشريعة الإسلامية على كل ذلك بأن أبانت الحقوق ،وبنتها على قواعد معتبرة بعيدة عن أهواء الجاهلية وضلالاتها، وحرّمت الاعتداء عليها، وذلك بتحديدها وتعيين أصحابها ومستحقيها، وبيان أولوية الناس في ذلك ،وجعل القرابة الأصلية والعارضة سبباً للإرث بقطع النظر عن المحبة وضدها [119] ، ولم تمنع قرابة النساء من الإرث ، وما كنّ يأخذن شيئاً من مال الميت عند أكثر الأمم [120] فأكّدت حقّ كلّ وارث من الرجال والنساء على وجه العموم بقوله جل شأنه: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ)[121] وفصّلت الحقوق ووضحتها، ونصّت على أن الحق متعلق بكل جزء من المال، حتى لا يستأثر بعض الورثة بشيء دون غيره، قال جل شأنه::(مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) [122]، وأكّدته في عدّة مواضع من السورة بقوله فريضة من الله ، وحصرت الإرث في المتموّلات خاصة، وكان أمر الجاهلية يُخوّل أبناء الميت وإخوته أن يرثوا الزوجة[123] ،وأمرت الأولياء بالإشهاد على الأيتام إذا بلغوا الحلم

113 - ينظر تفسير ابن كثير 213/2
114 النساء ، الآية : 7
115 النساء ، من الآية : 7
116 - ينظر التحرير والتنوير 249/4
117 النساء ، الآية : 11
118 - ينظر التحرير والتنوير 24/5
119 - ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور ص171
120 - ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور ص171
121- النساء الآية : 7
122 - ينظر التحرير والتنوير 250/4
123 - ينظر مقاصد الشريعة ص171

،وسلّموا إليهم أموالهم؛ لئلا يقع من بعضهم جُحُود وإنكار لما قبضه وتسلمه [124] قال جل شأنه: (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ)[125] فقطعت بذلك أسباب الخصومات والمنازعات، وحفظت الحقوق لأصحابها،وشدّدت على ذلك، وجعلتها حدودا لاينبغي لأحد تجاوزها، ورتّبت العقوبة على التعدّي عليها.

وأما حفظ الأموال ،فهو من أهمّ ما تصدّى الإسلام لتأسيسه ؛تغييراً لما كانوا عليه في الجاهلية ؛ فإنهم كانوا يستحلّون أموال الذين لم يستطيعوا منع أموالهم من الأكل ،فكانوا يأكلون أموال الضعفاء [126] ،قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ)[127]، ولماّ كان مال الأمة هو ثروتها وبه قِوام أعمالها،وقضاء نوائبها ،وكان كلاًّ مجموعيا،راعت الشريعة حفظه بضبط أساليب إدارة عمومه،وبضبط أساليب إدارة أفراده، فنظرت إليه على وجه الجملة ،وعلى وجه التفصيل ،على وجه الجملة ؛لأنه حق للأمة عائد عليها بالغنى عن غيرها من الأمم، لعدم انحصار فوائده على أصحابه، قال تعالى:(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) [128] ولأن الله جعل الأموال قياما لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، وفي إضافته -تعالى الأموال- إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار. [129] وعلى وجه التفصيل ، ظهر ذلك واضحا في عدة مواطن من السورة ، في مال الأيتام ، قوله تعالى:(وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[130] ،فقد كانوا في الجاهلية لعدم الدّين لا يتحرّجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون الطيب والجيد من أموال اليتامى ويبدّلونه بالرديء من أموالهم ،و في مال النساء قوله تعالى :(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[131] قال محمد الطاهر:((والمقصود بالخطاب ابتداء هم الأزواج، لكيلا يتذرّعوا بحياء النساء وضعفهن وطلبهن مرضاتهم إلى غمص حقوقهن في أكل مهورهن، أو يجعلوا حاجتهن للتزوج لأجل إيجاد كافل لهن ذريعة لإسقاط المهر في النكاح، فهذا ما يمكن في أكل مهورهن)) [132]، وفي الميراث قوله تعالى:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[133] قال أبو جعفر:((يعني بذلك تعالى ذكره: للذكور من أولاد الرجل الميِّت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه، من قليل ما خلَّف بعده وكثيره، حصة مفروضة، واجبةٌ معلومة مؤقتة.)) [134] وقوله :(يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[135] فهي بيان وتنبيه من أول الأمر على أن الذكر صار له شريك في الإرث ،وهو الأنثى؛ لأنه لم يكن لهم به عهد

124 - ينظر تفسير ابن كثير218/2
125 - النساء ، من الآية : 6
126 - ينظر التحرير والتنوير 191/2
127 - النساء ، من الآية : 29
128 - النساء ، من الآية : 5
129 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 565/7/ 566 و تفسير السعدي 1/ 164
130 - النساء ، الآية : 2
131 - النساء ، من الآية : 4
132 - ينظر التحرير والتنوير 223/4
133 - النساء ، الآية : 7
134 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 597/7
135 - النساء ، من الآية : 11

من قبل؛ إذ كان الذكور يأخذون المال الموروث كلّه ولا حظّ للإناث،[136] ، فالآيات جمعت إلى جانب حفظ حقوق اليتامى في أموالهم الموروثة حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقها البنات اليتامى من مهور أمثالهن،[137]، وفي مال الموصَى له، ظهرهذا المقصد جليا ،في تقديم الشارع الوصية على الميراث عناية واهتماما بها ،فربما يشقّ على الورثة إخراجها ،ولكونها تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض بخلاف الدّين ،فإن نفوسهم مطمئنة بأدائه[138]، بالإضافة إلى أن الموصَى له قد لا يكون على علم بها، فيجحدها الورثة وتضيع عليه ،فنبّه المولى الورثة عليها وشدّد في أمرها،في عدة مواطن من السورة، بقوله تعالى ،(مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا)[139]، وقوله :(مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا)[140] ، وقوله :(فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا)[141] ،وقوله: (فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا)[142] فبيّن أن إعطاء الورثة نصيبهم من الإرث إنما يكون بعد بعد إخراجها من مال الميت ،[143]وفي ذلك حفظ لحق الموصَى له،وصيانة له.

ومن حفظ الحقوق التي راعتها الشريعة الإسلامية مراعاتها أموال الدّائنين بعد وفاة المدين، فقد يتهاون الورثة في إخراج الدّين، ويسارعون في قسمة التركة غير عابئين بحقوق غيرهم ، فنبهّهم المولى إلى إخراج الدّين قبل الإرث ،وجعله مقدّما على قسمة التركة ، تتميما لما يتعيّن تقديمه على الميراث ؛لأنه حق سابق في مال الميت، ولأن المدين لا يملك من ماله إلا ما هو فاضل عن دين دائنه ، ولأجل هذا الاهتمام كرّر الله هذا القيد أربع مرات في هذه الآيات، فلا توزع التركة على الورثة ولاتقسم إلا إذا بقي شيء من المال بعد الدين والوصية، وقد ظهرذلك في عدة مواضع من السورة ، منها قوله تعالى:(مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)[144]،وقوله:(مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)[145]، وقوله :(مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ)[146] قال أبو جعفر:((يعني جل ثناؤه بقوله :(مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ)أنّ الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته، ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله،فلم يجعل -تعالى ذكره -لأحد من ورثة الميت، ولا لأحد ممن أوصى له بشيء، إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته، وإن أحاط بجميع ذلك.)) [147]

وأما إثبات الأموال، فالمقصود به تقرّرها لأصحابها بوجه صحيح لاخطر فيه،ولا منازعة.فمقصد الشريعة في إثبات التملك أمور، منها:

136 - ينظر التحرير والتنوير 255/4
137 - ينظر التحرير والتنوير 223/4
138 - ينظر فتح القدير للشوكاني 696/1
139 - النساء ،من الآية :11
140 النساء ، من الآية : 11
141 النساء ، من الآية : 12
142 النساء ، من الآية : 12
143 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 52/8
144 - النساء ،من الآية :11
145 - النساء ،من الآية :12
146 - النساء ،من الآية :12
147 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 46/7

الأمر الأول : أن يختصّ المالك الواحد أو المتعدّد بما تملّكه بوجه صحيح؛ بحيث لايكون في اختصاصه به وأحقيته تردّد ولاخطر ولا منازعة [148]، و قد تمثّل هذا المقصد وتقرّر في توريث من كان يهمل توريثهم من البنات والأخوات والأمهات في الجاهلية [149]،قال سعيد بن جبير وقتادة: ((كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار، ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئا، فأنزل الله: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[150] أي: الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله تعالى لكل منهم، بما يدلي به إلى الميت من قرابة، أو زوجية، أو ولاء، فإنه لُحْمَة كَلُحمة النسب))[151]. ثم زاد الأمر إيضاحاً وتأكيداً ببيان نصيبهن من ذلك على وجه لا يقبل الزيادة والنقصان [152] فقال :(يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[153] فأعطتهم الشريعة الأحقية التامة في التملك الصحيح من الميراث ، ،وجعلت نصيبهم من التركة فريضة ووصية من الله ، ،وجعلت مخالفة ذلك تعدياً على حدود الله وشرعه.

ثم انتقل السياق القرآني إلى بيان أمر آخر جعله الشارع حقاً للمرأة تتملّكه بوجه صحيح، وهو صداقها ومهرها ،فجعله عطيّة واجبة، وفريضة لازمة على الأزواج إكراماً لها [154] تملكه بوجه صحيح ،لايجوز أخذه والتعدي عليه قال جل شأنه في ذلك :(وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)[155] ثم أنكر على من فكّر في أخذه والتعدي عليه بقوله: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ)[156] أي :على أي وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن، إذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجًا ،ومن وجوه التملّك الصحيح والاكتساب والوصية التي جعلها المولى للموصِي يوصي بها لمن يشاء من غير الورثة شريطة ألا تتجاوز الثلث، فهي وسيلة من وسائل انتقال المال وتملّكه دون منازعة وخصومة ،وقد تعددت الآيات التي أشارت ونبهت إليها.

الأمر الثاني : أن يكون صاحب المال حرّ التصرف فيما تملّكه،أواكتسبه تصرّفا لايضرّ بغيره

ضراً معتبرًا ،ولا اعتداء فيه على الشريعة، ولذلك أثبتت الشريعة للمرأة حق الملك ،والتصرف في مالها بأنواعه المشروعة ، فشرعت لها الوصية والمداينة استقلالا كالرجال قال جل شأنه : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)[157] قال محمد الطاهر بن عاشور:((وَأُعْقِبَتْ فريضة الأزواج بذكر (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) لئلا يتوهم متوهم أنهن ممنوعات من الإيصاء ومن التداين كما كان الحال في زمان الجاهلية)) [158]، وجعل لها، بعد إعطائها مهرها أن تهبه لزوجها أو تحطّ ما وجب

148 - ينظر مقاصد الشريعة لابن عاشور ص 204
149 - ينظر التحرير والتنوير 172/2
150 -النساء ، الآية : 7
151 - تفسير ابن كثير219/2
152 - ينظر التحرير والتنوير 45/3
153 - النساء ،من الآية :11
154 - ينظر التحرير والتنوير 231/4
155 - النساء ، الآية : 20
156 - النساء ،من الآية :21
157 - النساء ،من الآية :12
158 - التحرير والتنوير 255/4

لها عليه، أو تؤخره وذلك قوله جل ثناؤه:(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[159] ،

قال السعدي :((وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها -ولو بالتبرع- إذا كانت رشيدة)). [160]

الأمر الثالث : أن لايُنتزع المال من صاحبه دون رضاه، وهذا ظاهر جدا في آي السورة التي من أعظم مقاصدها إيصال الحقوق إلى أصحابها والحفاظ عليها،وردّ الأمانات إلى أهلها، فإثبات التملّك للمال بوجه تام يقتضي صون المال وعدم انتزاعه،والتعرّض له بوجه غير مشروع، ولذلك عقّبت الآيات بعد إثبات كل حق من الحقوق والتأكيد عليه بعدم المساس به إلا برضا صاحبه ، والوعيد الشديد على من تعدّى عليه كما حصل في الحديث عن مال اليتيم فقد قال جل شأنه :(وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)[161] للتنبيه على ذلك ، ثم عقّب بقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[162]،وعند إعلان حق المرأة في الميراث على الإجمال، والتفصيل وتحديده ، قال جل شأنه (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا)[163] فبعد أن أثبتت حق النساء في الميراث بيّن أن لهن الحق في التصرّف فيه بأنواعه المشروعة بالوصية والهبة وغيرها ،وهذا لايكون إلا بطيب خاطر ، ثم توعّد من منعها وحرمها حقها بقوله:(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)[164]، وعند إثبات حق النساء من الصداق ، قال جل شأنه :(فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[165] ،ثم أنكر على من أراد أخذه والتعدي عليه بقوله:(وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)[166]، فصاروا بذلك ذوي حق في أموالهم غير مهدّدين ولا ممنوعين من فائدة اكتسابه والانتفاع به.

وأما العدل : فهو المساواة بين الناس ،أو بين أفراد الأمة في تعيين الأشياء لمستحقيها، وفي تمكين كلّ ذي حق من حقه، بدون تأخير، فالأول هو العدل في تعيين الحقوق، وقد ظهر ذلك بوضوح في عدة مواضع من السورة، منها مساواة المرأة للرجل في الحقوق والتأكيد عليها،كحقها في الميراث والإيصاء والتداين، وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداع بها وإشادة بذكرها قال تعالى:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[167]، وقال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ)[168] أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث.[169]

159 - ينظر جامع البيان في تأويل القرآن 181/8
160 - تيسير الكريم الرحمن 163/1
161 - النساء ،من الآية : 6
162 -النساء ، الآية :10
163 - النساء ،من الآية :11
164 - النساء ، الآيتان :13،14
165 - النساء ، من الآية : 4
166 - النساء ، الآية :20
167 -النساء ، الآية : 7
168 - النساء ،من الآية :11
169 - ينظر تفسير ابن كثير 219/2

ومن مظاهره -أيضا- العدل في توزيع المال بعد وفاة صاحبه ،وذلك ببيان فرائض الإرث على وجه لا يقبل الزيادة والنقصان، قال تعالى:(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[170] ومن العدل تفضيل الذكر على الأنثى في الإرث ،وبيان التفاوت بينهما بحسب الأحوجية إلى المال ؛لأن الذكر يعول غيره والأنثى يعولها غيرها قال تعالى :(لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ) فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين؛لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتجشُّم المشقة، فناسب أن يُعْطَى ضعْفَيْ ما تأخذه الأنثى. [171]

ومنه أيضا جعل توزيع الميراث على وجه الرحمة بالناس أصحاب الأموال، فلم تُعط أموالهم إلا لأقرب الناس إليهم، وكان توزيعه بحسب القرب منهم كما هو معروف في مسائل الحجب من الفرائض، وقد كان العرب يُعطون أموالهم لمن يحبّون من أجنبي أو قريب فقال (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ)[172] ، ومنه العدل في الوصايا فقد التفت الشارع في هذا الباب إلى أصحاب الأموال وتَرك لهم حقّ التصرّف في ثلث أموالهم يعيّنون من يأخذه بعد موتهم على شرط ألا يكون وارثا، حتى لا يتوسّلوا بذلك إلى تفضيل وارث على غيره،ثم من تمام العدل أن نبّههم المولى إلى أن ذلك الحق مقيد بعدم إدخال الضرر على الغير ،فقال جل شأنه :(مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ)[173] فتكون وصيته على العدل، لا على الإضرار والجور بالورثة بأن يحرم بعضهم، أو ينقصه، أو يزيده على ما قدرَ الله له من الفريضة ،فمتى سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمته وقسمته [174].

وأما النوع الثاني: وهو تمكين كلّ ذي حق من حقه، بدون تأخيرفقد دلّت آيات السورة الكريمة عليه في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى :(وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ)[175] فقد تناول الأمر كلّ من له ولاية أو وصاية أو صلة باليتيم ، بتمكين اليتيم من ماله وإسلام حقه إليه، دون بخس أو مماطلة عند الابتلاء والإرشاد [176] ،قال القرطبي :((فإذا تحقق الولي رشده حرم عليه إمساك ماله عنه وكان عاصيا)) [177] ،ومن ذلك قوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)[178] فقد خاطبت الآية كلّ من له نصيب في العمل بذلك، فهو خطاب لعموم الأمة على معنى تناوله لكل من له فيه يد من الأزواج والأولياء ،ثم ولاة الأمور الذين إليهم المرجع في الضرب على أيدي ظلمة الحقوق أربابها،والمقصود بالخطاب ابتداء هم الأزواج،لكيلا يتذرعوا بحياء النساء وضعفهن وطلبهن مرضاتهم إلى غمص حقوقهن في أكل مهورهن[179]، ومن تمكين كلّ ذي حق من حقه قوله تعالى:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[180] فقد نبّهت الآية من أول الأمر على أن الذكر صار له شريك في الإرث وهو الأنثى؛ لأنه لم يكن لهم به عهد من قبل؛ إذ كان الذكور يأخذون المال الموروث كلّه ولا حظ للإناث، فأبانت الآية أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهمّ من حظ الذكر؛ إذ كانت مهضومة الجانب عند أهل

170 - النساء ، الآية : 7
171 - ينظر تفسير ابن كثير 219/2
172 - النساء ،من الآية :11
173 - النساء ،من الآية :12
174 - ينظر تفسير ابن كثير 231/2
175 - النساء ،من الآية :2
176 - ينظر الجامع لأحكام االقرآن 8/5
177 - الجامع لأحكام االقرآن 9/5
178 - النساء ،من الآية :4
179 - ينظر التحرير والتنوير 230/4
180 - النساء ،من الآية :11

الجاهلية ،فصار الإسلام ينادي بحظها وحقها في أول ما يقرع الأسماع تنبيها للأولياء والأوصياء ؛لئلا يغفلوا أو يتهاونوا في ذلك [181] ،وفي افتتاح ذكر قسمةِ المواريث في هاتين الآيتين بقوله: تعالى:(يُوصِيكُمُ اللَّهُ)، ثم ختمها بقوله (وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ) تعظيماً لأمره وإخبار منه –سبحانه- بأن جميع ذلك وصية منه لعباده، وفريضة لايتهاون في أدائها وإيصالها إلى أصحابها.

ولما كانت تلك الأوامر التي نزل بها القرآن حسنةَ عادلة مدحها لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، قال: (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[182] لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون ، ثم زاد الأمر رغبةً وتشجيعاً في اتباعها وترك ما سواها، فبيّن أنهم لو فعلوا ما يوعظون به من الأوامر والنواهي المقرونة بحكمها ، وبيان فائدتها ، والوعد والوعيد لمن عمل بها ،ومن صدّ عنها لكان خيراً لهم في حفظ مصالحهم ، واعتزاز أنفسهم بارتقاء أمتهم ، وفي عاقبة أمرهم وآخرتهم وأشد تثبيتاً لهم في أمر دينهم،قال الله تعالى :(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)[183] .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول،وبعد ففي ختام البحث توصلت إلى نتائج كانت على النحو التالي:

1. أظهر البحث أن للتفسير الموضوعي دورا كبيرا في فهم مقاصد القرآن وتدبر آياته،والوقوف على أسراره وهداياته.
2. أبان البحث أن من مقاصد القرآن الارتقاء بالمجتمع المسلم ووضع الآصار والأغلال التي كانت عليه.
3. احتواء سورة النساء على نظم ومقاصد وأحكام وشرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية ، ظهر من خلالها سمو الشريعة، وكمالها وعظمتها وقوامها على غيرها.
4. أبانت السورة واقع العرب قبل الإسلام وما يحصل فيه من تشريعات ونظم باطلة بنيت على أسس مستنكرة وأوضاع خاطئة تتنافى مع الفطرة السليمة،وتحيد عن الحق.
5. أوضحت سورة النساء أن معظم قواعد التشريع المالي المقرّرة في السورة متعلقة بحفظ أموال الأفراد،وآيلة إلى حفظ مال الأمة ،وأن التشريع الإسلامي، كاف في هدي الأمة في عبادتها، ومعاملتها، ونظمها وسياستها، في سائر عصورها.

181 - التحرير والتنوير 257/4
182 - النساء ،من الآية :58
183 - النساء ، الآية :66- 68 وينظرالتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ،إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،140/2

المراجع

1- أحكام القرآن للجصاص تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،ط الأولى 1412ه/1992م

2- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي ،دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت - لبنان 1415 هـ - 1995 مـ

3- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر تونس1984 م

4- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى 1415 1995م

5- تفسير البيضاوي تحقيق محمدعبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت دون ط ،ت.

6- تفسير القرآن العظيم لا بن كثير تحقيق ،سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية، ط الثانية 1420هـ - 1999 م

7- التفسير الكبير للرازي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط الأولى ،1401ه م1981

8- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ،إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،جامعة الشارقة ،ط الأولى 1431ه

9- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م

10- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ،تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة

الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

11- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية ، 1384هـ - 1964 م

12- فتح القدير للشوكاني تحقيق :عبد الرحمن عميرة،دار الوفاء ،دون ط ت.

13- الكشاف للزمخشري تحقيق :عادل عبد الموجود وآخرين الرحمن مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ،1418هـ - 1998 م

14- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية الأندلسي ،تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة : الأولى1413هـ - 1993م

15- معالم التنزيل البغوي : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ط : الرابعة ، 1417 هـ

16- مجموع الفتاوى لابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار، وأنور الباز ،دار الوفاء مصر ،ط الثالثة 1426ه/2005م

17- مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهرابن عاشور، دار السلام تونس،ودار سحنون، ط : الخامسة1433ه/2012م

18- الموسوعة الفقهية الكويتية عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت

19- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت 1415هـ - 1995 م

المرحلة الأولى من الفتح العربي الإسلامي لولاية افريقية في الفترة مابين (27 – 62 هـ / 647 – 682 م)

د. عبدالسلام على بشر احمد

2019 - 2020 ف

المقدمة

إن لولاية أفريقية أهمية كبيرة للأسلام والمسلمين بوجه خاص وللحضارة الأنسانية بوجه عام ، كما أن للفاتحين المجاهدين رغبة في توجه انظارهم نحو هذه الولاية لفتحها بالرغم لبعدها عن مركز الخلافة الأسلامية التي كانت مقرها بغداد ، وكذلك وعورت مسالكها وطبيعة سكانها وأهلها البربر المتشددين الذين كان من الصعب قبولهم لهذه الفتوحات التي تحمل شعار الأسلام ، والتي استمرت من (27 هـ / 49هـ - 647 – 649م) ، وكان لطبيعة هذا الموقع الجغرافي الهام ومدي أهميته وكثرت خيراتها واتساع حدودها الأمر الذي جعل من الفاتحين تأمين حدودهم البحرية والغربية في فتح هذه الولاية وتثبيت قواعد الإسلام وإرسال دعائمه والأستفاذة منها.

وأخيرآ نري لشخصية القائد الأسلامي عقبة بن نافع دورآ بارزآ في هذه الفتوحات ، حيث كان يمتاز بقوة البنية وشدة الحماس لهذه الفتوحات كما لعب دور في نشر الاسلام إلى حدود الخلافة الاسلامية غربآ ، ونتيجة لهذه الجهود التي بذلها في نشر دين الله الحنيف حتي أصبح واليآ على هذه الامارة الأمر الذي يجدر بينا أن نوليه اهتمام كبير في هذه الدراسة .

بعد ما تمكن العرب المسلمين من فتح بلاد الشام والعراق وتوحيد المنطقة بأكملها تحت لواء واحد ألا وهو لواء الإسلام وكان ذلك عام (18هـ / 638 م) ، فكان من الطبيعي التفكير في اتساع الرقعة الإسلامية , والاستمرارية في نشر دين الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها , والجهاد في سبيل الله حتى خضعت مصر للمسلمين.

وفعلا بعد فتح مصر كان من الطبيعي أن يوجه عمرو بن العاص أنظاره نحو المغرب أي نحو برقة وطرابلس وذلك لتأمين حدود الدولة العربية من جهة الغرب وفعلا لم تكد الإسكندرية تقع في أيدي المسلمين سنة (21 هـ) , حتى واصل عمرو مسيرته نحو الغرب , وتم له فتح برقة بسهولة في سنة (22هـ) ,ومن تم فتح مدينة طرابلس سنة (23هـ) , وفيما احد الفتحين سير احد قواده وهو عقبة بن نافع الفهري , نحو الجنوب ففتح فزان و ودان ,وتوغل نحو الجنوب حتى واحة زويلة وبذلك أصبح

مابين برقة وزويلة للمسلمين ,وهكذا تم تأمين الحدود الغربية للدولة الإسلامية على أواخر أيام خليفة عمر بن الخطاب , ومن تم توجهت الأنظار الي فتح ((فريقية)) وضمها للدولة العربية الإسلامية

وقسم البحث الي مقدمة ومبحثين أما المبحث الأول يتحدث عن الدوافع والمحاولات الأولي للفتح العربي الإسلامي لولاية افريقية .

أما المبحث التاني تناول ولاية عقبة بن نافع الفهري مابين (50 - 55هـ / 670 - 675 م) وكذلك فترة ولاية أبي المهاجر دينار على افريقية مابين (55 - 62 هـ / 675 – 682 م)

وخلص البحث بخاتمة تناول أهم النتائج ، وقائمة من أهم المصادر والمراجع التى أعتمد عليها البحث.

المبحث الأول

فتـح ولاية افريقية الفترة مابين (27 – 62 هـ / 647 – 682 م)

أولا :- دوافع الفتح العربي الإسلامي لولاية افريقية :- أسبابه وعوامله وصعوباته

أ- لقد كانت هناك ثلاث دوافع دفعت المسلمين العرب للفتح

1. الدافع الاقتصادي

يرى مؤيدي هذا الرأي أن حركة الفتوحات الإسلامية ماهي إلا موجات كامبة وغانمة شأنها شأن تلك الموجات السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية , بحثا عن مغنم ومأوى لها فارة من الأحوال الاقتصادية والسياسية في بلادها .

2. الدافع الديني (الجهاد)

يؤكد بعض المؤرخين على أهمية هذا الدافع في سير حركة الفتوحات الإسلامية , حيث يقولون إن ما يدفع بالفتوحات هو الباعث العسكري الديني , وهو عامل الجهاد , وان الجيوش الإسلامية خرجت من بلادها وراء التيار الإسلامي العربي إيمانا بالدين الإسلامي , وامتثالا لأوامر الله سبحانه وتعالي , واقتداءا برسوله الكريم ؛

ويدعموا هؤلاء المؤرخين أرائهم ؛ بان الإسلام هو الذي أمد المحاربين المسلمين بقوة نضالية لا حدود لها وزودهم بمشاعر فياضة من الكرامة والعزة وأمدهم بطاقة لا حدود لها من إيمان ؛ وكانت عاملا فعالا فيما حققه المسلمون من انتصارات بارزة .

3. الدافع القومي

بالرغم من استحالة إنكار الأثر العميق العاملين السابقين في سير عجلة الفتوحات إلا أن للدافع القومي الدور الكبير في تحريك هذه العجلة واستمراريتها ؛ وأساسه النضوج القومية العربية ؛ وارتفاع روحهم المعنوية ؛وكيانهم السياسي ,

مما دفعهم أولا توجيه أنظارهم للفتح الغزو ؛ والي مواجهة أعداء الله وأعداءهم الفرس والروم؛ووجدوا جموعهم لضربهم ؛حتى في عقر ديارهم ؛ وبذلوا الغالي والرخيص من أجل القضاء عليهم , وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى .1

ب- أما الأسباب الفتح العربي الإسلامي في ولاية افريقية هي

1. توحيد كلمة الإسلام :- ويتضح اتحاد المسلمين بالإسلام من خلال أفعالهم وخصالهم كأمر المعاهدة والمؤاخاة , في أول سنة للهجرة , ويؤيده إن الإسلام عنوان التوحيد ,ويتضح ذلك من تعاليم القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم :- ((فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)) ,2 صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم :- ((وقتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا ان لله لا يحب المعتدين)) ,3 صدق الله العظيم

كما ظهر ذلك الاتحاد كثيرا في خطب الخلفاء والأمراء في صدر الإسلام فكثيرا ما دعوا هؤلاء الي الوحدة الإسلامية ؛ والتماسك القوي , ونزع العصبية وتوحيد الكلمة.

2. اعتقاد صدق الدعوة:- فالعرب مؤمنون بصدق الدعوة الإسلامية فكانوا يعملون لأخرتهم لا لدنياهم , حتى إن ذلك اتضح من خلال سلوكهم أثناء الفتح , ومن خصالهم الشجاعية ؛ وتضحياتهم الكبيرة بأولادهم وأموالهم حتى بأنفسهم في سبيل الحق ؛ غير مبالين بما يواجههم من أخطار وبما ينتظرهم من محن , حتى لقد كان المسلم المجاهد يقاتل أبيه وأخيه ؛ إذا كان احدهم مشركا بالله ؛ راغبا من ذلك التقرب من ربه الواحد الأوحد إما بالنصر أو بالشهادة في سبيله .

3. خصوبة أراضي البلاد المفتوحة :- لقد عمل هذا الدافع على دفع الكثير من المسلمين وخاصة الذين يسكنون الصحاري والمناطق القاحلة ؛ الي المشاركة في أحداث الفتح ؛ وذلك لكسب الاغتنام , والتحسين من أوضاعهم الاقتصادية المتردية 4 .

4. تأمين حدود الدولة العربية الإسلامية :- فالاستقرار والأمان ضروريان ؛ للمحافظة على الوجود والكيان العربي الإسلامي ؛ لذلك جعل العرب تامين حدودهم الغربية , هدفا نصب أعينهم للوقوف ضد أعدائهم , ومواجهتهم , وذلك بثلاث خيارات , إما بقبول الإسلام دينا ؛ والانضمام للدولة الإسلامية ؛ أو يدفع الجزية والإبقاء على أحوالهم مقابل أمانهم ؛ والدفاع عنهم بالقتال والقضاء عليهم.

1السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، موسسة شباب الجامعة ، د-ت ، صـــ184
2الأية 74 من سورة النساء
3الأية 190 من سورة البقرة
4جرجي زيدان ، التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، الجزء الثاني بيروت بدون تاريخ اصدار ، صـــ62

ثانيا :- المحاولات الأولى لفتح ولاية افريقية خلال فترة الغارات للأعوام (27 - 46هـ / 647 – 669 م)

بعد إن استقر الوضع للمسلمين ؛ واستعادت الدولة الإسلامية قوتها , كان من الطبيعي إن يستشعر العرب المسلمون ؛ بكيانهم وقوميتهم ووحدتهم السياسية والدينية ؛ وان يتطلعوا الي نشر دينهم وإعلاء كلمة الله ؛ حتى داخل افريقية وكان ذلك منذ الخلافة الخليفة عمر بن الخطاب

عندما أرسل إليه القائد عمرو بن العاص سنة (23 هـ / 643 م) , يستأذنه لفتح افريقية , إلا إن الخليفة عمر رفض ذلك خوفا على جيوش المسلمين من إن تنصاب ؛ وتتبعثر في هذه المناطق الشاسعة ؛ وهي لم تزل بعد في حاجة الي توحيد نفوذها ؛ وسلطانها في البلاد التي فتحتها , واستقرت فيها حديثا , كالشام ومصر وبرقة وطرابلس , وهذا الرأي كان يدل على سلامة تفكير عمر بن الخطاب كقائد عربي ممتاز.

وبهذا توقف فتح افريقيا الي إن سمح الخليفة عثمان بن عفان ؛ عندما بعث إليه القائد عبدالله بن سعد بن أبي السرح ؛ يستأذنه لفتحها سنة (27 – 647 م) ،

ومر الفتح في هذه المرحلة بفترات متباعدة دون إن تترك هذه المحاولات ما يدل على الطابع الإسلامي أو الوجود العربي في افريقيا لذلك عرفت هذه المرحلة في التاريخ , بفترة الغارات للأعوام (27 – 49 هـ / 647 – 669 م). وكانت بداية هذه المحاولات , بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب سنة (24 هـ) وتولى عثمان بن عفان الخلافة العربية ؛ الذي قام بعزل عمرو بن العاص عن مصر وتولية ،أخيه من الرضاعة عبدالله بن سعد على مصر سنة (25 هـ) , الذي وافقه الخليفة عثمان على طلبه شأن فتح افريقية ,ذلك الأمر الذي جمع الصحابة من اجله واستشارتهم ؛ فأشاروا عليه بفتحتها جميعا , ما عدا الأعور سعيد بن زيد الذي تمسك برأي الخليفة عمر بن الخطاب.5

وقد ظهر الاهتمام جليا بهذه الغزوة ؛ فيتضح ذلك من الرجال الذين خرجوا إليها من كبار الصحابة وأبنائهم ؛ ومن خيرة شباب آل البيت ؛ وأبناء المهاجرين الأوائل ؛ وسمي هذا الجيش بجيش العبادلة.

لخروج ((عبدالله بن عباس , وعبدالله بن عمر , وعبدالله بن عمرو بن العاص , وعبدالله بن الزبير , وعبدالله بن جعفر , الحسن والحسين))

كما فتحت مستودعات السلاح وجهز الجيش على أكمل وجه ثم خطب فيه الخليفة نفسه ؛ وندبهم للجهاد , كما حبب في نفوسهم غزو افريقية , ومن تم غادر الجيش العربي المدينة بقيادة الحارث بن الحكم سنة (26 هـ / 646 م) متجها الي مصر لينظم لجيش عبدالله بن سعد.6 وكان عبدالله بن سعد صاحب ميمنة عمرو بن العاص , في فتوحاته لمصر ؛ وكان يبعثه الي أطراف افريقية غازيا , ويمده بالجند ثم يعود من غزواته ؛ ظافرا غانما ؛ وهذا بالتالي ساعده كثيرا في مهمته الجديدة ,

وفعلا وصل الجيش العربي مصر , ومنها اتجه الي برقة سنة (27 هـ /647 م) تحت قيادة عبدالله ابن سعد إن استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني .

5احمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية بيروت 1978م ، صـــ36

6صالح مصطفي مفتاح ، ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتي انتقال الخلافة الفاطمية لمصر ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، الطبعة الاولي ، ليبيا 1978 ، صـــ40

وعند وصول الجيش برقة استقبله عقبة بن نافع ومن معه من المسلمين الذين غادروا برقة , مع الجيش العربي الأول , متجهين الي افريقية بمحاذاة الساحل وكان عبدالله يرسل السرايا أمامه للاستطلاع , وكانت تعود بالأخبار , جالية معها البقر والشياه وعلف الدواب.7

ولما وصل الجيش طرابلس سنة 27 هـ /647م) لم يدخلها لكي لا يتعرض الجيش للمتاعب دون أن يحقق هدفه الأول غزو افريقية , وذلك استجابة من القائد عبدالله لرأي المسلمون , الذين معه واكتفى , بان تغلب على بعض السفن الرومية الموجودة هناك.8 وواصل الجيش سيره الي افريقية بعدد عشرين الف مقاتل التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم البطريق ((جر يجوريوس)) الذي يسميه العرب ((جرجير)) وكان قد سمع بخطر العرب , الذي يهدد حدود دولته الكبيرة من طرابلس شرقا حتى طنجة غربا ؛ والتي ولاه عليها الإمبراطور ((هرقل)) مقابل الخراج ، ولهذا عمل جيرجير على تحصين دولته ، كما نقل العاصمة الواقعة في أقصى الشمال الشرقي على الساحل الي جوف البلاد , حتى لا تتعرض بلاده الي غزو العرب , من الشرق وغرب البيزنطيون من البحر .

ثم إن كان يطمع من التقرب من البربر , لمساندته ضد الفاتحين العرب , ووقع اختياره على مدينة ((سبيطلة)) لهذا الغرض ؛ وجعلها حاصرة لولايته سنة (24 هـ /644 م) ، كما انه حصن المدن الداخلية كقابس وقفصة وصفاقس حتى تولف خطا دفاعيا أماميا , يعرقل جيوش العرب , ويؤخر تقدمهم.9

وعندا وصل الجيش العربي قابس سنة (27هـ /647 م) وجدوا البيزنطيون قد تحصنوا داخلها , وعندما أثار المسلمون , على قائدهم عبدالله إلا يبدأ بمهاجمة الحصون , قبل ان يشتبك العرب مع الروم , وفعلا عدل عبدالله عن مهاجمة الحصن , وبث السرايا في أفاق افريقية ؛ ورجعت هذه السرايا بالكثير من الغنائم،10 وعندئذ اخطر البطريق جرجير الي الخروج لملاقاة العرب بجيشه الكبير الذي يبلغ عدده مائة وعشرين الف مقاتل .11

وفي جنوب غرب القيروان , بالقرب من سبيطلة اشتبك الجيشان ؛ وبرغم اختلاف لمؤرخون , بشأن تفاصيل المعركة إلا انه نستنتج تفاصيلها على أنها بعد إن ترك العرب , مهاجمة حصن قابس , متجهين بمحاذاة الساحل التونسي حتى وصل قمونية وهى موضع القيروان , وهناك أرسل عبدالله بن سعد رسله الي جرجير على إن يقبل الإسلام , أو يدفع الجزية , غير انه رفض ذلك , وبهذا تأهب الجيشان للقتال , وظهرت قلة الجيش الإسلامي عند البدء المعركة , أمام الجيش الرومي الذي تضخم بانضمام الروم والبربر الموالين لهم , وهنا خاف عبدالله بن سيعد من إن يلقى بجيشه الي التهلكة , وضاق به الامر وبالمسلمين أيضا. حتى اختلفوا مع قائدهم ؛ الذي دخل قطاطه مفكرا .12

وبالرغم من كثرة الروم إلا إن شعور نفسه ائتاب البطريق جرجير ؛ وذلك لما سمعه من أخبار العرب المسلمون ؛ وانتصاراتهم الخاطفة في فتوحاتهم السابقة , وقيل أن يتأهب للقتال جعل ابنته

7محمود شيت خطاب ، عقبة بن نافع الفهري من قادة الفتح الاسلامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط4 ، 1972م ، صـــ86
8صالح مصطفي مفتاح ، مرجع سابق ، صـــ43
9السيد عبدالعزيز ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـــ224
10صالح مصطفي مفتاح ، مرجع سابق ، صـــ44
11السيد عبدالعزيز ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـ226
12السيد عبدالعزيز سالم – الدولة العربية – مرجع سابق – صـــ227

على دبدبان عال ؛ واقسم على من إن يقتل أمير المؤمنين زوجه ابنته ، وذلك تشجيع منه لجيشه لقتال العرب ومواجهتهم ؛ وعند بلوغ الخبر الي عبدالله أمير المؤمنين اقسم على من يقتل ((جرجير)) نظتما ابنته13، وهكذا التحم الفريقان ؛ إلا إن القتال اقتصر على اشتباكات فاترة استغرقت أياما .

والظاهر أن هذه الاشتباكات كشفت عن تفوق الروم , مما دعا عبدالله بن الزبير الي خطة ؛ تكفل النصر للمسلمين ؛ واتفق فعلا مع عبدالله ابن سعد على انه يفاجئ هو الروم ؛ بالهجوم بعد انتهاء من القتال اليومي في أول النهار عندما اخذ التعب والجهد منهم ما أخذ عظيما14، وفعلا نجحت خطة ابن الزبير ؛ لذلك تعتبر بعض الروايات هو بطل معركة سبيطلة سنة (27 هـ / 647 م) وسبب انتصار المسلمون فيها15، وتم ذلك عندما اخترق هو وأصحابه معسكر الروم ؛ حيث لم يتوقعوا المهاجمة وتم ذلك بعدما بذلوا كل جهودهم في القتال أول النهار مع الفريق الأول من المسلمين بقيادة عبدالله بن سعد ؛ واستطاع إن يتسلل الي مكان البطريق ((جرجير)) وتمكن من قتله بنفسه ؛ ومن تم تمكن المسلمون هزيمة الروم بعد مصرع ملكهم بسهولة ؛ وبسر وتتبع العرب الروم الفاريين الي باب الحصن وسيقودهم الي بابه ؛ وبذلك حالوا بينهم وبين دخول الحصن ؛ واذرع فيهم المسلمون قتلا ، وبعدها زحف الجيش العربي الي سبيطلة ؛ وحاصرها ولقي المسلمون بها من الأحوال ما لم يكن في غيرها .

فكان سهم الفارس ثلاثة الف دينار ؛ وسهم الراجل الف دينار ؛ ومن بعدها بعث عبدالله جيشه في البلاد ؛ فبلغ قفصة وغنم منها الكثير ثم حصن الاجم وسيق ؛ وان احتمى به أهل البلاد فحاصره وفتحه بأماني وصالح أهله , وأهل افريقية ورؤسائها ؛ وطلبوا منه ان يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ؛ من الذهب على إن يكف عنهم ويخرج من بلادهم16.

وهكذا اكتفى بهذا الفتح العظيم ؛ وتأهب عبدالله بن سعد للرجوع لمقر ولايته مصر ؛ بعد إن أرسل عبدالله بن الزبير بن العوام الي الخليفة عثمان بن عفان ليبشره بالنصر والغنائم . كما أرسل بعدها الي نائبه في مصر ؛ يأمره بان يرسل إليه في طرابلس مراكب لحمل أثقال لمسلمين وغنائهم الكثيرة . ووافته السفن في طرابلس ؛ ووضع بها أحماله ؛ ومنها واصل سيره لمصر17.

وبهذا غادر القائد العربي ؛ عبدالله بن سعد افريقية (27 هـ / 647 م) دون إن يشتغل هذا النصر ؛ الكبير للإسلام والمسلمين , إذ انه لم يقم بها أي قاعدة عسكرية أو مراكز استقرار هناك مما الغي جهوده , وهذا سيترك أثاره السلبية ؛ على هذه الجهة ؛التي قدر لها إن تشهد أطول محاولة توسعية قام بها العرب في تاريخهم العسكري18.

وبالتالي خاف عبدالله بن سعد على المسلمين ؛وخاصة بعد فقد الكثير مكنهم في المعركة مع الروم , يضاف الي ذلك إن غيبته عن مصر ولايته قد طالت ؛ وكان لابد من العودة ؛ للنظر في شؤونها من جهة ؛ وللقضاء على مظاهر الاضطراب الناشئة من سخط المسلمين ؛ على سياسة عثمان من

13صالح مصطفي مفتاح ، مرجع سابق ، صـــ45
14السيد عبدالعزيز سالم ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـــ227
15احمد مختار العبادي ، مرجع سابق ، صـــ37
16السيد عبدالعزيز سالم ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـــ227
17حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط7 ، سنة 1964م ، صـــ362
18ابراهيم بيضون ، التيارات السياسية في القرن الهجري الاول ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة 1979م ، صـــ84

جهة أخري , كما أن جيش المسلمون غنم الكثير وكان حريصا على إن يعود بها الي مصر والمدينة المنورة.

فلقد اجتمعت هذه العوامل على دفع عبدالله بن سعد الي التفكير في الرجوع الي مقر ولايته في مصر , بعد إن عقد معاهدة صلح مع البيزنطيين إلا أن هذه المعاهدة لم تستمر طويلا بين الطرفين ، إذ عاد عبدالله بن سعد الي الاشتباك مع الأسطول البيزنطي , في البحر سنة (35هـ / 655 م) بقيادة الإمبراطور قسطنطين التاني ؛ عند شواطئ كليكيا ؛ في جنوب أسيا الصغرى ؛ وتعرف هذه المعركة في التاريخ بمعركة ((ذات الصواري)) سنة (35 هـ / 655 م)19، وذلك لكثرة الصواري بالسفن المشتركة ؛ في المعركة ؛ قيل أنها وصلت الف سفينة منها مئتان للمسلمين ؛ وانتصرت العرب فيها واستولوا على الكثير من السفن التي ساعدتهم على إنشاء أسطول عربي قوي ؛ كان له دور كبيرا في المواقع البحرية , بعد ذلك في فتوحات الأمويين20.

ولكن يجب أن نشير الي مدى أهمية هذا النصر الكبير ألا وهو ((معركة سبيطلة)) سنة (27 هـ /647 م) بالنسبة للعرب إذ اطلعهم على افريقية ومدى أهميتها وكثرة خيراتها ووفرة غنائمها ، الامر الذي جعل العرب لا يفقدوا الأمل في ضم افريقية لدولتهم العربية الإسلامية لهذا نجدهم لم يرموا السلاح ؛ ولم يفقدوا الرغبة في الجهاد في سبيل الله ، إلا أنهم انشغلوا بأحداث الفتنة الكبرى ؛ ومقتل الخليفة عثمان سنة (35 هـ / 655م)وما إن استتب الامر للدولة الأموية ؛ سنة (41هـ) بمؤسسها الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي ؛ حتى بادر بالدعاء للجهاد في سبيل الله.

وذلك ليكسب دولته الجديدة وخلافته الناشئة تأيدا كبيرا ؛ من كافة المسلمين ؛ وأرسل لقائده معاوية بن حديج الكندي سنة (45هـ) الذي ولاه بنفسه على افريقية ؛ بعد إن فصلها عن ولاية مصر ؛ واعتبرها تابعة لخلافته بدمشق مباشرة وباشر معاوية بن حديج مهمته , لفتح افريقية سنة (45 هـ / 665 م) وخاصة وانه وجد الظروف مواتيه له ؛ حيث كان الإمبراطور البيزنطي في ظروف مالية صعبة ؛مما اضطره الي الضغط ؛ على الأهالي الذين اعتقدوا21.

إن العرب هم المنقذين الوحيدين لهم من هذا الاضطهاد وسوء المعاملة ؛ من قبل الروم .

وعلى اثر ذلك طرد الأهالي عامل الإمبراطور ((أوليمة)) الي بلاده ونتيجة لذلك الطرد ؛ تعجل البطريق ((نقفور)) بالقدوم لقمونية ؛ قبل مجيء العرب على رأس جيشا كبيرا ؛ لإرغام الأهالي على الطاعة والدفع لهم ، وبقدوم العرب ووصلوهم قمونية ؛ اشتبك الطرفان ؛ وأبلى المسلمون بلاء حسنا وكسبوا كثيرا22.

وعندها تحصن الروم بأسوار سوسة ؛ وتقدم المسلمون وعسكروا شمالا ؛ في جبل القرن ؛ ومن هناك وجه معاوية بن حديج السرايا الي مراكز الروم ، فسرية عبدالله بن الزبير ؛ توجهت الي المدن الساحلية ؛ واستولت على قابس وبنزوت بسهولة تامة ، ومن تم استولت على سوسة ؛ التي وجد

19احمد مختار العبادي ، مرجع سابق ، صـ37
20حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي ، مرجع سابق ، صـ763
21السيد عبدالعزيز ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـ364
22السيد عبدالعزيز ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـ364

العرب بها الأسطول البيزنطي ؛ بقيادة ((نفقور)) الذي تراجع الي البحر المتوسط ؛ وركب السفينة23.

أما سرية عبدالملك بن مروان فتوجهت الي جلولا ؛وحاصرها عدة أيام ؛ وفي أثناء عودته بعد إن استعصت عليه ؛ تصدع سورها وبذلك تمكن العرب من الدخول إليها ؛ والاغتنام منها24.

وبهذا توقف فتح افريقية مرة أخري ؛ بعد إن عزل معاوية بن أبي سفيان ؛ القائد معاوية بن حديج ؛ الذي لم يستثمر انتصاراته في إجراءات عسكرية أو مدينة لصالح العرب ، وبالتالي ارتكب معاوية بن حديج خطأ سابقه عبدالله بن سعد ؛ في إخضاع افريقية .

ولكن يجب أن نلتمس له العذر أيضا لولايته القصيرة ؛ اذ تم عزله من قبل الخليفة معاوية سنة (48 هـ /668 م) ؛ حيث استبدله بالقائد التابعي عقبة بن نافع الفهري الذي كان له الفضل الكبير والعظيم في تثبيت الوجود العربي بافريقية وإرساء قواعد الإسلام سنة (55 هـ / 675 م).

المبحث الثاني

مرحلة الفتح المنظم الأولى لولاية افريقية في الفترة مابين ((50 – 62 هـ / 670 – 682 م))

إن عقبة بن نافع كان واليا على برقة قبل إن يكون واليا على افريقية الذي عينه عمر بن العاص عندما كان واليا لمصر سنة (21 هـ /641 م) حيث اكتسب خلال هذه الفترة خبرة كافية في الحروب وكما كان صاحب دراية وحكمة إدارية وحربية ؛ الامر الذي اكسب الإسلام والمسلمون كاسب هائل في خزينة الدولة , وكان قوي البنية واللسان والديانة وشديد الحماس لنشر الإسلام

فكان فتحه لبرقه معنويا وحربيا وسياسيا في آن واحد بسبب تحول سكان هذا الإقليم الي بالإسلام نهائيا ونتيجة لهذه الجهود الجبارة التي بذلها هذا القائد في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر الدين الإسلامي قبل توليه الولاية .

كذلك كان لأبي المهاجر دينار دورا كبيرا في الفتوحات الإسلامية التي وصلت بالبلاد افريقية الامر الذي نال تكريما من أمير المؤمنين حيث عينه واليا عليها بعد عقبة بن نافع

أولا :- ولاية عقبة بن نافع الأولى لإمارة افريقية وفتوحاته المنظمة وسياسته الحربية

وتبدأ هذه الفترة من (50 – 55هـ / 670 675 م)من الفتح لعربي الإسلامي لافريقية تبدأ مرحلة الفتح المنظم لها ؛ من خلال الحملات المنظمة ؛ التي استهدفت إتمام فتح افريقية والتي ارتبطت بالقائد عقبة ؛الذي يعتبر واضع الركائز الأساسية لشخصية هذا الإقليم العربي.

ففعلا بتوليته على افريقية تبدأ مرحلة هامة ؛ في تاريخ الفتح العربي للمغرب ككل ؛ وليس لافريقية فحسب لأنه يعتبر من أوائل المجاهدين في المغرب ؛ وكان تابعيا جليلا ؛ لهذا برزت مواهبه القيادية ؛ بصورة مبكرة حين ذاك ؛ كما انه اكتسب خبرة بأحوال افريقية وسكانها ، فكل هذا

23أحمد مختار العبادي ، مرجع سابق ، صـــ38
24محمود شيت خطاب ، مرجع سابق ، صـــ99

كان سبب في توجيه نظر الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (49 هـ / 669 م) الذي اختاره ليكون فاتحا لافريقية من جديد ؛ بعد عودة معاوية يبن حديج من افريقية سنة (48 هـ / م668 م)؛ والذي اقره معاوية بن أبي سفيان على ولاية مصر فقط سنة (50هـ / 670 م)25.

وتذكر بعض الروايات التاريخية ؛ انه بعد خروج معاوية بن حديج ؛ من افريقية بأنه باشر عقبة مهمته .

إلا أن بعضها الأخر يجعل خروج عقبة سنة (46هـ / 666م)

ولكننا نعلم أن معاوية بن حديج قد رجع الي افريقية بعد بان فتح جزيرة رودس سنة (47 هـ / 667 م) ، إذن فمن المرجح إن عقبة ؛ قد خرج الي افريقية سنة (49 هـ / 669 م) كما يذكر ابن عذارى وابن عبد الحكم26.

ورافق عقبة في غزوته هذه يسر بن أوطأة ؛ وشريك بن سمي المرادي ؛ وتقدم عقبة بقواته الي إن وصل مغمداش من سرت ؛ التي سبق ليسر بن أوطأة ان فتحها سنة (26 هـ / 646م ة) وعند وصولها ؛ علم ا ناهل ودان قد نقضوا العهد الذي سبق وان عقدوه مع يسر سنة (23 هـ / 643م) . زمن عمرو بن العاص ، فما كان منه إلا أن ترك جيشه واستخلف عليه عمر بن علي القرشي ؛ وزهير بن قيس البلوري27.

وسار بنفسه ومن خف معه , بتعداد أربعمائة فارس ؛ 400 بعير حتى وصل ودان وفتحها ثم جزع إذن ملكهم ؛ أدبا له ؛ واستخرج منهم ما كان يسر بن أوطأة فرضه عليهم وهو ثلاثمائة وستين رأسا ؛ ثم واصل سيره الي جرمه ؛ ولما دنا منها ؛ دعا أهلها الي الإسلام ؛ فأجابوه ونزل منها على ستة أميال ، فخرج ملكهم يريد عقبة ؛ وأرسل عقبة خيلا حالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلا ؛ حتى آتى عقبة ؛ ولقد تعب وكان ناعما فجعله يبصق الدم أدبا له ؛ وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا ؛ واتجه من جرمة الي فزان ففتحها قطرا قطرا ؛ إلا حصن خاوار ؛ الذي أعجزه بعد حصار دام شهرا كاملا . ومنه توجه الي قصور كوار فأفتتحها ؛ وقطع إصبع ملكها أدبا له ؛ وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا ؛ ثم عاد عن طريق خاوار فلم يتعرض للحصن ؛ ومضى في طريقه ؛ فظن أهل خاوار انه لن يعود إليهم فأمنوا وفتحوا مدينتهم ؛ وعندها أقدم عقبة ؛ ورجاله بموضع صحراوي – جذب ؛ حتى أصابهم العطش ؛ فدعا الله ان ينقدهم ؛ فاستجاب الله لدعائه ؛ إذ تدفقت المياه ؛ من موضع كان فرسه ينقب برجليه فيه فسمي لذلك بماء فرس ؛ ثم باغث عقبة أهل خاوار من طريق أخر ودخل الحصن ؛ وغنم ما فيه من أموال ؛ ثم عاد الي زويلة ؛ ومنها الي معسكره بسرت28.

ولقد أقدم عقبة على التغلغل الي الصحراء ؛ بقوات قليلة وخفيفة ؛ لان الحركة في الصحراء صعبة جدا ؛ بقوات كبيرة ؛ لقلة المياه فيها ؛ ولان قدر له لن يصادف في تغلغله قوات ضاربة كبيرة ضده ؛ ولان قوات الروم النظامية لا تستطيع القتال في مثل هذا الميدان ، إنما ميدانها المناطق

25محمود شيت خطاب ، مرجع سابق ، صـــ115
26ابن عذاري المراكشي ، مصدر سابق ، صـــ19
27صالح مصطفي مفتاح ، مرجع سابق ، صـــ53
28السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، صـــ108

الساحلية ؛ التي تتواجد فيها المياه والقضايا الإدارية الأخرى وليس أمام عقبة إلا سكان الصحراء الأصليين ؛ وهؤلاء قليلون ويسهل التغلب عليهم 29.

وعند وصول عقبة وفرقته الي معسكره بسرت بعد غيبة 5 أشهر ؛ في دواخل برقة ؛ وجد جيشه ينتظره بعدد كبير بعد إن انضم إليه الجيش العربي الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان سنة(49 هـ / 669 م) والذي يبلغ عدده عشرة الف مقاتل30. ويتألف الجيش بأكمله من :-

1. فرقته التي غزا بها فزان والواحات ، وتتألف من 400 فارس.
2. الجيش المرابط بمدينة سرت ببرقه .
3. المدد الذي أرسله معاوية إليه ؛ وعدده 10000 من الفرسان .
4. جماعة البربر الذين اعتنقوا الإسلام ؛ منذ فتح برقة سنة (22 هـ /642 م) وحسن إسلامهم.

واتجه بعد إن قاد جيشه الي الغرب ؛ لفتح افريقية سنة (50 هـ / 670) متجنبا الطريق الساحلي ؛ الذي يربط سرت بقابس ؛ وذلك أما لكثرة الحصون والمجارس الرومية في هذه المنطقة الساحلية ؛ وإما لأنه أراد إن يباغت أهل افريقية ؛ باقتحامه بلادهم ؛ من داخل الصحراء قبل إن يكونوا قد تهيئوا بعد لمقاومته ؛ إذ إن أخبار حملته ؛ عندما يسلك الطريق الصحراوي لا يمكن إن تصل الي أهل افريقية ؛ بمثل سرعة وصولها ؛ إليهم لو سلك الطريق الساحلي31.

واعتقد إن السبب التاني هو الذي دفع بعقبة الي الالتزام الطريق الداخلي فقد ذكر المؤرخون انه وضع السيف في أهل افريقية فأفنى من بها من النصارى32.

وفي أثناء الطريق دخل عقبة مزاته وفتح كل قصر بها ثم مضى الي صفر فافتح قصورها وقلاعها ؛ ثم بعث لفتح غدامس ؛ ومن ثم فتح قفصة ؛وبعدها قسطنطينية33 وبعد إن تحقق له هذا النصر الكبير ؛ أدرك من خلال تجريبته السابقة إن أهل افريقية ؛ يدخلون في طاعة العرب ؛ طالما بقي العرب في بلادهم فإذا ما انصرف العرب من البلاد شقوا عليهم عصا الطاعة ؛ وارتد من دخل منهم الإسلام ؛ الي النصرانية ؛ وكانت برقه وزويلة ؛ قاعدتا الفتح العربي الإسلامي للمغرب ؛ متطرفتين كثيرا عن افريقية ؛ مما ساعد أهل افريقية على الخروج على العرب في كل مرة ينتهون فيها من غزوهم لها .لهذا رأى عقبة انه لفتح هذه البلاد يتحتم على العرب ؛ إنشاء قاعدة عربية إسلامية ؛ في افريقية لتكون معسكرا تابتا للمسلمين ؛ تنطلق منها القوات الإسلامية ؛ لفتح شمال افريقيا حتى المحيط الأطلسي .

أخطاط عقبة وتأسيسه القيروان القاعدة الأمنية واثر في إرساء قواعد الفتح وتتبيث الوجود العربي بها .

وصل عقبة القيروان الذي كان في مدينة قمونية ؛ والذي كان معاوية بن حديج قد بناء من قبل ؛ فلم يعجب به عقبة فكان بناحية الوسط الشرقي لافريقية ليست ضاربة في الشمال ؛ فتكون جبلية ؛

29محمود شيت خطاب ، مرجع سابق ، صـــ 121
30محمد حسين المرتضي ، طلائع الفتح العربي الاسلامي ، مركز الجبل الاخضر البيضاء 1992م ، صـــ109
31السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، صـــ111
32ابن عذاري ، مصدر سابق ، صـــ19
33السيد عبدالعزيز ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـــ636

ولا ضاربة في الجنوب تكون وملية وكان ((القيروان)) منه جانب سبخة ولقد كان العرب منذ أيام عبدالله ابن سعد يؤثرون ((قمونية)) لنزولهم لأنها بسيط من الأرض كثير المراعي جيد التهوية ؛ خصب التربة ؛ كثير المياه ، ولكن مكان قمونية ليس صالحا من الناحية العسكرية ؛ ليكون قاعدة أمنية لقوات المسلمين ؛ لان بعض غير المسلمين يسكتونها مع المسلمين ؛

وقد يكون هؤلاء رتلا خطرا على المسلمين وما اخطر ذلك عليهم وهم في جهاد دائب لفتح افريقية ونشر الإسلام في ربوعها34.

أما معنى القيروان : ((فهو مدينة أو معسكر ؛ لفظ قيروان فارسي الأصل معرب ؛ أصله كروان أو كربان ؛ القافلة من الجماعة ؛ موضع اجتماع الناس والجيش ؛ محط أثقال الجيش ؛ وقيل هي الجيش نفسه))35.

وليس هناك ما يؤيد القول ؛ بان القيروان ما إن علما على مدينة قديمة بافريقية اختطت القيروان مكانها ؛ فلم يبقى إلا القول بان عقبة وأصحابه أرادوا به ؛ محطا لقوافلهم ؛ ومراحا لعسكرهم ؛ ولهذا جمع أصحاب الرأي والحكمة والقيادة ؛ في جيشه ؛ وخطب قائلا ، ((أن افريقية إذا دخلها إماما أجابه الي الإسلام ؛ فإذا خرج منها ما رجع من كان أجاب منهم لدين الله الي الكفر ؛ فأرى لكم يا معشر المسلمين إن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام ؛ والي أخر الدهر))36.

وقد اثر عقبة إن تكون هذه المدينة في مكان بعيدا عن الساحل ؛ حتى لا تبقى غرضا لتهديد الأساطيل الرومية المتواجدة في البحر ، واتفقت وجهات النظر على اختيار موقع تتوافر فيه الشروط الأمنية والحياتية كما اتفق على أن يكون أهلها مرابطين ؛ وقالوا : ((تقرب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط)). فقال عقبة :- ((إني أخاف أن يطرفها صاحب القسطنطينية بغثة ؛ فيملكها ؛ ولكن ارجعوا بينها وبين البحر ؛ لا يدركها صاحب البحر إلا وقد علم به إذا كان بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة ؛ فهم مرابطين)) فلما اتفق رأيهم على ذلك قال:- ((قربوها من السبخة فان دوابكم الإبل وهى التي تجمل أثقالكم ؛ فإذا فرغنا منها ؛ لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد ؛ حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول ؛ وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها ؛ أمنة من عادية البربر والنصارة))، وأجابه العرب وقالوا له : ((انك أمرتنا بالبناء شعاري وغياض لا ترام ؛ ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك))

وكان في معسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله الكريم ؛ وسائرهم من التابعين ؛ فدعا الله وأصحابه يؤمنون على دعائه ؛ ومضى الي السبخة ووديها ؛ ونادى : ((أيتها الحيات والسباع ؛ نحن أصحاب رسول الله الكريم ؛ فارحلوا عنا ؛ فانا نازلون ؛ ومن وجدناه بعد هذا قتلناه))37.

فنظر الناس بعد ذلك الي أمر معجب من إن السباع ؛ تخرج من الشعري ؛ وتحمل أشبالها سمعا وطاعة ؛ والذئب يحمل جروه ؛ والحية تحمل أولادها ؛ ونادى في الناس : ((كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا))، فلما خرج ما فيها من الوحشاء – السباع – الهوام والناس ينظرون إليها حتى أوجهم حر الشمس ؛ فلما يروا فيها شيئا ؛ دخلوا فأمرهم إن يقطعوا الشجر ؛ فأقام أهل افريقية بعد ذلك (40)

34محمود شيث خطاب ، مرجع سابق ، صـ122
35محمود شيث خطاب ، مرجع سابق ، صـ124
36محمد حسين المرتضي ، مرجع سابق ، صـ110
37أبن عذاري ، مصدر سابق ، صـ19

عام لا يرون فيها حية ولا عقربا ولا سبعا ، فاخطط عقبة أولا دار الإمارة ؛ ثم آتى الي موضع المسجد الأعظم فاخططه ؛ ولم يحدث فيه بناء ؛ وكان يصلي فيه ؛ وهو كذلك فاختلف

الناس عليه في موضع القبلة ، وقالوا ((أن جميع أهل المغرب يضعون ؛ قبلتهم على قبلة هذا المسجد ؛ فأجيد نفسيك في تقويمها)) ؛ فأقاموا أياما ينتظرون الي مطالع الشتاء ولصيف ؛ من النجوم ومشارق الشمس ، فلما رأي عقبة أمرهم قد اختلف ؛ بات مغموما ؛ فدعا الله عز وجل إن يفرج عنه ؛ فأتاه آت في منامه فقال له : ((إذا أصبحت ؛ فخذ اللواء في يدك واجعله على عتقك ؛ فانك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه أحدا من المسلمين غيرك ؛ فانظر للموضع الذي ينقطع فيه التكبير ؛ فهو قبلتك ومحرابك ؛ وقد رضى الله لك أمر هذا العسكر ؛ وهذا المسجد وهذه المدينة ؛ وسوف يعز الله بها دينه ؛ ويذل بها من كفر به))38.

فاستيقظ من منامه ؛ وهو فزع ؛ متوضأ للصلاة ؛ واخذ يصلي في المسجد ؛ ومعه أشراف الناس ؛ فلما انفجر الصبح ؛ وصلى ركعتين الصبح بالمسلمين ، إذا بالتكبير بين يديه ؛ فقال لمن حوله ((أتسمعون ما اسمع)) ؛ فقالوا لا فعلم إن الامر من عند الله ؛ فاخذ اللواء فوضعه على عنقه ؛ وقبل بتتبع التكبير حتى وصل الي موضع المحراب ؛ فانقطع التكبير ؛ فركز لواءه ؛ وقال هذا محرابكم ؛ فاقتدى به سائر مساجد المدينة39.

هكذا أحيط تركيز القبلة على يدي عقبة ؛ بما يشبه القصص والأساطير ؛ وما كاد يتم تركيز القبلة ؛ حتى بدأ المسلمون في بناء الجامع ؛ وفي تشييد دورهم ومساكنهم ومساجدهم بالقيروان ، وعمرت القيروان بمختلف أنواع الأبنية والمنشآت ؛ وشد الناس إليها الرحال وانتجعوها من كل مكان ؛ واتسعت بالأسواق والمرافق ؛ ودامت حركة البناء فيها خمس سنوات ؛ أي من (50 – 55 هـ / 670 – 675) وكانت المدينة في بداية نشأتها ؛ قاعدة حربية ؛ ومركزا لتوجيه الغزوات على جبال ((أوراس)) ..... المواجهة لها ، وكان عقبة أثناء عمارته لها ؛ يغزو ويبعث السرايا ؛ فتغير وتنهب ودخل الكثير من البربر في الإسلام ؛ واتسعت خطة المسلمين ؛ وقوي جنان من هناك ؛ من الجنود بمدينة القيروان ؛ وامنوا واطمأنوا على المقام وتثبيت الإسلام فيها ، وبعد ذلك صارت مدينة القيروان كبيرة ؛ بل عاصمة الإسلام في المغرب كله وأصبحت هي القاعدة الأمنية للمسلمين في شمال افريقية ؛ وبعد اختيار هذا المكان بذات موفقا لدرجة كبيرة ؛ من الناحتين الجغرافية والعسكرية ، فمن هذا الموضع يستطيع المسلمون مراقبة تحركات العدو في افريقية كما يتلقى فيها الطرق المتجهة ح شرقا وغربا وجنوبا ؛ وقد ساهمت القيروان بشكل فعال ؛ كقاعدة متقدمة للمسلمين ، وفي تقدم جيوش الفتح الإسلامي ؛ نحو المغرب حتى المغرب الأقصى والأندلس فيما بعد .

كما إن بتأسيس هذه المدينة ؛ اتخذت العمليات الحربية الإسلامية في المغرب طابعا تابثا ومستقرا ؛ قبل ذلك التاريخ سنة (50 هـ / 670م) ، كانت هذه العمليات ؛ مجرد غارات استكشافية للتعرف على المناطق وكسب الغنائم ؛ تقوم بها بالجيوش الإسلامية ح ثم تعود بعد ذلك الي برقه ومصر ؛ دون أن يكون هناك اثر ملموس ؛ يدل على معنى الفتح والاستقرار .

38أبن عداري ، مصدر سابق ، صـ20

39السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، صـ120

ويبدو عقبة انه استغرق هذه السنوات الخمس (50 – 55 هـ / 670 – 675 م) في بناء القيروان دون أي اعتراض من جانب البيزنطيين ؛ وهى ذات طابع تبشيري على الأرجح ، ولكن ما لبث أن عقبة هدف التغيرات الإدارية ؛ في دمشق بعد محاولته الرائدة ؛ في بناء الشخصية الجديدة للمغرب التي قدر لها أن تتأخر بعض الوقت ، حيث آتى الأمر للخليفة معاوية بن أبي سفيان بعزل عقبة ؛ عن ولاية افريقية سنة (55 هـ / 675 م) نتيجة لسعابات ؛ مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر والذي يعتبر أول من جمعت له مصر وافريقية ، لقد كان يحد عقبة على تقومه المتتابع ؛ كما كان يطمع في موارد افريقية الوفيرة ، فسرعان ما أقام مسلمة مولاه ؛ أبا المهاجر دينار الأنصاري على افريقية سنة (55 هـ / 675 م)40.

وهناك من يقول إن الخليفة معاوية عزل عقبة ؛ خوفا من أن يستقل المغرب كله ؛ عن الخلافة.

وليس من المستبعد أن يتجه تفكير الخليفة معاوية الي ذلك .

فقد كان يخشى أيضا من قبل مطامع عمرو بن العاص ؛ في مصر وافريقية لذلك جعلها تابعة له مباشرة ؛ بعد وفاة عمرو ؛ ولعله رأى اهتمام عقبة بافريقية ؛ وشعبيته في برقه وافريقية ؛ وبتـأسيسه القيروان ؛ عن أملاك الدولة الأموية ، كما انه كان يعرف صلة القرابة التي تربط عقبة بعمرو ؛ فأسرع بضم ولاية افريقية الي مسلمة بن مخلد ؛ عامله في مصر ولعله هو الذي أشار عليه بعزل عقبة كما أسلفت ، بدليل انه لم يرد الخليفة معاوية عقبة لولاية افريقية ؛ بعد أن قدم عليه شاكيا من سوء عزل ابي المهاجر دينار له41.

تانيا :- ولاية أبي المهاجر دينار الأنصاري لإمارة افريقية ؛ للأعوام (55 – 62 هـ / 675 – 682 م)

((لو استعملت عقبة ؛ وأقررته على افريقية ؛ فإنه له فضلا وسابقه وهو الذي بني القيروان))

فقال مسلمة : ((ا نابا المهاجر ؛ كأحدنا ؛ وصبر علينا في غير ولاية ولا كبير نبله ؛ فنحن نحب أن نكافيه ونصطنعه)).

وبمجي ابو المهاجر لافريقية ؛ آبا عزل عقبة ؛ ونزل خارجا من المدينة وكره أن يزل الموضع ؛ الذي اختطه عقبة بعد أن سجنه وقيده بالحديد ومضى حتى خلفه بميلين مما يلي طريق تونس ؛ فاختط بها مدينته وأراد أن يكون له ذكرها ؛ ويفسد عمل عقبة ؛ فبني المدينة واخذ في عمرانها وأمر الناس أن تحرق القيروان ؛ ويعمروا مدينته 42.

ويذكر المؤرخون أن خبر هذه الإساءة ؛قد وصل الي مسامح الخليفة معاوية في دمشق ؛ عن طريق أنصار عقبة ؛ فكتب الي أبي المهاجر مباشرة يأمره بإطلاقه وأشخاصه إليه43. وبالتالي أطلق سراحه ، وخرج عقبة متطرفا ؛ وأدركه الخبر بشأن القيروان في الطريق ؛ فتوجه الي

المشرق أسفا على أبي المهاجر ؛ ودعا الله عليه أن يمكنه منه ، فبلغت أبا المهاجر دعوته ؛ فقال ((هو عبدا ؛ لا ترد دعوته))... ولم يزل ابو المهاجر خائفا منه ؛ نادما على ما فعل معه ؛ ولما تقدم

40السيد عبدالعزيز سالم ، الدولة العربية ، مرجع سابق ، صـــ637
41السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، صـــ123
42ابن عذاري ، مصدر سابق ، صـــ23
43السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، صـــ124

عقبة على معاوية قال له :- ((فتحت البلاد ؛ ودانت لي .. وبنيت المنازل ؛ واتخذت مسجدا للجماعة ؛ وسكنت الناس ؛ ثم أرسلت عبدالانصار ؛فأساء عزلي)) فأعتذر له معاوية ؛وقال له قد عرفت مكان مسلمة من الإمام عثمان ؛ ويزله مهجته ؛ صابرا محتسبا ؛ طع من أطاعه من قومه ومواليه ؛ وأنا أدرك الي عملك)) إلا أن الامر تراخى حتى توفيه معاوية سنة (60 هـ /680 م)44

ويؤكد بعض المؤرخون على أبا المهاجر لم يتصرف من تلقاء نفسه وانه أرغم على الإساءة الي عقبة ، مدفوعا في بذلك بتعليمات ؛ تلقاها من مسلمة بن مخلد الذي يغار منه لما ناله من شرف غزو افريقية ؛ سنة (50 – 55 هـ / 670) 45.

وبتولي ابو المهاجر دينار أمور افريقية سنة (55 هـ / 675 م) ؛ فخرج إليها من مصر ؛ بجيوش أهل الشام ومصر46؛ ولم يكن القائد الجديد اقل حماسا من سلفه ؛ ولكنه بأسلوب مختلف ومنهج اكبر الاعتدال ؛ ذلك إن أبا المهاجر كان في رأي بعض المؤرخون رائد سياسة الحوار مع البربر ، فلم يكن أبا المهاجر مثل عقبة محاربا ممتازا ؛ لكنه كان سياسيا بارعا ترك سياسة العنف مع البربر ؛ ولجأ الي سياسة اللين والمداراة معهم محاولا استمالتهم ، وذلك عن طريق نشر الإسلام بينهم ؛ وقد نجحت هذه السياسة نجاحا كبيرا في ضم البربر للدولة العربية الإسلامية .

أهم حملاته

1. حملته علي تلمسان لغزو البربر

يبدو إن البربر أوربة الذين كانت تربطهم بالبيزنطيين روابط وثيقة بدأوا يحسون بخطر العرب على بلادهم ؛ منذ أن أسس عقبة مدينة القيروان ؛ فأخذ زعيمهم كسيلة بن لزم يجمع القبائل ويؤايها على العرب تمهيدا لطردهم من البلاد ؛ ورأي ابو المهاجر إن يبدأ بمهاجمة البربر وخاصة أوربة ؛ وأحلافهم الذين كانوا يضربون في نواحي تلمسان ؛ حتى يقضي على ما بدأ له من بوادر مقاومتهم ؛ وخرج ابو المهاجر على رأس جيش من المسلمين ؛ قاصدا مراكز أوربة ؛ وأحلافهم من البرانس47.

وكانت الزعامة في هذه المنطقة ؛ كلها لقبيلة ((أوربة)) لكثرة عددها ؛ وغناها وحضارتها ومناعة مواقعها ، وكان رئيسها ((كسيلة بن لزم الأوربي)) ذلك الزعيم القوي الشخصية الذكي الفؤاد ؛الغيور على وطنه ، وكان البربر يجلونه ويحترمونه ؛ وكان نصرانيا ؛ متمسكا بدينه ؛ ولهذا عمل كسيلة ما بوسعه على تجميع جيش كبير من البربر والروم لطرد العرب الفاتحين من بلاده ؛ وعندما سمع ابو المهاجر ذلك ؛ سار إليه الي معسكره في تلمسان والتقى الجيشان هناك ؛ ودارت معركة حامية الوطيس ؛ وكان النصر حليفا للمسلمين ؛ الذين اسروا كسيلة الذي حمل الي أبي المهاجر ، فأحسن إليه وقربه منه ؛ وعامله كالملوك ؛ وبهذا تمكن ابو المهاجر من البلاد ؛

وظفر بكسيلة الذي اظهر الإسلام ؛ ومن ثم استبقاه ابو المهاجر واستخلصه ، وانتهى ابو المهاجر من تلمسان الي العيون المعروفة بعيون ابو المهاجر ؛ وهو يعتبر أول أمير عربي وطئت خيله ارض المغرب الأوسط 48.

44أبن عذاري ، مصدر سابق ، صـــ22
45السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، صـــ124
46السيد عبدالعزيز سالم ، نفس المرجع ،نفس الصفحة
47السيد عبدالعزيز سالم ، نفس المرجع ،صـــ129
48محمود شيت خطاب ، مرجع سابق ، صـــ103

وتدل نتائج هذه المعركة على مقدرة القائد العربي ابو المهاجر السياسة ؛ ممارته الي كسب زعيم البربر أوربة الي جانب المسلمين ؛ وما إن انتهى ابو المهاجر من القضاء ؛ على مقاومة البربر ؛ وتحطيم الحلف القائم بين بربر أوربة والروم ؛ وذلك بانضمام كسيلة وبربر أوربة ؛ الي جانب المسلمين حتى ولي وجهه الي الروم سنة (59 هـ / 679 م) ؛ ليضرب ضربته التانية .

2. حملة ابو المهاجر الي قرطاجنة وجزيرة شريك سنة (59 هـ / 679 م)

بعد إن تم لأبي المهاجر اكتساب البربر وزعيمهم كسيلة ؛ قصد عدوه الأول ((الروم)) وذلك بأن توجه الي شطر قرطاجنة سنة (59 هـ /679 م) معقل الروم في افريقية ؛ وعاصمتهم في شمال افريقية ؛ لان الروم مازالوا يشكلون قوة ؛ مؤثرة في ساحل المغرب من بنزرت حتى طنجة ؛ وان هذا السهل الخصب المتحضر ؛ هو مرتعهم وموطنهم ، فكان لابد من تطهير تلك المناطق منهم ؛ حتى لا يهددوا البلاد التي فتحها المسلمون في افريقية ؛ والاستفادة من قواعدهم على ساحل البحر المتوسط ؛ وحتى يتخلص المسلمون نهائيا من الروم ؛ وليحولوا بينهم وبين المحاولات التآمر والدس على الفتح الإسلامي ؛ ونازل ابو المهاجر ((قرطاجنة)) فاستغلقت وتحصنت بالأسوار العالية ؛ فشدد ابو المهاجر عليها الحصار ؛ ولم علم أهلها بأن المسلمين لن يرحلوا حتى يحققوا هدفهم بفتح قرطاجنة ؛ طلبوا الصلح ؛فصالحهم ابو المهاجر بإخلاء ((جزيرة شريك)) التي كان الروم يتخذونها ؛ دوما مثابة لتحشد جيوشهم ؛ فيها قبل مهاجمة المسلمين؛ وذلك لكي يتخذها المسلمون قاعدة أمامية ؛ لقواتهم يرتكزون عليها في العمليات العسكرية[49].

3. حملة ابو المهاجر دينار الي ((ميلة))

كانت ميلة في الجنوب الشرقي لبجاية ((لبغاية)) وتبعد عنها حوالي خمسين ميلا ، وعند وصول الجيش الإسلامي إليها ؛ وجدها مستعدة للقتال ؛ من قبل طائفة من البربر والروم معا ؛ الذين تحصنوا فيها ؛ فنازلها ابو المهاجر وفتحها وغنم ما فيها ؛ ثم استقر بها ؛ وأقام هناك لمدة سنتين ، وذلك لان ميلة تتوسط المغربين الأدنى والأوسط ؛ فهي أحسن مكان يراقب ابو المهاجر منه أمور البربر والروم على السواء في تلك الأصقاع .

وفي سنة (61 هـ / 680 م) غادر ابو المهاجر مدينة ميلة ؛ راجعا الي مدينته التي أسسها ؛ وأقام بها عاما كاملا ؛ حتى عزل بأمر الخليفة الجديد يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان[50]

وبهذا توقف الفتح الإسلامي لولاية لافريقية إلي أن عاد عقبة بن نافع للحكم مرة أخري في ولايته التانية ؛ للأعوام (62 – 64 هـ / 682 – 684 م) ، الذي ولاه يزيد بن معاوية ؛ بعد إن تولى الخلافة الأموية على اثر وفاة أبيه سنة (60 هـ / 680 م)

49نفس المرجع ، صـــ11

50نفس المرجع ، صـــ12

الخـاتمــة

بعد استكمال هذا البحث الذي يحمل عنوان الفتح العربي الإسلامي لولاية افريقية في الفترة مابين (27 – 62 هـ / 647 – 682) .

بمرحلة الأولى من الفتح الإسلامي المنظم خلصت النتائج المهمة

1. إن لولاية افريقية أهمية كبيرة في العالم العربي الإسلامي ؛ وذلك على احتوائها على عدد كبير من السكان الذين هم من أصل إفريقي أو الذين قدموا إليها عن طريق الهجرات أو القوافل التجارية حيث ترتب على ذلك بعد الاسلامهم اتساع رقعة البلاد الإسلامية ومشاركتهم في الفتح العربي الإسلامي فيما بعد ؛ وانضمامهم للجيوش الإسلامية الذين فتحوا باقي بلاد المغرب الإسلامي والأندلس ؛ وترتب على ذلك انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم
2. كان للموقع الجغرافي الهام والطبيعة الخضراء أهمية كبيرة للفت أنظار الفاتحين التي أطلعهم على افريقية ؛ ومدى أهميتها وكثرة خيراتها واتساع حدودها ؛ الامر الذي جعل من الفاتحين تأمين حدودهم البحرية والغربية في فتح هذه الولاية وتثبيت قواعد الإسلام وإرساء دعائمه والاستفادة منها
3. كان اختير الخليفة معاوية بن أبي سفيان ؛ لعقبة بن نافع واليا على افريقية سنة (50 هـ / 670 م) اختيارا سليما لدرايته بطبيعتها وسكانها ومعرفة ثغورها ؛وذلك لمشاركته في الفتوحات الإسلامية مع عمرو بن العاص بمصر وبرقة وطرابلس ؛وله الفضل في فتح مدينة القيروان ؛ كما اتخذها الفاتحين مركزا لنشر الإسلام وقاعدة للعمليات العربية الإسلامية
4. وبولاية أبي المهاجر دينار الأنصاري سنة (55 – 62 هـ / 675 – 682 م) تمكن هذا القائد المخضرم ذو الحنكة السياسية البارعة إن يضع تحت جناحيه الكثير من البربر ويسلم الكثير منهم ويأمن جانبهم ويتعايشوا مع العرب المسلمين ..

المراجع

1.القرآن الكريم

2.ابن الأثير الكامل في التاريخ ؛ دار الكتاب العربي بيروت ؛ ط3 ؛ ط4 ؛ 1980 م

3.ابن العذاري المراكشي ؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ؛ دار الثقافة العربية بيروت ؛ ط[2] ؛ ط[1] ؛ 1980 م

4. إبراهيم بيضون ؛ ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ؛ دار النهضة العربية بيروت ؛ 1979 م

5. احمد مختار العبادي ؛ تاريخ المغرب والأندلس ؛ دار النهضة العربية بيروت 1978 م

6. السيد عبدالعزيز سالم ؛ تاريخ الدولة العربية ؛ منذ عصر الجاهلية في سقوط الدولة الأموية , دار النهضة العربية بيروت 1986 م

7. ---------- ؛ مقدسة شباب الجامعة , (د- ن - د – ت)

8. ---------- ؛ المغرب الكبير في عصر الإسلامي ؛ دار النهضة العربية بيروت ؛ جـ[2]1981 م

9. ---------- ؛ تاريخ المغرب في عصر الإسلامي ؛ مؤسسة شباب جامعة ؛ د - ن , د – ت

10.الغرديل ؛ ترجمة عبدالرحمن بدوي ؛الفرق الإسلامي في شمال افريقيا من الفتح العربي حتى اليوم ؛ دار الغرب الإسلامي ؛ لبنان ؛ د – ن , د – ت

11.جرجي زيدان ؛ التمدد الإسلامي ؛ دار مكتبة الحياة ؛ بيروت جـ[1] , د – ت

12.حسن إبراهيم حسن ؛ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ؛ مكتبة النهضة المصرية ؛ القاهرة ط[3] – 1984 م

13.---------- ؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ؛ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ؛ ط7 ؛ جـ 1 ؛ 1964 م

14.صالح مصطفى مفتاح ؛ ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الي مصر منشورات الشركة العامة للنشر ؛ ليبيا ؛ ط1 ؛ 1978 م

15.محمود شيث خطاب ؛ عقبة بن نافع الفهري من قادة الفتح الإسلامي ؛ دار الفكر العربي ؛ بيروت ؛ ط4 ؛ 1972 م

التفكير السياسي لدى ميكافلي من خلال الأمير

د.حنان أحمد حبيب

عضو هيئة التدريس جامعة الزيتونة

المقدمة

"لقد قضي ميكافلي ثلاثة عشرة عاماً مجاهد لتحسين الأصول في بلاده وقد تعلم في هذه المدة الكثير من الحقائق وكان الجزاء الذي لقيه، وهو النفي ومن نافلة القول أن نشكر أن كتاب "الأمير" مؤلف ينطوي على المرارة التي نجمت عن فشله في حياته وليس في استطاعة القارئ الحديث أن يسمح لهذه الحقيقة بأن تحول بينه وبين رؤية ما يحتوي عليه الكتاب من حقائق ما زالت تنطبق على واقعنا في هذه الأيام".

نظراً للتفكير في الممارسة السياسية من أهمية في حياة الأفراد والجماعات عبر التاريخ فأننا سوف نتناول التفكير السياسي عند أحد أبرز من تناولوا هذا الموضوع بالدراسة والتحليل بل يعود الفضل إليه في إبراز السياسة كعلم له أسسه ومنطلقاته وغاياته أنه أبرز رحال النهضة ذلك هو "نيقولو ميكافللي" ولد في أوروبا فلورنا وعاش ما بين عامي 1469-1527م، وفي سنة 1498م دخل المجال السياسي وعمره لم يتجاوز التاسعة والعشرون وأستمر فيه إلى غاية عام 1512م وفي الوقت ذاته كان قد اشتغل "منصب رئيس الديوان القنصلي الثاني وسكرتير مجلس العشرة" الذي كان يهتم بقضايا الحرب والشئون الخارجية، ويحرر التعليمات الموجهة للممثلين الدبلوماسيين للجمهورية، وقد أعطته البعثات والمهمات العديدة التي كلف بها في ايطاليا وفي الخارج ومنها (أربع بعثات لفرنسا) الفرصة ليثبت مواهبه التي لا نظير لها كمخبر ومفاوض".[1]

هذا وقد عزل علي العمل السياسي سنة 1512م، وذلك إثر استعادة آل مدينتي السلطة فكان أن أنعزل في بيت له في الريف في "سان كاسيانو" وفي هذه المرحلة عاش ظروفاً صعبة وانتخ إبداعاً.

1- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص231-232.

أما فيما يتعلق بالظروف الصعبة نجده يقول "وإذا تكرمتم فتطلعتم من سائر عليائكم إلى هذه البقعة المتواضعة التي أقيم فيها، ستدركون الآلام العظيمة التي لا استحقتها والتي شاء سوء طالعي الشرير أن يلحقها بي".[2]

أما ابداعه فيتثمل في كتابيه (الخطب) و(الأمير) ففي الكتاب الأول تناوله (الجمهوريات)، وفي الكتاب الثاني يعالج (الملكيات) "لن أتحدث في هذا الفصل عن الجمهوريات لأنني تناولتها بصورة مسهبة في مكان أخر ولكنني سأقصر حديثي على الملكيات".[3]

الكتاب الأول يشدد على موضوع الحرية والديمقراطية والكتاب الثاني يشدد على القوة والطغيان ورغم ما يبدو من تباعد بين الكتابين إلا إننا نجد "ليوستروس" في كتابه (أفكار حول مكيافيللي) يوجد بين الكتابين فيقول: إن كتاب مكيافيللي عن الإمارات وكتابة عن الجمهوريات كلاهما جمهوريات إن مدح الجمهوريات الذي يعبر عنه في كتاب الجمهوريات لا يناقضه ابداً مدح الأمارات في الكتاب الأول والثاني".[4]

وفي مقدمة هذا البحث فأن السؤال المطروح هو: لماذا الكتابة في فلسفة السياسة؟ ولماذا مكيافيللي بالذات؟

ففيما يتعلق بالسؤال الأول فأن الإجابة عليه تكون ضمن هذه المقدمة وهي كالآتي:

يبرز (جون جاك شوقالييه) أهمية الفكر السياسي في حياة الإنسان والمجتمع فيقول: "إن الفكر السياسي هو أحد أشكال الأعمال الفكرية حول وضع الإنسان في المجتمع، والذي ساهم بقوة في صنع الحضارات، فهو ينسق ويربط بين التمثلات والأفكار التي لم يكن بإمكان العقل، ولا يمكن له إلا أن يكونها عن الظاهرة الأساسية والجذابة التي تسمي بالسلطة والتي وصفت صراحة أو ضمناً بالسياسة".[5]

انطلاقاً من هذا يتضح لنا مدى الأهمية المعرفية والعملية التي عليها التفكير السياسي: فالأهمية المعرفية تكمن في كونه أحد أشكال الأعمال الفكرية التي تتناول بالدراسة والتحليل علاقة الإنسان وبالتالي علاقة الإنسان بالمجتمع هذا من جانب أما من الجانب الأخر فالتفكير السياسي بمثابة المحور الذي تدور حوله مختلف التصورات والأفكار فيما يتعلق بظاهرة السلطة.

أما الأهمية العملية فهي ترجع إلى كون التفكير السياسي كان عاملاً محدداً في صنع الحضارات، وعندما نقول حضارة فأنه بالضرورة نعني مجمل نواحي الحياة، وغي عصرنا الحاضر اصبحت السياسة تعني كل شيء حتي أنه يعد مجال إلا وغزاته السياسة بشكل أو بأخر، فصرنا نتحدث عن السياسة الاقتصادية والسياسة الخارجية والسياسة الداخلية والسياسة الثقافية والسياسة الزراعية والإعلامية والصناعية، فحتي الموضة والأخلاق أصبحت سياسة بل أنه يكون الجرم بأن كل سلطة في عصرنا إلا وخصصت من الامكانيات المادية والبشرية المتميزة كماً وكيفاً من أجل إقامة جهاز خاص هو ما يسمى بجهاز الدعاية، هذا الجهاز يخبط ويصوغ كل جوانب الحياة اليومية ويفرضها

2- نيقولو مكيافيللي، الأمير، ترجمة: الدكتور فاروق سعد، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الأفاق الجديدة، ط9، 1991م، ص35.
3- نفس المصدر السابق، ص56.
4- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص234.
5- نفس المصدر السابق، ص246.

على المواطن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حتي يتسنى للحكومة الاستمرار والاستقرار فنحن صرنا نعيش في عالم أصبحت فيه النكتة السياسية.

فالتفكير السياسي غزا كل المجالات وبدون استثناء حتي أكثر الجوانب حساب وهي الجوانب الروحية الدينية، وعملية الغزو هذه كانت الخطوة الأولي، والخطوة الثانية التي تتلوها بالضرورة هي عملية توظيف كل تلك المجالات بما يتماشى ومصالح السلطة وهذا ما يعرف عندنا اليوم بالأيديولوجيا او بالتوظيف الايديولوجي.

"بناء على هذا فأنه يمكن القول بأن الواحد منا يمارس في حياته اليومية السياسة سواء كان واعياً بهذا الأمر أم لا، وطبقاً لهذا التقدير وانطلاقاً منه أقيمت الأكاديميات وأصبحت السياسة تخصصاً كاملاً يدرس في الجامعات هذا التخصص الذي يزداد ثراء وتنوعاً يوماً بعد يوم بفعل علاقة هذا العلم بمختلف العلوم الأخرى، أو بالأحرى استغلال هذا العلم لمختلف نتائج العلوم الأخرى وتوظيفها، وهذه العلوم هي: علم الاجتماع، علم الأنثروبولوجيا، علم الإنسان، علم الاقتصاد، علم التاريخ، علم النفس، علم القانون، علم الأحياء، علم الجغرافيا، علم الاحصاء".[*]

وهكذا وقد أجبت على السؤال الأول فأني أنتقل إلى إجابة على السؤال الثاني: وهو لماذا امكيافيللي بالذات؟

إن الإجابة على هذا السؤال راجعة لعدة عوامل: منها ما يرتبط بشخص مكيافيللي ومنها ما يرتبط بعصره بالإضافة إلى ذلك توتر المصادر والمراجع المتناولة للموضوع وللشخصية على حد سواء.

بالنسبة لميكافيللي كشخص فانه افاض في تناوله إشكالية التفكير والممارسة السياسية فهو قد تجاوز الأطروحات المثالية والجمهوريات الفاضلة ليتقيد بالواقع ويقيم مدن الأرض بدلاً من مدة السعادة وقد كان في هذا جد واضح وجرئ وعلى هذا الأساس كان الاهتمام به كبيراً مما حدى بالعديد من المفكرين إلى اعتبار مكيافيللي والمكيافللية لازالت مستمرة وستظل وقد حاول الإجابة على سر هذا الاستقرار "بنيتو موسيليني" في رسالته للدكتوراه يقول "وأوكد أن مذهب مكيافيللي حي اليوم بعد أربعة قرون".[6]

أما الدكتور (فاروق سعد) فيقول في تقديمه لكتابه الأمير ما يلي: "وترجمة هذا الكتاب إلى العربية ووضعه في متناول الجميع له مبررات ضروريات إذ لا غني عنه لكل من يدرس السياسة أو يزاولها كمهنة، أو يتتبع أحداثها كهواية، أو يعالجها كموضوع، أو يرقبها كأحد النظارة على المسرح العالم السياسي... كان ولا يزال المعلم الأول لرجال السياسة في العالم يستوحون قواعده ويستلهون مثله، ويطبقون نصائحه وإرشاداته ويعملون بتوجيهاته وتعاليمه".[7]

"كما يذكر (كريستيان فاوس) بأن هلتر كان يضع هذا الكتاب على مقربة من سريره فيقراه فيه كل ليلة قبل أن ينام، ولا يدهشنا قول ماكس ليرنير في مقدمته لكتاب (أحاديث) أن لينين وستالين أيضاً قد تتلمذا مع مكيافيللي".[8]

---

* بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسي، مدخل في علم السياسة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1987.

1- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص6.

7- نفس المصدر السابق، ص13.

8- نفس المصدر السابق، ص19.

* راج تقديم كريستيان غاوس لكتاب الأمير ص27.

بالإضافة إلى هذا فأنه قد ارتبطت بمكيافيللي كشخص والمكيافللية كرؤية أو كتحليل وتتكيك لواقعة الذكري السيئين مما جعله ملعوناً ومحاصراً على زمانه مشهوراً وذا أهمية في وقتنا الحاضر".(*)

ومن خلال "الأمير" حاول ميكافيللي أن يقدم لنا صورة واضحة عن كيفية نشوء الإمارة وسقوطها ويقدم لنا نظرية في الثورة ونظرية في الاستقرار وكلاهما يدور في إطار إيمانه بالحكم المطلق.

هذا وقد انتصر ميكافيللي للدولة على حساب الكنية والتصورات الأخلاقية المسيحية معتقداً بأن القوانين هي التي تولد الأخلاق والفضائل وبأن الدين لا بد أن يكون خادماً للسياسة.

وعموماً فأن نظرة عامة على كاب "الأمير" تظهره وكأنه موجه للملوك في شكل دروس أو عبر إلا أنه أيضاً موجه للشعوب وهذا ما عبر عنه روسو في متابه العقد الاجتماعي أو يقول: "بأن كتاب الأمير هو كتاب الجمهوريون وأن ميكافيللي بتظاهره بإعطاء دروس الملوك أعطى دروساً كبرى للشعوب".(9)

أما فيما يتعلق بعصر مكيافيللي فأن عصر النهضة هو عصر الاكتشافات العلمية، عصر بداية نشوء الدولة القومية، عصر بداية انهيار الحكم، "التيوقراطي" ممثلاً في الكنية ونظرية العناية الإلهية، عصر بداية التوجه البرجوازي كما وعموماً، بعد عصر النهضة عصر العملاقة وعصر الجريمة في آن واحد.

يقول "أونسا بلوخ": "إذا كان انجليز يؤكدان النهضة كانت عصر العمالقة فهو محقا تماما لكنها لم تكن فقط عصر عمالقة الروح والعلم الفلسفة والقن بل أيضاً عصر عمالقة الجريمة عصر قيصر بورجيا".(10)

وكان لا بد لهذه التحولات أن تتطلب نمطاً جديداً من الحياة يقوم على انقاص نمط الحياة الذي كان مفروضاً من قبل الكنية، ذلك أنها أصبحت تمثل قوة جدب إلى الخلف، قوة معرفته لا بد من تجاوزها وقد دفعت أوربا الثمن غالباً من أجل بناء نمط حياتها الجديد وقد تمثل في الحروب الطاحنة ومحاكم التفتيش، وصكوك الغفران، وما يمكن قوله هو أن الجديد لا يظهر بسهولة على السطح ذلك أن كل عملية ولادة لا بد أن تصحبها الأوجاع والمتاعب.

في مثل هذه الظروف يأتي مكيافيللي ليعبر عن الرغبة في بناء الدولة القومية من خلال سعيه لتوحد إيطاليا عن الرغبة في دعم البرجوازية الصاعدة من خلال انتصاره لسلطة الملك على حساب سلطة الكنية.

وقد عبر عن هذا كوارية بقولة: "مع فيقولا مكيافيللي أصبحنا حقيقة في عالم أخر تماماً، لقد ماتت العصور الوسطى، ويبدو أكثر من ذلك أنها لم توجد مطلقاً فكل قضاياها: كا الله والخلاص والعلاقات بين العالم الماورائي والعالم الدنيوي والعدالة والأساس الإلهي للسلطة، غير موجودة بالنسبة لمكيافللي وليس هناك إلا حقيقة واحدة هي: كيف يمكن تثبيت وحفظ سلطة الدولة...إن لا أخلاقية مكيافللي هي ببساطة أمر منطقي، فالدين والأخلاق من وجهة نظر ميكافيللي لا يشكلان إلا عوامل اجتماعية، أنها عبارة عن وقائع يجب معرفة استعمالها والتعامل معها وهذا كل ما في الأمر، أن من

9- جون جاك روسو، الأعمال الكاملة، منشورات PLEIADE باريس، المجلد الثالث، ص409.
10- أرنست لوخ، فلسفة عصر النهضة، ترجمة/ إلياس مرقص، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط1، 1980م، ص125.

الواجب حين إجراء حساب سياسي أن نأخذ في الحسبان كل العوامل السياسية: فماذا يمكن لحكم قيمي حول عملية الجمع أن يفعله في مثل هذا الحساب، أنه لا يستطيع أبداً تغيير المجموع".[11]

وهكذا أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلمين قد احتلوا وانتصروا بينما فشل الأنبياء غير المسلمين.

الفصل الأول: المنهج والخلفية المعرفية عند مكيافيللي

إن مقتضيات البحث والدراسة العلمية تستلزم الوضوح أسلوبا ومعنى هذا يعنى ضرورة أن يكون العمل الواضح عملاً ممنهجاً وعلى هذا الأساس أرتأبت أن ينطلق عملي في البحث عن منهج التفكير السياسي عند مكيافيللي من خلال (الأمير) فقط، بمعنى المنهج الذي يمكن استنباطه والذي يحكم ويضبط تفكير مكيافيللي السياسي بمثابة الأساس الذي يقام عليه أي بناء وأن الحديث عند المنهج له مستويات:

المستوى الأول: ويكون أكثر تجريداً حيث يقصد بالمنهج الأسس أو القضايا أو القوانين العامة لا أي بناء نظري معين.

أما المستوى الثاني: بالمنهج أدوات البحث كالملاحظة والتجربة وكذلك صحائف الاستبيان وطرق المقارنة والإحصاء وهذا المستوى الأخير ليس حكراُ على علم دون أخر وغنما هو متاح لكافة العلوم أو لكافة النظريات داخل العلم الواحد فهو يشبه العامل الدائم في أن عملية ومن تم فهو ثابت في جميعها".[12]

وانطلاقاً من هذا التصور الأول والعلم للمنهج وبالإضافة إلى هذا كتاب الأمير نستطيع أن نستخلص المستويين الأول والثاني للمنهج ذلك أنه في تقديرنا أن التصورات السياسية من خلال (الأمير) قد انطلقت من خلفية معرفية معينة هي جوهر تفكير مكيافيللي عززتها تجربته الشخصية واستقرائه لأحداث الماضي.[*]

إذا فالأسس أو القضايا والقوانين العامة التي يستلزمها المنهج كما يستلزمها ابناء النظري من خلال الأمير هي:

أولاً- الاعتماد على الذات: ويقصد بها الأمير ذاته وقدراته المتمثلة في الشجاعة والقوة والبأس والحكمة والإقدام وغيرها من الصفات وفي هذا الإطار يقول مكيافيللي "ولا تجدي وسائل دفاعك وتكون موثوقة ودائمة إلا إذا كانت معتمدة عليك وحدك وعلى مقدرتك الشخصية"[13]، ومهما بلغت قوة الرعية وأهميتها إلا أنها تتحدد فاعليتها وقدراتها بالأمير ذاته ذلك أن الأمير هو بمثابة العصب الرئيسي فضعفه بضعف الرعية وقبوله تزيد من قوة الرعية وعلى سبيل الذكر لا الحصر يورد مكيافيللي حالة فيليب المقدوني "لم يكن يملك دولة كبيرة تقارن بعظمة روما واليونان اللتين هاجمتاه، ولكنه كان رجلاً عسكرياُ وكان يدرك الطريقة المثلة في تجيب نفسه إلى الشعب والاطمئنان إلى

11- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص246.
12- الدكتور صفوت حاتم، الفكر القومي وأزمة المنهج، بمجلة شؤون عربية، العدد14، تونس، وحدة المجلات والأمانة العامة، جامعة الدول العربي، 1982م.
* صفوت حاتم، الفكر القومي وأزمة المنهج، بمجلة شؤون عربية، العدد14، تونس.
13- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص189.

الكبراء، فتمكن من احتمال أعباء الحرب ضد الدولتين الكبيرتين سنوات طويلة وإذا كان في النهاية قد فقد سيطرته على بعض المدن فأنه ظل قادراً على الاحتفاظ بمملكة".[14]

وللسأل أن يسأل هل معنى ذلك أن مكيافيللي يقيم حداً فاصلاً بين الأمير والرعية: لا نعتقد هذا لأن مكيافيللي يعلم جيداً أن هذا الأمير لا يمكن أن يكون دون الرعية، وإنما المسألة هي كون مكيافيللي يؤكد على ضرورة الاحتراس من الرعية والعمل على استقطاب من يكونون أشد ولاءً وهو في ذات الوقت يعلم أنهم ليسوا على ذلك الولاء.

بناءاً على هذا فأن ذات الأمير هي المنطلق والغاية في تفكير مكيافيللي وما يمكن قوله: هو أن البعد ليس بجديد ولا بغريب عن التفكير السياسي والفلسفي عبر التاريخ ذلك أننا نجد مثل هذا التصور عند الوفسطائيين عندما وجهوا المعرفة نحو الإنسان أي الإنسان الفرد: "الإنيان مقياس الأشياء جميعا"[(*)]، وعلى هذا الأساس ما يبدو لأحدنا خيراً يكون عند الأخر شراً وهكذا وانطلاقا من تصورهم هذا خاضوا معاركهم السياسية فعرفوا بالخطابة وما تتطلبه من أساليب نستطيع القول بأنها أساليب حدثنا عنها الأمير.

ولم يكن أفلاطون بعيداً عنهم وإن كان قد اختلف معهم في المنطلقات فأنه أتفق معهم في الدعوة إلى الفرد إلى الذات وذلك من خلال إقراره بضرورة الحاكم الفيلسوف فهو في تقديرنا حاكماً مطلقاً يتسم بكل الصفات التي يبحث عنها مكيافيللي إلا أنها في عمومها مكتسبة؟ عند هذا الأخير في حين هي طبيعية ثابتة عند أفلاطون كذلك فأن الخطاب السياسي عند هذا الأخير يتم عبر مراحل بمعني ينطلق من الحكم الفيلسوف ويتدرج عبر المساعدين ليصل في النهاية إلى الرعية، في حين نجد الخطاب والممارسة السياسية من خلال الأمير مباشرة أي تنطلق من الأمير إلى الرعية مباشرة.

وبغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع مكيافيللي في تأكيده على الذات فأن الدارس لأحداث الماضي لا يسعه إلا أن يؤكد ما للفرد من أهمية وهذا ما حدى بالعديد من المفكرين إلى اعتبار التاريخ من صنع أفراد حكموه وغيروا مجراه، فالأنبياء والرسل أفراد بقطع النظر عن العناية الإلهية التي ترعاهم القادة العسكريين والسياسيين أيضاً أفراد: " ولكن إذا انتقلت في الحديث إلى أولئك الذين أضحوا أمراء وبمواهبهم الشخصية وكفاءتهم لا بمن طالعهم فأن اعتبر موسي وكروش وروموولوس وثيزيوس وأمثالهم"[(15)]، هذا الكلام سليم كلنه إلى حد ذلك أنه في تقديرنا أن هؤلاء الأفراد الفرد والمجتمع إلا أن الفارق بين هذا الفرد العسكري القوى أو السياسي المنهك وباقي أفراد المجتمع هو كونه أكثر قدرة على تحليل واقعه وتفكيكه ومن ثم أكثر قدرة على تصور الحلول وتنفيذها ذلك إن الناس لا يقوون في المقدرة الجدلية على الفهم أو التحليل وإفراز الحلول".

نعود إلى الأمير أي رجل السلطة ونتسأل: هل يمكن أن يكون الأمير قوى بكل الصفات التي البسها مكيافيللي هو بصورة أكبر إيطاليا الموحدة بعد أن مزقتها الحروب والفتن خصوصاً وأنه أفرد لها باباً كاملاً وهو الباب الأخير المعنى بـ "الحض على تحريري إيطاليا من البرابرة"، قم إذا تجاوزنا عصر مكيافيللي وإيطاليا فهل يمكن لنا القول بأن الأمير قوى قد تكوت أوربا بعد الثورة الفكرية والتقنية وما رافقها من دعوة للتمركز من خلال تأصيل كل المعارف التي انتجها الفكر البشري بأنها

14- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص188.
* أمير حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة.
15- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص80.

أوربية ترجع إلى اليونان بهذا يحق لنا القول بأن مكيافيللي بصورة من الصور هو أحد دعاة المركزية الأوروبية في مقابل الشعوب الأخرى.

ثانياً- الإنسان الشرير: إذا انطلقنا من حكم مكيافيللي على الإنسان بأنه شرير فأننا نرى أن الصورة البشعة التي رسمها مكيافيللي للإنسان بمثابة الوشم الذي يستحيل إزالته، من الأسس والمنطلقات الهامة للخطاب السياسي عند مكيافيللي من خلال (الأمير).

هذا الأمر يتحتم عليه في كل الظروف والأحوال سلماً أو حرباً أن يتعامل مع رعيته من منطلق أنهم أشرار وهذا المنطلق يفرض عليه اسلوباً إن لم نقل أساليب متعددة إذا لم يلتزمها الأمير لقى حتفه وفي هذا افطار يقول مكيافيللي: "على الحاكم الذكي المتبصر أن لا يحافظ على وعوده عندما يري عن هذه المحافظة تؤذي إلى الإضرار بمصالحه وأن الأسباب التي حملته على أعطاء هذا الوعد لم تعد قائمة ولو كان الناس طيبين، فأن هذا الرآي لا يكون طيباً، ولكن بالنظر إلى أنهم سيئون وهم بدورهم لم يحافظوا على عهودهم لك فأنك لست ملزماً بالمحافظة على عهودك".[16]

وفي ترجمة ثانية نجد لفظ شرير عوض سيئ والنص كالآتي: "ينبغي على الأمير الحادق أن لا يحفظ وعده عندما يضطر هذا الحفاظ على العهد إلى التضحية بمصلحته أو عندما تتغير الأسباب التي قادته إلى قطع هذا الوعد لو كان الناس جميعهم أخياراً لكانت النصيحة غير صالحة ولكن بما انهم أشراراً ولذبك فلا يحفظون وعودهم معك أصبحت لست ملزماً على حفظ وعودك معهم".[(17)]

يتضح من خلال ما تقدم أن الوعد كأسلوب في العمل السياسي مرتبط بعاملين هي عامل المصلحة والأضرار بها وعامل الزمن أي انتقاء الأسباب التي أدت غليه ومثل هذا التصور وارد باستمرار في العمل السياسي ولكن جوهر المسألة ليس لأن طبيعة العمل السياسي تتطلب ذلك بل لأن الوعد والمصلحة وانتفاء الأسباب التي أدت إلى ذلك الوعد مرتبطين بعامل أهم وأخطر هو كون الإنسان شرير سيئ وعلى هذا الأساس يفترض في الأمير أن يستبق الحدث بمعنى أن يقيم عهوده على أساس نقدها لا الالتزام بها.

هذه الصورة الشريرة وما ينطوي تحتها من خبث ومكر ودهاء يقدم بها مكيافيللي العديد من الاستشهادات نذكر منها: الخطة الشريرة التي حبكها أوليفروتوا من أجل القضاء على خالة جيوفاني ومستشاريه، وبالتالي السيطرة على مدينة (فيرمو) كان هذا في الباب الثامن والمعني بـ(أولئك الدين يعملون إلى الأمارة عن طريق النذالة) أما الباب الثالث والعشرون (كيفية الأعراض عن المنافقين يقول: "إذ إن من شيمة الناس أن يخادعوك إلا إذا أرغموا بطريق الحاجة الماسة على أن يكونوا صادقين"[(18)]، كذلك يورد لنا في الباب الثامن عشر "كيف يتوجب على الأمير أن يحافظ على عهوده" ما يلي: "لا ريب في أن كل إنسان يدرك أن من الصفات المحمودة للأمير أن يكون صادقاً في عهوده وأن يعيش في شرف ونيل لا في سكر ودهاء"، لكن تجارب عصرنا أثبتت أن الأمراء الذين قاموا بجلائل الأعمال لم يكونوا كثيري الاهتمام بعهودهم والوفاء بها، وتمكنوا بالمكر والدهاء

16- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص148.
17- ملحم قربان، قضايا الفكر السياسي، القانون الطبيعي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982م.
18- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، الباب 23. ص186.

من الضحك على عقول الناس وإرباكها وتغلبوا أخيراً على أقرانهم من الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم".[19]

ولهذه الفقرة ترجمة أخرى نوردها لما في بعض ألفاظها من أهمية خاصة في التعبير عن الصورة الشريرة التي رسمها ميكافيللي للإنسان وهي: "كلما نعرف كم هو مشكور أن يحفظ الأمير وعوده وأن يعيش بأمانة واستقامة مع هذا كله تبيين اختبارات أيامنا الحاضرة أن الأمراء الذين قاموا بأعمال عظيمة ورائعة كان عندهم اعتبار زهيد للأمانة واحترام العهود فقد تمكنوا بالرياء والخداع من خلق التخبط في عقول البشري أولئك الذين جعلوا الإخلاص أساس معاملتهم هلكوا هلاكاً سريعاً".[20]

وتبعاً لهذه الصورة لا إنسان مكيافيللي يمكننا أن نرجح بعض المظاهر الأخرى لها والتب تعد في حد ذاتها من أساسيات التفكير السياسي عنده مثل قوله: "الحرب أمر لا يمكن تجيبه وإنما في الإمكان تأجليه"[21]، كذلك "أن من يسعى إلى تقوية غيره يحكم على نفسه بالخراب والدمار"[22]، كذلك قوله: "الحياد يعني النهاية"[23].

مثل هذه التصورات والمنطلقات إن صح التعبير هي التي على الأميران يأخذ بها وذلك لتجنب المحظور وطبقاً لها او تسمت الصورة الشريرة ذلك إن الأمير دائماً يتوقع النقيض وبالذات ذات الطابع السلبي في كل ما يقدم عليه وفي هذا الإطار تستعير موقف الدكتور (محمد الطالبي) من مقدمة ابن خلدون ذلك أنه يصفها بأنها بمثابة "علم سوابق الانهيار" كذلك تصورات مكيافيللي الشديدة الحدود التي تستهدف المستقبل هي بمثابة علم سوابق انهيار الأمير أي السلطات إن صح التعبير، تبعاً لهذا نري ما لأهمية عنصر الزمن من قيمة مكيافللي ويمكن القول بأن حسه جد مرهف اتجاه المستقبل، بل أن كل تفكيره ينصب إلى هناك، ويتضح هذا من خلال عدة استشهادات مثل قوله: "ولم يكن ما عمله الرومان في هذه الحالات إلا ما يجب أن يعمله الأمراء الحكماء الذين لا يحصرون اهتمامهم بشؤون الحاضر بل يتعدونها إلى ما يتوقعونه من خلافات في المستقبل، فيتخذون أهبتهم لمواجهتها ودرء أخطارها، إذ أن مجرد توقعها يمكن الإنسان من علاجها بسهوله، أما إذا انتصر محبيها حتي تقع فأن العلاج يصبح غير مجدي بالنظر إلى تأصل الداء".[24]

وكذلك قوله: "لا سيما وأن خطأ الناس الشائع أن لا يحبوا حساب العواطف عندما تكون الرياح رضية هينة".[25]

إلى هنا تكون الصورة المتسمة بالمكرو والخبث والمراوغة والدهاء صورة عملية دعامة في حياة الأمير وأعني به السلطان وإذا أردنا تجاوز هذه الصورة إلى جذورها إلى أصلها وجب طرح السؤال الآتي: "هل هذه الصورة متأصلة ثابت في الإنسان؟ بصورة أخرى هل الشر طبيعي في الإنسان أم مكتسب؟ يتضح من خلال الأمير والمقصود هنا الكتاب لا الشخص إن المسألة لا تعد وأن تكون مكتسبة ذلك أنه إذا اعتبرناه شريراً بالطبيعة فأن هذا يعني أن الشر غريزة فيه ومعني هذا أن الشر لا يعود إلى الإنسان في حد ذاته بل إلى القوة الكامنة وراءه وهي قوى غيبية وهذا ما لا يتضح من

19- نفس المصدر السابق، الباب 18، ص147.
20- ملحم قربان، قضايا الفكر السياسي، القانون الطبيعي المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982م.
21- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص65.
22- نفس المصدر السابق، ص70.
23- نفس المصدر السابق، ص177.
24- نفس المصدر السابق، ص65.
25- نفس المصدر السابق، ص 188-189.

خلال الأمير، إذاً مصدر الشر هو الحياة العملية ويرد مكيافيللي هذا سواء من خلال الاستشهاد بأحداث الماضي فيما يتعلق بالعمل السياسي وممارسة الأمراء وهي كثيرة ومتنوعة أو كذلك بما يعترف به مكيافيلل من حرية وإرادة للإنسان وإن كانت محدودة في مقابل إرادة الله وما يدعو إليه من ضرورة التكيف مع المعطيات والاحتياط لكل طارئ وفي هذا الإطار يقول: "لا أجهل أن كثيرين كانوا وما زالوا يعتقدون بأن الأحداث الدنيوية يسيطر عليها القضاء والقدر ويتحكم فيها الله، وأن ليس في وسع البشر عن طريق الحكمة والتبصر تغييرها أو تبديلها، وأن لا علاج لذلك مطلقاً ولذا وأن من الجهد الغير مجدي أن يعمل الإنسان شيئاً لرد ما حكم به القضاء، وأن عليه أن يدع الأمور تجري في اعنتها وفقاً لمشيئة الخط وقد كثر القائلون بهذا الرأي في أيامنا بسبب التبدلات العظيمة التي رأيناها، والتي ما زلنا نواها في كل يوم والتي تفوق كل تصور بشري وعندما أفكر في هذه التبدلات العظيمة، أميل أحياناً إلى مشاركة أولئك الناس رأيهم، ولكن مع ذلك أعتقد أن ليس في وسعنا تجاهل إرادتنا تمام التجاهل، وفي رأي أن من الحق أن يعووا الإنسان إلى القدر التحكم في نصف أعمالنا وأنه ترك النصف الأخر أو ما يقرب منه لنا لنتحكم فيه بأنفسنا".[26]

ويقول أيضاً: "وأني لا اعتقد أيضاً بسعادة ذلك الإنسان الذي تتفق طريقة إجراءاته مع مقتضيات الزمن".[27]

إذاً: التجربة: الإرادة، التكيف، هذه كلها نستنبط منها أن الطابع الشرير في الإنسان هو طابع مكتسب وليس طبيعياً ثابت فيه وحتي يكون موقفنا هذا أكثر وضوحاً ودعامة فأنه يجب طرح السؤال الآتي: إذا كان الشر متأصل ثابت غريزي في الإنسان فهل يتحول الإنسان الشر، إلى إنسان خير؟ كيف لا إنسان يحمل بين طياته كل الحسد والكراهية وكل أساليب المكر والدهاء لهذا الأمير أو ذاك ثم نجده بعد مدة من أنصار هذا الأمير أو ذاك وجندياً مخلصاً له بل تصل العملية إلى حد اعتماد الأمير على من كانوا أشد الناس عداوة له إلا بعد هذا انقلاباً طبيعياً لا يقبله العقل ذلك أنه طالما أن الشر مكتسب فأنه ينتظر التبدل والتغيير في مواقف وعلى ضؤ هذا نفهم التجربة والإرادة والتكيف في هذا المجال يرود مكيافيللي ما يدلل على هذا التحول وشخصية العدو اللدود إلى شخصية الخادم المطيع "وكثيراً مت أري الأمراء، ولا سيما الحديثون منهم، ولاءاً ونفعاً أكثر في أولئك الرجال الذين كانوا يشكون فيهم عند بداية عهدهم من أولئك الذين أولوهم الثقة، وقد حكم (باندلغوبتروش) أمير سينا، مقاطعة بواسطة أولئك الذين كان يشك فيهم لا بواسطة غيرهم... ويكفى أن نقول: أن هؤلاء كانوا يعتبرون من الأعداء في بداية حكومة جديدة... وسيجدون أنفسهم مرغمين على خدمته بإخلاص لأنهم يعرفون أنهم عن طريق أعمالهم وحدها يستطيعون أن يزيلوا ما علق بالأذهان عنهم أن الماضي من فكرة سيئة، وسيجد الأمير دائماً لديهم عوناً أكبر من الثاني يقدمه أولئك الذين يقومون على خدمته وهم مطمئنون فيهملون مصلحته".[28]

بناءاً على ما تقدم يمكن القول بأن التفكير السياسي عند مكيافيللي يمتاز ببعدين البعد الأول هو كونه لصيق بالواقع وبالذات واقع إيطاليا الممزقة وهو بهذا بعيد عن التحليق وبناء المدن والجمهوريات المثالية، والبعد الثاني هو كونه استراتيجي بمعني أنه جمع بين الحنكة وفرض الإدارة على المستقبل

26- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص109.
27- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص109.
28- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص170.

الذي يريده لا المستقبل الذي يفرض نفسه عليه وكذلك ضرورة حضور العامل العسكري، فالأمير هو بالضرورة يكون محنك سياسياً وخبيراً عسكرياً، وهناك العديد من المذاهب قامت على مثل هذا التصور، منها مذهب كلا وزواقيتشي، الذي يري بأن منطلق السياسة امتداد لمنطق الحرب ومنطق الحرب امتداد لمنطق السياسة، فحيث الدبلوماسية ينطلق الرصاص وحيث ما يتفق هذا الخير تنطلق الدبلوماسية وفي هذا الإطار يقول مكيافيلل: "نظراً لأن نيتي تتجه لكتابة اشياء مفيدة لمن سيسمعها فقد بدا لي من الملائم أكثر تتبع الحقيقة الفعلية، الواقعية لشيء بدل تخيله، لقد تخيل البعض جمهوريات وأمارات لم تشاهد إطلاقاً ولم يعرف أنها حقيقة لكن هناك بعداً شاسعاً بين ما يعيشه المرؤ وما ينبغي له أن يعيشه بحيث أن الذي سيدع ما يحدث ويهتم بما يجب أن يحدث، سيتعلم كيف يضمحل بدل أن يتعلم كيف يحفظ ذاته".[29]

ثالثاً- الرغبة في الامتلاك غريزة طبيعية في الإنسان: إذا كان العامل الأول "الاعتماد على الذات" وكذلك العامل الثاني وهو "الإنسان شرير" من الأشياء المكتسبة من التجربة والخبرة فأن كلا العاملين يرتبطان بالعامل الثالث ذلك أنه طبقاً لما ورد في الأمير يمكن طرح السؤال الآتي: الاعتماد على الذات من أجل ماذا؟ والإنسان شرير من أجل ماذا أيضاً؟

والإجابة على هذا التساؤل هي جوهر المرتكز الثالث في تفكير مكيافيللي ذلك أن إنسان مكيافيللي وأساساً الأمير تحدده رغبة قوية في التملك فمسألة التملك هذه ليست مكتسبة بل هي طبيعية ثابتة في الإنسان في ضو هذه النزعة ففهم سر الحروب والصراعات التي لم تهدأ إلى حد يومنا هذا وفي ضؤ هذا تتحدد أساليب مكيافيلل المتعددة والمتنوعة حتي يضمن الأمير ما امتلكه يقول مكيافيلل "والرغبة في الامتلاك غريزة طبيعية، وشيء مألوف وعندما ينجح القادرون على الامتلاك، فأنهم يلقون الثناء دائماً، ولا ينهال عليهم اللوم"[30]، ويقول أيضاً "وعندما يضطر الأمير إلى سلب إنسان حياته عليه أن يتوخى المبرر الصالح والسبب الواضح لذلك ولكن عليه قبل كل شيء أن يمتنع عن سلب الأخرين ممتلكاتهم إذا أن من الأسهل على الإنسان أن ينسى وفاة والده من أن ينسى ضياع أرثه وممتلكاته".[31]

إلى هنا كان الحديث عن المستوى الأول للمنهج من حيث هو الأساس لأي بناء نظري معين، ـأما المستوى الثاني حيث يقصد بالمنهج أدوات البحث كالملاحظة والتجربة فأن هذا المستوي يرافق مكيافيلل من خلال الأمير من أول صفحاته إلى أخرها، فهو فعلاً استقراء لأحداث الماضي وفي هذا يقدم لنا العديد من الأحداث مند بداية التاريخ سواء التي حدتث في الشرق أم في الغرب.

بناء على هذا يمكن القول على جهود ميكافيلل المتمثلة في استقراء أحداث الماضي والاستفادة من التجربة الشخصية منصبه أساساً لدراية ظاهرة تاريخية وسياسية وهي: كيفية إقامة الإمارة والحفاظ عليها وللبرهنة على هذه الظاهرة كان منهج مكيافيلل منهجاً تاريخياً وتقوم فروض المنهج التاريخي ومبادئه على أساس ملاحظة تطور المجتمعات البشرية ورصد حركتها واستخلاص قوانين تلك الحركة من إيقاعها المضطرد ثم يعود ويستعمل تلك القوانين في تعيين المستقبل الذي يتجه إليه التطور الاجتماعي.

29- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص135.
30- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص68.
31- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص145.

ويحدرنا الدكتور (نديم البيطار) من الاقتصاد على عملية تجميع الوقائع والأحداث فيقول: "الوقائع والأحداث لا تقول لنا في ذاتها ما هي الأحداث والوقائع المهمة، ماهي العلاقة بينها ما هو النظام الذي ينظمها، يضفى عليها من زاوية معينة المعنى ويجعلها مفهومة لنا، ولهذا يفرض المنهج العلمي الصحيح الانتقال من تجميع الوقائع والأحداث إلى القوانين والعامة أو الانتظامية التي تكشف عنها"[32]، وقد توصل الدكتور (نديم البيظار) من خلال دراسته لظاهرة تاريخية وسياسية هي ظاهرة التجارب الوحدوية إلى عدة قوانين ويهمنا منها ما سماها بالقوانين الأساسية وهي كالآتي:

أولاً- وجود إقليم قاعدة يربط ويتمحور حولها العمل الوحدوي في الأقطار أو الكيانات المدعوة إلى الاتحاد.

ثانياً- وجود قيادة مشخصة تستقطب مشاعر الجماهير وتكسب حماسها وولاءها عبر الحدود الإقليمية.

ثالثاً- وجود مخاطر خارجية تولد الضغوط والتحديات التي تدفع إلى الاتحاد.[33]

ودراسة ظاهرة إقامة الإمارة والحفاظ عليها من خلال الأمير تكشف لنا عنه مثل هذه القوانين التي استنبطها البيطار من خلال دراسته للظاهرة الوحدوية ولهذا نستعين لهذا المنهج حتي نتجاوز مجرد تجميع الوقائع العديدة والمتنوعة التي قدمها لنا مكيافيلل "فإذا ما انطلقنا من القانون الأول ألا وهو ضرورة وجود إقليم قاعدة فأن هذا يعني ضرورة وجود إمارات تتوفر فيها العديد من الخاصيات الجغرافية والسياسية والبشرية وعلى هذا الأساس تكون نواة الانطلاق خصوصاً وأن مكيافيللي يعتبر قضية توحيد إيطاليا أحد مشاغله الهامة ولهذا نجده يفرد باباً كاملاً لهذه المسألة وهو الباب الأخير: "الحضى مع تحرير إيطاليا من البرابرة"[34]، والإقليم الذي سوف تنطلق منه شرارة التوحيد هي فلورنا بعد أن استرجعها أسرة آل ميدتشي سنة 1512م، وما تتمتع به هذه الأسرة وأميرها من حضور وهيبة، أما فيما يتعلق بالقانون الثاني: المتمثل في ضرورة وجود القيادة المشخصة فإنه لم توجد في التاريخ إمارة بدون أمير إلا أن أمير مكيافيللي ليس كبقية أو كجل الأمراء فهو بالضرورة أميراً حكيماً ذا شدة وبأس له السلطة المطلقة والنهائية فعلية حسب مكيافيللي: "ألا يصح لأفكاره بأن تذهب بعيداً عن مراسم الحرب، وعليه في أيام السلم أن يكون أكثر اهتمام بها في أيان الحرب، وهذا ما يستطيعه بواسطة أحد السياسيين هما العمل والدراسة فمن ناحية العمل يتوجب عليه بالإضافة إلى الإبقاء على جنوده في حالة من التدريب والنظام، أن يشغل وقته باستمرار في الصيد وأن يعود جسمه على المشاق وأن يدرس في غضون ذلك طبيعة البلاد"[35]، ومن الأمثلة الفعلية للقيادة المشخصة نذكر (فيليب مقدوني): "لم يكن يملك دولية كبيرة تقارن بعظمة روما واليونان اللتين هاجمتاه ولكنه كان رجلاً عسكرياً كان يدرك الطريقة المثلى في تحبيب نفسه إلى الشعب والاطمئنان إلى الكبراء، فتمكن احتمال أعباء الحرب ضد الدولتين الكبيرتين سنوات طويلة وإذا كان في النهاية قد فقد سيطرته على بعض المدن فأنه ظل قادراً على الاحتفاظ بمملكته"[36]، كذلك يذكر ميكافيلل أهمية دور كل من (موسى، وروموولوسي وكروش، وثيزيوس) كقيادات فاعلية، الشيء الذي أدي

32- نديم البيطار، من التجزئة إلى الوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص8.
33- نديم البيطار، من التجزئة إلى الوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص8.
34- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت: د: فاروق سعد، ص196.
35- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص132.
36- نفس المصدر السابق، ص188.

إلى انقاد شعوبهم وتحريرها، أما فيما يتعلق بشأن القانون الثالث والذي يتمحور حول الخطر الخارجي فأن التاريخ وإلى حدود بروز ما نسميه اليوم بالدولة القومية فأن الدولة أو الإمارات لم تكن لها الحدود الواضحة والنهائية بل كانت تتسع أحياناً لتتقلص أحياناً أخري وكان لمنطلق السلاح والقوة العامل الرئيسي في هذه الصورة فأنه دائماً يتوقع وجود المخاطر وبالتالي الاستعداد لها.

إذا ما انطلقنا من إيطاليا باعتبارها بلد مكيافيلل فأن هذا البلد ينعن بالاستقرار والوحدة وحالته ممزقة كانت تؤلمه نجده يقول: "نحدق البلد بلاد حياة تقريباً تتطلع إلى ذلك الإنسان الذي يمكن له أن يداوي جرحها وأن يضع نهاية لدمار لو مبارديا ونهبها، والجشع والاغتصاب البارزين في مملكة نابولي وفي تسكانيا"[37]، وبصفة عامة كانت إيطاليا عرضة للأخطار الخارجية بين الحين ولأخر سواء من فرنسا أو من اسبانيا، فالأولي مساعدة البابا الكسندر عسكرياً للاعتداء على إمارة رومانا وأسبانيا احتلت بعض المدن الإيطالية وحاصرت غايتيا على سبيل الذكر.

بناءً على ما تقدم تكون القوانين الثلاثة السالفة الذكر قوانين محددة في إقامة الإمارات والحفاظ عليها والإضافة إليها فهناك قانون أخر يفرض ذاته عبر التاريخ في كل التحركات السياسية والعسكرية هذا القانون هو "ما أصطلح على تسميته بالانتقاء الجهوي" وهذا القانون يفترض النقاء أكثر من طرف لجل تحقيق غاية معينة وهذه الغاية بالنسبة للملتفين حولها تعتبر تقدمية كذلك أن هذا الالتقاء ينحل بمجرد انتهاء المهمة، كما يمكن أن تكون أطراف الالتقاء مختلفة ومتناقضة المصالح لذا فأن الالتقاء لا يمنع تواصل الصراع بينها ولو خفية والطرف الواعي بهذه المسألة والأقوى في نفس الوقت يمكنه من سحب البساط من تحت أقدام الطرف والأطراق الملتقية معه"[38]، ومثل هذا القانون هو حقيقية نتشفه من خلال كتاب الأمير وأن من الأكيد أن مكيافيللي كان واعياً به مدركاً لخطورته يقول: "عندما يطلب إنسان إلى جاره الثوى، أن يأتي لمساعدته والدفاع عنه بقوته العسكرية فأن هذه القوات تسمي (إضافية) وها هي تشبه في عدم جدواها قوات المرتزقة وقد قام البابا يوليوس بمثل هذا العمل في الآونة الأخيرة عندما رأي الفشل الدريع منبه به قواته المرتزقة في مشروعه لاحتلال فيزرا فلجأ إلى القوات الإضافية وأعد ترتيباً مع فرناند وملك إسبانيا لمساعدته بجيوشه وقد تكون هذه الجيوش جيده في حد ذاتها ولكنها دائماً شديدة الخطورة على من يستعين بها لأنها إذا خسرت فأنت المهزوم وغذا انتصرت فقد غدوت أسيرها.[39]

ويقول أيضاً: "ويجب أن أبين هنا أنه على الأمير أن يتجنب الارتباط في قضية مشتركة مع أمير أخر أقوى منه، لألحاق الضرر بأمير ثالث، إلا إذا أجبرته الظروف على ذلك... إذ أن انتصاره يعني وقوعك تحت رحمته وعلى الأمراء أن يتجنبوا بقدر لها تتهم الوقوع تحت رحمة غيرهم وإرادتهم وأهوائهم، فمن طبيعة الأمور مثلا ألا يحاول إنسان تجنب أحد المصاعب إلا ويقع في صعوبة ثانية، ولكن الفطانة تحتم عليك أن تستطيع تمييز طبيعة الصعاب وأن تقحم نفسك في أقلها ضرراً أو أداء".[40]

بناء على ما تقدم فأن منهجية العمل واستعمال المنهج التاريخي وقوانينه هو محاول نسعى من خلالها إلى الدخول في حوار مع مكيافيللي وبالأخرى تطبيق النص أما ما قلعه مكيافيلل من خلال الأمير فلا

37 نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص197,
38- عصمت سيف الدولة، نظرية الثورة العربية، دار الفكر بيروت، ط2، 1971م، ص598.
39- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص125.
40- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ت.د، فاروق سعد، ص178.

يعد وأن يكون مجرد أحداث وظواهر استحضرها من التاريخ حتي يبرز وجهة نظره حول نشؤ الإمارة، والمحافظة عليها وعليه نقول بأن الاعتماد على التاريخ أمرا هام إلا أنه ليس محددا في فهم الظاهرة المتناولة بالدروس نهائيا وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

1- أن المعرفة بالتاريخ قد لا تكون صحيحة وكاملة إذا أن التاريخ لم يكتب إلا في مرحلة متأخرة وعلى هذا الأساس نلاحظ أنه تضاف إليه الأحداث التي كانت مجهولة وتصحح حوادث لم تكن معروفة على وجهها الصحيح وعليه فإنه لا يصح أن يكون الاحتجاج بالتاريخ على إطلاقة إذ أن المعرفة بالتاريخ لم تكن يوما كاملة أو حتي مكتملة الصح.

2- إن كتابة التاريخ خضعت لمعايير ذاتية في كتابته وعلى هذا الأساس فلقد خضع التاريخ لعملية انتقائية ولن يكون صعبا على أي كاتب أن ينتقي من التاريخ ما يدعن رأيه ويثنيه مستندا على حوادث التاريخ وهذا واضح مع مكيافيللي وذلك من خلال قوله: "وسأسرد هنا مثلين على هاتين الطريقين في الوصول إلى مرتبة الإمارة وأعني بهما الكفاءة وحت الطالع مما تحضرني الذاكرة"[41]، ألا بعني هذا عدم إلمام بالتاريخ من ناحية وانتقاء ما يتلائم مع تصوراته من ناحية اخري إضافة إلى هذا نجده بتعمد عدم ذكر أحد الأمراء في عصره بتظاهر بالدعوة للسلام، وهو في حقيقته عدواً له وذلك من خلال قوله: "وهناك أمير معين يعيش في عصرنا يحسن بنا أن نغفل ذكر أسمه جعل همه الدعوة إلى السلام والوفاء للمواثيق بينما هو في الحقيقة عدواً لدوداً لهما ولو قدر له أن يرعى أحدهما لأضاع دولته وسمعت في كثير من المناسبات التي تعرض لها".[42]

3- إن التاريخ باعتباره مجموعة من الحوادث والحداق الماضية ولنفترض أنها معروفة وأن معرفتها صحيحة وأننا نريد أن نفهمها لنكشف منطقها أن هذا سيتوقف على منطق كل واحد منا في فهم حوادث التاريخ وأحداثه ذلك أن دلالة الحوادث تختلف عند ابن خلدون منها عند مكيافيللي منها عند فيكوا أن هذا في تقديرنا يعني الكثير وهو كون مكيافيللي ليس أميناً مع أحداث التاريخ وحقائقه وبالتالي فهو يمارس ممارسة الأمير المتسمة بالخبث والرياء والخداع مع التاريخ وأحداثه.

الفصل الثاني: علاقة الدولة بالدين والأخلاق

الدولة؟ "الدولة في اللغة: الاستيلاء والغلبة، والشيء المتداول فيكون مره لهذا ومره لذاك، دالت الأيام دارت، والله يداولها بين الناس مستقرون في ارض معينة وفق نظام خاص، او هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له: فالدولة إذا هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموع من الأفراد يؤلفون أمه والفرق بين الدولة والأمة أن الدولة هي الأمة المتضمنة على حين أن الأمة جماعة من الناس تجمعهم صفات واحدة ومصالح وآمال وأهداف مشتركة".[43]

41- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص86.
42- نفس المصدر السابق، ص151.
43- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العامة للكتاب، دار الكتاب اللبناني.

الدين: "الدين في اللغة العادة، والحال والسيرة، والسياسة، والرأي، والحكم، والطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾، وكما تدين تدان، ويطلق لفظ الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع الهي سوق ذوي العقول إلى الخير".[44]

الأخلاق: "في اللغة جمع خلق وهي العادة، والسجية، والطبع، والمرؤة، والخلاق عند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف... وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أن مدمومة، فتقول فلان كريم الخلاق، أو سيء الأخلاق، ويسمى علم الأخلاق بعلم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق أو الحكمة العلمية أو الحكمة الخلقية".[45]

عند دراستنا للأمير نلاحظ أن مكيافيللي يضع الدولة في جانب والديت والأخلاق في جانب أخر، فهل يعني وجود أحدهما ينفي ضرورة وجود الأخر بعني لا يجتمعان معا أو يعني أمراً ثالثاً يتطلب تحديداً دقيقاً لحقيقة الدين والأخلاق ومثل ما نقول علاقة الدولة بالدين والأخلاق كذلك نقول علاقة السياسة بالدين والخلاق، وحتي يكون التحليل أكثر دقة فأن الدولة السياسية هي التي يراها مكيافيللي أما الدين فهو الدين المسيحى والأخلاق هي الأخلاق المسيحية، باعتباره يعيش في بيئة مسيحية، ثم هل الموقف الذي يتجه إليه مكيافيللي حول هذه العلاقة هو موقف من الدين باعتباره وضع الهي أو هو موقف من المؤسسة الدينية آنذاك وهي الكنية.

في هذا الإطار تناول العديد من المفكرين والدارسين لهذه المسألة في تفكير مكيافيلل، نجد كل من (الدكتور بطرس بطرس غالي، والدكتور محمود خيري غيسى) يؤكدان على منطق أبعاد السياسة عن الدين ومنطق عدم التقيد بالقيم الخلقية ومنطق فصل السياسة عن الدين والأخلاق، وفي هذا الإطار يقولان: "وتبرز معتقداته الخاصة التي أشتهر بها من نحو تجاهله للقراء... الأخلاقية وفصلها فصلاً تاماً عن الدراسات السياسية واعتقاده أن الحكومات تقوم على القوة والخديعة"[46]، كذلك يقولان: "لم يكتب مكيافيللي إلا عن الوسائل التي تحقق قوة الدولة وتمكنها من توسيع نفوذها في الخارج وعلى الاخطاء التي تؤذي إلى ضمحلالها وانهيارها ولذلك انحصرت أكثر كتاباته في النواحي السياسية والحربية وغيرها وقد أبعدها بعداً تاماً عن جميع الاعتبارات الدينية والخلقية والاجتماعية إلا ما كان منها ذو علاقة بالحالة السياسية"[47]، كذلك يقولان: "وكثيراً ما نراه يمتدح الحكام الذين لا يتقيدون بالقيم الخلقية في سبيل توطيد مراكزهم وتحقيق قوة دولتهم"[48]، بناءاً على هذا فأن ما أبرزه هو التالي: التجاهل، الفصل التام، الابعاد التام، ألا تقيد، وسوف نتناول هذا التصور بالدراسة والتحليل بعد أن نطلع على بعض الآراء والتصورات لمفكرين أخرين تصب في نفس الاتجاه ومن بين هؤلاء نذكر (جون جاك شوفاليه)، يقول: "إذا كان السكرتير الفلورنسي قد طبع علامة عميقة ودائمة على علم وفن السلطة، فلأنه أعلن بقوة هائلة الفصل الجدري بين السياسة والخلاق الشائعة واستقلال السياسة وأولويتها"[49]، ويقول أيضاً: "أن الأمر يتعلق بلا جدال وكما

44- نفس المصدر السابق.
45نفس المصدر السابق.
46- بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، مدخل في علم السياسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1987م، ص95.
47- نفس المصدر السابق، ص96.
48- نفس المصدر السابق، ص96.
49- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص236.

نري بإقرار أولوية السياسة، كبديل لأولوية الأخلاق التقليدية"[50]، يتضح من هذا أن تصور شوقاليه قائم على الفصل الجدري والاستقلال وأولوية العمل السياسي كذلك نجد الدكتور (علي عبدالمعطي محمد) يتبني نفس المواقف السابقة تقريباً حيث يقول: "من أهم نتائج حركة النهضة، الهجوم على الدين والأخلاق وفصلهما عن مجال السياسة والفكر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وتبدي هذا بوجه خاص عند مكيافيلل وبوذان"[51]، كذلك يقول: "لقد شعر مكيافيلل بأن فساد السياسة وتدهور العمل السياسي انما يرجعان بالدرجة الأولي إلى تدخل الأخلاق ومعاييرها المفروضة وإلى الضغط المستمر الذي تمارسه الكنيسة ورجال الدين على مجريات الأمور السياسية لذا نجده يقضى الأخلاق والدين من دائرة السياسة"[52]، يتضح مما سبق ذكره بأن هؤلاء يؤكدون على منطق الفصل الجدري والاستقلال والأولوية في فصل السياسة عن الدين والأخلاق إلا أنه يمكن القول وهذا ما يؤكد عليه بعضهم في مناسبات أخرى هو أن الفصل والاستقلال والأولوية ليست مطلقة ونهائية بحيث انتماء أحدهم حتي يكون الأخر ليست بهذه الصورة الإطلاقية، لأن منطق الفصل وإن كان جذرياً هو منطق يؤذي بنا حتماً إلى إقرار وجود الطرف الأخر لا إعدامه من الوجود وكذلك منطق الاستقلال هو بدوره يؤكد على منطق الإقرار وجود الطرف الأخر لا اعدامه من الوجد وكذلك منطق الاستقلال هو بدوره يؤكد على منطق الاقرار وإقرار وجود هذا وداك في إطار الاستقلال نفس الشيء بالنسبة لمنطق الأولوية إذا كان اسندنا الأولوية لهذا الأمر فإنه يعني وجود دور ثانوي لأمر أخر وهكذا، معني هذا أن مكيافيللي لا ينكر الأخلاق ولا اليدين وهذا يتضح من خلال رأي بعض مما ذكرناهم سابقاً حيث نجد (الدكتور بطرس بطرس غالي، ومحمود خيري عيسى) يقولان: "على أنه في الواقع لم يكن في ذاته عديم الأخلاق"[53]، كذلك يقولان: "لذلك فأنه يبدي أعظم إعجاب بالفضائل الخلقية التي كان يتحلى بهها الرومان قديماً والسويسريون حديثاً". [54]

أيضاً يقولان: "كان مكيافيللي يعتقد أن نظام الحكم الديمقراطي هو أحسن أنظمة الحكم لكنه لا يصلح إلا للشعوب المستنيرة المتمسكة بالأخلاق الفاضلة، أما الشعوب التي لا تتقيد بالأخلاق والدين مثل الشعب الإيطالي (في وقته طبعاً) فلا يصلح لها إلا الحكم الاستبدادي الذي يحقق الخلاق الفاضلة لأفراد الشعب عن طرق القوة الغاشمة"[55].

بناءً على ما تقدم فأن الخط العام الذي فهم به النقاد والدارسين بمكيافيللي يؤكدون كما سبق وأن دكرنا على منطق الفصل، الابعاد، الاستقلال، الأولوية وتبعاً لهذا فإن هذا المنطق يؤكد في نفس الوقت وجود الطرف الأخر بصورة أخري، فصل، إبعاد، استقلال، أولوية الدولة في مقابل الطرف الأخر والذي هو الدين والأخلاق، لكن المسألة في اعتقادنا تتوقف عند حدود إقرار الطرف الأخر، بمعني ليس إقرار الأخلاق والدين بصورة مطلقة وإنما إقرارها من خلال وجهة نظر مكيافيلل نفسها، على هذا الأساس يمكن القول بأن مكيافيللي لم يكن بصد وفصل أو استقلال أو أبعاد الدين والأخلاق بقدر ما كان بصدد تحطيم أخلاق كائنة ووجهة نظر دينية ممثلة في الكنيسة، وانطلاقاً من هذا لم تعد في اعتقادنا المسألة مرتبطة بأيمان الرجل أو الحادة بأخلاقيته أو عدمها ذلك إن إيمانه بالله كقوة غيبية تسير الكون قائم فعلاً، ويتضح هذا من خلال إيمانه بحالة موسى: "وعلى الرغم من

50- نفس المصدر السابق، ص246.
51- علي عبد العطي محمد، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988م، ص201.
52- نفس المصدر السابق، ص221.
53- بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، مدخل في علم السياسة، ص96.
54- نفس المصدر السابق، ص98.
55 نفس المصدر السابق، ص98.

وجوب تجنب الحديث عن موسى بالنظر إلى أنه كان مجرد منفذا لأوامر الله إلا أنه يستحق التقدير والإعجاب بالنسبة إلى قداسته التي جعلته أهلا للحديث مع الله"[56]، كذلك نذكر تأكيده على عنصر التدين كأحد أهم الصفات التي من الواجب أن يحتلي بها الأمير بالإضافة إلى العنصر الأخلاقي: "وعليه أن يجعل الناس يرون فيه ويسمعون منه الرحمة مجيدة والوفاء للعهود والنبل الإنسانية والتدين ولعل هذه الصفة الأخيرة هي أكثرها لزوماً وضرورة"[57]، بناء على هذا لم تعد المسألة غيمان أو الحاد وأخلاق أو لا أخلاق بقدر ما هي فهم معين للدين والأخلاق فهم مكيافيللي من جانب والكنيسة من جانب أخر، فهم الكنيسة يتجه دائماً لمصلحتها وبالذات مصلحة القاوسة ومن يدور في بلاطهم، أما فهم مكيافيللي فهو يتجه إلى مجد روما إلى قوتها إلى وحدتها إلى اللحاق بفرنسا وسويسرا وألمانيا وأسبانيا، كان هذا هو الهاجس الذي يحدد نمط تفكير مكيافيللي.

كانت الكنيسة تسيطر مجمل نواحي الحياة كانت تفرض نمط حياة فرضاً باسم الله، وبالتالي فهي تحتكر السلطتين الزمنية والدينية، ومكيافيللي تمرد على هذا النمط من الحياة وعلى هذا الفهم للدين يقول (جوم جاك شوقالية): "ولهذا يدين مكيافيللي جبين أولئك الذين غسروا ديننا بالتكامل وليس بالفضيلة"[58]، ويقول مكيافيلل: "لو أن هؤلاء المفسرين مفسدين اعتبروا بأن الدين المسيحي يسمح بتمجيد الوطن والدفاع عنه لكانوا فهموا بأن حب الوطن وتجسيده وجعلنا قادرين على النضال من أجل الدفاع عنه هو واجب ديني". [59]

وباعتبار أن مكيافيللي ينطلق من واقع إيطاليا، إيطاليا المجردة إلى ضمن دويلات متناحرة فيما بينها، عرضة للأطماع الخارجية، وهذا الواقع الممزق يرجعه مكيافيللي للكنيسة ويحملها المسئولية الأولي والأخيرة لما عم فيه ويهاجمها قائلا: "نحن الإيطاليين ندين الكنيسة ورما وقيسها بما وصلنا إليه من عدم تدين وفساد خلق بل بحن ندين لهم أعظم هو ذلك الدين الذي سيؤذي بنا إلى الانهيار ذلك أن الكنيسة هي التي عملت وما زالت تعمل على تقسيم وطننا، الدولة لا يمكن أن تتحد ولا أن تستعيد إلا إذا أدنت إدعانا تاما لحكومة واحدة وتستوى أن تكون هذه الحكومة مملكة جمهورية، كما هو الحال في فرنسا وأسبانيا ولكن إيطاليا لم تساير واحدة منهن ولم تخضع لحكم ملكي أو جمهوري، وذلك كله بسبب وجود الكنيسة، إذ لم تكن لديها قدرة على فرض سيادتها على جميع أنحاء إيطاليا، ولم تسمح لغيرها أن يقوم بهذه المهمة، وإذا فهي المسئولة عن عدم تحقيق وحدة إيطاليا تحت زعامة واحدة بل جعلتها خاضعة لعدد من الأمراء والنبلاء وحين تعرضت للانقسام ضعفت ضعفاً جعلها فريسة سهلة المنال لا للبرابرة فحسب بل لأي شخص يرغب في النيل منها"[60].

وانطلاقاً من هذا مثلت الكنيسة قوة جذب إلى الخلف ومن يسعى إلى البناء والتقدم عليه تجاوز الكنيسة هذا التجاوز في اعتقادنا يتمثل في تحطيم الكنيسة وبناء أخري في نفس الوقت هذه التي يريدها مكيافيللي يجب أن تكون نابعة من جوهر الدين المسيحي هذا من جانب ومن جانب أخر يجب أن تكون نابعة ومعبرة عن مصالح الدولة: "أن الدين كخادم للسياسة يعتبر شرطة فريدة من نوعها في الدولة"[61]، فمكيافيللي يفكر من خارج دائرة الكنيسة مما حدى بالعديد من المفكرين إلى اعتبار مكيافيللي رجل دولة، والدولة عنده هي الحقيقة الوحيدة التي ترتبط بواقع واحد هو واقع السلطة

56- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص80.
57- نفس المصدر السابق، ص150.
58- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص242
59- نيقولو مكيافيللي، المطارحات، تعقيب: خيري حماد، منشزرات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1982م، ص63.
60جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص94-95.
61- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص241.

وبالتالي فإن المهمات التي تنتظر الأمير هي دعم وتطوير الدولة إلى أقصى حد ممكن، يقول شوقالييه: "الدولة موجودة ومن الضروري المحافظة عليها وتقويتها وإصلاحها عند الاقتضاء من أجل المحافظة عليها، أن هناك غاية هي ازدهارها وعظمتها وهي غاية تتجاوز الخير والشر"[62]، بناء على هذا فأن كل شيء يتحدد طبقاً لمصلحة الدولة السلطة، بالتالي يجب استخدام كل الوسائل الممكنة من أجل دعم الدولة وفرض سلطانها على هذا الأساس يتحدد الدين وتتحدد الأخلاق، فالدين هو الذي تتبناه الدولة ويتجه إلى دعم سلطانها والأخلاق يكفيها مكيافيللي حسب ظروف الدولة واحتياجاتها فنجدها تارة قاسية وطوراً لينة: "أن الدين كخادم للسياسة تعتبر شرطة فريدة من نوعها في الدولة، أنه غداة تأديبية عجيبة لا يمكن للرأي العام أن يستغنى عنها"[63].

أما فيما يختص بالأخلاق فإن مكيافيلل يحدثنا عن أخلاق الأمير هذا الذي عليه أن يتعامل مع الناس على أساس أنهم أشرار أنانيين يؤثرون مصلحتهم دائما لذلك ينصحه مكيافيلل أن يكيف تصرفاته أيضا وفق مصلحته ومصلحة الدولة في نهاية الأمر وفي كل هذا فأن ما يستعمله من وسائل متنوعة متعددة لا ينظر إليها إلا من زاوية دعمها لسلطته ودولته ومن هنا كان: "مبدأ الغاية تبرر الوسيلة" فأمير مكيافيلل يجب أن يتحلى بالأخلاق الحسنة البينة المتسامحة كما يجب أن يتحلى في الوقت نفسه بالشدة والقوة والعنف فكلاهما خطان متوازيان يتطلب استعمالها كلما دعت الحاجة إلى ذلك: "أنه لأمر مستحب بالنسبة للأمير أن يكون طيبا وكريما ومتسامحا ومخلصا، ولكن العالم كما هو والوضع كما هو والوضع البشري كما هو لا يسمحان بهذا الترف من الصفات الجميلة إلا أن تظاهر الأمير بأنه يمتلك هذه الصفات جيد بل أنه ضروري إزاء الرأي العام في بلاده... إن من المفيد دائما أن يظهر الأمير بمظهر المتحلي بذه الصفات الجميلة التي ذكرناها ، إلا أنه امتلاكه حقيقة لها يمكن أي يؤذي إلى هلاكه، وهكذا فإن من الحسن أن يكون الأمير مشهوراً بالتسامح وأن من الحلاوة أن يقدر على أن يكون كذلك بالفعل لكن القساوة المطبقة بشكل جيد هي التي تحفظ سلطة الأمير وتحفظ معها الدولة، إن الاضطرابات التي لا عقاب بها تجرح المجتمع بأسره في حين أن الشدة التي بها الأمير لا تمس إلا الأفراد".[64]

ويضع مكيافيللي حالة الكسندر الذي أشتهر بالطيب والأخلاق العلية ونتيجة لهذا فقد سلطته وتم اغتياله: "فقد كان في منتهى الطيبة ومما يروى عن فضائله الكثيرة التي كانت موضع الإطراء ما قيق أنه في فترة الأربعة عشر عاما من حكمه لم يقضى على أي إنسان بالموت إلا بعد محاكمة عادلة ومع ذلك فقد اعتبر مخنثا لأنه سمع لأمه بالتحكم فيه وهكذا هبط إلى مستوى الزرابة والاحتقار فتأمروا عليه الجيش وقتله"[65]، وما يريد إبرازه مكيافيلل من خلال هذا المثال وغيره هو كون الكراهية مثلما تنجم عن الأعمال الوحشية الفضة فأنها كذلك تنحكم من الأعمال الطيبة والمطلوب إذا هو أنه على الأمير أن يكيف وضعه فلا إفراط ولا تفريط "ولذا فأن من واجبه أن يجعل عقلة مستعدا للتكيف مع الرياح ووفقا لما تمليه اختلافات الجدود وأن لا يتنكر لما هو خير كما قلت إذا أمكنه ذلك شريطة أن ينزل الإساءة والشر إذا ما أضطر إلى ذلك وضويق"[66]، على هذا الأساس يمكن القول بأن الخير والشر واحدة وقد يكون الشر عاملا حاسما في بناء الدولة في حين

62- نفس المصدر السابق، ص239.
63- نفس المصدر السابق، ص241.
64- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص240.
65- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص159.
66- نفس المصدر السابق، ص150.

يكون الخير عاملا مهما في سقوطها لذا وجب التكيف والاحتياط لكل طارئ: "أنني اعتقد تماما أن كل أنسان سوق يوفقني على أنه من خير الأمير أن يستغل الصفات ما يشاء في سبيل رفعته ما غير ناظرا إلى قيمة أخلاقية أو دينية، فهناك من الفضائل ما قد تئدي إلى ازدهاره ورفعته"[67]، انطلاقا من هذا حدد مكيافيلل موقفه من الدولة ونادى بأن المسألة الجوهرية تكمن في قوتها وهيبتها ولا يهم الوسائل التي تتبعها وكان مبداه دائع الصيت الغاية تبرر الوسيلة وعلى هذا الأساس وجهت اصابع الاتهام إلى مكيافيللي وكان أن أصيحت المكيافللية تهمة يخشاها المواطن العادي وكذلك رجل السلطة فنحن نعيش في عصر يدعى كل حكام العالم ودساتيرهم ديمقراطيين حتي أولئك الذين يذبحون الأطفال ويأكلون لحومهم.

والواقع إذن هذه التهمة الموجة إلى مكيافيلل ليس لها أساس من الموضوعية وذلك لاعتبارين اثنين: الأول هو كون المكيافللية أقدم من مكيافيللي نفسه وإلا بماذا نفسر الحروب الطاحنة التي عرفتها البشرية، وبماذا نفسر القلاع والحصون وكذلك السجون أليست الحيلة والمكر هي التي أدت بمعاوية إلى الوصول إلى السلطة على حساب تواجد دولة العصابات الصهيونية في عصرنا على هذا الأساس نقول بأن مثل هذه التصرفات التي يقال عنها أنها لا أخلاقية هي في الواقع جوهر الممارسة السياسية، فكل دول العالم تتحرك من واقع مصلحتها وهي تدخر جهدا من أجل الدفع بمصالحها إلى الأمام ثم ما هو مبرر وجود أجهزة رهيبة ترعب الشعوب والدول هي ما نسميها بأجهزة المخابرات هذه الأجهزة التي تعمل من وراء الستار متجاوزة القوانين والأخلاق والدين والعادات والتقاليد، أما الاعتبار الثاني فإذا كان العديد من المفكرين يصفون مكيافيللي بالانتهازي وبالتالي بألا أخلافي بماذا يصفون إذا الواقع الذي كانت تعيس فيه إيطاليا؟ أليس القتل التشريد السجن صكوك الغفران ومحاكم التفتيش هو العملة السائدة، فإذا كانت تصورات مكيافيللي أن صح التعبير قيمة فأن الواقع الذي تعيشه إيطاليا: "وحلت محلها سياسة تعتمد على القوة ولا تتورع عن القتل في سبيل تحقيق أطماعها لهذا يمكن أن يقال أن مكيافيللي يصور بنا حقبة هامة في تطور المجتمع الإنساني كما برزت في الحياة الإيطالية أثناء القرن السادس عشر"[68]، صحيح إن المكيافللية مؤدية ولكن الواقع الذي أنتجها وترعرعت بين أحضانه أكثر إيذاء منها: "الكيافيللية تعتبر مؤدية وهي كذلك لكنها ايضاً تقيم حسابا لا أعمال الغدر التي تحفي نفسها"[69]، بناء على ما سبق ذكره يمكن القول بأنه إذا كان الواقع الذي عاشه مكيافيللي جد سيئ وإذا كانت الميكافللية باعتبارها مكراً وخبثاً ورياء ولا أخلاق أقدم من مكيافللي نفسه وإذا كان مكيافللي صور هذا الواقع اصدق تصوير: "قد رسم مكيافيللي أوضح صورة لا لأخلاقه الغاية السياسية في عصره وقدم نفس الوقت تبريراً هادئاً لأسواء الوسائل التي تستعمل فيها"[70]، إذا يحق لنا أن نتسأل ما الجديد مع مكيافيللي؟

في هذا الإطار يمكننا أن نسجل حقيقتين أثنين أحداهما متعلق بمكيافيللي كشخص والثانية تتعلق بالسياسة كموضوع، أما فيما يتعلق بالحقيقة الأولي: فأنها تتمثل في الجراءة والشجاعة والوضوح التي أقسم بهن مكيافيللي عند معالجته للموضوع، أما الحقيقة الثانية فأنها تتعلق بتدشينه لقيام السياسة كعلم قائم بذاته مستغلاً كافة الامكانيات التي ينتجها الإنسان والواقع وفي هذا المجال يري مكيافيلل بأن هذه الامكانيات لا تتحدد من تلقاء نفسها أو من الشرعية التاريخية التي امتلكها بل يحددها الواقع

67- علي عبدالمعطي محمد، الفكر السياسي الغربي، ص226.
68- بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، مدخل في علم السياسة، ص95.
69- أرنست بلوخ، فلسفة عصر النهضة، ترجمة: لياس مرقص، ص128.
70- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص246.

السياسي: الدولة كحقيقة واحدة والسلطة كواقع واحد هذا ما يحددها ولا شيئا سواه، بهذا المستوى مع مكيافيللي صرنا نتحدث عن علم السياسة بصفة علم الدولة وعلم السلطة- علم الدولة من حيث أنه يتناول المؤسسات والهياكل التي تتشكل منها الدولة بالدراسة والتحليل هذه الدولة المؤسسة تختزل عند مكيافيللي في فرد واحد بجمع بين المكر والدكاء والدهاء والخديعة: "الدولة الأميرية غالباً ما تري مصيرها متعلقاً بذكاء وفضيلة فرد واحد"[71].

أما بوصفه علم السلطة فأنه بعد أن كانت المؤسسة محل الدراسة والتحليل والاحترام كمعيار لعلم السياسة انتقل هذا التركيز إلى السلطة ذاتها: "وبذلك تكون بؤرة احترام عالم السياسة هس الصراع للحصول على السلطة أو الاحتفاظ بها لمماريتها على الأخرين أو بمقاومة هذه الممارسة"[72].

وفي هذا الإطار يجدر بنا أن نقول بأن السياسة كمبحث ليست بجديدة إذ تكفي للإشارة إلى عباقرة الفكر اليوناني مثل: (أفلاطون، وأرسطوا) اللذان أوليا القضايا السياسية مكانة هامة في تفكيرهما إلا إن ما يميز مكيافيللي عنهما وعن غيرهما هو موقفه من العلاقة بين السياسة والدين والأخلاق: "إن المكيافيللية لم تكن جديدة وغريبة بالنسبة للأخلاق المسيحية فقط وإنما كانت كذلك أيضا بالنسبة للأخلاق الرومانية وللأخلاق الوثنية التقليدية، أخلاق أفلاطون وأرسطوا لأن هذا الأخير إذا عرف كيف يكون وضعياً وعلياً في منهجه وتحقيقاته فأنه لم يكن يفصل مطلقا السياسة عن الأخلاق: إن المدينة لأرسطوا طالبية كانت لها من حيث ماهيتها غايات أخلاقية إن السياسة كانت أخلاقاً عليا".[73]

أخيراً نعتقد أن أمير مكيافيلل لا زال حاضراً معنا وسيظل سواء شكل الحاكم المستبد مثل هتلر ويوكسا وغيرهما كثيراً وفي شكل الدولة وهذا ما تمارسه اليوم الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة الوحيدة التي تسعى لفرض ليس فقط سيطرتها بل نمط حياة معينة تفرضه على شعوب ودول أخري فرضاً: "مع نيقولاى مكيافيللي أصبحنا حقيقة في عالم أخر تماما لقد ماتت العصور الوسطى ويبدوا أكثر من ذلك أنها لم توجد مطلقا قضاياها كا الله والخلاص والعلاقة بين العالم الما ورائي والعلم الدنيوي والعدالة والأساس الإلهي للسلطة، وغير موجودة بالنسبة لميكافيللي وليس هناك إلا حقيقة واحدة هي حقيقة الدولة وواقع واحد هو واقع السلطة أن هناك قضية واحدة هي: كيف يمكن تثبيت وحفظ سلطة الدولة... إن لأخلاقية ميكافيللي هي ببساطة أمراً منطقي فالدين والأخلاق من وجهة النظر التي وضع نفسه فيها لا تشكل إلا عوامل اجتماعية أنها عبارة عن الوقائع يجب معرفة استعمالها والتعامل معها وهذا كل ما في الأمر أن من الواجب حيت إجراء حساب سياسي أن نأخذ بالحسبان كل العوامل السياسية: فإذا يمكن لحكم فيمي حول عملية الجمع أن يفعله في مثل هذا الحساب أنه لن يستطيع أبداً تغيير المجموع"[74].

71- نفس المصدر السابق، ص244.
72- بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، مدخل في علم السياسة، ص7.
73- جون جاك شوقالية، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، ص246.
74- نفس المصدر السابق، ص246.

الخاتمة

بناء على ما تقدم فإنه يمكن التاكيد على العديد من المستويات التي برزت بجلاء ووضوح عند مكيافيللي من خلال الأمير وأول هذه المستويات هو البعد الواقعي هذا البعد بتحدد أساسا من خلال اهتمامه بما هو كائن لا بما يجب أن يكون ومن خلال هذا البعد نستشف أيضا مدى وعى مكيافيللي بالأزمة أزمة إيطاليا المجزاءة وفي إطار واقعيته نجده يقول: "ولكن لما كان من قصدي أن أكتب شيئا يستفيد منه من يفهمون فغني أري أن من الأفضل أن أمضى إلى حقائق الموضوع بدلا من تناول خيالاته لاسيما وأن الكثيرين قد تخيلوا جمهوريات وإمارات لم يكن لها وجود في عالم الحقيقة وأن الطريقة التي نحيا فيها تختلف كثيرا عن الطريقة، يجب أن نعيش فيها وأن الذي يتنكر لما يقع سعيا منه وراء ما يجب أن يقع إنما يتعلم ما يؤذي إلى دماره بدلا مما يؤذي إي الحفاظ عليه"[75]، فالسياسة في اعتقادنا عما يومي وجب متابعته بدقة واحكام لذلك تري رجال الأعلام والمهتمين بشؤون السياسة يلاحقون الخبراء الاستراتيجيين والرؤساء ومحللي الشؤون السياسية من أجل معرفة رايهم في بعض المسائل المتفجرة كأزمة الخليج مثلا، ورجال الإعلام في عملهم لا يلاحقون فحسب بل يتسابقون للوصول إلى مصادر القرار وبالتالي معايشة الحدث وعلى هذا الساس يكون من الغباء السياسي مثلا بعد أن يتفجر الحدث ويأخذ حضه من الدراسة والتحليل أن يأتي رئيساً أو أميراً أو حكومة لتصرح بموقفها من تلك الأزمة، لأنه يفترض عند هؤلاء سلفا آليات وأدوات تحليل يستطيعون من خلالها الحكم على هذا الحدث بالسبي أو بالإيجاب أو غير ذلك من المواقف مع أو ضد وهكذا، ومعنى هذا كله هو ضرورة معايشة الواقع السياسي لا تخيله وهذا ما ميز مكيافيللي وما جعل تفكيره أكثر واقعية.

أما المستوى الثاني فهو جدا لصيق بالمستوى الأول ذلك إذا كان هذا الأخير يري أن تصورات مكيافيللي واقعية إذا بماذا نبرر السمعة السيئة التي لحقت به؟ فعلاً إن القراءة الظاهرية للأمير تبرر لنا مدى الرعب والخوف الذي ينتاب المواطن من هذه التصورات لك أليس الواقع الذي انتجها هو أكثر رعبا وهي بالتالي انعكاسا به فعصر النهضة ليس "عصر عمالة الروح والعلم والفلسفة والفن بل أيضا عصر عمالقة الحرية وعصر قيصر بوريجا"[76]، وفي هذا الإطار يقول (ارنست لوخ) أيضاً: "المكيافيللية تعتبر مؤذية وهي كذلك لكنها أيضا تقيم حسابا لأعمال الغدر التي تخفى نفسها"[77].

وعلى هذا الأساس كان المبدأ التالي: الغاية تبرر الوسيلة، هذا المبدأ هو جوهر الممارسة السياسية عبر التاريخ وإلى اليوم ألم يقتل قابيل وهابيل من أجل تحقيق غاية محددة فما دام الأمر بهذه الصورة فإنني اعترف أننا مكيافللين بشكل أو بأخر ولكننا رغم هذا ننزل دون مستوى المكيافللية لأننا تنقصنا شجاعته، وجرأته في وضع النقاط على الحروف ويكفيه هذا، أما المستوى الثالث فهو ثنائية تصورات مكيافيللي فهو دائما يقدم لنا الشيء ونقيضه فهو ينصح الأمير أن يكون كريما وشحيحاً أيضا وذلك حسب الظروف التي يعيش فيها "وعلى الأمير تبعا لذلك إذا كان بعجز عن ممارسة فضيلة الكرم دوم المجازفة باشتهار امره أن لا يعترض إذا كان حكيما عاقلا على تسميته بالبخل"[78].

75- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص135.
76- ارنست بلوخ، فلسفة عصر النهضة، الياس مرقص، ص25.
77- نفس المصدر السابق، ص128.
78- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص134.

كذلك نجده ينصح الأمير أن يكون رحيماً وقاسيا في ذات الوقت "وهنا يقوم السؤال إذا كان الأفضل أن يكون محبوبا أكثر من أن يكون مهابا أو أن يخافك الناس أكثر من أن يحبوك ويتلخص الرد على هذا السؤال في أن الواجب أن يخافك الناس ويحبوك"[79].

كذلك نجد مما ورد في الباب الثامن عشر حول مسألة الصدق والمكر وفي نفس الوقت القانون والقوة: "تبعا لذلك نجد لديه ما يسمى بأنصاف الحلول المؤقتة أو ما يسمى أيضا بالحلول الوسطى فمختلف النظم التي تعتبر هي رجل السياسة يجب لا بد وأن المتعامل معها يكون مستعدا لمواجهتها وحسمها حسماً قاطعا وإذا لم يتعامل معها بهذا الأسلوب فهي توفي ضرورة نهايته فحتي الحياد لا مكان له وفي هذا يقول مكيافيللي" ويلجأ الأمراء المترددون عادة رغبة منهم في تجنب الأخطار الآتية إلا اتباع طريق الحياد الذي يؤذي حتما إلى دمارهم وضياعهم".[80]

79- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص143.
80- نيقولو مكيافيللي، الأمير – ترجمة، د: فاروق سعد، ص 177.

المراجع

1- بلوخ، ارنست، فلسفة عصر النهضة، ترجمة إلياس مرقص، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980.

2- بيطار، نديم، من التجزئة إلى الوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

3- حاتم، صفوان، مجلة الشئون العربية، الفكر القومي أزمة المنهج، وحدة المجلات والأمانة العامة جامعة الدول العربية، تونس، العدد 14، 1982.

4- روسو، جون، جاك، الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، منشورات PLEIADA باريس.

5- سيف الدولة، عصمت، نظرية الثورة العربية، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971م.

6- شوقالبيه، جون، جاك، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: محمد عرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1987م.

7- صاليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العامة للكتاب، دار الكتاب اللبناني.

8- عيسي، محمود، خيري، غالي، بطرس، بطرس، مدخل في علم السياسة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة \8، 1987م.

9- قربان، ملحم، قضايا الفكر السياسي، القانون الطبيعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

10- مكيافيلل، نيقولو، الأمير، ترجمة: فاروق سعد، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، دار الأفاق الجديد. ط19، ص1991م.

دراسة تقويمية لمهارات الاتصال غير اللفظي بين أخصائي خدمة الفرد والعميل

دراسة مطبقة على الأخصائيين الاجتماعيين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة طرابلس

د. رمضان عياد الطويل

أستاذ خدمة الفرد بكلية الآداب - جامعة الزيتونة

المقدمة

يستخدم كل الفرد تفاعله الاجتماعي – إلى جانب اللغة المنطوقة – كثير من أنماط الاتصال والسلوك غير اللفظي وتلعب هذه الأنماط دوراً مهاماً في نقل معارف وأفكار وخبرات ومشاعر وانفعالات للآخرين أثناء عملية التفاعل . فإذا كان الإنسان يستخدم أنواعاً أخرى من السلوك غير اللفظي كاستخدام تعبيرات الوجه وأجزاء الجسم الأخرى المختلفة وهذا النوع من الاتصال (الغير اللفظي) يمتاز بالقوة والتأثير وهو الذي يعطي للكلمات المعني الحقيقي لها .

وترجع أهمية السلوك غير اللفظي في عملية التفاعل بين وفرد وآخر إلى أنها تصدر تلقائياً من الشخص بصورة لا شعورية وغير متكلفة ومن تم فإن هذا السلوك يتضمن رسائل تنقل إلى الآخر وتتميز بصدقها وبطبيعتها ومن تم فهي تكشف بوضوح عن مشاعر وانفعالات معينة ذات معنى محدد ودلاله متعارف عليها بين أفراد الثقافة الواحدة .

فعملية الاتصال في أبسط صورها هي نقل فكرة أو معلومات(رسالة) ومعان من شخص (مرسل) إلى شخص (مستقبل) عن طريق معين(قناة الاتصال) وتنتقل الرسالة عبر قناة الاتصال على شكل رموز مفهومه ومتفق عليها بين المرسل والمستقبل أو رموز شائعة في المجتمع [1]، وتعتمد عملية الاتصال في تحقيق أهدافها المنشودة على مجموعة من المهارات التي يطلق عليها مهارات الاتصال ولعل ذلك ما جعل بعض العلماء في مجال الاتصال يستخدمون مصطلح فن الاتصال وذلك لاعتماد عملية الاتصال على مجموعة من المهارات.

وما نقصده بالاتصال في الخدمة الاجتماعية هي تلـــك العملية التي تتم في مقابلة الأخصائي الاجتماعي بالعميل، حـيث يعتبر العميل هو "المستقبل" والأخصائي هو "المرسل" [2].

(1) محمد سيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار الوفاء للنشر والطباعة ، 2011 ، ص 167

(2) نفس المرجع السابق ، ص 167

مشكلة البحث

يستخدم كل فرد منا في تفاعله الاجتماعي – إلى جانب الاتصال اللفظي كثير من أنماط الاتصال والسلوك غير اللفظي وتلعب هذه الأنماط دوراً هاماً في نقل المعارف وأفكار وخبرات ، فأن معظم الأفراد الذين يحتاجون إلى خدمات خدمة الفرد يعانون من مشكلات عجزوا عن الوصول إلى حلول لها ويترتب على ذلك أنه يصبح من المنطق السليم أن يلم الأخصائي الاجتماعي بطبيعة هذه المشكلات والعوامل التي تسببها [3].

وإذا كان الاتصال غير اللفظي له أهمية في التفاعل بين الأفراد فإن هذه الأهمية تتعاظم في علاقة أخصائي خدمة الفرد بعملائه أثناء المقابلات معهم تحقيقاً لعملية المساعدة وهذا ما أشارت إليه دراسة عبد العال حيث أكدت على أهمية استخدام أساليب الاتصال البصري بين أخصائي خدمة الفرد والعميل وخاصة في تطبيق مبادئ خدمة الفرد [1] وأيضاً دراسة العشماوي التي أكدت أن الإنصات الجيد من جانب الأخصائي للعميل يحقق فوائد إيجابية في دراسة المشكلة ، وكذلك دراسة نبيل إبراهيم التي دعت إلى استخدام الإصغاء كمهارة أساسية يتدرب عليها طلاب الخدمة الاجتماعية [2] وصولاً إلى تكوين ونمو العلاقة المهنية بين الأخصائي والعميل والتي من خلالها تتم كافة عمليات خدمة الفرد الدراسة والتشخيص والعلاج حيث ينظر إلى العلاقة المهنية في خدمة الفرد على أنها ركن أساسي لا يمكن أن تتم عملية المساعدة بدونه فهي المعبر الذي تنتقل من خلاله الخدمات من المؤسسة ممثلة في شخص الأخصائي الاجتماعي إلى العميل ، فالاتصال غير اللفظي عملية يستخدمها أخصائي خدمة الفرد لتدعيم موقف العميل في مواقف القلق والذنب فتعبيرات الوجه ونغمات الصوت و في طريقة جلسته كمنصت كل ذلك من شأنه أن يشعر العميل بمدى الاهتمام به كإنسان .

أهمية البحث

وترجع أهمية المهارات في مجال الاتصال للعديد من الأسباب كقدرة القائم بالاتصال على أداء الدور من خلال إعداد الرسالة واختيار الوسيلة والقدرة على التفاعل مع المستقبل بالأساليب المناسبة.

تكمن أهمية البحث في الآتي :

1- يسهم تحديد الأنماط السلوكية غير اللفظية بين الأخصائي الاجتماعي والعميل بشكل موضوعي ومنظم في التدريب عليها واكتسابها كمهارة أساسية فمن الضروري أن يدرك الأخصائي كيف يستخدم مهارة أساليب الاتصال غير اللفظي .

2- يمكن أن تبرز أهمية تحديد أنماط الاتصال غير اللفظي الشائعة في المقابلات بين الأخصائي والعميل خلال عميلة المساعدة ومعرفة دلالاتها المحددة والمتعارف عليها من قبل الأخصائي والعميل في إطار الثقافة الليبية .

---

(3) ماجدة بهاء الدين السيد ، حزامة جودت ، وقفة مع الخدمة الاجتماعية ، عمان ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، 2005 ، ص 219

(1) سعيد عبد العال ، أهمية الاتصال البصري بين كل من أخصائي خدمة الفرد والعميل في مجلة الخدمة الاجتماعية ، العدد 34-35 ، القاهرة الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعين ، يونيو ، 1992.، ص 237-259

(2) نبيل إبراهيم أحمد ، الإصغاء كأداة في الاجتماعات الإشرافية الجماعية ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1996 ، ص 71

3- تتبلور أهمية هذا البحث في كون أنماط الاتصال غير اللفظية تصدر تلقائياً من الأخصائي الاجتماعي بشكل غير مقصود أو متحكم فيها – في كثير من الأوقات – وتختلف من أخصائي لآخر وفقا لمتغيرات متنوعة ، فإن تحديد هذه الأنماط غير اللفظية يساعد الأخصائي على معرفتها والتعرف على تأثيرها على العلاقة المهنية بينه وبين العميل سلباً أو إيجاباً .

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى هدف رئيسي وهو تقويم مهارة الاتصال غير اللفظي التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات المهنية تحقيقاً لعملية المساعدة سواء تلك التي تعيق أو تسهل عملية المساعدة .

ويتفرع من هذا الهدف الرئيسي أهداف فرعية هي :

1- التعرف على أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار أو للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تسهل في عملية المساعدة.

2- التعرف على أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار أو للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة.

3- الوقوف على العوامل المؤثرة في استخدام الأخصائي لمهارة الاتصال غير اللفظي والتي تعيق أو تسهل عملية المساعدة.

تساؤلات البحث

1. ما أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة ؟
2. ما أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تسهل في عملية المساعدة ؟

مبررات البحث

تعتبر ندر الدراسات والبحوث العلمية التي تركز على الاتصال غير اللفظي في علاقة الأخصائي الاجتماعي بعملائه (فرد – أسرة – جماعة – مجتمع - منظمة) بمثابة المبرر الأول والأهم الذي دفع بالباحث لأجراء وتنفيذ هذا البحث .

كذلك هناك ندر شديد في الكتب التي تناول بشكل مباشر ورئيسي موضوع لغة الجسم (الاتصال غير اللفظي) لدى رأى الباحث أهمية التركيز على البحث في الاتصال غير اللفظي للفت ا نظار الباحثين والمهتمين إلى الانتباه إليه والتركيز عليه

نوع البحث

يعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية التي تستهدف تقويم مهارة الاتصال غير اللفظي التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات المهنية تحقيقاً لعملية المساعدة سواء تلك التي تعيق أو تسهل عملية المساعدة للعملاء داخل المؤسسات الاجتماعية .

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على استخدام منهج المسح الاجتماعي باستخدام العينة نظرا لتماشي هذا المنهج مع طبيعة المتغيرات التي تستهدف الوقوف عليها .

مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة طرابلس

عينة البحث

تم استخدام أسلوب العينة العشوائية لجمع البيانات ، حيث تم سحب عينة عشوائية بسيطة من مجتمع البحث وقوامها (24) مفردة من مجتمع البحث حيث بلغ مجموعه 50 أخصائي ،

وقد استرجع (21) استمارة ، وبذلك يكون عدد الاستمارات المفقودة يساوي (3) أي ما نسبته 48%

أدوات البحث

استمارة استبيان واشتملت على ثلاث محاور هي كالأتي :

1- محور يتعلق بالبيانات الأولية الخاصة بأفراد العينة والتي تتمثل في بعض المتغيرات.

2- محور يتعلق المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء في المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تسهل في عملية المساعدة.

3- محور يتعلق المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة.

مجالات البحث

المجال الزمني

استغرقت فترة جمع البيانات شهر اعتباراً من 1-8-2019 إلى 31-8-2019 م

المجال المكاني

تم تطبيق البحث على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة طرابلس وهي دار رعاية الطفل ، البنات ، البنين ، المسنين .

المجال البشري

تم تطبيق البحث على 23 مفردة من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية بمدينة طرابلس .

الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات الأولية التي تم جمعها من مفردات العينة التي تم اختيارها من مجتمع الدراسة ، فقد تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة بالاعتماد على استخدام برمجية الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية والتي يرمز لها باختصار(spss).

المفاهيم والمصطلحات

1. الاتصال

يعرف الاتصال على أنه عملية ديناميكية يقوم بها شخص ما أو أشخاص بنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات إلى الآخرين ، لتحقيق هدفا ما في ظرف أو سياق بيئة اتصالية بغض النظر عما يتعرض لها من تشويش [1].

الاتصال هو " العملية أو الطريقة التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص إلى آخر حتى تصبح شايعه بينهما وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين [2].

2. الاتصال في الخدمة الاجتماعية

يعرف الاتصال في إطار مهنة الخدمة الاجتماعية بأنه تلك العملية التي من خلالها يتم نقل الآراء والأفكار والمعاني والخبرات من شخص (الأخصائي الاجتماعي) إلى شخص أخر (العميل) بما يسهم في تحقيق التوافق الاجتماعي ومواجهة المشكلات [3] .

ويعرف الباحث الاتصال إجرائياً : الاتصال بأنه العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة في مضامين اجتماعية معينة وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات على شكل رموز مفهومة ومتفق عليها بين المرسل والمستقبل أو رموز شائعة في المجتمع .

2- المهارة

تعرف المهارة على أنها قدرة أو تعزيز لكل أشكال السلوك الإيجابي مع البيئة ويحقق الفرد ما يصبوا إليه بدون أن يترك أثار سلبية على الآخرين [1]

ويعرف الباحث المهارة إجرائياً : بأنها القدرة على القيام بالأعمال المعقدة بسهولة ودقة مع القدرة على تكيف الأداء للظروف المتغيرة .

3- المهارة في الخدمة الاجتماعية

ويري ورنر أن المهارة في الخدمة الاجتماعية هي تعبير واضح عن أنشطة الأخصائي الاجتماعي من خلال ثلاثة عمليات هي :

(1) محمد جهاد جمل و دلال هالالت، مهارات الاتصال الإنساني، العين، دار الكتاب الجامعي،2008 ، ص 20
(2) حسين الطوبجى ، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعلم ، الكويت ، دار القلم ، 1982 ، ص 25
(3) السيد عبد الحميد عطية ، محمد محمود المهدلي ، الاتصال الاجتماعي وممارسة الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2004 ، ص 31
(1) جمال شحاتة حبيب ، الممارسة العامة منظور حديث في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2009 ، ص 99

الاختيار الواعي للمعارف الملائمة والمناسبة للعمل المهني، إدماج المعرفة بقيم المهنة ، التعبير عن هذا الدمج بأنشطة مهنية مناسبة [2]

مهارة الاتصال غير اللفظي

هي مجموع المهارات التي تعتمد على حركات الجسم كطريقة الجلوس، وحركات اليدين، واللمس، والنظر، والإيماء بالرأس، والابتسامة التي تدل على اهتمام المرشد بالمسترشد ومشكلته، وتعمل على تشجيع المسترشد لمواصلة الحديث والتفاعل خلال العملية الإرشادية .

مهارات الاتصال غير اللفظي

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الإشارات أو الإيماءات والسلوك (تعبيرات الوجه وحركة العينين واليدين وطريقة الجلوس ...ألخ) ، ويطلق عليها أيضاً لغة الجسم body language، وقد تكون هذه التلميحات مقصودة أو غير مقصودة من مصدر الاتصال وتصل نسبة استخدامها في الاتصال ما يقرب من 90% من المعاني وبصفة خاصة في الرسائل التي تتعلق بالأحاسيس والشعور ، ويختلف فهم الرسائل غير اللفظية بسبب اختلاف الثقافات بين المجتمعات .

مفهوم الاتصال

الاتصال هو لب وأساس كل عمليات التفاعل الاجتماعي البسيط منها والمعقد ، ولكي ندرك أهمية عملية الاتصال في الخدمة الاجتماعية ودور وسائل الاتصال فيها ينبغي أن نتعرض أولاً لمفهوم الاتصال لغةً واصطلاحاً ، فيرجع أصل كلمة اتصال في اللغة العربية إلى الفعل يتصل والاسم يعني المعلومات المبلغة أو الرسالة الشفوية أو تبادل الأفكار والآراء أو المعلومات عن طريق الكلام أو الإشارات ، حيث عُرف الاتصال في قاموس مختار الصحاح بأنه " وصل الشيء بالشيء وصلاً " بمعنى نقل المعلومات والمعاني والأفكار والمشاعر بين شخص وآخر بين مجموعة أشخاص لتحقيق هدف ما عرض معين [1]، ويعتبر مفهوم الاتصال في علم الاجتماع ليس بالمفهوم الحديث فقد عبر تشارلز كولي عن مفهوم الاتصال بأنه " الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان ، وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت [2]".

كما يعرف الاتصال بأنه العملية التي ينقا بمقتضاها الفرد (القائم بالاتصال) منبهات (عادة رموز لغوية) لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين (مستقبلي الرسالة)[3] ، ويعرف أيضا على أنه عملية اجتماعية تتضمن مصدر أي فرد ينقل رسالة من أي نوع والرسالة لفظية أو غير لفظية تتنقل للمتلقي عبر قناة الاتصال وتلعب المهارة دوراً مهما في اختيار وتحديد عناصر العملية الاتصالية [4] .

(2) نفس المرجع السابق ، ص 100

(1) مختار الصحاح ،
(2) محمد محمود المهدلي ، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1997 ، ص 17
(3) حسن عماد مكاوي ، تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، القاهرة الدار المصرية اللبنانية ، 1993، 51
(4) مريم إبراهيم حنا، نحو أداء لقياس الاتصال غير اللفظي بين أخصائي خدمة الفرد والعميل ، المؤتمر العلمي الثالث عشر ، جامعة حلوان ، كلية الخدمة الاجتماعية ، أبريل 2000 ، ص 392

وما نقصده بالاتصال في الخدمة الاجتماعية هي تلك العملية التي تتم في مقابلة الأخصائي الاجتماعي بالعميل ، حيث يعتبر العميل هو " المستقبل " والأخصائي هو " المرسل " . وهذه العملية تحتاج إلى مهارات فنية خاصة من الأخصائي الاجتماعي لتنجح بها العلاقة المهنية وتحقق أهدافها المنشودة .

خدمة الفرد والاتصال غير اللفظي

تتعامل خدمة الفرد مع الأفراد الذين يحتاجون إلى المساعدة في علاج بعض مشاكلهم البيئية والشخصية ، وهدفها هو تخفيف ضغوطهم النفسية والاجتماعية التي تعرقل تكيفهم مع أنفسهم ومع المجتمع الذي يعشون فيه لتحقيق حد أقصى من الرفاهية الشخصية الاجتماعية .

ولذلك يعتمد أخصائي خدمة الفرد في تدخله المهني مع العملاء على مهارته الشخصية التي تبرز في مجال تفاعله مع العميل تحقيقاً لعملية المساعدة التي هي في النهاية عملية اتصال بين طرفين أو أكثر أحدهما الأخصائي الاجتماعي والآخر هو العميل أو المحيطين به .

وتفاعل الأخصائي الاجتماعي مع العميل هو أحد مكونات عملية الاتصال بينهما ومن هذه الوجهة فهو ليس تفاعلا استاتيكياً ليس كما هو الحال حينما تستمع إلى حديث أو محاضرة أو غيره حيث يستلزم الأمر لاستيعاب ما نسمعه من معاني نوع من التجارب المتبادلة فرغم أن العميل هو المتحدث وآخر يستمع له (أخصائي اجتماعي) باهتمام ويتجاوب سواء بالتعبير أو الإيماءات أو التعليق القصير أو أي رمز آخر[1] .

وبذلك تعتبر خدمة الفرد عملية اتصال بين الممارس المهني للخدمة الاجتماعية وهو الأخصائي الاجتماعي وبين شخص يعاني مشكلة تعوق أدائه لوظيفته الاجتماعية وعجز بإمكانيته وقدراته على التغلب عليها وهو العميل وتهدف هذه العملية إلى مساعدته على تنمية واستثمار طاقاته و قدراته للتغلب على المعوقات التي تعوق أدائه لوظيفته الاجتماعية[2]

فأخصائي خدمة الفرد يدرك أن الرسائل لها محتوى ظاهرياً ومحتوى خفياً تعبر عنه الحركات و الإيماءات إذن ما يحدد مضمون الكلمات ليس معناها اللغوي بل النبرة التي تلفظ بها ، فالعميل يتفحص مظهر الأخصائي من أجل الحكم عليه من كافة النواحي مثل ملبسه ، طريقة حديثه ، تحركات جسمه وطريقة جلوسه وغيرها من الإيماءات [3] .

مفهوم الاتصال غير اللفظي

أن الاتصال غير اللفظي قد استخدمه الإنسان البدائي خلال مراحل تطوره الأولي من حيث الإشارة الصوتية ، ودقات الطبول للتنبيه بوجود خطر ، أما في التراث العربي فنجد الجاحظ يعد أول عالم عربي فطن لأهمية الاتصال غير اللفظي كوسيلة للتفاهم بين الناس ، وقد ذكر ذلك في كتابه البيان والتبيين حيث تحدث عن لغة الإشارة وما يتبعها من تعبيرات العين والوجه، وحركات الجسد [4]، ويطلق على الاتصال غير اللفظي أحياناً على اللغة الصامتة وتكون من خلال رموز الأداء : وتشمل

(1) مريم إبراهيم حنا، نحو أداء لقياس الاتصال غير اللفظي بين أخصائي خدمة الفرد والعميل ، المرجع السابق ، ص 394
(2) سلوى عثمان ألصديقي ، أميرة منصور يوسف ، الاتصال والخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2005 ، ص 226
(3) محمد السيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، 2011 ، ص 173-174
(4) محمد سلامة غباري ، الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1980 ، ص 27

حركات الجسد (تعبيرات الوجه ، حركات العيون ، الإيماءات ، الصوت) وهذا ما يهم الباحث في هذا المجال [1] .

فالاتصال غير اللفظي هو نقل المشاعر والأفكار والمعلومات التي لا نفصح عنها بالكلمات والألفاظ ، إنما ننقلها عن طريق الإيماءات والإشارات والحركات الحسية ، وغير الحسية مثال ذلك الطفل في بداية حياته يعبر بيده وصراخه وبكائه وابتسامته عن رغباته ودوافعه وحاجاته [2].

مهارات الاتصال غير اللفظي

يستخدم الأخصائي الاجتماعي في تفاعله مع عملائه –إلى جانب المهارات أو اللغة المنطوقة- كثيرا من أنماط الاتصال والسلوك والمهارات غير اللفظية التي تلعب دوراً بارزاً في نقل المعارف والأفكار والخبرات والمشاعر والانفعالات للعملاء ، وتمتاز المهارات غير اللفظية بالقوة والتأثير وهي التي تعطي للكلمات المعنى الحقيقي لها في استخدام لتعبيرات الوجه وأجزاء الجسم الأخرى. وكذلك مهمة في عملية التفاعل بين الأخصائي والعميل لأنها تصدر تلقائيا بصورة لا شعورية وغير متكلفة، ومن ثم فإن هذه المهارات تتضمن رسائل تتميز بالصدق والعفوية وتكشف بوضوح عن مشاعر وانفعالات معينة ذات معنى محدد ودلالة متعارف عليها بين الطرفين، كما تبرز أهمية هذا النوع من المهارات في علاقة الأخصائي بعملائه أثناء المقابلات فهي عنصر أساس في تطبيق المبادئ والقيم المهنية والأخلاقية، وفي تكوين العلاقة وتنفيذ العمليات المهنية.

أنواع مهارات الاتصال غير اللفظي

ويمكن تقسيم أنواع مهارات الاتصال غير اللفظي إلى نوعين هما [3]

أولاً – مظاهر اللغة الحركية : وتشمل المهارات التالية : وضع الجسد ، توجه الجسد ، حركات الرأس واليد والأصابع ، اللمس .

ثانياً – مظاهر اللغة الانفعالية أو الفسيولوجية : وتشمل المهارات التالية : تعبيرات الوجه ، الفم ، حركات العينان ، تعبيرات الصوت ، المظهر الجسدي .

وقد حدد كل من سميرة بحر وكمال يوسف أنواع السلوك غير اللفظي في [4] .

1. تعبيرات الوجه .
2. الفراغ .
3. التلاقي البصري وحركة العينين .
4. الزمن .
5. حركات الحسم والإيماءات .
6. الابتسامة والضحك .

(1) محمد البدوي الصافي ، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2011 ، ص 94
(2) نفس المرجع السابق ، ص 95
(3) نفس المرجع ص 100
(4) سميرة بحر ، كمال يوسف ، أسلوب مفتوح للملاحظة وتسجيل أنماط السلوك غير اللفظي الشائعة الاستخدام لدى معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية بدولة البحرين ، مجلة التربية المعاصرة ، العدد العاشر ، 1988 ، ص 159

وفي دراسته عن تقدير مستوى مهارات الإصغاء لدى بعض الأخصائيين الاجتماعيين المتعاملين مع بعض الحالات الفردية حدد السيد العشماوي بعض أنواع السلوك غير اللفظي الذي يؤثر سلباً على عملية الاتصال وبالتالي على عملية المساعدة وهي [1] :

1. عدم الانتباه ومنها النظر إلى المتحدث (العميل) ووضع الجسم الذي يذل على نفاذ الصبر وضيق الوقت .
2. عدم الاستجابة ومنها الفشل في الاستجابة للطرف الآخر حينما يتوقع منه ذلك ووضع الجسم المشدود أو المتأزم ومقاطعة المتحدث .
3. الرفض أو الاستنكار مثل عبوس الوجه مباشرة للمتحدث ونبرات الصوت المرتفع وهز الرأس بما يعني الرفض .

تعبيرات الوجه

أن بالوجه العديد من الأعضاء التي يمكن أن يكون لها تأثير على الاتصال سواء إرسالاً أو استقبالاً، فالحاجبان والعينين والفم يمكن أن تعطى بهم كثير من التعبيرات التي تساعد على التواصل أو تحد منه. فتقطيب الحاجبين وضمهما يمكن أن يشير إلى الاهتمام والتركيز وكذلك مع حركة الرأس يمكن أن تشير إلى الرفض والاعتراض، كما أنه من خلال نظرة العين وابتسامة بالفم أن تظهر رضاك وموافقتك وقبول الحديث ، ويرى Birdwhistell أن هناك 33 تعبيراً للوجه ، تتضمن 14 وضع للحاجب ، 4 أوضاع لجفن العين ، 7 أوضاع للفم جميعها يستخدم خلال الحديث الصوتي [2].

تواصل العين

عندما يتحدث الأخصائي إلى عملائه ما فمن الضروري أن يكون هناك تواصل جيد بالعين لتصل إلى رد فعل صحيح على الإشارات غير اللفظية ، وتواصل العين الواثق يشير إلى الصراحة والثقة ، إذ تعتبر العين من أكثر الحواس تعبيراً في نقل الرسائل والمعاني غير اللفظية حيث يصعب إخفائها عن الآخرين لذلك يجب على الأخصائي الاجتماعي النظر إلى عين العميل أثناء المقابلة ولتقابل أعين الأخصائي عين العميل ، فإذا حاول العميل تفادي تقابل أعينه مع الأخصائي فإن هذا يدل أما على عدم رغبته في الإفصاح عن مشاكله الخاصة [3] .

الإيماءات

قد تكون إيماءات الشخص هي أكثر العوامل حسماً أثناء الحديث مع الآخرين لأنها تبين مدى ثقته ومستوى اقتناعه وتشمل الإيماءات تعبيرات الوجه وحركات الجسم واليدين التي تصاحب الكلمات المنطوقة وغير المنطوقة، فتلك الإيماءات تجعل المحادثات أكثر حيوية وفعالية تماماً مثل علامات الترقيم .

(1) السيد عشماوي ، مرجع سبق ذكره .
(2) السيد عبد الحميد عطية ، محمد محمود مهدلي ، الاتصال الاجتماعي وممارسة الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2004 ، 309
(3) محمد البدوي الصافي ، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي ، مرجع سبق ذكره ، ص 113

الإشارات الحركية

إن المفاتيح الحركية تعزز الاتصال وإن لغتنا الجسدية تعبر عن الكثير من الأشياء للآخرين، فأستخدم الاتصال الحركي المتعمد لتصل للاستماع النشط والفعال ولذلك يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يميل قليلاً نحو العميل المتحدث لتظهر له الاهتمام ، وأن أبتسم ليظهر أنه متجاوب مع أفكارهم، أو الإيماء بالرأس لتعبر عن الموافقة.

وضع الجسم

إن الانطباعات الأولى تتأثر بوضع جسمك والوضع القائم هو مفتاح حركي ، فالجسم يستخدم كشعار أو رمز لتأكيد حديث ما ، فمثلاً يمكن استخدام حركة الرأس للدلالة على الموافقة أو الاتفاق في الرأي كما يستخدم الجسم للدلالة على الانتباه لما يقال ، أو التعبير عن متابعة الموضوع [1].

الملابس

عندما يكون مظهرك يبدو جيداً فأنك تشعر بالثقة والقبول والرضا عن نفسك ، فأصبح ينظر إلى الملابس كما لو كانت تعبيراً عن الذات وهي التي يمكن أن تغير من الانطباع الذي تتركه على الذات في نفوس الآخرين ، فالناس ليهم الرغبة جياشة في أثارة انتباه الآخرين ، والحرص على ترك انطباع إيجابي في نفوس الآخرين أما إهمال الملبس دون سبب مقنع يعبر عن حالة مرضية[2] ولذلك فإن الملابس تعكس الرسالة غير اللفظية التي تقصدها.

نغمة الصوت [3]

ينقل صوت المتحدث الكثير من المعلومات فعن طريقه ومن خلال نوعيته من حيث الطلاقة ، والتواصل ، والحدة ، والنبرات يمكن معرفة حالة المتحدث النفسية والثقافية والاجتماعية ، فالصوت المرتفع ينم عن الغضب ، أما الصوت السريع يعني العصبية والشعور بالخطر والتهديد ، أما الصوت المنخفض أو المتلعثم يكون في الغالب في حالات الخوف أو الخجل ، وبالتالي على الأخصائي الاجتماعي التحلي بهذه المهارات حتى يستطيع مساعدة العميل .

***كيف يستخدم الأخصائي مهارة الاتصال غير اللفظي؟**

1. يحدد هدف الاتصال وعلاقته بالفئة المستهدفة(المستقبل) واختيار الأساليب غير اللفظية التي تتناسب مع الموقف الاتصالي، الإشارات، الإيماءات، الحركات البدنية، تعبيرات الوجه...
2. التعرف على جوانب القوة والضعف المرتبطة بالأساليب غير اللفظية يمكن أن تكون صورة شخصية من يقوم بالاتصال ومدى تأثيرها في الآخرين مثل استخدام التلويح باليدين، التثاؤب خلال التفاعل مع الآخرين.
3. مراعاة عدم تكرار الأساليب المحددة في كل المواقف لأن لكل موقف مكوناته ، وأساليبه الخاصة به وحتى لا يعتاد العميل (المستقبل)على نفس الأساليب ولا يتأثر به لأنه اعتاد على رؤيتها.

(1) السيد عبد الحميد عطية ، محمد محمود مهدلي ، الاتصال الاجتماعي وممارسة الخدمة الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره ، ص 310
(2) محمد البدوي الصافي ، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي ، مرجع سبق ذكره ، ص 118
(3) محمد سيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره ، ص 172

4. دراسة مدى تأثير العميل (المستقبل) بتلك الحركات والرغبة في التعرف على معناه من وقت لآخر طبقا لمن يقوم بها ومدى تألف المستقبل معها.
5. عدم تعدد الأساليب في موقف واحد حتى لا يؤثر على مفهوم رسالة الاتصال لاهتمامها بالأساليب غير اللفظية.
6. عدم تقليد أساليب الآخرين في التعبير غير اللفظي بل يجب أن يكون التعبير تلقائياً تابعاً من الموقف الاتصالي ومدركاً من يقوم به انه يحقق أحياناً ما يحقق التعبير اللفظي أو يكمل ما يصبوا إليه من أهداف اتصالية.

العوامل المؤثرة في استخدام الأخصائي لمهارة الاتصال غير اللفظي والتي تعيق أو تسهل عملية المساعدة

تتعامل خدمة الفرد مع الأفراد الذين يحتاجون إلى المساعدة في علاج بعض مشاكلهم البيئية والشخصية ، وهدفها هو تخفيف ضغوطهم النفسية والاجتماعية التي تعرقل تكيفهم مع أنفسهم ومع المجتمع الذي يعشون فيه لتحقيق حد أقصى من الرفاهية الشخصية الاجتماعية .

ولذلك يعتمد أخصائي خدمة الفرد في تدخله المهني مع العملاء على مهارته الشخصية التي تبرز في مجال تفاعله مع العميل تحقيقاً لعملية المساعدة التي هي في النهاية عملية اتصال بين طرفين أو أكثر أحدهما الأخصائي الاجتماعي والآخر هو العميل أو المحيطين به .

وتفاعل الأخصائي الاجتماعي مع العميل هو أحد مكونات عملية الاتصال بينهما ومن هذه الوجهة فهو ليس تفاعلا استاتيكياً ليس كما هو الحال حينما تستمع إلى حديث أو محاضرة أو غيره حيث يستلزم الأمر لاستيعاب ما نسمعه من معاني نوع من التجارب المتبادلة فرغم أن العميل هو المتحدث وآخر يستمع له (أخصائي اجتماعي) باهتمام ويتجاوب سواء بالتعبير أو الإيماءات أو التعليق القصير أو أي رمز آخر[1] .

وبذلك تعتبر خدمة الفرد عملية اتصال بين الممارس المهني للخدمة الاجتماعية وهو الأخصائي الاجتماعي وبين شخص يعاني مشكلة تعوق أدائه لوظيفته الاجتماعية وعجز بإمكانيته وقدراته على التغلب عليها وهو العميل وتهدف هذه العملية إلى مساعدته على تنمية واستثمار طاقاته و قدراته للتغلب على المعوقات التي تعوق أدائه لوظيفته الاجتماعية[1]

فأخصائي خدمة الفرد يدرك أن الرسائل لها محتوى ظاهرياً ومحتوى خفياً تعبر عنه الحركات و الإيماءات إذن ما يحدد مضمون الكلمات ليس معناها اللغوي بل النبرة التي تلفظ بها ، فالعميل يتفحص مظهر الأخصائي من أجل الحكم عليه من كافة النواحي مثل ملبسه ، طريقة حديثه ، تحركات جسمه وطريقة جلوسه وغيرها من الإيماءات [2] .

(1) مريم إبراهيم حنا، نحو أداء لقياس الاتصال غير اللفظي بين أخصائي خدمة الفرد والعميل ، مرجع سبق ذكره ، ص 394
(1) سلوى عثمان ألصديقي ، أميرة منصور يوسف ، الاتصال والخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2005 ، ص 226
(2) محمد السيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، 2011 ، ص 173-174

2- عدم الاستجابة ومنها الفشل في الاستجابة للطرف الآخر حينما يتوقع منه ذلك ووضع الجسم المشدود أو المتأزم ومقاطعة المتحدث .

3- الرفض أو الاستنكار مثل عبوس الوجه مباشرة للمتحدث ونبرات الصوت المرتفع وهز الرأس بما يعني الرفض .

البيانات الأولية

جدول (1) يوضح التوزيع التكراري والنسبي للمفردات عينة الدراسة حسب المؤسسة

نوع المؤسسة	التكرار	النسبة المئوية
دار رعاية الطفل	6	28.57
دار رعاية البنات	5	23.81
دار رعاية البنين	4	19.05
دار رعاية المسنين	6	28.57
المجموع	21	%100

يبن الجدول رقم 1 توزيع أفراد العينة حسب المؤسسة حيث احتلت المرتبة الأولي دار الرعاية الطفل والمسنين بنسبة 28.57 % لكل منهما من مجموع عينة البحث ، وجاءت في المرتبة الثانية دار رعاية البنات بنسبة 23.81% من مجموع عينة البحث ، وفي المرتبة الأخيرة دار رعاية البنين بنسبة 19.05% وذلك نظراً لعدم إرجاع مفردتين من العينة استمارة الاستبيان ، في حين حرص الباحث على حصول عينة متساوية بين كل المؤسسات نظراً لتقارب عدد الأخصائيين العاملين في المؤسسات الاجتماعية .

جدول (2) يوضح التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة البحث حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
متزوج	9	42.86
أعزب	11	52.38
مطلق	1	4.76
أرمل	0	0.00
المجموع	21	%100

يبن الجدول رقم 2 توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية حيث بلغت نسبة فئة الأعزب 42.86 % من مجموع عينة البحث ، وجاءت في المرتبة الثانية فئة متزوج بنسبة 52.38% من مجموع عينة البحث ، وفي المرتبة الأخيرة فئة مطلق بنسبة 4.76 % .

جدول (3) يوضح التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة البحث حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
من 25 إلى 35	0	0
من 36 إلى 46	15	71.43
من 47 إلى 57	5	23.81
من 58 فما فوق	1	4.76
المجموع	21	%100

يتضح من الجدول رقم 3 توزيع أفراد العينة حسب العمر حيث جاءت فئة (36-46) في المرتبة الأولي بنسبة 71.42 % من مجموع عينة البحث ، وجاءت في المرتبة الثانية فئة (47-57) بنسبة 32.81% ، وجاءت في المرتبة الأخيرة فئة (من 58 فما فوق) بنسبة 4.76 % .

من خلال الاطلاع على نتائج الموضحة بالجدول رقم 2 يتبين بأن الأخصائيين الاجتماعين (عينة البحث) يتراوح أعمار عم من 36 سنة فما فوق وهذا يشير إلى أن الأخصائيين الاجتماعين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية من الأعمار الصغير في السن .

جدول (4) يوضح التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي

المستوي التعليمي	التكرار	النسبة المئوية %
دبلوم متوسط	3	14.29
دبلوم عالي	0	0.00
ليسانس	17	80.95
ماجستير	1	4.76
أخري	0	0.00
المجموع	21	%100

تشير نتائج الجدول رقم 4 إلى أن عينة البحث توزع بحسب متغير المؤهل العلمي على النحو التالي أن 80.95% من الحاصلين على درجة الليسانس ، مقابل 14.29% من الحاصلين على دبلوم متوسط ، وأخير وبنسبة لم تتجاوز 4.76% من حملة الدرجة العليا الماجستير .

جدول (5) التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب الخبرة

الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
من 2- 5سنوات	1	4.76
من 6 -9 سنوات	4	19.05
من 10 -13 سنة	6	28.57
من 14 – 17 سنة	3	14.29
من 18 فما فوق	7	33.33
المجموع	21	%100

يتضح من الجدول رقم 5 أن من لديهم خبرة من 18 سنة فما فوق يمارسون مهنة الخدمة الاجتماعية بالمؤسسات الاجتماعية هم الأعلى في عينة البحث بنسبة بلغت 33.33% ، مقابل نسبة 28% ممن لديهم خبرة من 10-13 سنة ، ويليهم في المرتبة الثالثة كل من خبرتهم من 9 إلى 9 سنوات وبنسبة 19.05% ، وجاءت في المرتبة الرابعة كل من خبرتهم من 14 إلى 17 سنة بنسبة 14.29% ، وأخير وبنسبة 4.76% ممن خبرتهم ما بين 2- 5 سنوات .

وهنا يود الباحث الربط بين هذه العوامل الثلاثة عامل الخبرة ، العمر ، المؤهل العلمي لعينة البحث حيث وبين رفضهم للتساؤل الأول ، حيث تبين من خلال النتائج بأنهم يتمتعون بخبرة كبيرة وبمؤهلات علمية عالية وبأعمار لا تقل عن 36 سنة .

إجابات مفردات عينة البحث عن التساؤل الأول المتمثل في " ما أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة .

الجدول (6) يبين التوزيع التكراري والنسبي لإجابات مفردات عينة البحث عن التساؤل الأول

ت	العبـــارة	الفئة	درجة الموافقة			متوسط العينة	الترتيب
			نعم	احيانا	لا		
1	أشير بأصبعي كدليل على التهديد عند عدم التزامه	ت	3	14	4	1.95	3
		%	14.29	66.67	19.05		
2	أشير بيدي كدليل لعدم الموافقة	ت	5	10	6	1.95	3مكرر
		%	23.81	47.62	28.57		
3	اترك العميل ينتظرني لفترة طويلة	ت	0	4	17	1.19	13
		%	0.00	19.05	80.95		
4	أتفف فجأة كمؤشر على نفاذ صبري	ت	1	10	10	1.57	8
		%	4.76	47.62	47.62		
5	أتنهد طويلا عندما لا يعجبني كلام العميل	ت	1	12	8	1.67	6
		%	4.76	57.14	38.10		
6	اترك العميل وأنشغل بأمور أخرى أثناء المقابلة	ت	1	4	16	1.29	12
		%	4.76	19.05	76.19		
7	أحرك رأسي يمينا وشمالا كدليل على عدم الموافقة	ت	3	14	4	1.95	3مكرر
		%	14.29	66.67	19.05		
8	أحدق في عيني العميل مدة طويلة عند تشكيكي في كلامه	ت	8	10	3	2.24	2
		%	38.10	47.62	14.29		
9	أقطب وأكشر جبيني عند اندهاشي من كلام العميل	ت	10	10	1	2.43	1
		%	47.62	47.62	4.76		
10	أشالي بيدي كدليل لاستنكار ما يقوله العميل	ت	3	9	9	1.71	5
		%	14.29	42.86	42.86		
11	أنظر للعميل من أسفل إلي أعلى أكثر من مرة	ت	4	2	15	1.48	9
		%	19.05	9.52	71.43		
12	أقطع المقابلة فجأة وانهيها	ت	3	6	12	1.57	8مكرر
		%	14.29	28.57	57.14		
13	لا أنصت باهتمام لما يقوله العميل	ت	2	3	16	1.33	11
		%	9.52	14.29	76.19		
14	أنظر بحدة للعميل كدليل على التهديد	ت	0	7	14	1.33	11مكرر
		%	0.00	33.33	66.67		
15	أنهي المقابلة قبل الموعد عند نفاذ صبري	ت	3	7	11	1.62	7
		%	14.29	33.33	52.38		
16	أتحرك بطريقة عشوائية في المكتب متجاهلا العميل	ت	0	5	16	1.71	5مكرر
		%	0.00	23.81	76.19		
17	لا انظر إلي العميل إثناء حديثه معي	ت	0	7	14	1.33	11 مكرر
		%	0.00	33.33	66.67		
18	أتعمد الجلوس بعيدا عن العميل	ت	2	6	13	1.48	9مكرر
		%	9.52	28.57	61.90		
19	أتوقف عن الكلام عند استنكاري لكلام العميل	ت	3	13	5	1.90	4
		%	14.29	61.90	23.81		
20	أكشر في وجه العميل ولا أبتسم عند مقابلتي له	ت	0	4	17	1.19	13مكرر
		%	0.00	19.05	80.95		
21	أتعمد عدم الاستماع الجيد لما يقوله العميل	ت	1	6	14	1.38	**10**
		%	4.76	28.57	66.67		
المتوسط العام لإجابات مفردات عينة البحث عن التساؤل الأول						**1.63**	

بالنظر إلى الجدول رقم 6 يتضح بان المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة لا تمارس بشكل واضح وجلي وقد يرجع ذلك في تقدير الباحث إلى عامل الخبرة والمؤهل العملي العالي وطبيعة العمل بالمؤسسات الاجتماعية حيث يتعاملوا الأخصائيون الاجتماعيون مع فئات تحتاج إلى رعاية الاجتماعية من نوع خاص ولذلك جاء الوزن المرجح للمحور كاملاً دون المتوسط (2) حيث بلغ 1.63 ، وبالرجوع إلى فقرات المحور جاءت في المرتبة الأولي أقطب وأكشر

جبيني عند اندهاشي من كلام العميل بوزن مرجح 2.43 ، ويليها في الترتيب الثاني فقرة أحدق في عيني العميل مدة طويلة عند تشكيكي في كلامه بوزن مرجح 2.24 وتتفق هذه النتيجة مع دراسة عبد العال حيث أكدت على أهمية استخدام أساليب الاتصال البصري بين أخصائي خدمة الفرد والعميل وخاصة في تطبيق مبادئ خدمة الفرد [1] ، وجاءت الفقرات أشير بأصبعي كدليل على التهديد عند عدم التزامه، أشير بيدي كدليل لعدم الموافقة ، أحرك رأسي يمينا وشمالا كدليل على عدم الموافقة في المرتبة الثالثة بوزن مرجح 1.95 ، رغم انخفاض متوسط المحور أقل من 2 إلا أن هذه العبارات جاءت في المراتب الأولي وبوزن مرجح في بعض منها أعلي من المتوسط بكثير مما يشير إلى أن الأخصائيين يستخدمون بعض المهارات التي تعيق عملية المساعدة في حالات ردع العميل وثنيه على اتخاذ بعض القرارات أو بعض التصرفات التي قد تلحق الضرر بالعميل .

إجابات مفردات عينة البحث عن التساؤل الثاني المتمثل في " ما أنواع المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تساعد في عملية المساعدة .

الجدول (7) يبين التوزيع التكراري والنسبي لإجابات مفردات عينة البحث عن التساؤل الثاني

ت	العبـــــارة	الفئة	درجة الموافقة			متوسط العينة	الترتيب
			نعم	احيانا	لا		
22	**اقترب في جلستي من العميل لتهدية وأشعاره بأنه مقبول**	ت	7	12	2	2.24	**10**
		%	33.33	57.14	9.52		
23	**أتابع العميل بصريا أثناء حديثه**	ت	12	9	0	2.57	**6**
		%	57.14	42.86	0.00		
24	**اخفض من صوتي لطمأنة العميل وشعاره بالتعاطف**	ت	11	6	3	2.29	**9**
		%	52.38	28.57	14.29		
25	**احترم لحظات الصمت التي يبدها العميل**	ت	16	5	0	2.76	**3**
		%	76.19	23.81	0.00		
26	**التلاقي بصريا مع العميل لأشعاره بالتعاطف**	ت	16	5	0	2.76	**3مكرر**
		%	76.19	23.81	0.00		
27	**أربت على كتف العميل تقديرا لظروفه**	ت	10	9	2	2.38	**8**
		%	47.62	42.86	9.52		
28	**أتحاشى النظر إلي العميل حتى لا اشعر بالخجل**	ت	7	12	2	2.24	**10مكرر**
		%	33.33	57.14	9.52		
29	**أرتب على يد العميل كدليل على الرضاء**	ت	9	7	5	2.19	**11**
		%	42.86	33.33	23.81		
30	**ابتسم للعميل لإشعاره بالود والارتياح**	ت	16	5	0	2.76	**3مكرر**
		%	76.19	23.81	0.0		
31	**ابتسم في وجه عند المقابلة لتهدية مشاعره**	ت	13	3	5	2.38	**8مكرر**
		%	61.90	14.29	23.81		
32	**استخدم الهمهمة لحث العميل على الاستمرار في الكلام**	ت	12	5	4	2.38	**8مكرر**
		%	57.14	23.81	19.05		

(1) سعيد عبد العال ، أهمية الاتصال البصري بين كل من أخصائي خدمة الفرد والعميل مرجع سبق ذكره ، ص 237-259

ت	العبـــــارة	الفئة	درجة الموافقة			متوسط العينة	الترتيب
			نعم	احيانا	لا		
33	**أنظر إلي عيني العميل عند تفاعله معي**	ت	17	4	0	2.81	2
		%	80.95	19.05	0.00		
34	**أهز رأسي كدليل على التعاطف**	ت	15	4	2	2.62	5
		%	71.43	19.05	9.52		
35	**التزم بموعد المقابلات بدقة**	ت	19	2	0	2.90	1
		%	90.48	9.52	0.00		
36	**أستخدم حركة يدي لتشجيع العميل على الكلام**	ت	17	2	2	2.71	4
		%	80.95	9.52	9.52		
37	**أركز نظري على العميل أثناء الحديث**	ت	14	6	1	2.62	5 مكرر
		%	66.67	28.57	4.76		
38	**أحرك رأسي لأسفل وأعلى كدليل على الاهتمام والموافقة**	ت	11	10	0	2.52	7
		%	52.38	47.62	0.00		
39	**أنصت للعميل أثناء سرده للموقف الإشكالي**	ت	17	4	0	2.81	2 مكرر
		%	80.95	19.04	0.00		
	المتوسط العام لإجابات مفردات عينة البحث عن المحور الثاني					2.55	

بالنظر إلى الجدول رقم 7 يتضح من إجابات أفراد العينة على فقرات المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تسهل في عملية المساعدة حيث جاء الوزن المرجح للمحور كاملاً فوق المتوسط حيث بلغ 2.55 ، وبالرجوع إلى فقرات المحور نلاحظ بأن فقرة التزم بموعد المقابلات بدقة بوزن مرجح 2.90 جاءت في المرتبة الأولي، وهذا راجع لمدى التزام الأخصائيين الاجتماعيين بأهمية المقابلة في موعدها المحدد نظراً لما لها من أهمية في زرع الثقة بين الأخصائي والعميل ، وتاليها في المرتبة الثانية فقرات أنظر إلي عيني العميل عند تفاعله معي وتتفق هذه النتيجة مع دراسة عبد العال حيث أكدت على أهمية استخدام أساليب الاتصال البصري بين أخصائي خدمة الفرد والعميل وخاصة في تطبيق مبادئ خدمة الفرد [1] ، أنصت للعميل أثناء سرده للموقف ألأشكالي بوزن مرجح 2.81 ، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة نبيل إبراهيم التي دعت إلى استخدام الإصغاء كمهارة أساسية يتدرب طلاب الخدمة الاجتماعية أثناء الاجتماعات الإشرافية [2] واحتلت المرتبة الثالثة فقرات احترم لحظات الصمت التي يبدها العميل، ابتسم للعميل لإشعاره بالود والارتياح ، التلاقي بصريا مع العميل لأشعاره بالتعاطف بوزن مرجح 2.38 ، وجاءت فقرة أستخدم حركة يدي لتشجيع العميل على الكلام في المرتبة الرابعة بوزن مرجح 2.71 ، وفي المرتبة الخامسة جاءت فقرات **أهز رأسي كدليل على التعاطف ، أركز نظري على العميل أثناء الحديث** بوزن مرجح 2.62 ، واحتلت الفقرات **أتحاشى النظر إلي العميل حتى لا اشعر بالخجل ، أرتب على يد العميل كدليل على الرضاء** المرتبة الأخيرة .

(1) سعيد عبد العال ، أهمية الاتصال البصري بين كل من أخصائي خدمة الفرد والعميل مرجع سبق ذكره ، ص 237-25
(2) نبيل إبراهيم أحمد ، الإصغاء كأداة في الاجتماعات الإشرافية الجماعية ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ص 71 -97

النتائج العامة للبحث

1. بينت نتائج البحث أن فئة متزوج بلغت بنسبة 52.38% من عينة البحث .
2. أوضحت نتائج البحث أن أغلب عينة البحث يتجاوز أعمارهم من 36 سنة فما فوق .
3. تبين من نتائج البحث أن أغلب عينة البحث خبرة عملية من 10 سنوات فما فوق .
4. أوضحت نتائج البحث أن أغلب عينة البحث حاصلين على مؤهلات جامعية .
5. تبين نتائج البحث أن الأخصائيين الاجتماعيين العاملون بالمؤسسات الاجتماعية لا يمارسون بشكل واضح وجلي المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تعيق في عملية المساعدة، حيث جاء الوزن المرجح للمحور كاملاً دون المتوسط (2) حيث بلغ 1.63 .
6. أوضحت نتائج البحث أن أن الأخصائيين الاجتماعيين العاملون بالمؤسسات الاجتماعية يمارسون بشكل واضح وجلي المهارات غير اللفظية التي تصدر عن الأخصائي الاجتماعي أثناء المقابلات لنقل بعض المعاني والأفكار و للتعبير عن الانفعالات إلى العميل التي تسهل في عملية المساعدة ، حيث جاء الوزن المرجح للمحور كاملاً فوق المتوسط حيث بلغ 2.55.

التوصيات

1. يوصي الباحث أجراء المزيد من الدراسات والبحوث لدراسة الاتصال غير اللفظي في المجالات الممارسة الأخرى .

2. إقامة الدورات التدريبية الخاصة بتطوير الممارسة المهنية للأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية لتزويدهم بالمهارات اللفظية وغير اللفظية .

3. فتح قنوات تواصل بين الأكاديميين والأخصائيين العاملين بالمؤسسات الاجتماعية بهدف شرح ومناقشة المهارات اللفظية وغير اللفظية .

المراجع

1- السيد عبد الحميد عطية ، محمد محمود المهد لي ، الاتصال الاجتماعي وممارسة الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2004 .

2- حسين الطوبجى ، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعلم ، الكويت ، دار القلم ، 1982.

3- حسن عماد مكاوي ، تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، القاهرة الدار المصرية اللبنانية ، 1993 .

4- جمال شحاتة حبيب ، الممارسة العامة من منظور حديث في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2009 .

5- سعيد عبد العال ، أهمية الاتصال البصري بين كل من أخصائي خدمة الفرد والعميل في مجلة الخدمة الاجتماعية ، العدد 34-35 ، القاهرة الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين ، يونيو 1992 ،

6- سلوى عثمان الصديقي ، أميرة منصور يوسف ، الاتصال والخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 2005.

7- ماجدة بهاء الدين السيد ، حزامة جودت ، وقفة مع الخدمة الاجتماعية ، عمان ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، 2005 .

8- محمد البدوي الصافي ، المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2011 .

9- محمد السيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، 2011

10- محمد جهاد جمل و دلال هالالت، مهارات الاتصال الإنساني، العين، دار الكتاب الجامعي ،2008 .

11- محمد سلامة غباري ، الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1980 .

12- محمد سيد فهمي ، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، دار الوفاء للنشر والطباعة ، 2011 .

13- محمد محمود المهد لي ، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1997 .

14- سميرة بحر ، كمال يوسف ، أسلوب مفتوح للملاحظة وتسجيل أنماط السلوك غير اللفظي الشائعة الاستخدام لدى معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية بدولة البحرين ، مجلة التربية المعاصرة ، العدد العاشر ، 1988 .

15- نبيل إبراهيم أحمد ، الإصغاء كأداة في الاجتماعات الإشرافية الجماعية ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1996 .

التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب وعلاقته بمتغيري الجنس والتخصص

جامعة المرقب - كلية الاداب والعلوم - قسم علم النفس

فتحية إمحمد علي أحليلي

للعام الجامعي 2017-2018

المقدمة

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب وعلاقته ببعض المتغيرات، كما هدفت غلى معرفة الفروق في التوافق تبعاً لمتغير الجنس والتخصص أهداف الدراسة استخدام الباحث مقياس التوافق الجامعي ، حيث تم تطبيقه على عينة عشوائية طبقية تكونت من (500) طالباً وطالبة منهم (270) في التخصصات الأدبية ،و (230) في التخصصات العلمية، واسفرت النتائج أن مستوى التوفق الجامعي لدى طلبة المرقب كان مرتفعاً حيث كانت النسبة المئوية لدرجة الكلية للمقياس (82.50%). وكانت اعلى درجة للتوافق في البعد الاجتماعي يليه الانفعالي فالدراسي فالانضباطي.

كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة احصائيً عند مستوى دلالة (0.05) في التوافق الجامعي تعزى لمتغير الجنس ولصالح التخصصات العلمية.

تعد مرحلة التعليم الجامعي بجميع متطلباتها النفسية، والاجتماعية، والاكاديمية ميلاداً جديداً للطالب، ولصقل شخصيته في مختلف المجالات، حيث تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية من قبل المهتمين بالجامعات، ونجاح الطالب وحسن تكيفه في الجامعة يترتب عليه نجاحه مستقبلاً بعد التخرج، ويشير برنت bRENT في (القدومي، سلامة، 2011) إلى أن الانتقال من المدرسة إلى الجامعة يعد بمثابة تحد للطالب، ويشكل له درجة عالية من الضغوطات والصراعات، نظراً لتغير الخبرات والمتطلبات الجديدة مقارنة بالحياة المدرسية، وأكد ذلك باركر PARKER(2004) في شارته إلى أن أكثر التحديات التي تواجه طلبة السنة الاولى هي صعوبة إقامة علاقات اجتماعية

جديدة غير العلاقات مع أسرهم، وأصدقائهم في المدرسة، عوضاً عن الصعوبات المرتبطة في صعوبة التوافق مع البيئة التعليمية الجديدة، والتي تختلف كلياً عن البيئة المدرسية(القدومي، وسلامة، 2011:264). فالتوافق مع المجتمع الجامعي مطلب اساسي لنجاح واستمرار الطالب والطالبة اثناء الدراسة الجامعية ويجب توفره لكي يقوم الطالب بمهامه اثناء التعليم الجامعي على اكمل وجه وعدم توفر هذا النوع من التوافق يعتبر مؤشر على أن هناك حاجات غير مشبعة للطلبة داخل البيئة الجامعية يترتب عليها نقص في ذواتهم اثناء فترة التعليم وما بعدها(جمل الليل،1993:188)، وقد أثبت ذلك نتائج بعض الدراسات كدراسة الخالدي(1972)،و الطواب(1974)،و فيراVera(1980)، وباركPark(1982)في (الجبوري، والحمدان:2006). بأن التوافق أمر ضروري للطالب الجامعي، لأنه يؤدي إلى تحصيل دراسي جيد، ويرفع لديه درجة الانتماء، وكذلك الشعور بالامن النفسي و الاجتماعي ، وكلما زادت المشكلات ظهر سوء التوافق، وانخفاض مستوى التحصيل.

مشكلة البحث

حظي موضوع التوافق الجامعي بدرجة كبيرة من الأهمية من قبل الباحثين، ذلك بسبب الانتقال من المرحلة الثانوية التي تختلف في جميع متطلباتها وخصائصها النفسية والاجتماعية والعقلية عن المرحلة الجامعية، ويعتبر أغلب طلاب وطالبات جامعة المرقب من سكان الضواحي مما يجعلهم يجدون صعوبة في التوافق الجامعي اكثر من غيرهم من طلبة الجامعات الليبية الاخرى ، وحيث أشارت نتائج دراسة تنتو(Tinto,1996) إلى أن ما نسبته 57% تركو الجامعة بعد دراسة فصل دراسي بسبب صعوبة التوافق مع المجتمع الجامعي(القدومي، وأخرون،2011).

يعد عدم التوافق مع الوسط الجامعي من المعيقات التي يستوجب على الطالب الإسراع في التأقلم معها، وهذا ليس بالأمر السهل وإنما يتحدد بمتغيرات متعددة ومتنوعة، فعندما يلتحق الطلبة بالجامعة تظهر اختلافات واسعة في تلك العوامل المساعة على التوافق نظراً لتعدد اساليب التنشئة والتربية بصفة عامة، فبعض الطلبة لا يمتلكون المهارات الدراسية الكافية للنجاح في التعليم الجامعي، كما أنهم يختلفون فيما بينهم من حيث اليات التعامل واستراتيجيات التفاعل مع الدراسة الجامعية.

واشارت الخالدي(1972) إلى أن التوافق الأكاديمي يرتبط ارتباطاً موجباً مع التفوق الدراسي، كما أكد فيرا(Viera,1989) أن زيادة التحصيل الدراسي مرتبطة ارتباطاً موجباً بزيادة التوافق. ويتف

في هذا الشأن مع الطواب(1974) حيث أوضح أنه ملكا زادت مشكلات التوافق أنخفض مستوى تحصيل الطلاب.

وتتحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي

- ما مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب، وهل هناك فروق في التوافق الجامعي تعزى لمتغيري الجنس والتخصص؟

فروض البحث

- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في التوافق الجامعي تعزى لمتغير الجنس(طلاب -طالبات) لدى طلبة جامعة المرقب؟
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في التوافق الجامعي تعزى لمتغير التخصص(علمي - انساني) لدى طلبة جامعة المرقب؟

اهداف البحث

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب ، كما تهدف إلى معرفة الفروق الجامعي تبعاً لمتغيري الجنس(ذكور – أناث) والتخصص(علمي -انساني).

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في جانبيين: نظري، وتطبيقي، وذلك على النحو الأتي:

الأهمية النظرية

1- تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية الموضوع الذي يتطرق إليه، وهو التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب .

2- يمكن عد هذه الدراسة إضافة جديدة للمعرفة العلمية.

3- تأتي الدراسة الحالية مساير للاهتمام المتزايد على المستوى الدولي والمحلي بالجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية لدى طلبة الجامعة.

استكشاف مدى تباين الفروق في متغيرات الدراسة يضفي قدراً من الأهمية تتحدد في تحديد الاحتياجات والبرامج الإرشادية والاكاديمية المناسبة لكل جنس وتخصص مع بداية كل عام جامعي.

الأهمية التطبيقية

1- تتجلى أهمية الدراسة الحالية بالإفادة من نتائجه وتوظيفها في مجموعة من التوصيات والمقترحات التي يتم التوصل إليها، كي يستعين بها الباحثون والمختصون في علم النفس والتربية، من أجل تحسين حياة الطالب الجامعي.

مفاهيم البحث

من أهم المفاهيم التي وقف عليها :

يعرف ولمان(1973)التوافق بأنه: "علاقة متناغمة مع البيئة تتضمن القدرة على إشباع أغلب حاجات الفرد والإجابة عن أكثر المتطلبات الطبيعة والاجتماعية"(شوكت، 2000: 123).

ويعرف ستيوارت(1996)التوافق بأنه: "تعديلات في السلوك والأفكار التي تمكن الكائن من إحداث تغيرات بيئية بطريقة تتفق مع بيئته وقدراته الفكرية"(مصطفى،2010: 93).

ويعرف عوض(1984) التوافق الجامعي بأنه:" حالة تبدو في العملية الدينامية المستمرة التي يقوم بها الطالب الجامعي لاستيعاب مواده الدراسية والنجاح فيها، وتحقيق التواؤم بينه وبين البيئة الجامعية ومكوناتها الأساسية، وهي الأستاذ، والزملاء، والأنشطة الاجتماعية، والثقافية، والرياضية، والمواد الدراسية، وأسلوب التحصيل الدراسي"(عبد الجابر،2012: 213).

ويعرف جمل الليل(1993) التوافق الجامعي بأنه"التوجه نحو إقامة علاقات اجتماعية مع الأخرين، والشعور بالاستمتاع بتلك العلاقات، ويشتمل على أربعة رئيسية هي: البعد الاجتماعي، والبعد الانظباطي، والبعد الانفعالي، والبعد الدراسي"(جمل الليل،1993: 85).

ويرى كل من بوكير وسيرك(1999)التوافق الجامعي بأنه" مفهوم متعدد الابعاد ينطوي على مجموعة من المتطلبات المتنوعة في النوع والدرجة الأمر الذي يتطلب التأقلم معها وهذه الابعاد هي التوافق الأكاديمي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق العاطفي، والتوافق الشخصي، والمؤسسي(Mahyuddinet,al, 2010,p: 123)

أما التعريف الإجرائي للتوافق الجامعي فيعرفه الباحث بأنه: مجموع استجابات طلاب وطالبات جامعة المرقب على مقياس التوافق الجامعي. إعداد جمل الليل(1993).

تعريف طلاب وطالبات جامعة المرقب: يقصدبطلاب وطالبات جامعة المرقب كل من يدرس فيها من ذكور وإناث على اختلاف تخصصاتهم وأقسامهم لمرحلة البكالوريوس في عام 2018م.

حدود البحث

تتمثل حدود البحث في الأتي :-

الحدود الموضوعية: تقتصر على التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب بكليتي الأداب والعلوم في الأبعاد التالية: البعد الاجتماعي، البعد الانضباطي، البعد الانفعالي، والبعد الدراسي.

الحدود البشرية: تقتصر الدراسة على عينة ممثلة لطلبة جامعة المرقب.

الحدود الزمنية: تتمثل في العام الجامعي 2018م.

الحدود المكانية: تتمثل في جامعة المرقب بليبيا.

الإطار النظري

تم في هذا الفصل تناول قسمين:

*القسم الأول: يتضمن الإطار النظري لموضوع التوافق الجامعي.

*القسم الثاني: يتضمن الدراسات السابقة التي أجريت حول موضوع التوافق الجامعي، ومناقشتها، وبيان مدى الإفادة منها في الدراسة.

أولاً: مداخل التوافق

1- المدخل التحليلي

يفترض فرويد إن الجهاز النفسي يتكون من الهو، والأنا، والأنا الأعلى، فالهو منبع الطاقة الحيوية والنفسية، ومستودع الغرائز، والدوافع الفطرية التي تسعى إلى الإشباع في أي شكل من أشكال وبأي ثمن، أما الأنا فهو مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي، والداخلي، والعمليات العقلية، والمشرف على الحركة والإدارة والدفاع عن الشخصية وحل الصراع بين مطالب الهو والأنا، أما الأنا الأعلى فهو عبارة عن مستودع المثاليات والاخلاقيات والضمير، والمعايير الاجتماعية، والقيم الدينية، وهو بمثابة رقيب نفسي، أو سلطة داخلية، فالأنا السليمة هي التي تستطيع التوفيق، في حين أن الأنا الضعيفة إما أن تخضع لمطالب(الهو) حيث يسود مبدأ اللذة، وتقل سيطرة الواقع، أو أن تخضع لتأثير الأنا الأعلى، فلا تشبع حاجاتها، وهنا ينشأ الصراع والتوتر والقلق(الجماعي،2007: 93-94). وفي محاولة الأنا للتوافق بين مطالب الأنا الأعلى، فأنها(أي الأنا) تنمي الحيل الدافاعية، وهي أنماط سلوك تحاول التخفيف من التوتر والقلق، وتساعد الفرد في محاولاته للتوافق، وعلى أي

حال فأن التوافق عند فرويد نادر الوجود، لانه يعني أن الشخصية مرت بمراحل التطور المختلفة، ولم يحدث لها تثبت عند مرحلة معينة لم تتجاوزها، وأنها تملك أنا قوية، كما أن التوافق لدى الشخص يحدث عند المرحلة التناسلية، وعندها سيكون شخصاً ناضجاً جنسياً ونفسياً واجتماعياً(مجلي،2002: 45)

2- المدخل السلوكي

يرى أصحاب المدرسة السلوكية أن الشخص الذي استطاع أن يكون عادات سوية نتجت من خلال ارتباطات بين متغيرات حسية واستجابات جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية دعمت بالإثابة وتكررت فتكونت عادة(مصطفى،2010 :87). وكذلك يرى أصحاب المدرسة السلوكيةأن التوافق يقوم على مجموعة من العادات المناسبة والفعالة في معاملة الأخرين، والتي سبق وأن تعلمها الفرد، وأدت إلى خفض التوتر عنده أو أشبعت دوافعه وحاجاته، وبذلك دعمت وأصبحت سلوكاً يستدعيه الفرد كلما وقف في نفس الموقف مرة أخرى(عبد الجابر، 2012: 76). فالشخصية السوية المتوافقة عند السلوكيين رهن تعلم عادات صحية سليمة وتجنب اكتساب العادات السلوكية غير السليمة، فالفرد المتوافق لديه القدرة لديه القدرة على اكتساب العادات المناسبة واتخاذ القرارات الملائمة، وتحدد الصحة النفسية هنا بالمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع المحيط بالفرد، ولذا فإن الفرد السوي يقوم بالسلوك المناسب في كل موقف حسب ما تحدده الثقافة التي يعيش في ظلها الفرد(مجلى،2002: 56).

3- مدخل التعلم الاجتماعي

يرى باندورا أن أي شئ يمكن تعلمه مباشرة يكون في الإمكان تعلمه عن طريق ملاحظة الأخرين، أو الاقتداء بنموذج(Modeling)، أو المحاكاة(Lmitation) (دافيدوف، 1983: 238). ويشير المصري في مجلي(2002) إلى أن باندورا يرى أن المبادئ التي يتم من خلال تعديل السلوك المرضي غير المتوافق هي نفسها مبادئ التعليم، ويعتبر التدريب على المهارات المعرفية والاجتماعية طريقة إرشادية متعددة العناصر تستخدم أنواعاً من الاستراتيجية إضافة إلى التغذية الراجعة والتعليمات ولعب الأدوار والتعزيز. كما يشير بيكن(1984) إلى أن الرفد هو الحر من المخاوف العصبية والقلق المرضي، واللذين قد ينجمان بسبب التعلم الخاطئ ، وهذا الفرد يكون قادراً على الاستفادة من البيئة بشكل ناجح من أجل إشباع حاجاته(مجلي،2002: 63).

4- مدخل الذات

يعرف روجرز الذات بأنها كينونة الرفد، تنمو وتنفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية. وقد عزى روجرز انواع السلوك الإنساني إلى دافع واحد هو تحقيق الذات، فالشخصية عنده نتاج للتفاعل المستمر بين الذات وبين البيئة المادية والاجتماعية، وأن الشخصية ليست ساكنة، بل أنها دائمة الحركة والتغيير، وأن السلوك الإنساني يعمل بشكل كلي موحد وإيجابي نحو هدف تحقيق الذات. فالتوافق يحدث عندما يصبح مفهوم الذات للفرد في وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحي بأن تصبح متمثلة في مستوى رمزي وعلى علاقة ثابتة ومتسقة من مفهوم الذات(الجماعي ، 2007: 106-108).

في حين أن الخبرات التي لا تتسق مع تنظيم الذات تمثل تهديداً له، وكلما أزداد الجمود في تنظيم الذات وتقييم دفاعاتها ضد هذا التهديد، وهكذا عندما يتوفر للفرد تقبل لخبراته الحسية والحشوية، فإنه يصبح أكثر تفهماً للآخرين، وتتحسن علاقاته معهم إلى الحد الذي عندما يحدث المزيد من ذلك فإنه يراجع باستمرار إطاره المرجعي من القيم، ويستطيع أن يعدله. ففي كل شخص نزوع قوي لإظهار نفسه بتوافقه مع ذاته ومع الآخرين. ويرى روجرز أنه في حالة حدوث تطابق الذات والخبرات الحقيقة التي يتعرض لها الفرد سيكون الشخص متوافقاً وناجحاً بشكل سليم، وأن مفهوم الذات يرتبط بشكل جوهري بالتوافق السليم، وأي خلل في مفهوم الذات يؤثر على التوافق، وتظهر علامات أو أعراض سوء التوافق(مجلي، 2002: 87)

ثانياً: التوافق الجامعي

أبعاد التوافق الجامعي:

1- التوافق الاجتماعي: يشير إلى حالة التوافق بين الفرد والبيئة المحيطة به، وهي عملية ديناميكية مستمرة تهدف إلى تعديل سلوك الفرد في سبيل التغلب على الصعوبات التي تقف حائلا بينه وبين إقامة علاقة ودية حميمة بينه وبين نفسه من جهة، وبينه وبين البيئة المحيطة به من جهة أخرى.(الشكعة،2013: 55)

2- التوافق العاطفي: يشير إلى أي نشاط يقوم به الطالب الجامعي، ويقق له قدراً من الرضا عن الذات، والثقة بالنفس، والقدرة والمهارة على إشباع حاجاته ودافعه دون إحباط من البيئة المحيطة به، والإحساس بتقبل القيم والاتجاهات الجامعية، والمشاركة في الأنشطة الجامعية المختلفة(جمل الليل، 1993: 143)

3- التوافق الدراسي: يشيرإلى قدرة الطالب الجامعي على التوافق مع الحياة الجامعية، والوصول إلى حالة من الرضا النفسي عن أدائه الدراسي، وإحساسه بحالة من التناغم في علاقاته مع أساتذته، وزملاء الدراسة، ومع البيئة الجامعية(القدومي، وسلامة،2011: 97).

4- التوافق االانظباطي(النظامي): يشير إلى قدرة الطالب الجامعي على إشباع حاجاته، ومتطلباته النفسية والاجتماعية، والدراسية، وتحقيق نجاح في الأهداف التي وضعها أثناء دخوله البيئة الجامعية من خلال مكوناتها الأساسية: الأساتذة، والزملاء، والأنشطة الاجتماعية والترفيهية، وتحقيق التفوق الدراسي، كما يشير إلى مظاهر الالتزام بقوانين الجامعة ومتطلبات العمل الاكاديمي(جمل الليل،1993: 156).

ثانياً: الدراسات التي تناولت التوافق الجامعي

-دراسة جريسون (2003) هدفت إلى معرفة أثر التوافق الجامعي المبكر في التحصيل الأكاديمي، وتكونت عينة الدراسة من جميع طلبة السنة الأولى في جامعة يورك ترنتو، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود أثر إيجابي لدى أفراد العينة تمثلت في تحصيلهم على درجات عالية وإنهاء المتطلبات الجامعية بسهولة، كما أوضحت النتائج أثر التوافق المبكر، حيث كان لها تأثير بسيط على الدرجات ، في حين أن الطلبة الذين لم يتكيفوا ولم يتأقلموا مبكرين بالجامعة ليس بالضرورة أن تكون مرتبطة بالأثر السلبي.

- كما تناولت دراسة الجبوري والحمداني(2006)كشف العلاقة بين التوافق مع المجتمع الجامعي والاتجاه نحو التخصصات الدراسية، والجنس، والسنة الدراسية، والتخصص، وبيئة السكن، والقسم الذي يدرس فيه الطالب. وتكونت عينة الدراسة من (410)طلاب وطالبات من جامعة المرج، وتم استخدام مقياس الاتجاه نحو التخصص ومقياس التوافق مع المجتمع الجامعي.وتوصلت الدراسة إلى أن التوافق مع المجتمع الجامعي والاتجاه نحو التخصصات الدراسية كان إيجابياً، وأن هناك تأثيراً معنوياً في إحداث التوافق يتمثل في الاتجاه نحو التخصص، ومستوى السنة الدراسية في الجامعة، أما باقي المتغيرات فليس لها أي تأثير معنوي في إحداث هذا التوافق، بمعنى أنه كلما تقدم الطالب في دراسته الجامعية كلما ازداد توافقه في المجتمع الجامعي.

- وأجرى حبايب، وأبو مرق(2009)دراسة هدفت إلى المعرفة واقع التوافق بمجالاته الاربعة (الاجتماعي ، والدراسي، والانظباطي، والانفعالي)لدى طلبة جامعة النجاح، كما هدفت إلى

معرفة الفروق في واقع التوافق تبعاً لمتغيرات موضوع الدراسة والتفاعل فيما بينها(الكلية، والجنس، وتغيير التخصص، والإقامة في مكان وجود الجامعة)، وتكونت عينة الدراسة من (845)طالباً وطالبة، كما تم استخدام مقياس التوافق الجامعي من إعداد جمل الليل. ةأسفرت نتائج الدراسةعلى أن واقع التوافق بجميع أبعاده الأربعة إيجابية لدى أفراد العينة، وأقل من (0.05). إذ جاء في المرتبة الأولى المجال الاجتماعي بنسبة (74.8%)، يليه الانفعالي (56.47%)، ثم الانظباطي (54.80%)، وأخيراً الدراسي (51.53%)، كما أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدالة(0.05) في واقع التوافق في كل من المجال(الاجتماعي والدراسي والانظباطي) في متغير الكلية، وتبين وجود فروق ذات دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في المجال الانفعالى لصالح الكليات الإنسانية وكذلك عدم وجود فروق في المجالين (الاجتماعي والانفعالي) في متغير الجنس . في حين تبين وجود فروق في المجالين (الدراسي، والانظباطي) في متغير الجنس لصالح الذكور في المجال الانظباطي ولصالح الإناث في المجال الدراسي، كما أسفرت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.05) في المجال الانظباطي في متغير تغيير التخصص، بينما تبين وجود فروق دالة احصائياً في المجالات (الاجتماعي، والدراسي،و الانفعالي) وفقاً لمتغير تغيير التخصص، ولصالح الطلبة الذين لم يغيروا تخصصهم في المجالين الاجتماعي والدراسي، والدرجة الكلية للتوافق.كما اشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في متغير الإقامة في مكان تواجد الجامعة في المجالين(الانظباطي والانفعالي)، في حين كانت الفروق في المجالين(الاجتماعي، والدراسي) لصالح الطلبة الذين يقيمون في مكان وجود الجامعة.

- كما اقتصرت دراسة القدومي، وسلامة (2011) التعرف على مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة البكالوريوس في الاكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية في أريحا. كما هدفت إلى تحديد الفروق في التوافق الجامعي تبعاً لمتغيرات الجنس، والتخصص، ومعدل الثانوية العامة، ومكان السكن الدائم. وتكونت عينة الدراسة من (121) طالباً وطالبة، وتم استخدام مقياس التوافق الجامعي من إعداد جمل الليل، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن مستوى التوافق الجامعي الكلي لدى أفراد عينة الدراسة كان عالياً، حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية للتوافق إلى(88%)، وكانت أعلى درجة من التوافق في البعد الاجتماعي، حيث وصلت إلى (88%)، يليه البعد الانفعالي بنسبة (82%)، يليه البعد الدراسي بنسبة (80.50%)، واخيراً

البعد الانظباطي بنسبة (78.50). بينما لم تكن الفروق دالة احصائياً تبعاً لمتغيرات التخصص، والمعدل في الثانوية العامة، ومكان السكن الدائم.

- وأجرى الخطيب وآخرون (2012) دراسة هدفت إلى قياس درجة توافق الطلاب مع الحياة الجامعية على عينة مكونة من (334) طالباً من طلبة جامعة البلقا التطبيقية، وقام الباحثون بتطبيق مقياس التوافق الجامعي، وتوصلت النتائج إلى أن درجة توافق الطلاب مع الحياة الجامعية متوسط، وأنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) على مقياس التوافق الجامعي تعزى إلى الكلية والجنس والمستوى الدراسي، ولا يوجد دلالة للتفاعل فيما بينهم.
- كما أجرى الشكعة (2013) دراسة هدفت إلى التعرف على مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة النجاح الوطنية والقدس المفتوحة في ضوء متغيرات الجنس ونظام الدراسة والتفاعل بينهما. وتكونت عينة الدراسة من(759)طالباً وطالبة من الجامعتين، تم اختيارهم بطريقة عشوائية طبقية، أما من حيث الأداة المستخدمة فقد استخدم الباحث مقياس التوافق مع الحياة الجامعية من إعداد (Bhdonsiryk)، وقد توصلت الدراسة إلى أن مستوى التوافق مع الحياة الجامعية لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة وطلبة جامعة النجاح الوطنية كان متوسطاً، حيث كانت النسبة المئوية للأستجابة(69.33%)، كماأظهرت النتائج أن تربيت مجالات التوافق مع الحياة الجامعية لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة والنجاح الوطنية جاء على النحو الأتي : بعد الالتزام بتحقيق الأهداف بنسبة96%، ويليه الاجتماعي وبنسبة68% ، ثم الاكاديمي وبنسبة 67%، ثم العاطفي الشخصي وبنسبة64%، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في التوافق الجامعي بين طلبة جامعة النجاح والقدس تعزى لمتغير نظام الدراسة ولصالح التعليم النظامي، ومتغير الجنس ولصالح الذكور، ولم تكن الفروق دالة تبعاً للتفاعل بين نظام الدراسة والجنس.
- كما استهدفت دراسة روبرتز(2013) اكتشاف العلاقة الارتباطية بين الفعلية الذاتية، وإدارة الانفعالات، والتوافق الجامعي والتحصيل الاكاديمي على عينة بلغت(331)، طبق مقياس التوافق الجامعي ثلاث مرات خلال السنة الأولى، وتوصلت النتائج إلى وجود أربعة مسارات للتوافق الجامعي هي: توافق جامعي منخفض، وتوافق جامعي متوسط، وتوافق جامعي مرتفع، وتوافق جامعي منخفض. ويمكن التنبؤ بالانضمام إلى مجموعة التوافق المنخفض في ضوء

مؤشرين هما الدرجات المتدنية على مقياس الفاعلية الذاتية، ومقياس إدارة الانفعالات، وكذلك من خلال حصولهم على درجات منخفضة في التحصيل الاكاديمي.

التعقيب على الدراسات السابقة

- اختلفت نتائج الدراسات السابقة في مضوع التوافق مع الحياة الجامعية والعوامل المرتبطة به، ويرجع ذلك إلى اختلاف المتغيرات والدوات المستخدمة في الدراسة، وكذلك مجتمع البحث وعينته، والمعالجات الإحصائية المستخدمة في الدراسة.
- أن التخصص ونوع الجنس والسكن ومكان وجود الجامعة من العوامل التي لها علاقة بالتوافق الجامعي، ويتضح ذلك في دراسات(الجبوري والحمدان2006، ودراسة القدومي وسلام2011، ودراسة حبايب وأبو مرق2009).
- دراسة الخطيب وآخرون 2012 تطرقت إلى التوافق الجامعي من زاوية أخرى من خلال قياس درجة التوافق مع الحياة الجامعية.
- الدراسة الحالية تهتم بالتعرف على التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب، والذين اغلبهم من سكان الضواحي التي تبعد عن المدينة، ويغلب على طلاب جامعة المرقب الطابع المتحضر في معيشتهم ، ولكن بعيد عن تحضر المدينة، وهذا ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة.

منهج البحث وإجراءاتها

أولاً: المنهج المستخدم

نظراً لطبيعة البحث والأهداف التي ستسعى لتحقيقها فقد استخدم المنهج الوصفي(الارتباطي) لتحقيق أهداف الدراسة الحالية.

ثانياً: مجتمع البحث

تكون مجتمع البحث من طلبة جامعة المرقب في مدينة الخمس المسجلين للعام الجامعي 2017-2018م .

ثالثاً: عينة البحث

قاما الباحثان باختيار عينة عشوائية طبقية تم تقسيم مجتمع الدراسة إلى الطبقات التالية:

الكليات الأدبية وتشمل:(كلية الأداب ، وكلية التربية) ،والكليات العلمية وتشمل:(كلية العلوم ، وكلية الهندسة)، من طلبة جامعة المرقب بالخمس، المسجلين للعام الجامعي 2017-2018م، ولقد بلغ حجم العينة 240 طالباً وطالبة موزعين بين الكليات الأدبية والعلمية بالجامعة.

الجدول رقم (1) يوضح توزيع العينة

نوع الكلية	عدد الطلاب	عدد الطالبات	المجموع
التخصصات الأدبية	65	65	130
التخصصات العلمية	55	55	110

رابعاً: أداة البحث

بعد الاطلاع على بعض الأدبيات والدراسات السابقة التي تناولت التوافق الجامعي، وكذلك الاطلاع على بعض ما هو موجود من مقاييس التوافق الجامعي وهي كالأتي:

1. مقياس التوافق مع المجتمع الجامعي من إعداد محمد جعفر جمل الليل(1993).
2. مقياس التوافق الجامعي من إعداد بيكر- وسيرك(Baker-Siryk) قننه وعربه على البيئةالمصرية على عبد السلام(2000).

ومن خلال الإجراءات السابقة، وبعد الاطلاع على هذه المقاييس وجد محمد جعفر جمل الليل هو أكثر المقاييس صلاحية وملائمة للتطبيق على طلاب الجامعة في البيئة الليبية للأعتبارات الأتية:

1. مناسبة المقياس لأعمار عينة الدراسة الحالية.
2. سهولة تطبيقه بطريقة جماعية تتناسب مع حجم عينة الدراسة الحالية.

ويتكون المقياس من (44) فقرة موزعة على أربعة أبعاد هي الاجتماعي ويشمل على(14) فقرة وهي(1، 2، 4، 8، 10، 15، 16، 19، 26، 29، 3، 34، 38، 4) ،والبعد الانضباطي(النظامي) ويتكون من (9) وهي(6، 11، 20، 23، 24، 27، 30، 43، 44)، والبعد الانفعالي ويتكون من (11)فقرة وهي(5، 7، 13، 21، 25، 31، 35، 37، 39، 40)، والبعد الدراسي ويتكون من(10)فقرة وهي(3، 9، 12، 14، 18، 22، 28، 33، 36، 41)، ويتوافر للمقياس صدق التكوين من خلال ارتباط الأبعاد مع الدرجة الكلية، وارتباط الفقرة مع أبعادها، حيث كان جميعها دالة إحصائياً وفيما يتعلق بثبات المقياس وصل باستخدام الطريقة النصفية إلى (0.87)، في حين استخدمت الدراسة الحالية الصدق التكوين من خلال ارتباط الابعاد مع الدرجة الكلية وارتباط

العبارات مع ابعادها، حيث كان جميها دالة احصائياً، وفيما يتعلق بثبات المقياس وصل الثبات في الدراسة الحالية إلى 0.80 بطريقة التجزئة النصفية، و0.81 بطريقة الفا كرونباخ.

خامساً: تصحيح المقياس

فيما يتعلق بتصحيح المقياس يجيب المفحوص عن فقرات المقياس "نعم" تأخذ درجتين، و"لا" تأخذ درجة واحدة للفقرات الإيجابية والعكس بالنسبة للفقرات السلبية.

سادساً: اجراءات البحث

1. تحديد افراد مجتمع وعينة البحث.
2. تحقق الباحثان من الثبات والصدق.
3. توزيع المقياس.
4. جمع البيانات وادخالها في الحاسوب ومعالجتها احصائياً باستخدام(spss).
5. عرض النتائج ومناقشتها في ضوء الدراسات السابقة وتساؤلات الدراسة.

سابعاً: المعالجات الاحصائية

من أجل معالجة البيانات استخدم الباحثان المتوسطات والنسب المئوية للإجابة عن السؤال الأول وتحليل التباين الثنائي للإجابة عن السؤال الثاني.

ثامناً: عرض النتائج ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بالتسأول الأول والذي نصه

-ما مستوى التوافق الجامعي لدي طلبة جامعة المرقب للإجابة عن التساؤل الأول استخدم الباحثان المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لكل فقرة ولكل بعد كما هو مبين في الجدول رقم(2) (3) (4) (5) (6) يبين خلاصة نتائج التساؤل الاول، حيث استخدمت النسب المئوية(80%) فأكثر للتعبير عن توافق مرتفع، و(79.60%) للتعبير عن توافق متوسط واقل من (60%) للتعبير عن توافق منخفض.

1. البعد الاجتماعي

جدول (2) يوضح المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للتوافق الاجتماعي لدى طلبة جامعة المرقب

رم	الفقرات	المتوسط الحسابي	النسب المئوية%	مستوى التوافق
1	يندر أن يقيم أي طالب/ طالبة صداقة معي في هذه الجامعة.	1.84	89.00	مرتفع
2	سرعان ما يحبني ويقدرني الأساتذة.	1.76	92.00	مرتفع
4	كثيراً ما يسخر بعض الطلبة مني إذا سنحت لهم الفرصة.	1.84	91.00	مرتفع
8	كثيراً ما يهمل الزملاء آرائي.	1.76	88.0	مرتفع
10	يجب أن تكون علاقتي مع فئة قليلة من الطلبة.	1.81	93.00	مرتفع
15	إن قضاء معظم الوقت مع الطلبة في الجامعة أمر ممتع.	1.86	90.50	مرتفع
16	أرغب في المشاركة بالأنشطة الاجتماعية التي تقيمها الجامعة.	1.83	92.00	مرتفع
19	إن نجاح أو تفوق زميل هو نجاح وتفوق للجميع.	1.80	90.00	مرتفع
26	لا أتردد في مناقشة أي مسؤول داخل الجامعة.	1.75	87.50	مرتفع
29	أصدقائي /صديقاتي قليلون في الجامعة.	1.68	79.00	متوسط
32	أجد كل احترام وتقدير في الجامعة.	1.58	84.00	مرتفع
34	أحاول التعرف على كل طالب وطالبة يكون مسجلاً معي في المستوى نفسه.	1.65	85.50	مرتفع
38	أشعر بأن ما أقوله يقابل بالتجاهل من الاساتذة.	1.81	90.50	مرتفع
42	أتعاون مع معظم الاساتذة في الجامعة.	1.71	82.50	مرتفع
	الدرجة الكلية للمجال الاجتماعي	1.76	88.00	مرتفع

يتضح من الجدول (2) أن مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب على فقرات البعد الاجتماعي كان مرتفعاً على جميع الفقرات ما عدى الفقرة (29) كانت متوسطة، وفيما يتعلق بالدرجة لكلية للتوافق في البعد الاجتماعي كانت مرتفعة، حيث وصلت النسبة المئوية للأستجابة إلى (88%).

2. البعد الانضباطي

الجدول(3) يوضح المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجة التوافق الانضباطي لدى طلبة جامعة المرقب

رم	الفقرات	المتوسط الحسابي	النسب المئوية%	مستوى التوافق
6	أكثر من الالتفات يميناً ويساراً أثناء المحاضرة.	1.67	78.00	متوسط
11	يسعدني غياب أو تأخر الأساتذة عن المحاضرة.	1.60	86.50	مرتفع
20	الواجبات الدراسية تثير الإزعاج والتذمر.	1.77	83.50	مرتفع
23	يطلب مني الأساتذة حسن التركيز والانتباه.	1.77	77.50	متوسط
24	التزم بالتعليمات التي تعلق على لوحة الإعلانات.	1.55	70.00	متوسط
27	أقدم الواجبات التي تطلب مني في الوقت المحدد.	1.56	88.50	مرتفع
30	يتشتت انتباهي في المحاضرات عند تحرك أحد الطلبة هنا وهناك.	1.40	80.00	مرتفع
43	يطبق نظام الجامعة على بعض الطلبة دون الأخرين.	1.73	60.00	متوسط
44	أفضل أن أقضي معظم وقتي في أنشطة الجامعة المتاحة.	1.38	75.50	متوسط
	الدرجة الكلية للبعد الانضباطي	1.57	78.50	متوسط

يتضح من الجدول رقم(3) أن مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب على فقرات البعد الانضباطي كان مرتفعاً على الفقرات(11، 20، 27، 30)حيث كانت النسبة المئوية للاستجابة عليها(80%)فأعلى أما بقية الفقرات فكان متوسط حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة عليها ما بين (78-69%) أما ما يتعلق بالدرجة الكلية للتوافق في البعد الانضباطي كانت متوسطة حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى(78.50%).

3. البعد الانفعالي

جدول(4)يوضح المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لدرجة التوافق الانفعالي لدى طلبة جامعة المرقب

رم	الفقرة	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية%	مستوى التوافق
5	أشعر بتشتت الذهن وكثرة التفكير عندما أبدا بالدراسة.			متوسط
7	أحب أن أتنافس مع زملائي.			مرتفع
13	أشعر بالحزن من سوء حظي أثناء دراستي.			مرتفع
17	أشعر بالثقة تجاه الأعمال التي أقوم بها في الجامعة.			مرتفع
21	يعتريني الخجل عندما أبدا الكلام حول موضوع الدرس.			متوسط
25	لا أتضايق ولا أتذمر من عدد المواد التي أدرسها.			مرتفع
31	أشعر بعدم سماع ما يقال في المحاضرة بشكل جيد.			متوسط
35	أشعر بعدم قراءة ما يكتب أمامي أثناء المحاضرة.			مرتفع
37	يقلقني توجيه الأسئلة إلى أثناء المحاضرة.			مرتفع
39	أشعر بالقلق من كثرة الواجبات والبحوث التي تطلب مني.			متوسط
40	أشعر بعدم الاطمئنان عن إجابتي في الامتحانات.			متوسط
	الدرجة الكلية للبعد الانفعالي	1.64	82.00	

يتضح من الجدول رقم(4) أن مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب في فقرات البعد الانفعالي كان مرتفعاً في الفقرات (7، 13، 17، 25، 35، 37) حيث كانت النسبة المئوية للاستجابة عليها أكثر من (80%)، وكان متوسط على بقية الفقرات حيث تراوحت ما بين (72.50-77.00)، وفيما يتعلق بالدرجة الكلية للتوافق على البعد الانفعالي كانت مرتفعة حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (82%).

4. البعد الدراسي

جدول (5) يوضح المتوسطات والنسب المئوية ومستوى التوافق للبعد الدراسي

رم	الفقرات	المتوسط الحسابي	النسب المئوية%	مستوى التوافق
3	ليست هناك أهمية لبعض المواد التي أدرسها.	1.46	85.50	مرتفع
9	درجاتي في كثير من المواد تنخفض من وقت لأخر.	1.72	74.00	متوسط
12	التحاقي بالجامعة يكسبني خبرات و مهارات جديدة.	1.82	91.00	مرتفع
14	طريقة تدريس أغلب الأساتذة غير مجدية.	1.48	86.00	مرتفع
18	كثيراً ما أنسحب من بعض المواد عند ما أبدأ دراستها.	1.48	73.00	متوسط
22	توجد صعوبات وعدم تنظيم في مفردات المواد الدراسية.	1.60	76.50	متوسط
28	إن ما يقرر علينا من كتب ومراجع يعود بالفائدة العظيمة.	1.59	80.00	مرتفع
33	أشعر بنشاط وحيوية في بداية العام الدراسي.	1.71	74.00	متوسط
36	بعض المواد التي أدرسها صعبة تحتاج إلى مواد.	1.60	80.00	مرتفع
41	لدى رغبة في التحويل من جامعة إلى جامعة أخرى.	1.66	83.00	مرتفع
	الدرجة الكلية للبعد الدراسي	1.61	80.50	مرتفع

يتضح من الجدول رقم (5) أن مستوى التوافق الجامعي لدى طلبة البكالوريس في جامعة المرقب لفقرات البعد الدراسي كان مرتفعاً على الفقرات(3، 12، 14، 28، 33، 36، 41)، حيث كانت النسبة المئوية فيها(80%) فأكثر، أما بقية الفقرات فقد كانت متوسطة حيث تراوحت النسبة المئوية فيها بين(79-73) وفيما يتعلق بالدرجة الكلية للتوافق في البعد الدراسي كانت مرتفعة حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى(80%).

5. خلاصة نتائج التساؤل الأول

الجدول(6) يوضح الترتيب والمتوسطات الحسابية والنسب المئوية والدرجة الكلية لأبعاد التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب

الترتيب	الابعاد	المتوسط الحسابي	النسب المئوية%	مستوى التوافق
1	البعد الانفعالي	1.64	82.00	مرتفع
2	البعد الانضباطي	1.57	78.50	متوسط
3	البعد الاجتماعي	1.76	88.00	مرتفع
4	البعد الدراسي	1.61	80.50	مرتفع
	الدرجة الكلية للتوافق الجامعي	1.65	82.50	مرتفع

يتضح من الجدول (6) ما يلي أن مستوى التوافق الجامعي الكلي لدى طلبة البكالوريس في جامعة المرقب مرتفعاً حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (82.50%) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة أبو مرق(2009).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني

هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في التوافق الجامعي تعزى لمتغير الجنس(طلاب- طالبات)؟

وللإجابة عن هذا السؤال استخدم اختبار(ت) لمجموعتين مستقلتين كما هو موضح في الجول(7)

الابعاد	ذكر(ن = 120)		أنثى(ن = 120)		(ت)المحسوبة	الدلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
البعد الانفعالي	1.7811	0.1651	1.7296	01764	2.04	*0.02
البعد الانضباطي	1.5998	0.1773	1.5119	0.2209	2.16	*0.01
البعد الاجتماعي	1.6442	0.1959	1.6417	0.1720	0.04	0.19
البعد الدراسي	1.6247	0.2335	1.5757	0.2084	0.81	0.14
الدرجة الكلية	1.6627	0.1554	1.6183	0.1229	1.98	*0.04

يتضح من الجدول رقم(7) أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة(0.05) في التوافق الجامعي في البعدين الاجتماعي والدراسي لدى طلبة جامعة المرقب تعزى لمتغير الجنس، بينما كانت الفروق دالة احصائياً في البعدين الانفعالي والانضباطي للتوافق بين الذكور والإناث ولصالح الذكور وتتفق هذه النتيجة مع دراسة القدومي(2011).

ثالثاً:النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث

هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في التوافق الجامعي تعزى لمتغير التخصص(ادبي– علمي)

وللاجابة عن السؤال استخدم اختبار(ت) لمجموعتين مستقلتين كما هو موضح في الجدول(8)

الابعاد	علمي(ن = 110)		ادبي(ن =130)		(ت)المحسوبة	الدلالة
	المتوسط	الانحراف				
البعد الانفعالي	1.8016	0.1645	1.7340	0.1670	2.24	*0.02
البعد الانضباطي	1.6413	0.2407	1.5897	0.2117	1.24	0.21
البعد الاجتماعي	1.6353	0.2046	1.6567	0.1737	0.67	0.50
البعد الدراسي	1.6155	0.1849	1.5402	0.1913	2.20	*0.03
الدرجة الكلية	1.6730	0.1590	1.6302	0.1357	1.58	0.11

يتضح من الجدول(8) أنه لا يوجد فروق دات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.05)في التوافق الجامعي في البعدين الدراسي والاجتماعي تعزى لمتغير التخصص، بينما كانت الفروق دالة احصائياً في البعد الانفعالي والبعد الاجتماعي ولصالح العلمية وتتفق مع دراسة الجبوري والحمدان (2006).

الاستنتاجات

1- إن درجة التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة المرقب كانت مرتفعة حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة على الفقرات إلى(82.50%).

2- إن البعد الاجتماعي جاء في المرتبة الأولى وبنسبة(88%)، ويليه البعد الانفعالي وبنسبة(82%)، ويليه البعد الدراسي وبنسبة(80%)، واخيراً البعد الانضباطي وبنسبة(78.50%).

3- وجود فروق في مستوى التوافق الجامعي بين الذكور والإناث ولصالح الذكور ، وبين التخصصات العلمية والادبية ولصالح التخصصات العلمية.

التوصيات والمقترحات

1- العمل على أهتمام إدارات الجامعات وأعضاء هئية التدريس بالبحث عن الاسباب الحقيقية لعدم توافق الطلاب وذلك من اجل وضع خطط علاجية من شأنها أن تسهم في تطور الطلبة في مختلف المجالات.

2- العمل على تفعيل الانشطة الهادفة لتعزيز التوافق بين الطلبة.

3- إجراء دراسات مماثلة على مجتمعات أخرى.

المراجع

1- الجبوري، عبد الحسين زروقي،(2006)، التوافق مع المجتمع الجامعي وعلاقته بالاتجاه نحو التخصص الدراسي وبعض المتغيرات لدى طلبة جامعة المرج ، مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، 7(1)، 63- 77.

2- الجماعي، صلاح الدين أحمد،(2008)، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة مدبولي.

3- حبايب، علي، وأبو مرق، جمال،(2009)، التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية في ضوء بعض المتغيرات، مجلة جامعة النجاح للابحاث، فلسطين،23(7)، 859- 879.

4- الخالدي، أديب(1972)، العلاقة بين التفوق وبعض جوانب التوافق الشخصي والاجتماعي لدى تلاميذ المدرسة الإعدادية العراقية(رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة القاهرة.

5- الشكعة، علي ،(2013)، تأثير نظام الدراسة والجنس على التوافق الجامعي لدى طلبة جامعتي النجاح الوطنية وجامعة القدس المفتوحة، مجلة دراسات العلوم التربوية، 40(2)، 533- 547.

6- شوكت، عواطف وإبراهيم أحمد،(2000)، التوافق الدراسي لدى طالبات الجامعة المتزوجات وغير المتزوجات وعلاقته ببعدي الكفاية الشخصية والثبات الانفعالي، دراسات نفسية، مصر، 10(1)، 67- 99.

7- الطواب، سيد محمد،(1974)، السلوك التوافقي وعلاقته بنجاح طلاب دور المعلمين(رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

8- عبد الجابر، عبد المربد،(2012)، التوافق مع الحياة الجامعية وعلاقتها باحتمالية التسرب الدراسي لدى عينة من طلاب الجامعة (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر,

9- القدومي، عبد الناصر وسلامة، كمال،(2011)، التوافق الجامعي لدى طلب البكالوريوس في الاكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية في أريحا، مجلة كلية التربية بالزقازيق، 73(9)،263- 307.

10- الليل، جمل وجعفر، محمد،(1993)، دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي لطلاب وطالبات جامعة الملك فيصل، المجلو العربية للتربية، تونس،13(14)، 188- 220.

11- مجلي ، شايع عبد الله،(2002)، التوافق وعلاقته بالضغوط لدى طلبة كلية التربية، جامعة صنعاء(رسالة ماجستير)، جامعة صنعاء، اليمن,

12- مصطفى، حاج الله،(2013)، العنف الطلابي في الجامعات الجزائرية، مسببات وحلول، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، 17(8)، 244- 263.

13- Mahyuddin, R, Abdullah<M,Elias, H, Uli,J (2010),Relationship between Coping and University adjustment and academic achievement amongst first year undergraduates in a Malaysian public university, International Journal of Arts and Sciences 3,11,379-392.

سكان قورينائية الليبيين وعلاقتهم مع المستوطنين الاغريق منذ مجيء الاغريق الى نهاية عهد اسرة باتوس

د. موسى امعمر زايد الريحاني

كلية التربية - جامعة الزيتونة

المقدمة

يقع اقليم قورينائية في الجزء الشرقي من ليبيا الحالية، وهو يتربع على موقع جغرافي مميز، فهو يتكون من ثلاثة اجزاء رئيسية وهي: القسم الساحلي وهو يضيق ويتسع حسب اقتراب او ابتعاد الحواف الجبلية عن الشاطئ[1]، ويتسع ليكون سهل جيد عند مدينة يوسبريدس (بنغازي الحالية).

والقسم الجبلي: والذي يتكون بدوره الي قسمين: الجبل الاخضر وهو عبارة عن هضبة جيرية تشغل الجزء الاوسط من الاقليم يرتفع نسبياً عن المناطق المجاورة له حيث يتراوح ارتفاعه من (250-880م)، وعلى هذه المنطقة توجد مدن الاقليم ومحيطها الزراعي الذي عرف بغزارة امطاره في فصلي الخريف والشتاء جعل من تربته الحمراء أخصب المناطق وأوفرها انتاجا للعديد من الاشجار المثمرة، والحبوب[2]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ هيرودوت بان قوريني لها ثلاث مواسم لحصاد الحبوب، كما يشير الى ان منطقة يوسبريدس (بنغازي الحالية) من اخصب مناطق الاقليم ، حيث تنتج في السنة محصولا من القمح يماثل بذره مائة مرة[3]، كما منحت طبيعة الاقليم اراضي واسعة كانت افضل المراعي لقطعان الماشية التي انتشرت بكثرة في الاقليم مثل الاغنام التي كانت تربيتها قديمة سابقة لمرحلة الاستعمار الاغريقي، والابقار التي استعمل بعضها كقرابين للإلهة، وتصدر جلودها الى بلاد اليونان، كذلك الخيول التي اخذت شهرة كبيرة في الاقليم، نظرا لاستعماها وتفوقها

[1]- ابراهيم احمد زرقانة، جغرافية الوطن العربي، المملكة الليبية، دار النهضة العربية، 1964م،ص6

2- سالم محمد الزوام، الجبل الاخضر ، دراسة في الجغرافية الطبيعية، منشورات جامعة قاريونس، 1995م، ص32

3- - هيرودوتس، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م،ف.198-199

في سباق العربات فضلا عن استعمالاتها الزراعية وفي الحروب، حتى انها صورت على احد وجهي العملة في مدينة قوريني[4].

كما اشتهرت دواخل مدن الاقليم بوجود نبات السلفيوم Σιλφιαν الذي عرف على نطاق واسع في العالم القديم تلك الفترة الزمنية، وكان لهذا النبات البري تأثيرا كبيرا على الاقتصاد فيعتبر من اهم منتجات الاقليم طيلة العصر اليوناني والبطلمي ، كما تميز الجبل الاخضر بغاباته الكثيفة ومناظره الخلابة، وهو ما جعل من هذه المنطقة المكان المفضل للكثير من المغامرين والمستوطنين الذين يبحثون عن اماكن أفضل من اراضيهم للعيش والاستقرار.

والجزء الثاني هو هضبة مارماريكا وتشغل الطرف الشرقي من الاقليم، وهي هضبة جافة شبه صحراوية، تعرف بهضبة البطنان[5]، وفي جنوب الاقليم توجد سلسلة من المنخفضات وتشمل واحات مراده وجالو والجغبوب[6].

ومن جهة اخرى نجد ان هذا الاقليم فرضت عليه تلك العوامل الطبيعية عزلة عما يجاوره من الاقاليم الاخرى الصالحة للاستقرار البشري، التي تفصلها عنه مساحات شاسعة من الاراضي الصحراوية؛ فبينه وبين الاراضي القرطاجية في غرب ليبيا يوجد سهل رملي فسيح لا يتمتع بادني مقومات الحياة، ومن ناحية الشرق تمتد هضبة مارماريكا والصحراء الليبية حتى وادي النيل.

وهذه الطبيعة شكلت بدورها مانعاً طبيعياً حال دون الامتداد الطبيعي للسكان وقلص من الاختلاط والتمازج الحضاري بين تلك الاقاليم.

وقد عرف الاغريق هذا الاقليم باسم ليبيا خلال العهود القديمة وحتى الفترة الكلاسيكية[7]، وكذلك المصريين الذين اطلقوا اسم ليبيا على هذا الاقليم نسبة الى احد القبائل التي كانت تقطن المنطقة وهي قبيلة الليبو التي ذكرت في العديد من النصوص المصرية، على الرغم من ان اسم ليبيا في تلك الفترة كان يطلق على كامل المنطقة الممتدة من نهر النيل شرقا الى مضيق اعمدة هرقل في اقصى الغرب، أما اسم قورينائية فقد اطلق على الاقليم نسبة لأكبر مدنه واقدمها وهي مدينة قوريني،[8] وفي العصر الروماني اطلق على الاقليم اسم اقليم المدن الخمس دلالة على المدن الخمس التي شيدها الاغريق هناك.

4- فرنسوا شامو ، الاغريق في برقة الاسطورة والتاريخ، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م، ص 103
5- صلاح اشتيوي زوبي، علاقة اقليم كيرينايكي بمصر في العصر البطلمي 322-96ق.م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2008م، ص31.
6-ة عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، 2008م، ص42
7- نفس المرجع، ص21.
8- رجب عبدالحميد الاثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، مكتبة قورينا للنشر، 1975م، ص59

حدود الاقليم

يعتبر البحر المتوسط الحد الطبيعي للإقليم من جهة الشمال، بساحل طويل، ويتميز هذا الساحل بوجود العديد من الموانئ الطبيعية التي ساهمت مساهمة كبيرة في تطور مدن الاقليم وازدهارها.

أما من ناحية الشرق فحدوده مع جيرانه المصريين غير واضحة، حيث تمتد وتنكمش حسب الاوضاع السياسية في المنطقة، ولكن غالبا ما كانت منطقة كاتاباثموس (السلوم الحالية) هي الحد الشرقي للإقليم[9].

ومن ناحية الغرب فإنها تمتد الى الغرب من مدينة يوسبريدس (بنغازي الحالية)[10]، وتصل الى مذبح الاخوين فيلاني، الذي يبعد حوالي 290كم عن مدينة يوسبريدس باتجاه الغرب، والى الجنوب من الطريق الساحلي الحديث وموقع بئر ام الغرانيق، عند نقطة تعرف بقرارة قصر التراب[11]، هو الحد المصطنع بين الاغريق والقرطاجيين، ويمتد الاقليم باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي في أراضي واسعة شبه صحراوية، ثم تزداد تصحراً حتى تصل الى الصحراء القاحلة، وهي الحدود الجنوبية للاقليم[12].

هذا وقد حدد النص الذي كُتب عليه دستور قورينائية البطلمي حدود الاقليم بانه يمتد من منطقة السلوم شرقاً الى العقيلة غرباً، وربما اخذت تلك الحدود تتغير وفقا للأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة، الى ان انتهت بترسيم الحدود بين الاغريق وقرطاجة عند الموقع المذكور سابقاً[13] .

سكان الاقليم الليبيين قبل الاستيطان الاغريقي

عاش سكان اقليم قورينائية الليبيين قبل مجيء الاغريق حياة قبلية تمتهن العديد من الحرف التي سمحت بها البيئة المحلية، فامتهن الليبيون الرعي والزراعة المحدودة، وقد امتزج سكانها ما بين الحاميين ذوو البشرة السمراء، والامازيغ بيض البشرة [14]واصحاب العيون الزرقاء.

وكانت هناك العديد من القبائل التي تقاسمت اراضي الاقليم، وشكلت كل قبيلة وحدة سياسية بذاتها يحكمها شيخ القبيلة أو زعيمها، وهذا لا يعني انه لم تكن هناك قبائل مستقرة، بل تشير المصادر التاريخية بانه يوجد العديد من المستوطنات المحلية الحضرية، امتهنت الزراعة وتمتعت

Plinius, NH. v.v. 38؛ Sallustius, Bellum Jugurtinum. xix ؛9 - Strabo, xvii. Iii.22

10 - Scylax, 109

11- اندريه لاروند، برقة في العصر الهلينستي، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م،ص202

12 - Appelbaum, S., Jews and Greeks in ancient Cyrene, Leiden. Brill. 1979. p.1

13- رجب عبدالحميد الاثرم، مرجع سابق، ص59.

14- فرنسوا شامو، مرجع سابق، ص62.

بالاستقرار المدني، كما في واحات الصحراء، أو في منطقة إيرسا قرب قوريني[15]، وجل معلوماتنا عن هؤلاء السكان استقيناها من النصوص والاثار المصرية التي كشفت النقاب على الكثير من أوجه الحياة العامة لتلك القبائل، من خلال احتكاكها بالمجتمع المصري، ومحاولاتها المستمرة للاستيطان على ضفاف وادي النيل الخصيب، ومن اهم هذه القبائل التي ورد ذكرها في النصوص والاثار المصرية هي :

1) التحنو: تقيم هذه القبائل في الطرف الشرقي لليبيا على المناطق الساحلية بين ليبيا ومصر، وصورتهم النقوش المصرية بانهم طوال القامة، سمر البشرة، وشعر اسود. وقد ورد ذكرهم في العديد من الاثار المصرية منذ عهد ما قبل الاسرات واستمر في الظهور حتى عهد الدولة الحديثة.

2) التمحو: الي الجنوب من قبائل التحنو كانت تنتشر مضارب هذه القبائل حيث الواحات ، وهم يعيشون على محاذاة نهر النيل حتى بلاد النوبة، التي يرى البعض بانهم قد استوطنوا فيها[16]، وكان هؤلاء القوم ذوو بشرة بيضاء، وعيون زرقاء، وشعر أحمر وأشقر[17].

3) الليبو: يظهر اسم هذه القبيلة في مرحلة متأخرة في الاثار المصرية مقارنة بالتحنو والتمحو، وهم يشغلون الى الغرب من القبائل سابقة الذكر أي في منطقة الجبل الاخضر، وهم يشبهون التمحو في صفاتهم البشرية فلهم بشرة بيضاء وعيون زرقاء.

4) المشواش: وكانوا يقيمون الى الغرب من قبيلة الليبو وعلى المناطق الساحلية من الاقليم، حيث نجدهم دائما يسلكون الخط الساحلي عند زحفهم باتجاه بلاد وادي النيل، وقد كانت هذه القبيلة دائمة التنقل حتى انتهى بها المطاف في النهاية في منطقة وادي النيل[18].

وهناك العديد من القبائل الصغيرة الاخرى مثل: الاسبت، وهس، والبكن، والقهق.

وقد كانت هذه القبائل على علاقة وطيدة بالقطر المصري منذ عهد ما قبل الاسرات، اي منذ الالف الرابعة قبل الميلاد، وتميزت العلاقة بين الطرفين في تلك الفترة بالتعايش السلمي واختلاط الليبيين بجيرانهم المصريين بالقرب من دلتا النيل، ومن الدلائل التي تؤكد هذا الاختلاط ان الملك خوفو كانت زوجته ليبية، والملك احمس (1580-1558ق.م) على احد بناته اسم احموس حنه تمحو، ومنعناها احمس سيدة التمحو[19]، كما اشتهرت القبائل الليبية بعلاقاتها التجارية مع المصرين، حيث

15- نفس المرجع والصفحة.
16- عبداللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم منذ اقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي،1971م،ص74
17- راضية ابوعجيلة، مرجع سابق، ص45
18- نفس المرجع والصفحة.
19- رجب عبدالحميد الاثرم، مرجع سابق،ص28

جلبوا لهم الكثير من المنتجات الافريقية والمحلية، وفي هذا الصدد تذكر المصادر المصرية ان الملكة حتشبسوت من الاسرة الثامنة عشرة حصلت من قبيلة التحنو على كمية كبيرة من العاج، وكان زيت الزيتون من اهم صادرات الاقليم[20].

وشكلت هذه القبائل في الكثير من الاحيان مصدر ازعاج كبير لفراعنة مصر الذين وجهوا العديد من الحملات ضد تلك القبائل التي كانت تغير بين الحين والاخر على الاراضي المصرية محاولين الاستقرار على ضفاف الوادي الذي ينعم بالخيرات الكثيرة ، وبالرغم من المحاولات اليائسة التي قام بها فراعنة مصر إلا ان عدد كبير من الليبيين استطاعوا الوصول الى وادي النيل والاستقرار فيه على شكل مجموعات تسربت ببطء وما لبثت ان تغلغلت في صفوف الجيش وارتقت لنيل العديد من المناصب السياسية والدينية، ومن بين تلك المجموعات اسرة احد زعماء قبيلة المشواش يدعى يويو واوا، التي كان لها دور مميز في تاريخ مصر الفرعونية، فعمل عدد من أبنائها في سلك الجندية، وعمل البعض الاخر في وظائف دينية كنهوتية، واصبحوا من كبار الاقطاعيين وملاك الاراضي، وظهر من بينهم رجل قوي فرض نفسه على الجالية العسكرية في اهناسيا واطلق عليه لقب زعيم المشواش الاكبر، وزاد نفوذه حتى تمكن من اعتلاء عرش مصر في حوالي 950ق.م وهو الملك شيشنق الاول مؤسس الاسرة الثانية والعشرين، وقد حاول هذا الملك استرداد هيبة مصر الفرعونية في الشرق، فقام بحملة موفقة على فلسطين سنة 930ق.م، حيث استولي على أورشليم وهزم اليهود وعاد منهم بغنائم كثيرة فاضت بها الخزينة المصرية[21].

اما النصوص الاغريقية فقد ذكرت لنا العديد من اسماء القبائل التي لم تكن معروفة من قبل ولم يتم ذكرها في النصوص المصرية، وربما يكون السبب في ذلك ان القبائل التي عرفها المصريون واحتكوا بها قد تغلغلت في الاراضي المصرية، واستقرت فيها بصفة دائمة، خاصة واننا نعرف انه تم تجنيد الكثير من الليبيين في صفوف الجيش المصري فرادى أو على شكل مجموعات من المرتزقة، منحوا قطعا من الارض عند نهاية خدمتهم أو كأجر عيني يتقاضونه حسب الاتفاق، مما ساهم في امتلاك هؤلاء الليبيين للكثير من الاراضي المصرية وساعد على الاستقرار فيها.

وعندما نستقرأ جليا ما ذكره هيرودوت عن القبائل الليبية من حيث العادات والتقاليد وانماط الحياة العامة، نجد ان العديد من هذه القبائل التي وردت في المصادر الاغريقية ما هي الا امتداد لتلك القبائل التي كانت معروفة عند المصريين؛ فقبائل الادرماخيداي التي تحدث عنها هيرودوت بانها

20 -Bates,O., The Eastern Libyans, London, 1970, P.101
21- سليم حسن، مصر القديمة،ج9، مكتبة الاسرة، القاهرة، 2001م، ص132

تحمل الكثير من العادات والتقاليد المصرية، وكذلك الدين، ربما تكون هي نفسها قبيلة المشواش التي سبق الحديث عنها وعن علاقتها بالجيران المصريين، حيث تنطبق مواصفاتها بشكل كبير.

وربما كان الاختلاف في التسمية أو في مناطق النفوذ القبلي من الاسباب التي ادت الى اختلاف العديد من المؤرخين حول التسميات الصحيحة لتلك القبائل، لذلك يتفق الكثيرون على اعتماد ما ذكره المؤرخ هيرودوت عن تلك القبائل والاخذ بالأسماء والمعلومات التي ذكرها في هذا الصدد.

أي انه يمكننا القول بأن الليبيين في اقليم قورينائية قد تأثروا كثيرا بالحضارة المصرية وتشبعوا بثقافة المصريين من جميع النواحي، وكانت مصر هي المتنفس القريب لتلك القبائل عند حدوث الازمات وتدافع القبائل الاخرى وضغطها باتجاه الشرق، فعاشت الى جانبها وتعايشت معها، بكل السبل المتاحة آنذاك.

وحسب حديث هيرودوت عن سكان الاقليم قبيل بداية الاستيطان الاغريقي فيذكر عدد من القبائل المحلية التي كانت تشكل مجموع السكان المقيمين في الاقليم ومن أهمها:

1. قبيلة الادرماخيداي: Αδυρμαχιδαι

وموطن هذه القبيلة حسب تحديد هيرودوت لمقرات إقامة القبائل الليبية في الاقليم، انها تقطن الجزء الشرقي من الاقليم، وهي أقرب القبائل للحدود المصرية، ومن خلال عادات تلك القبيلة التي يغلب عليها الطابع المصري نلاحظ انها كانت على علاقة وطيدة ومتينة مع جيرانها المصريين.

2. قبيلة الجليجاماي: Γιλγαμαι

وتمتد أراضي هذه القبيلة من سيدي البراني شرقاً الى محيط درنة في الغرب، وقد نزل الاغريق بأراضي هذه القبيلة أول الامر ولكنهم استطاعوا ترحيلهم بالحيلة الى أراضي بعيدة عن مضاربهم، الى ان استقر بهم المقام في مكان يعرف بنبع ابوللون في أرض قبيلة الاسبوستاى[22].

3. قبيلة الاسبوستاي: Ααβυσται

ومساكن هذه القبيلة الى الغرب من القبيلة سابقة الذكر الجليجاماي، والى الجنوب من مدينة قوريني، وقد اشتهر رجال هذه القبيلة بقدرتهم العالية في قيادة العربات التي تجرها اربعة من الخيول[23].

22- مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966م، ص 56
23- راضية ابوعجيلة صالح، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والاغريقي في ليبيا القديمة، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009، ص46.

4. قبيلة الاوسخيساي: Αυσχισαι

تمتد مضارب هذه القبيلة من جنوب مدينة برقة (المرج الحالية) الى مدينة يوسبريدس (بنغازي)، وتتسع أراضيها في دواخل الاقليم، مكونة سهل رعوي فسيح، وتتصل بالبحر عند مدينة يوسبريدس، وبالقرب من موطن هذه القبيلة في المنطقة المحاذية لمدينة توخيرا توجد قبيلة صغيرة تعرف باسم قبيلة البكاليسβακαλεσ، وهي من القبائل التي تأثرت كثيرا بالإغريق[24].

5. قبيلة المارماريداي: Μαρμαριδαι

يقع موطن هذه القبيلة في الشمال الشرقي من ليبيا، وتمتد مناطق نفوذها من ضواحي اقليم قورينائية حتى الاراضي المصرية، وقد ورد ذكر هذه القبيلة عند استرابون[25]، كما يشير ديودوروس الصقلي الى ان هذه القبيلة تشغل الشريط الضيق بين مصر وقوريني ثم يهبطون الى الساحل[26].

العلاقات الليبية الاغريقية

كان الشاطئ الليبي من بين الاماكن التي وصل اليها المستعمرون الاغريق، حيث أسسوا مدينة قوريني حوالي عام 631ق.م، ولم يرد اسم ليبيا في النصوص الاغريقية التي ترجع الى ما قبل عهد الاستيطان الاغريقي سوى مرتين فقط، كلتاهما في اوديسة هوميروس.

ففي المرة الاولى جاء اسن ليبيا على لسان (متلاوس) وهو يصف البلاد التي طاف بها اثناء رحلته البحرية الطويلة، عند عودته الى وطنه بعد حرب طروادة، ويذكر انه نزل الى شواطئ ليبيا، وتحدث عن خيراتها الكثيرة وقطعان ماشيتها التي تدر الالبان واللحوم فيعيش اهلها في رغد ونعيم.

أما في المرة الثانية فقد جاء اسم ليبيا على لسان احد المغامرين وهو يحكي قصة حدثت له، فيقول انه هرب من مصر الى بلاد فينيقيا، وهناك تعرض للإغراء من قبل احد المغامرين بان يرافقه الى ليبيا، ولكنه خاف ان يباع في سوق العبيد اذا وصل الى ليبيا، فعندما وصلوا الى جزيرة كريت فر هاربا وعاد الى بلاده.

24- هيرودوتس، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، ص171

25- استرابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية استرابون، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، ص23.

26- ديودوروس الصقلي، الكتاب الثالث، ترجمة: علي فهمي خشيم، تحت اسم نصوص ليبية، ط2،منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2009م،ف49، ص149

ويبدوا ان الاغريق لم يعرفوا عن ليبيا الا الشيء اليسير، الذي وصل اليهم عن مسامع جنود الاغريق المرتزقة في الجيش المصري، فهي كما روج عنها الفينيقيين بلاد صحراوية ويتميز اهلها بعادات وتقاليد غريبة، فلم يكن هناك ما يغري الاغريق بارتيادها.

وظل الاغريق على هذا المنوال فترة طويلة حتى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، عندما فكر اغريق ثيرا في الهجرة الى مكان يصلح لاستقرار جزء من سكان جزيرتهم الصغيرة، فاتجهوا الى الساحل الليبي، ونزلوا هناك باستشارة من وحي دلفي، وكان في استقبالهم سكان الاقليم المحليين، الذين ارتبطوا معهم بعلاقات اتسمت بالود والصداقة، ثم تغيرت الاوضاع وسادت بين الطرفين علاقات عدائية، ويمكن ان نلخص العلاقات الليبية الاغريقية في هذه الفترة الى مرحلتين :

أولا : مرحلة التعايش السلمى

عندما نزل الاغريق أول مرة على الساحل الليبي، بعد مكوثهم سنتين على جزيرة بلاتيا في خليج بمبه، بدأوا يرتادون الشاطئ الليبي للتعرف على الاراضي الصالحة للاستيطان البشري قبل ان ينتقلوا اليها، وربما قد تحدث مواجهات مع سكانها، لذلك كان عليهم استطلاع المكان جيدا وتأمينه ثم السفر اليه، وبعد فترة استقر هؤلاء الوافدين في مكان يقال له (ازيريس) بوسط واد تكتنفه الاشجار، وهو ضمن أراضي قبيلة الجليجاماي، وهنا طاب لهم المقام ستة اعوام، توطدت خلالها العلاقات بينهم وبين السكان المحليين الذين نصحوهم بالانتقال الى مكان أفضل، وعملوا على ارشادهم الى المكان المنشود، واستجاب الوافدون الجدد لهذ النصيحة ومضوا مع مرشديهم باتجاه الغرب ليلاً حتى لا يشاهدوا جمال وغنى طبيعة منطقة إيراسا، إلى أن وصلوا بهم إلى نبع يُعرف بنبع ابوللون فاعجبوا بالموقع الجديد وباشروا في انشاء مدينتهم حول هذا النبع حوالي عام631ق.م واطلق على تلك المدينة اسم قوريني[27].

ولعل الغرض الحقيقي من وراء تغيير مكان اقامة المستوطنين الاغريق هو ازاحتهم عن اراضي قبيلة الجليجاماي، وانزالهم بعيدا في اراضي قبيلة اخرى وهي قبيلة الاسبوستاي.

في هذا المكان على الساحل الشرقي الليبي، التي تقطنه قبيلة الاسبوستاي، احتفل الثيريون بالأعياد الكارنية، تشريفاً لأبولون، الذي ارشد المستوطنين إلى ليبيا، ومؤسس مدينتهم قوريني، هذا العيد حضره كثير من الليبيين والليبيات، من قبيلة الاسبوستاى، وشاركوا الاغريق احتفالاتهم.

27- هيرودوتس، مصدر سابق، ف 157،158.

كما يذكر بينداروس ان الزعيم الليبي أنتايوس، رغب في تزويج ابنته، عن طريق إقامة مسابقة رياضية في الجري أُقيمت في منطقة إيراسا، حيث وضع ابنته عند نهاية الخط، وأول متسابق يلمس ثوبها، ينال شرف الزواج بها، فحضر هذا المهرجان العديد من الليبيين والوافدين الاغريق، سواء للمشاركة في السباق أو لمشاهدة العروسين، فكان اليوناني أليكسيداموس هو الفائز بالسباق، واخذ ابنة الزعيم الليبي بين حشود الفرسان الليبيين، الذين حيوا العروسين، ورموهما بالورود[28].

وبما أن المستوطنين الاوائل كانوا ذكوراً ولم يكن معهم نساء، ونتيجة للعلاقات الطيبة بينهم وبين السكان المحليين نجد ان الكثيرين منهم قد تزوجوا من نساء ليبيات، وبالتالي لعبت المرأة الليبية دوراً كبيراً في العلاقة بين الطرفين.

ويصف كاللیماخوس مشاركة الليبيات في الأعياد الكارنية، وهن يرقصن جنباً إلى جنب مع الاغريق، مما يؤكد بأن القبائل الليبية سمحت للوافدين الاغريق بالزواج من بناتهم، ومن المحتمل أن هؤلاء النسوة اللاتي ذكرهن كاللیماخوس، هن زوجات المستوطنين الجدد.

بناء على ما سبق يمكننا القول بان العلاقة بين الوافدين الاغريق والليبيين في بدايتها، كانت ودية تميزت بالاختلاط والتمازج الحضاري بين الطرفين، وهذه العلاقة كانت مع الليبيين المستقرين في المدن الساحلية والذين تقع أراضيهم على الساحل الغني بأمطاره، وخصبة تربته، مما يوفر لهم ولمواشيهم ظروفاً معيشية حسنة، أفضل من الليبيين الرحل، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر، حسب ما تقتضيه مُتطلبات الحياة، فكان تأثير الحضارة الاغريقية عليهم ضعيفاً.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا رحب السكان المحليين بالمستوطنين الاغريق، ولم يظهروا أي عداوة لهم فور وصولهم الى الساحل الليبي على الرغم من ان المستوطنين الجدد استقروا في اماكن كانت مشغولة بساكنيها، ولم تكن أراضي خالية؟ وتتكرر القصة مرة اخرى في غرب البلاد عندما وصل داريوس ابن ملك اسبرطة الى الساحل الغربي لليبيا، وبنى مستوطنته عند مصب وادي كينبس بالقرب من مدينة لبده في حوالى 518ق.م، وعلى الرغم من انه اسس المستوطنة على اراضي قبيلة المكاي القوية؛ الا انها لم تحرك ساكنا بل ربما قدمت له المساعدة، ولم تتم مواجهته إلا بعد مضي ثلاث سنوات، عندما قامت قرطاجة بمساندة الليبيين بالإغارة على المستوطنة وتدميرها..

لا استطيع الاجابة بالتحديد على هذه التساؤلات ولكنني أرى أن هناك العديد من الاسباب التي جعلت السكان المحليين دائما يرحبون بالقادمين الجدد ومنها:

28 - Pindar, ix pyth, 105-125.

1. ان طبيعة المجموعات القبلية في ليبيا متجانسة وتتميز بكرم اهلها وحسن استقبالهم للضيوف، وهو ما أكده العديد من المؤرخين الكلاسيكيين عند حديثه عن القبائل الليبية وعاداتها.
2. ان الوافدين الجدد جاءوا الى المنطقة بادئ الامر يحملون ثقافة وحضارة راقية، هدفهم الاستيطان الى جانب اصحاب الارض، والاستفادة من مواردها الاقتصادية، ونشر حضارتهم بين سكانها.
3. ان المنظومة السياسية القبلية الضيقة التي كان يعيش في كنفها الليبيين، وعدم وجود روابط سياسية واجتماعية بين تلك القبائل، جعلت منها كيانات قزمية صغيرة لا تهتم بما يجري حولها، بل تصب كل اهتمامها بأراضيها الخاصة وحدودها مع القبائل الاخرى.
4. كما كانت الحاجة دائماً للعنصر الوافد الارقى طمعاً في الاستفادة منه اقتصادياً وحضارياً، وهي نظرة فردية ضيقة لا يمكن القبول بها اذا توفرت الوحدة بين تلك القبائل مختلفة الانماط، في كيان سياسي واحد، كما كان المصريين في الشرق، الذين دافعوا على حدودهم من غارات الليبيين فترة طويلة، ومنعوهم من الاقتراب من اراضيهم، وقرطاجة في الغرب.

على اية حال يمكننا القول ان العلاقات التي كانت سائدة بين السكان المحليين والوافدين الاغريق منذ وصولهم الى الشواطئ الليبية وحتى عهد الملك باتوس الثاني، هي علاقات تبادل مصالح، اتسمت بالقبول والود احيانا، تنازل السكان المحليين على أجزاء من أراضيهم مقابل الاستفادة من مظاهر الحضارة الاغريقية التي جلبها الوافدين الجدد، فأخذت العديد من المجموعات السكانية المحلية التي تقطن المدن الساحلية وما جاورها سبل الحضارة وتأثرت بثقافة الوافدين، حتى تطبعت كليا بالطابع الاغريقي الاصيل، أما سكان المناطق الداخلية فكان تأثير الحضارة الاغريقية عليهم كان طفيفاً، نظرا لبعدهم عن مراكز الاشعاع الحضاري، والنمط البدوي لحياتهم العامة.

ونتيجة لما سبق يجعلنا نرجح أن البيريكوي الذين وضعهم ديموناكس المانتيني في تشريعاته الاصلاحية ضمن القبيلة الأولى[29]، في دستور قوريني هم من الليبيين المتأغريقين أو من أبناء الليبيات اللاتي تزوجهن من المستوطنين الاغريق الاوائل، الذين يعدّهم دستور بطلميوس ضمن المواطنين، وتم تحديد إقليم قوريني بكامله[30]، وهذه منطقة واسعة تشتمل على عدد كبير من المجموعات السكانية الليبية، وهذا يعني أن عدد أبناء الليبيات من أزواجهن الاغريق كبير، ومن بينهم من حظي بمكانة مرموقة، مما حتّم على الملك البطلمي، أن يؤكد ويضمن لهم مكانتهم، التي يبدوا أن الأوليجاركيين لا

29- هيرودوتس، مصدر سابق، ف.161.
30 - SEG. ix. 1. 1-5.

يعترفون بها، وهذا دليل على انتشار وتوسع زواج الاغريق من الليبيات، في كافة أجزاء الإقليم، وربما انتهج الاغريق هذا النهج لضمان سلامتهم، والحصول على دعم القبائل لهم، بالإضافة إلى أن السيلفيوم ينمو في الأراضي التي يتحكم فيها الليبيون، مما حدا بالإغريق إلى أن يدخلوا معهم في علاقات مصاهرة، تضمن لهم الحصول على هذا المنتج عظيم الفائدة والثمن[31]، زد على ذلك أن الاغريق كانوا مولعين بخيول الاقليم لما عرف عنها من السرعة والرشاقة واستعمالها في جر العربات[32]، كما تعلّموا طرق تربيتها والاهتمام بها وترويضها من الليبيين[33].

كما أن السكان المحليين هم الذين يتحكمون في تجارة القوافل البرية وتأمين طرقها، هذه القوافل المحملة بالمنتجات الأفريقية، كالذهب والعاج وبيض وريش النعام، والمنتجات الفينيقية والمحلية من الاقمشة والزيت والملح والذهب والصوف والجلود، وغيرها من المنتجات[34].

بعد الخلافات التي حدثت بين الاسرة الحاكمة في قوريني غادر الاخوة المدينة متجهين نحو الغرب الى ان وصلوا لموقع مدينة باركي (المرج الحالية) التي قاموا بتأسيسها هناك بمساعدة السكان المحليين وعلى أراضيهم[35]، والتي ما لبثت ان اصبحت مدينة تحمل كل المقومات الحضارية، واستقبلت الكثير من الوافدين الاغريق، ثم سادت علاقات الود والوأم بين المدينة الحديثة وقوريني وتوجت بزواج أركيسلاوس الثالث ملك قوريني من ابنة الملك الباركي الأزير[36].

استعانت قوريني بالسكان المحليين عندما كانت في أمس الحاجة لهذه المساعدة، حينما قام المغامر الإسبرطي ثيبرون بهجمات متكررة على المدينة، وساءت ظروفها الاقتصادية، نجد الليبيين يلبون الدعوة، ويساعدون قوريني في صد هجمات هذا المغامر[37]، كما استعان ثيبرون ببعض رجال القبائل المحلية في حربه على قوريني[38]، وعندما حاول جنوده التزود بالمؤن عند مدينة توخيرا، كان السكان المحليون لهم بالمرصاد حيث هجموا عليهم وهزموهم شر هزيمة[39]، وعندما انهزم هذا المغامر وحاول الفرار، تم القبض عليه من قبل السكان المحليين من قبيلة البكاليس عندما طاردوه بعرباتهم في مدينة توخيرا، وسلموه للإغريق في قوريني[40].

31- الشريف امراجع علي حامد، علاقات اقليم قوريني ببلاد اليونان 631ق.م- 323ق.م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس، مصر،2014م مرجع سابق، ص200

32- هيرودوتس، مصدر سابق، ف. 189

33 - Pausainias, vi. 12. 7.

34 - Bates,O., op.cit, p.101

35- الشريف امراجع علي حامد، مرجع سابق، ص180

36- هيرودوتس، مصدر سابق، ف.164

37 - Diodorus Siculus, xviii. 21. 4.

38 - Ibid. xviii. 19. 5.

39 - Ibid. xviii. 20. 7.

40- الشريف امراجع علي، مرجع سابق، ص201.

ان الحديث عن حرب ثيبرون هذه على قوريني، يؤكد لنا بأن ليس كل السكان المحليين يحملون علاقات عدائية ضد قوريني، بل وقف الكثير منهم في صفها، وآثروا الدفاع عنها ، وبما أن قبيلة الاسبوستاي هي القبيلة المجاورة لقوريني فمن المرجح أنها هي من قامت بمساعدة القورينيين في حربهم ضد المغامر الإسبرطي.

ونتيجة لاختلاط السكان المحليين بالإغريق في المدن القورينايئية نجد انهم انخرطوا في الحياة العامة، وتبوؤوا مناصب كبيرة في تلك المدن مثل: كاهن ابوللون، و موظف مالي، وحارس قانون، وأن العديد من الأسماء الليبية جاءت من المستوطنات الاغريقية في الإقليم، كاسم الازير ملك مدينة باركي[41]، هذا ويرى بعض الباحثين إنه إذا حدث تمازج بين شعبين مختلفين، يصبح من الصعب بعد عدة أجيال التمييز بين الأصل البيولوجي لكل فرد في المجتمع، كما أن تداخل الأسماء سيتطور بطريقة مستقلة، ويزداد وينتقل من عائلة لأخرى، فالأسماء عادة ترمز الى الاشخاص الاقوياء أو الاسطوريين، أو من قاموا بأعمال خارقة وليس هناك مكان لاعتبار شخص من هذه المدينة أو تلك في ضوء التسميات على أنه من أصل أو من هوية عرقية من السكان الأصليين[42].

ثانياً: مرحلة الاحتكاك والعداء

نتيجة للتغيرات السياسية في المنطقة وزيادة توافد المهاجرين الاغريق اليها من كل الجزر اليونانية على حساب اصحاب الارض الاصليين، اصبحت البلاد تضيق بأصحابها الذين ألفوا حياة الاستقرار والتمدن وانصهر معظمهم في بوتقة الحضارة الاغريقية، وعدم المساواة بين افراد القبائل الليبية والمستوطنين الاغريق من حيث الحقوق والواجبات، بل وصل الامر الى مصادرة اراضي السكان المحليين وطردهم واحلال المستوطنين بدلا منهم، هذه التغيرات أدت الى قيام الثورات المسلحة في وجه المستوطنين.

أما سكان الدواخل واشباه البدو المتنقلين بقطعانهم بين الشمال الغني بغطائه النباتي، ومنطقة جنوب الجبل ذات الأودية قليلة الخضرة، تنقلاتهم الموسمية هذه أربكت الكتاب القدامى، في تحديد أماكن سُكنى هذا القبائل، ومن المحتمل أن هجراتهم هذه هي التي أدخلتهم في صراع مع المستوطنين الاغريق، لأنهم يعتمدون في حياتهم على ما تجود به اراضيهم من مزارع للحبوب، ومراعٍ لقطعان

41- Masson, O., “Grecs et Libyens en Cyrénaïque, d'après les témoignages del l'épigraphie”. In Antiquités africaines. Vol. 10. 1976. pp. 52-55.

42 - Colin, F., Les peoples libyens de la Cyrenaique a l’Egypte, D’apres les sources de l’Antiquite classique. Published: Bruxelles : Académie royale de Belgique. 2000. pp. 133-136.

ماشيهم، فلكل قبيلة أراضيها التي ترعى فيها أغنامها، هذه الاراضي اصبحت ضمن المواقع المستهدفة لتوزيعها على المستوطنين الجدد، وهذا ما عجل بالصراع بين الطرفين.

عاش الليبيون والمستوطنين الاغريق بسلام طيلة عهد الملكين الأولين، لكن سرعان ما تبدلت هذه العلاقة السلمية إلى عدائية، عندما تولى الحكم الملك باتوس الثاني، الذي قام بتعزيز الوجود الاغريقي في ليبيا، حيث وُجهت الدعوة لليونانيين، للقدوم الى ليبيا الارض الخصبة الغنية والمليئة بالمواشي والاغنام والخيول، والانضمام إلى المستوطنين في قوريني، فقد وعدهم الملك بتوزيع أراضي جديدة على كل فرد منهم، وبارك وحي دلفي مسعاه هذا، بأن أصدر نبؤه فحواها، "إن الذي يذهب إلى ليبيا الفاتنة متأخراً، بعد توزيع الأراضي سيندم كثيراً"[43]، .

وربما يفهم من هذا النداء ان المستوطنين الاغريق في الاقليم لم يكونوا قادرين على الوقوف في وجه السكان المحليين اذا ما تغيرت الظروف السياسية والاقتصادية في الاقليم، كما ان معظم الاراضي الخصبة المنتجة للحبوب، وأراضي السلفيوم، والمراعي الواسعة، لازالت تحت يد الليبيين وهم المتحكمين في ادارتها وانتاجها، أي انهم مازالوا تحت رحمة الليبيين في كل الظروف، لذلك رأت الطبقة الحاكمة في قوريني ضرورة زيادة عدد المستوطنين لإحلالهم محل السكان المحليين الذين مازالوا على علاقات طيبة معهم، وزيادة عدد الوافدين يعني زيادة العناصر العاملة والمنتجة، واصحاب الحرف بشتى انواعها، وهو ما يحرم السكان المحليين من كثير من الوظائف والاعمال في المدن الاغريقية وما جاورها، وتوزيع الاراضي على الوافدين يعني فقدانها من بين ايدي الليبيين الذين تم طردهم منها وازاحتهم نحو المناطق الاكثر فقراً وتصحراً.

وقد نجح الملك باتوس الثاني في مشروعه هذا الاستيطاني، حيث تدفق عدد هائل من المهاجرين الى قوريني، من معظم ارجاء الجزر اليونانية كجزر بحر إيجة، ومن البيلوبونيز، ومن أوتيكا، وكريت، وقبرص وغيرها.

ونتيجةً لحركة الهجرة الكبيرة، كان استقرار الوافدين الجدد في اراضي الاقليم على حساب السكان المحليين حيث شهد توسع الريف القوريني اتساعا كبيرا من جراء توزيع أراضي الليبيين على المستوطنين الجدد، وتم تأسيس العديد من المستوطنات.

43 - Idem.

هنا شعر الليبيون بالخطر ولكن بعد فوات الاوان، حاولوا الوقوف في وجه المستعمرين ولكنهم لم يفلحوا لان الاغريق اصبحوا قوة ضاربة يفوقونهم في العدد والعتاد، فما كان عليهم إلا اللجوء الى جيرانهم المصريين ليخلصوهم من هذه الكارثة التي وضعوا انفسهم فيها بمحض ارادتهم.

فسافر احد زعماء القبائل الليبية وهو أديكران* الى مصر يطلب المساعدة، رحب به المصريون ووافق الملك المصري أبريس (588-568ق). على طلب الليبيين، الذين وضعوا انفسهم تحت قيادته، واعد جيشاً كبيرا من المصريين وسار نحو قوريني لتخليصها من المستعمرين الاغريق، ولكن الاغريق كانوا مستعدين للقاء هذا الجيش وفي منطقة مفتوحة يعرفونها معرفة جيدة، وبطبيعة الحال فقد عاني الجيش المصري من تعب الطريق ووصل منهك القوى، والتقى الجيشان في منطقة إيراسا(ام الرزم الحالية) شرقي قوريني، عند نبع ثيستيس، كانت الغلبة لجيش قوريني الاغريقي الذي انتصر على الجيش المصري انتصارا ساحقاً[44]، ونتيجة لهذه الهزيمة فقد الملك المصري منصبه في حوالي 570ق.م، وتولى الملك احمس الثاني عرش مصر[45].

ولم تخبرنا المصادر التاريخية عن مشاركة الليبيين في هذه الحرب من عدمها، وإنما كان كل الحديث مُنصبّاً على اسباب هزيمة الجيش المصري، الذي نسبوه خطأً إلى عدم خبرة الجيش المصري في مثل هذه الحروب، ولكننا نرى أن أبريس لم يرسل المرتزقة الاغريق في جيشه لمساعدة المصريين في القتال ضد القورينيين، لأنه تخوّف من وقوفهم في صف ابناء عمومتهم اغريق قوريني، كما أن الجيش المصري أنهكه التعب، فالمسافة بين مصر وقوريني طويلة وشاقة، في ظل غياب الدعم البحري لهذه الحملة المصرية[46].

وبعد هذه الموقعة عمل الاغريق في قوريني على تأمين حدودهم الشرقية، والاتصال بالمصريين ومهادنتهم، وبالفعل استطاع الملك باتوس السعيد من التقرب الى الملك المصري احمس الثاني (اماسيس)، حيث زوجه بإحدى نساء القصر الاغريقيات يرى هيرودوت بانها احد بنات الملك باتوس وتدعى (لادكي)، وعقد معه معاهدة تحالف وصداقة ليضمن عدم تكرار ما حدث، ويحد من وقوف المصريين الى جاني الليبيين في اقليم قورينائة[47].

وفي زمن حكم الملك أركيسلاوس الثاني، حدث صراع سياسي وانشقاق بينه وبين إخوته ومناصريهم، مما دفع بأخوة الملك واتباعهم الى الخروج من مدينة قوريني فاتجهوا غرباً حتى انتهى

*- اديكران هو شيخ قبيلة الاسبوستاي التي كانت تقطن الاقليم. لمزيد من المعلومات، ينظر: فرنسوا شامو، مرجع سابق،ص51
44- ابراهيم نصحي، انشاء قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970م، ص55
45- فرنسوا شامو، مرجع سابق، ص170
46- الشريف امراجع على، مرجع سابق، ص203
47- هيرودوتس، مصدر سابق، ف.181

بهم المطاف الى منطقة سهلية فسيحة، تتمتع بخصوبة تربتها الحمراء وموقعها الاستراتيجي المهم، فاستقروا هناك وقاموا بتأسيس مدينة جديدة أُطلق عليها اسم (باركي)، ومن هذه المدينة أصبحوا يؤلبون السكان المحليين ضد مدينة قوريني ويُشجعونهم على الانشقاق عنها، فعندما وصل الى مسامع الملك القوريني ما يدبره له الباركيون والسكان المحليين قام بالزحف عليهم، ولكنهم لم يواجهوا جيش قوريني واثروا الانسحاب نحو الشرق، ولكن الملك لم يتركهم بل تعقب اثارهم وطاردهم حتى وصلوا مكان يُدعى ليوكون في ضواحي الاقليم، وفي هذا المكان غير المنسحبين موقفهم وقرروا الهجوم على جيش الملك، واشتبك الطرفان وكانت الغلبة لليبيين، وسقط من الجيش القوريني سبعة آلاف جندي من رجال المشاة ثقيلي العدة، اثرت هذه الهزيمة تأثرا قويا على سكان قوريني الاغريق، وأدت تبعاتها إلى مقتل الملك أركيسلاوس الثاني على يد أخيه ليارخوس خنقاً [48].

ومما سبق يمكننا القول أن الليبيين بعد الهزيمة الأولى في إيراسا بصحبة الجيش المصري، رضخوا لسلطة القورينيين، واصبح الحكم الاغريقي عليهم أمراً واقعاً، ولكنهم كانوا يتحينون الفرصة المواتية للانقضاض على الإغريق في قوريني والتحرر من هذا الاستعمار الذي جثم على قلوبهم، وما إن حانت فرصة التمرد على سلطة القورينيين، نراهم يخرجون عليهم ويهزمونهم شر هزيمة، وبذلك تمكنوا من الثأر لهزيمتهم الأولى.

كان وقع هذه الهزيمة كبيرا بين أوساط القورينيين، فهزيمة الجيش الذي انتصر في السابق على المصريين والليبيين مجتمعين أمر غير معقول، ومقتل سبعة الاف من الجنود المشاة ثقيلي العدة أيضا يعد كارثة حقيقية، انتهى الامر بمقتل الملك، واعاد القورينيين حساباتهم، وغيروا معاملتهم مع السكان المحليين، وبذلك استعاد الليبيين مكانتهم، وفرضوا على القورينيين سياسة الأمر الواقع، مما حتم على المشرع المانتيني ديموناكس أن يضعهم في القبلية الأولى جنباً إلى جنب مع الثيريين المستوطنين الأوائل.

كما كانت لمدينة يوسبريدس نصيبها من الصراع الذي ساد تلك الفترة بين السكان المحليين والمستوطنين الاغريق، حيث انه وفي نهاية الحروب البلوبونيزية دعا المستوطنين الاغريق في المدينة الكثير من اليونانيين الى القدوم الى يوسبريدس والاستقرار فيها، ونتيجة لزيادة عدد السكان كان من الضروري لهذه المدينة ان تتمدد وتتسع على حساب السكان المحليين الذين ضاقوا ذرعا من تصرفات المستوطنين الاغريق، ويبدوا ان هؤلاء المستوطنين قد سلبوا اجزاء من اراضي القبائل المحلية التي تقطن غرب المدينة، مثل قبيلة النسامونيس، التي قامت بمهاجمة المدينة مرات متكررة

48 - Colin, F., op.cit, p.60.

بمساعدة قبيلة المكاي القوية، كما قامت هذه القبائل بمحاصرة مدينة يوسبريدس ولم ينقضها إلا الحظ، حيث كانت هناك عدد من السفن الاسبرطية التي جنحت الى سواحل قوريني بفعل العوامل الجوية السيئة، فقدمت لهم مدينة قوريني المساعدة وزودتهم بسفينتين وعدد من الادلاء.

وبينما هم في طريقهم لصقلية، وجدوا مدينة يوسبريدس مُحاصرة من قِبل الليبيين، فنزلوا الى الساحل واستطاعوا ان يفكوا الحصار عن المدينة بعد هزيمة الليبيين في عام 413ق.م، ثم أكملوا طريقهم نحو صقلية[49].

وتذكر المصادر النقشية ومن نقش يعود لثلاثينيات القرن الرابع قبل الميلاد[50]، ان المستوطنين الاغريق قاموا بحملة كبيرة غرب الاقليم ضد قبيلتي النسامونيس والمكاي وهزموهم وعادوا بغنائم كثيرة أُهدى عشرها لمعبد الاله ابوللون[51].

ويبدو أن هاتين القبيلتين الليبيتين قد هددتا مدينة يوسبريدس بهجماتهما المتكررة، كما أن هؤلاء القادة العسكريين بتقديمهم لعشر ما غنموه من هاتين القبيلتين لابوللون، شكراً وعرفناً لمؤسس وراعي المدينة، يوحي بضراوة الحرب وشراستها مع الليبيين، فقبيلة المكاي مضاربها تقع في أخصب بقعة في غربي الإقليم، وقد ساهمت هذه القبيلة في وقت سابق الى جانب القرطاجيين وبعض السكان المقيمين في المنطقة، في طرد المغامر الإسبرطي داريوس الذي أسس مستوطنة اغريقية عند نهر كينيبس[52]. أما النسامونيس فتقع أراضيهم بين يوسبريدس وأراضي قبيلة المكاي[53].

كما كانت هذه القبائل تتحكم في تجارة القوافل الصحراوية، وتؤمن طرقها ومسالكها ، حيث أن هناك طريقاً تجارياً تربط بين واحة سيوه وواحة أوجلة، وعند هذه الواحة الأخيرة تتفرع الطريق، فرع نحو الغرب باتجاه إقليم المدن الثلاث، وفرع نحو دواخل أفريقية ماراً بواحة الكفرة، وفرع ثالث نحو الشمال أي نحو مدينة يوسبريدس[54]، وهذا الفرع الأخير تستعمله قبيلة النسامونيس في تنقلاتها التجارية، وربما كان ذلك سبباً من اسباب الصراع الذي نشب بين الجيش القوريني وهذه القبيلة، فالجيش القوريني أراد من هذه الحرب تأمين مدينة يوسبريدس، ووضع حداً لتحركات هذ القبائل نحو الشرق، والتحكم في طرق القوافل الصحراوية الرابطة بين الإقليم ودواخل القارة الافريقية.

---

49 - Colin, F., op.cit. p. 94.
50 - Colin, F., op. cit. p. 94.
51- الشريف امراجع علي، مرجع سابق، ص200
52 - Herodotus, v. 42.
53 - Ibid. iv. 172.
54 - Stucchi, S., "problems concerning the coming of the Greeks to Cyrenaica and the relations with their neighbours" in Mediterranean Archaeology, Vol. 2. 1989. p.76-77.

من خلال ما تم عرضه في الصفحات السابقة يمكننا القول بأن القبائل الليبية عاشت بحرية مطلقة في اقليم قورينائية تجوبه شرقا وغرباً، احتكت بالمصرين وحاولت بعضها مراراً النزوح الى ضفاف وادي النيل، وتسرب بعضها سلمياً الى دواخل القطر المصري واستطاعوا الاقامة على ضفاف النيل.

وقد تأثرت قبائل الاقليم بالحضارة المصرية في مختلف مجالات الحياة، كما كانت التأثيرات الليبية في المجتمع المصري قوية واضحة.

وعندما نزل الاغريق على الساحل الليبي وجدوا امامهم العديد من المجموعات السكانية التي رحبت بقدومهم وساعدتهم على بناء وتأسيس مدن الاقليم.

ان العلاقات الليبية الاغريقية في اقليم قورينائية مرت بمرحلتين: الاولى ساد فيها الود والسلام، وتبادل المصالح بين الطرفين، وتمتد هذه المرحلة منذ قدوم المستوطنين الاغريق الى الساحل الليبي، الى بداية حكم الملك باتوس الثاني الملقب بالسعيد.

والمرحلة الثانية وهي مرحلة الاحتكاك العسكري والنزاع بين الطرفين والتي استمرت الى نهاية حكم اسرة باتوس.

وعلى الرغم من توتر العلاقات في الكثير من الاحيان بين السكان المحليين والمستوطنين الاغريق إلا ان ذلك لم يكن له تأثيرا سلبيا واضحا في سير عملية البناء والاستقرار السياسي والتقدم الحضاري في سائر مدن الاقليم.

حيث عمل المستوطنون الاغريق على بناء مدينتهم الاولى على نمط المدن الاغريقية في بلاد الاغريق، بجميع مقوماتها الحضارية وتفصيلاتها الدقيقة، كما نلاحظ ان هؤلاء المستوطنين لم يتبعوا سياسة الانغلاق الحضاري بل فتحوا ابوابهم امام السكان المحليين، الذين اختلطوا بهم وتزوجوا من بناتهم، وساهموا معهم في بناء منشأتهم المعمارية، وعملوا جنباً الى جنب في الزراعة وطوروا العمليات الفلاحية، حيث كانت القبائل الليبية تتمتع بأراضي زراعية خصبة منتجة للعديد من المحاصيل كالحبوب والكروم والزيتون [55]وكان استغلالهم لأهم نبات في ذلك الوقت وهو نبات السلفيوم الذي ينمو طبيعيا في اراضي الليبيين مشتركاً، كما عملوا على تربية المواشي والخيول، وغير ذلك ..

فتأثر السكان المحليين بمقومات الحضارة الاغريقية، كما تأثر الاغريق ببعض عادات الليبيين وتقاليدهم، ولان العنصر الغالب حضارياً، فكان تأثيره اكثر على الليبيين، وكانت النتيجة ان تأغرق

55- على فهمي خشيم، نصوص ليبية من ديودور الصقلي، مصدر سابق، ص150

كثير من الليبيين، وتأغرقت مدنا برمتها، فانتشرت اللغة الاغريقية بين سكان الاقليم، وتعلمها الكثير من السكان المحليين، ولبس الليبيون الملابس الاغريقية، وعبدوا الهة الاغريق، وأخذوا بأساليب الحضارة الوافدة.

وبطبيعة الحال فقد كان سكان المدن هم اكثر تأثرا من غيرهم بالحضارة والتأثيرات الاغريقية، ويرجح بعض الباحثين ان سكان المدن الاغريقية من العنصر المحلي، هم الذين صنفهم المشرع ديموناكس ضمن الطبقة الاولى مع المستوطنين الاوائل من الاغريق، في حين يرى آخرون ان الاغريق لم يسمحوا للسكان المحليين ان يكونوا على قدم المساواة معهم، وانما كانوا يمنحونهم بعض الميزات والحقوق، فلم يسمح للسكان المحليين بحق الانتخاب في عضوية المجالس العامة، وحق شغل المناصب العمومية، حتى ان دستور بطلميوس الاول للمدن الاغريقية لم يساوي بين الليبيين المحليين والمستوطنين الاغريق ودمجهم في مجموعة واحدة.

ومن هنا يمكننا القول بأن الليبيين الذين ادمجهم ديموناكس مع المواطنين الاغريق في الطبقة الاولى، هم الذين انجبهم الرجال الاغريق من امهات ليبيات، وهم في العادة كانوا يحملون كل الصفات الاغريقية ديناً ولغةً وتربية وتقاليد.

وكغيرها من الحضارات الوافدة فلم يكن تأثير الحضارة الاغريقية واسع الانتشار، فلم يصل ذلك الاشعاع الحضاري الى سكان القبائل البدوية البعيدة عن المدن الساحلية، بل ظلوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم المحلية الاصيلة، حيث اعتبروا ان اصحاب هذه الحضارات غرباء عنهم وكنوا لهم العداء المستمر فلم تتوقف غاراتهم على المدن الساحلية ومناوشاتهم على ضواحيها، وخاصة بعد ما فقدت معظم هذه القبائل مساحات شاسعة من اراضيها، ومجالاتها الحيوية، وقد ساهمت هذه القبائل بشكل أو بأخر في زعزعة الامن والاستقرار في المدن الساحلية المتحضرة، وكانت عاملا مساعدا في تدميرها وانهاء حضارتها.

المراجع

المصادر

1. Diodorus Siculus, xviii.
2. Pausanias, Description of Greece. LCL.
3. Plutarch, Moralia ; Lives Cimon, Demosthenes. LCL
4. Pindar, Olympian and Pythian Odes. LCL.
5. Thucydides, History of Peloponnesian War. LCL

المصادر المترجمة

1. بليني الاكبر، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، ترجمة علي فهمي خشيم، في نصوص ليبية، ط2 منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2009م.
2. هيرودوتس، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م .
3. ديودوروس الصقلي، الكتاب الثالث، ترجمة: علي فهمي خشيم، في نصوص ليبية، ط2،منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2009م.
4. استرابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية استرابون، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م .

المراجع العربية

1. ابراهيم احمد زرقانة، جغرافية الوطن العربي، المملكة الليبية، دار النهضة العربية، 1964م
2. سالم محمد الزوام، الجبل الاخضر، دراسة في الجغرافية الطبيعية، منشورات جامعة قاريونس، 1995م
3. ابراهيم نصحي، انشاء قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1970م
4. الشريف امراجع علي حامد، علاقات اقليم قوريني ببلاد اليونان 631ق.م- 323ق.م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر،2014م .
5. اندريه لاروند، برقة في العصر الهلينستي، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م .
6. راضية ابوعجيلة صالح، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والاغريقي في ليبيا القديمة، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م .
7. رشيد الناضوري، المغرب القديم في العصور القديمة، دار النهضة العربية،ج1، بيروت، 1981م.
8. رجب عبدالحميد الاثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، مكتبة قورينا للنشر، 1975م .
9. رجب عبدالحميد الأثرم، "العلاقات الليبية اليونانية قبل تأسيس قوريني عام 631 ق.م"، مجلة البحوث التاريخية، السنة الرابعة عشر، العدد الثاني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، يوليه 1992.

10.صلاح اشتيوي زوبي، علاقة إقليم كيرينايكي بمصر في العصر البطلمي 322-96 ق.م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا. 2008.

11.عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، 2008م، ص42

12.عبداللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم منذ اقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي،1971م .

13.فرنسوا شامو ، الاغريق في برقة الاسطورة والتاريخ، ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م .

14.فؤاد سالم أبو النجا، "هل كان هنالك استيطان إغريقي في قورينائية قبل نزوح الثيرانيين إليها عام 631 ق.م.؟"، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد الثاني،1991.

15.مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966م .

المراجع الاجنبية

1. Appelbaum, S., Jews and Greeks in ancient Cyrene, Leiden. Brill. 1979.

2. Bates,O., The Eastern Libyans, London, 1970 .

3. Colin, F., Les peoples libyens de la Cyrenaique a l’Egypte, D’apres les sources de l’Antiquite classique. Published: Bruxelles : Académie royale de Belgique. 2000.

4. Masson, O., “Grecs et Libyens en Cyrénaïque, d'après les témoignages del l'épigraphie”. In Antiquités africaines. Vol. 10. 1976.

5. Stucchi, S., “problems concerning the coming of the Greeks to Cyrenaica and the relations with their neighbours” in Mediterranean Archaeology, Vol. 2. 1989.

المتغيرات الثقافية والاجتماعية وأثرها على التنمية المحلية

جامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم مسلاته - قسم علم الاجتماع
د.سالم محمد الحاج أستاذ مساعد
هاتف - 0913272842
sammallhaj@gmail.com

المقدمة

ستون عاما تقريباً تمر على أول خطة للتنمية بالدولة الليبية، مع تغيرات اجتماعية وثقافية كبرى بسبب عوامل داخلية وخارجية، وقد عملت تلك التغيرات على إحداث تحول كبير في الحياة بشكل عام، فقد انتقل المجتمع الليبي من مجتمع بدوي، إلى مجتمع يتسم بخصائص التحضر والتحديث، في تحول نوعي كبير في الجوانب الثقافية والاجتماعية.

وكان لعمليات التنمية أهمية كبرى في إحداث هذا التغير، فمنذ اكتشاف النفط في ستينيات القرن الماضي تحركت عجلة الاقتصاد الليبي وتحول نمط الحياة من الاعتماد على الإنتاج المحلي القائم على الزراعة والرعي، إلى الاعتماد على واردات النفط.

ومنذ ذلك الحين وضعت الدولة الخطط الاقتصادية للنهوض بالبلاد، وتمت الاستعانة بالخبرات الأجنبية في عمليات الإشراف والتنفيذ لهذه الخطط، وبدأ الاهتمام بالعنصر البشري الليبي، من حيث التعليم والتدريب حتى يمكن له أن يشارك في برامج التنمية وليحل محل العنصر الأجنبي فيما سمي في ذلك الوقت بعمليات التليبب.

وقد كان للمتغيرات الثقافية والاجتماعية أثر كبير في تقبل الناس أو رفضهم للبرامج التنموية، وكانت معظم هذه المتغيرات نتيجة هزات كبيرة أترث بشكل واضح في المجتمع بشكل عام.

والتنمية المحلية في المدن الليبية جزء من منظومة اجتماعية واقتصادية وسياسية على مستوى الدولة، وكان للتغيرات الثقافية والاجتماعية أثر بالغ في برامج التنمية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المتغيرات.

الكلمات المفتاحية

(التغير الاجتماعي ــ الثقافة ـــ التنمية ـــ التنمية الاجتماعية ـــــ التنمية المستدامة).

لقد ذهب الزمن الذي كان يُنظر فيه إلى أن المحرك الأساسي للتنمية يتمثل في توفر الموارد المادية والبشرية فقط، فقد ظهر اتجاه في بداية هذا القرن ينظر إلى التنمية بشكل مختلف بسبب وجود موارد بشرية ومادية في عديد الدول إلا أنها لم تجد للتنمية سبيلا.

فما هي العوامل الأخرى التي تؤثر في عملية التنمية؟

الواقع أن العوامل المادية مهمة في التنمية إلا أنها لم تعد الأهم، فالثقافة السائدة في أي مجتمع أصبحت تلعب دوراً محورياً في عملية التنمية، وهو ما يندرج تحت السمات غير المادية في المجتمع، والمتمثلة في الآتي:

- الدين، والسياسة.
- الثقافة، والتربية، والقيم.
- الأخلاق، ودوافع العمل.

وتلعب المتغيرات الثقافية، والاجتماعية دوراً مهماً في مسيرة التنمية لأي مجتمع، وقد تقف بعض القيم الاجتماعية عائقاً أمام التنمية في بعض المجتمعات، ولكنها تمثل رافداً أساسياً للتنمية في مجتمعات أخرى، وتأتي فكرة هذا البحث في هذا الاتجاه، في محاولة لفهم الدور الحقيقي الذي تلعبه المتغيرات الثقافية والاجتماعية في التنمية المحلية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في بيان أثر المتغيرات الثقافية والاجتماعية على برامج التنمية المحلية من خلال علاقتها بالعوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية السائدة في البلاد بشكل عام، مع التطرق للآليات التي يمكن الاستعانة بها للاستفادة من هذه المتغيرات بصورة ايجابية في تحقيق ذلك.

ومن هنا يأتي تساؤل الدراسة: ما هو أثر المتغيرات الثقافية والاجتماعية على التنمية المحلية؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تتبع خطط التنمية التي وضعتها الدولة الليبية، وبيان أثر المتغيرات الثقافية والاجتماعية على برامج التنمية المحلية، ومدى تحقيق هذه البرامج لأهدافها في ظل الوضع الاقتصادي والاجتماعي الليبي.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث للتطرق لمفهوم واضح للتنمية المحلية في ضوء المتغيرات الثقافية والاجتماعية، وربطها بتحقيق التنمية المستدامة، كما يهدف إلى توعية المؤسسات المحلية خاصة تلك التي تهتم بالاستثمار بأهمية تبني مزيد من المبادرات الاجتماعية التي تعمل على تطوير المجتمع المحلي، وتحقيق التنمية المستدامة، والعمل على معالجة ما قد يواجه الخطط التنموية من عقبات بسبب المتغيرات الثقافية والاجتماعية.

منهجية البحث

اكتفى الباحث باستخدام المنهج الوصفي، "الذي لا يقف عند الوصف فقط بل يعمل على جرد المعطيات وتصنيفها وتحليلها ثم استخلاص النتائج وتعميمها".(**طعم الله، 2004م)**

ومن هنا فالبحث عبارة عن دراسة نظرية، لمجموعة من المعلومات حول المتغيرات الثقافية والاجتماعية، وبيان علاقتها بالتنمية المحلية، في محاولة للخروج بتصور نظري حول ذلك، وطرح بعض التوصيات التي قد تُسهم في بيان أهمية برامج التنمية المحلية.

أولا- مفاهيم أساسية حول المتغيرات الثقافية والاجتماعية

التغير الاجتماعي: هو كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة" **(دلال استيتية، 2004م، ص19)**

الثقافة: لعل تعريف تايلور للثقافة هو الأكثر الماما بأطرافها، فالثقافة هي: **"ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع (www.aranthropos.com/masrid)**

التنمية: تعني التنمية لغةً الزيادة والوفرة، والتكثير والنماء، أما اصطلاحاً، فهي تحقيق أحسن الظروف الإنسانية للفرد داخل المجتمع.

التنمية الاجتماعية: تعرف التنمية الاجتماعية بأنها الجهود التي تُبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع.**(حسن سعفان، 1973، ص 225.)**

التنمية المستدامة: التنمية التي تحقق احتياجات أجيال الحاضر دون الإضرار بحاجات وقدرات أجيال المستقبل. **(قانون رقم (15) لسنة 1371 و.ر، في شأن حماية وتحسين البيئة.)**

غير أن التنمية قد تكون أخذت المفهوم الاقتصادي المحض، قبل أن يكون مفهوما سياسياً، أو اجتماعياً، أو ثقافياً، ولذلك تعددت تعريفاتها حسب وجهة نظر الباحث، وفي دول العالم النامي عُرفت التنمية بعد طرد المستعمر، وتحقيق الاستقلال، وأصبحت التنمية مرادفة لتحقيق عدة أهداف أهمها:

- الاهتمام بالتعليم، والقضاء على الأمية.
- الرعاية الصحية والقضاء على الأمراض.
- تطوير الاقتصاد.

ويشير أحد تقارير التنمية البشرية لهيئة الأمم المتحدة إلى ثلاثة مؤشرات للتنمية البشرية هي:

- العيش حياة طويلة وصحية.
- الحصول على المعرفة.
- توفر الموارد اللازمة لمستوى معيشي لائق.

التنمية في ليبيا

من المفارقات في التاريخ الليبي، أن البلاد صُنفت في تقرير للأمم المتحدة عام 1952م كإحدى أفقر دول العالم، وأنه من على المدى المنظور من غير الممكن قيام أي تنمية في البلاد.

"وقدر دخل الفرد في مدينة طرابلس عام 1952 بحوالي 42 دولار سنوياً، ولذا وصف الاقتصاد الليبي في ذلك الوقت باقتصاد العجز وهيمنة الحلقة الخبيثة متمثلة في انخفاض مستوى الادخار والدخل وبالتالي الاستثمار والإنتاج." **عبد الرحمن على محفوظ، (2102 م)**

غير أنه لم يمض عقد من الزمن حتى تحولت ليبيا من دولة غير مُدرجة على لائحة الدول المؤهلة لأي مشاريع تنموة حقيقية، إلى دولة تتمتع بمعدلات دخل مرتفعة.

"ففي الفترة التي أعقبت تصدير النفط 1962م ــ 1969م شهدت معدلات نمو كلية عالية - وصفت بأنها من أعلى معدلات النمو في العالم، حيث حقق الناتج المحلي الإجمالي (GDP) نمواً سنوياً قدره

22.6 % وارتفع نتيجة لذلك متوسط الدخل الحقيقي للفرد (Per-Capita GNP) بواقع 16 % سنويا وحقق الاستثمار الثابت الإجمالي (GFCF) معدل نمو سنوي قدره 15.6 %." **عبد الرحمن على محفوظ، (2102 م)**

المجتمع المحلى

أول من استعمل اصطلاح المجتمع المحلى هو العالم الاجتماعي روبرت مكايفر عندما نشر كتابه " المجتمع المحلى. **(ميشيل، دنيكن، 1967)**

ويعرَف المجتمع المحلى على انه تجمع من المواطنين يعيشون معاً فوق منطقة من الأرض ويؤلفون جماعة اجتماعية. **(حمودة، 1995)**

ويحظى المجتمع المحلى بأربعة خصائص أو مقومات محددة هي:

1- المشاركة في الأهداف والمصالح ووضوحها.

2- الشعور بالانتماء.

3- وجود التفاعل بين الإفراد والجماعات.

4- وجود نظام عام من القواعد التي تنظم حياة الناس وتحدد الصلات فيما بينهم (**الحناكى، 2007م**)

وتعتمد العلاقات بين أفراد المجتمع المحلي غالباً على أساس العلاقات الشخصية، أو علاقات الوجه للوجه أكثر من اعتمادها على الخطابات الرسمية. **(كتبخانة، 1424)**

التنمية المحلية

لعل معظم المدن الليبية تمتلك إمكانيات تؤهلها لاستيعاب البرامج التنموية، فمع وجود السكان، والأرض الجيدة، أو الشواطئ البكر الممتدة والجميلة، أو الصحاري الواسعة والكبيرة، أو الجبال المليئة بالإرث الثقافي الهائل في الجنوب، كلها عوامل تزيد من حظوظ التنمية المكانية للمدن الليبية.

وقد بدأت خطط التنمية في المدن الليبية منذ ستينات القرن الماضي، وكان الهدف منها هو النهوض بالمستوى المعيشي للسكان، وتطوير وتحديث المجتمع، وحتى تنجح عمليات التنمية في إحداث التغير المطلوب لابد من أن تُبنى على معايير محددة، منها المادية ومنها البشرية ومنها الثقافية.

فمن الناحية المادية تم رصد ملايين الدينارات على خطط التنمية منذ العام 1963/ 1968م باعتبارها أول خطة للتنمية في ليبيا.

ومن الناحية البشرية تم تخريج آلاف الشباب من المعاهد المهنية والفنية، ومن المراكز التدريبية المختلفة، ومن الجامعات الليبية، والجامعات الأجنبية.

ومن الناحية الثقافية ينبغي تأهيل المجتمع لكي يتقبل التنمية كفكرة، وما يترتب عنها من تداعيات قد تمس الشأن الشخصي للفرد ذاته.

المتغيرات الثقافية

تعد الثقافة مؤشر ايجابي على أي نشاط يقوم به الإنسان، ويبدو أن المتغيرات الثقافية قد أخذت طريقها إلى البلاد منذ زمن مبكر.

والثقافة كما ورد في تعليق لمنظمة اليونسكو بأنها" هي ما نحن عليه وما يشكل هويتنا، والثقافة عامل لا غنى عنه لأية تنمية مستدامة".**(http://ar.unesco.org)**

والثقافة رافدا مهما للتنمية، والواقع يقول ذلك، "وقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها الدورية في شهر سبتمبر للعام 2015 «أجندة التنمية المستدامة 2030، بالإضافة لعدة أهداف طموحة عالمية وتحويلية من أجل عالم فضل." **(http://ar.unesco.org)**

ويشكل جدول أعمال التنمية المستدامة حتى عام 2030 خطوة أساسية باتجاه التنمية المستدامة في عدد كبير من المجالات، وبخاصة الثقافة، بوصفها المرة الأولى التي يشير فيها جدول الأعمال الدولي للتنمية إلى الثقافة في إطار أهداف التنمية المستدامة المرتبطة بالتعليم، والمدن المستدامة، والأمن الغذائي، والبيئة، والنمو الاقتصادي، والاستهلاك المستدام، ونماذج الإنتاج ". **(/http://ar.unesco.org)**

ومن نافلة القول أن التنمية ينبغي أن تكون نابعة من ثقافة المجتمع، تلك الثقافة التي تمثل في أعماقها عبقرية شعب من الشعوب، وبراعته في البحث عن التقدم والسعادة، آخذاً بعين الاعتبار حاجاته ومنازعه وطموحاته، مدركاً المشكلات والإمكانات والقيود التي تفرضها عليه بيئته، وتمليها نظرنه الخاصة، ويحددها تصوره لمكانه في العالم ودوره ومعنى وجوده.

والقيم الثقافية عادة ما تذكر كقوى دافعة ومحرك للتقدم الاقتصادي والاجتماعي مثل قيمة العمل، وتقدير قيمة الوقت، والادخار، والتعاون. **(محمد الفنيش2011)**

ـ المعوقات الثقافية والاجتماعية للتنمية

من الممكن الإشارة إلى وجود عدة معوقات مثل:

ـ **المعوقات الثقافية الاجتماعية**: (العائلة، الريف والحضر، القبيلة).

ـ **المعوقات الثقافية**: (الأفكار حول العمل المهني واليدوي – موقف الناس تجاه استخدام التكنولوجيا الحديثة – النظرة للمرأة وعملها).

في كثير من الدراسات الاجتماعية تبين أن الخطط الاقتصادية تتعثر من خلال مواقف الناس واتجاهاتهم وتقاليدهم وعاداتهم وقيمهم ونظرتهم إلى التنمية، ومدى إيمانهم بها، وسوى تلك الأمور التي تتضمنها ثقافة شعب من الشعوب، أو مجتمع من المجتمعات، تلك الثقافة التي تعني أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة لدى ذلك الشعب أو ذلك المجتمع.

أولاً: أهم المتغيرات الثقافية وأثرها على التنمية:

1. **العمل:** يحرص معظم الليبيين على الانخراط في العمل الحكومي، فمهما كان دخل المواطن الليبي من العمل الخاص إلا أنه لا يفرط في العمل الرسمي بالدولة، وقد ترتب على ذلك الآتي:

   أ- تضخم من القطاع العام، وزيادة كتلة الرواتب التي تثقل كاهل الميزانية العامة للدولة.

   ب- حرص الليبي على العمل الإداري المكتبي، مما سبب في ظهور البطالة المُقنعة، فأعداد الموظفين أكثر من الحاجة إليهم.

2. **التكنولوجيا الحديثة:** لا يخلو بيت ليبي من مختلف السلع الالكترونية والصناعية متعددة الاستخدامات، فمن الهاتف إلى السيارة مروراً بكل الأجهزة تستورد من الخارج، وهي في العموم مُستهلكة للطاقة، ومن المفارقات أنه مع الشكوى من انقطاع الكهرباء المتكرر مثلاً، فإن المواطن الليبي لا يكلف نفسه نزع أحد الأجهزة من الكهرباء عندما لا يكون في حاجته، بل لا يطفئ حتى المصباح الصغير.

3. **النظرة إلى عمل المرأة:** دخلت المرأة الليبية سوق العمل، وزاحمت الرجل في جُل الوظائف، غير أن تلك النظرة السلبية للمرأة ما زالت قائمة، فهناك من يتأفف أن تكون رئيسته في العمل المرأة، بالرغم من قدرتها على القيادة والإبداع.

4. **الإدارة:** يسير العمل الإداري في كل الدول وفق تراتبية تنظيمية ووفق لوائح وقوانين تنطبق على الجميع، غير أن الأمر يختلف في بعض الأحيان في المجتمع الليبي، حيث يتم التغاضي عن المؤهل والخبرة والجدارة في أحيان كثيرة، حينما تتغلب القبلية ـأو المصلحة، أو الصداقة على التراتبية الإدارية المطلوبة لنجاح العمل الإداري.

ثانياً: أهم المتغيرات الاجتماعية وأثرها على التنمية

أ- **العائلة:** الإنسان الفرد يعرف العائلة، فهي منشأه الأول، ومن ثم فالرابطة الأسرية من أقوى الروابط الاجتماعية، وهي جيدة ومفيدة اجتماعياً إلا أنها قد تُؤثر على الكثير من السلوكيات للفرد، خاصة تلك التي ترتبط بمصالح الدولة، حيث تأتي العائلة في سُلم أولويات الشخص، فالأقارب هم الأوفر حظاُ في تولي المناصب، والحصول على المزايا عندما يكون ابنهم مسئول في الدولة.

ب- **القبيلة:** تبين بعض الدراسات أن الليبي يعرف قبيلته قبل دولته، وقد يتغلب الولاء القبلي على الولاء الوطني، ويصبح المكون القبلي ذو أولوية في تحديد سلوكيات الفرد، مما ينعكس سلباً على الأعمال ذات الصبغة الإدارية، ومع ما تمثله القبيلة من غطاء اجتماعي مهم للفرد إلا أنها قد تؤدي إلى نتائج غير مرغوبة حينما يؤخذ الولاء القبلي كمؤشر على مدى اهتمام الفرد بقبيلته، خاصة عندما يتصدر المشهد السياسي أو الاقتصادي.

ت- **الخلفية الديموغرافية:** يتكون المجتمع الليبي من مناطق ريفية وحضرية، وغالباً ما يحدث الانسجام بين المكونين الاجتماعيين فيما يتعلق بالأطر الفنية التي تقوم بعملية التنمية، غير أن النسبة الأكبر من المشاريع عادة ما تُسند للمناطق الحضرية.

المتغيرات الاجتماعية

منذ اكتشاف النفط في ستينات القرن الماضي شهدت ليبيا تغيرات اجتماعية كبيرة، وقد تمثلت المتغيرات الاجتماعية في الآتي:

- **قيمة العمل**

في بداية خطط التنمية الليبية كان المجتمع الليبي يعاني من الأمية، وكانت الزراعة هي المهنة الرئيسية في البلاد، وبعد اكتشاف النفط، تحولت ثقافة العمل القائم على ما تجود به الطبيعة من خيرات، وانتظار المواسم الزراعية المختلفة، إلى ثقافة الأجر اليومي، وتحول الناس من العمل في الإنتاج الزراعي، إلى العمل في شركات النفط كعمال باليومية، أو إلى المدن كعمال بناء أو في الموانى، أو موظفين في الدولة، وتحولت أطراف المدن إلى حزام من الفقر، لعدم قدرة هؤلاء العمال على السكن داخل المدينة.

وأصبح معيار النجاح الاجتماعي هو الحصول على وظيفة في الدولة، وظهرت الحاجة إلى وظائف معينة كانت حكرا على العمالة الأجنبية، وحظيت المهن الهندسية والطبية في مجتمعنا الليبي بنظرة

خاصة من معظم الناس، مما جعل الأسر تدفع بأبنائها للالتحاق بالكليات الهندسية والطبية، وقد يدفع كثير من الشباب ضريبة هذا الاختيار الذي لم يستشاروا فيه.

وأصبح يُنظر للعمل اليدوي والعضلي بمستوى أدنى من الأعمال المكتبية.

ويمكن ملاحظة أن المشاريع التنموية عادة ما كانت تقوم بها الشركات الأجنبية، على نظام تسليم المفتاح، حيث تتولى تلك الشركات القيام بكل الأعمال المتعلقة بالمشروع، لدرجة أن المواد الداخلة في البناء يتم استيرادها من الخارج، وعادة تقوم بتسليم المشروع كاملاً، في غياب تام للعمالة الليبية.

وعلى العموم، يُفضل الناس العمل الحكومي على العمل الخاص حتى مع فارق الدخل، والخطير في الأمر أن ثقافة العمل هذه تنتقل من جيلٍ إلى آخر عن طريق التربية.

إن ثقافة العمل مهمة جداً، وهي التي تدفع بالأمم للأمام، أو تبقيها في مكانها، أو تدفعها إلى الوراء، وفي التاريخ عبر.

- **عمل المرأة**

قديماً عملت المرأة الليبية في الزراعة أو في مجال الحرف اليدوية مثلها مثل الرجل تماماً، ومع تغير الحياة الاجتماعية حدث تطور في كثير من أوجه الحياة الليبية، وتمكنت المرأة من الدخول إلى الحياة العامة وشاركت في التنمية بشكل عام، وهو ما مثل علامة فارقة في ثقافة العمل.

والمرأة الليبية عرفت المدارس منذ أمد، ودخلت العمل الحكومي، ومارست دورها التنموي بكل جدارة، إلا أن التحول المادي في جوانب التنمية يسبق في أحيان كثيرة التغير الاجتماعي، وفيما يخص المرأة توفرت فرص العمل بكثرة في بداية الخطط الاقتصادية، ومع افتتاح المدارس والمرافق الطبية والخدمية، والمصانع والمعامل، إلا أن الجانب الاجتماعي حد من مشاركة المرأة إلى حد ما، خاصة في فترات سابقة، غير أن الأمر تغير الآن، فمثلاً: الخدمات الطبية المساعدة التي كانت حكراً على العمالة الأجنبية، ولم تكن المرأة الليبية قادرة على القيام بها بسبب القيود الاجتماعية، نجد الآن النسبة الأكبر من العاملات في هذا القطاع هو من العناصر النسائية الليبية، ولعل في هذا مؤشر على تغير القيم التفافية فيما يخص عمل المرأة.

- **الدور الحكومي**

تبقى المعضلة الأساسية أمام السلطات المحلية هي في وجود المال، وحرية اتخاذ قرار تنفيذ المشاريع، وقد مرت اختصاصات السلطات المحلية في مجتمعنا بحالات مد وجزر، فقد مُنحت لها

سلطة اتخاذ قرارات المشاريع أثناء التقسيم الإداري القائم على نظام المحافظات، ثم سُحبت منها عندما ألغي ذلك النظام، وهكذا دواليك.

وقد سبب هذا التخبط، وعدم استقرار الوضع الإداري إلى تعثر الكثير من البرامج التنموية، فعندما يكون أحد المشاريع تحت الإشراف المباشر لإحدى الوزارات أو الهيئات، ثم تلغى تلك الوزارة أو الهيئة، فإن ذلك المشروع سيؤول إلى جهة أخرى، وهكذا فعندما لا تستقر تبعية المشاريع لجهة محددة حتى الانتهاء منها، فإن ذلك يؤدي إلى ضعف مهمة سلطات الإشراف الجديدة وهكذا.

وإذا رجعنا إلى خطط التحول التي وضعت في فترات تاريخية سابقة، نجد أن نسب الانجاز في بعضها وصل إلى مراحل 60% أو حتى 80 %، ومع ذلك بقيت تلك المشاريع على ما هي عليه لعشرات السنين، وبعضها ما زال ماثل أمامنا في مختلف أنحاء البلاد.

وإن كان الدور الحكومي يعتمد على الإدارة الجيدة، والتخطيط السليم، والاستغلال الرشيد للموارد المتوفرة، إلا أن التدخل الحكومي المركزي في كثير من الأحيان يمثل عائقاً أمام فرص التنمية المحلية، بسبب الروتين الإداري والإجراءات البيروقراطية، وثقافة المجتمع.

- **معوقات تنفيذ البرامج التنموية**

تقام البرامج التنموية من أجل حل المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية التي تواجه المجتمعات البشرية، غير أن هذه البرامج التنموية عادة ما تواجه عقبات عديدة مما يتطلب البحث عن حلول لها حتى تستمر في انجاز مشاريعها.

والمعوقات الثقافية والاجتماعية التي تعرقل عملية التنمية بشكل عام تتمثل في الآتي:

- ظهور أنماط استهلاكية تعتمد على المنتج الأجنبي، مما سبب في اختفاء المنتوج المحلي.
- الحرص على العمل الحكومي، والنظرة إلى العمل اليدوي والمهني.
- النظرة السلبية إلى عمل المرأة.
- عدم إقبال الشباب على المعاهد الفنية، والصناعية.
- غياب مبدأ الجدارة في التعيين: حيث يتولى المنصب من يمتلك القوة (النفوذ) مما يؤدي إلى حرمان الأجدر من تولي أي منصب، وهذا ينعكس سلباً على برامج التنمية بشكل عام.

- انتشار روح اللامبالاة والسلبية: فالمشاريع العامة التي أُدرجت في خطط التنمية المختلفة، سواء كانت مزارع أو مصانع، أكلها الإهمال، وذلك بسبب سيطرة المزاج والعلاقات الشخصية على إداراتها المتعاقبة، وعدم تطويرها، مما سبب في تهاون العاملين بها، وعدم جديتهم في العمل.
- عدم الالتزام بالمعايير الفنية والاقتصادية عند توطين المشاريع، بسبب المحاباة والعلاقات الشخصية، مما يعمل على إقامتها في غير أماكنها المثلى، الأمر الذي جعلها غير ذات جدوى في كثير من الأحيان.
- تضخم القطاع العام بسبب التعيينات التي تتم بدون حاجة فعلية للعمالة، بحيث يقارب عدد الموظفين في الدولة الليبية اليوم 1.800.000 موظف.

الخاتمة

يمكن للمتتبع للخطط التنموية التي شهدتها البلاد على مدار عقود أن يكتشف أن التنمية المكانية كانت تحتاج إلى مزيد الترابط حتى تعطي ثمارها المرجوة، وكان يكفي أن يأخذ أي قطاع جزء من هذه الخطط حتى يكون هو القاطرة التي يمكن من خلالها خلق تنمية حقيقية بالمدن الليبية، وهذا ما نرجوه الآن، ويمكن أن تلعب المتغيرات الثقافية والاجتماعية دوراً مهماً في توجيه بوصلة التنمية، فقيم العمل والعناية بالبيئة، والحفاظ على الهوية قد تشكل دافعاً قوياً للبرامج التنموية بشكل عام.

نتائج الدراسة

- التنمية عمل متكامل بجوانبها المادية والاجتماعية والثقافية.
- وجود فروق في المشاريع التنموية في ليبيا، فمنها مستمر في العمل والإنتاج إلى الآن، بينما الكثير منها متوقف تماماً.
- الجانب الإداري المعتمد على الولاء الاجتماعي لا يزال قائماً، وتقارير ديوان المحاسبة تؤكد الكثير من الممارسات الإدارية في هذا الشأن.
- لا تزال النظرة إلى الوقت، وإلى العمل غير منضبطة في الغالب، حيث لا يشكل الغياب عن العمل أي تأثير على الكثير من الناس.
- إهدار المال العام في مشروعات غير ذات جدوى، مما ساهم في خلق البطالة المقنعة، وتضييع الفرص الاستثمارية على الدولة ككل.

التوصيات

في نهاية البحث يمكن أن نوصي بالأتي:

- ضرورة القيام بحملات توعوية لبيان أهمية التنمية بالنسبة للمجتمع المحلي، وينبغي أن تكون التنمية البشرية في مقدمة الاهتمامات.
- من المهم الاستفادة من المتغيرات الثقافية لإنجاح عملية التنمية بترسيخ قيم العمل المنتج، والبعد عن النمط الاستهلاكي.
- أهمية استغلال التغيرات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع للدفع بالمرأة لميدان العمل، واقتحام المجالات كافة بما يضمن المشاركة الفاعلة في التنمية المحلية.

الاستفادة من جملة التغيرات في المجتمع ككل في رسم خطة حقيقية تسعى للتركيز على نقاط القوة لكل منطقة كالسياحة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة والتي يمكن لها أن توفر فرص استثمارية حقيقية.

المراجع

1. حمودة، سعد الفاروق، (1995) تنمية المجتمعات المحلية (الريفية، الحضرية، المستحدثة، الصحراوية) المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر . والتوزيع، الإسكندرية، 1995.
2. خميس طعم الله، (2004) مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، مركز النشر الجامعي، الطبعة الأولى، 2004م، ص 12.
3. دلال استيتية، (2004) التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2004م، ص 19.
4. ميشيل، دنيكن، (1967) معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، 1967 .
5. كتبخانة، إسماعيل بن السيد، أسس علم الاجتماع، اشراقات للنشر والتوزيع، جدة.
6. عبد الرحمن على محفوظ، (2102 م) الاقتصاد الليبي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة طرابلس، ص3.5.

رسائل جامعية

- محمد غان الرميحي، (1975) القيم والعادات الاجتماعية في الخليج العربي ودورها في إعاقة عمليات التنمية (النموذج الكويتي)، رسالة ماجستير، 1975م الكويت.

بحوث منشورة

- الحناكى، (2007) على بن سليمان، الاستراتيجيات الملائمة للتنمية المحلية ودورها في التنمية الاجتماعية، ورشة التنمية المحلية ودورها في التنمية الاجتماعية، وزارة الرعاية الاجتماعية، الخرطوم 10/30ـــ 2007/11/1م.

مواقع الكترونية

1. http://www.aranthropos.com/masrid/. .
2. /http://ar.unesco.org

المصحات الايوائية الخاصة في مدينة طرابلس:
بين جودة الخدمات ومخاطر النفايات

جامعة طرابلس - كلية الآداب - قسم الجغرافيا

د. نجاة محمد المهدوي

المقدمة

تعتبر النفايات الطبية واحدة من اكثر المشاكل البيئية التي واكبت تطور عدد السكان في العالم والذي تزامن مع التطور التكنولوجي في مجال الخدمات الطبية وارتبط بهذا ما تشهده العديد من الدول من سباق للشركات المتخصصة لتقديم خدماتها الدوائية والعلاجية. فانتشرت مراكز الخدمات الطبية الخاصة (المصحات الايوائية)، وبكل ثقة ذاع صيتها في تقديم خدماتها للمواطن بدرجة اصبحت تنافس المستشفيات العامة وليس ذلك في الدول المتقدمة فحسب بل في الدول النامية ايضا ، ورغم تكاليفها الباهظة- إلا ان الاقبال عليها من قبل المواطنين أصبح ملحوظا بدرجة كبيرة لجودة خدماتها التي يقدمها الاطباء والاطقم الطبية المساعدة.

ولكن على الرغم من ايجابيات خدماتها الظاهرة للعيان التي تقدمها في المجالات الطبية المختلفة هناك جانب سلبي قد لا يشد انتباه المواطن البسيط وهو متمثلا في النفايات الطبية الناجمة عنها والتي تؤدي لا محالة في حال عدم التخلص منها بالطرق العلمية الصحيحة الى تلوث بيئي يعود على الانسان بإضرار فادحة وربما تكون مميتة.

تنتشر في مدينة طرابلس اكثر من 40 مصحة ايوائية، وباعتبارها المدينة الاكثر اكتظاظا بالسكان وتقدم خدماتها المختلفة لساكنيها ولساكني اقليمها الوظيفي. فان هذا يؤدي الى زيادة كمية النفايات الطبية الناتجة عنها بدرجة اصبحت معها تمثل مشكلة جديرة بالدراسة. وفي هذا السياق فان السؤال الذي يطرح نفسه هو: ماهي انواع النفايات الطبية الناتجة عن هذه المصحات؟ وماهي مصادرها؟ وكيف يتم التعامل معها وطرق التخلص منها؟

ان ما يجدر الاشارة اليه ان اهمية هذا البحث تكمن في اهمية الموضوع الذي تتناوله وتعتبر مرآة تعكس درجة اهمية الابحاث الجغرافية في مجال التلوث البيئي خاصة الذي تسببه النفايات الطبية.

أما فيما يتعلق بالهدف الاساسي لهذا البحث فيكمن في معرفة جودة الخدمات الطبية التي تقدمها المصحات الايوائية وانواع النفايات الطبية الناتجة من هذه المصحات وسبل التخلص منها والوصول الى نتائج تبرز حقيقة النفايات الطبية الناتجة عن المصحات الايوائية الخاصة، وكيفية التعامل معها وسبل التخلص منها. كما نهدف هذه الدراسة الى تقديم توصيات ومقترحات يمكن لذوو العلاقة الاستفادة منها لحماية الانسان وبيئته من مخاطر هذه النفايات.

لتحقيق الاهداف المرجوة تم اعداد ورقة استبانة تم صياغة اسئلتها بهدف الحصول على نوع الخدمات الطبية التي تقدمها المصحات الايوائية الخاصة، وما يترتب على هذه الخدمات التي تقدمها من نفايات متنوعة بين الصلبة والسائلة، وبين النفايات الطبية والعادية ، وكيفية التعامل مع هذه النفايات وسبل التخلص منها.

تمثل المصحات الايوائية التي يتجاوز عددها 40 مصحة ايوائية مجتمعا لهذه الدراسة ، تم توزيع 10 ورقة استبانة على عدد 10 مصحات ايوائية وهي التي وافق ذوو العلاقة فيها على الاجابة على الاسئلة التي تضمنتها ورقة الاستبانة وبالتالي تم اعتبارها عينة تمثل مجتمعا الدراسة.

النفايات الطبية

اصبحت النفايات الطبية تمثل هاجسا لدي اختصاصي إصحاح البيئة وكثير من متخذي القرار, لما لهذه النفايات من أضرار صحية وبيئية, حيث اولت كثير من بلدان العالم وخاصة المتقدمة منها هذا الموضوع أهميه فائقة وسنت القوانين التي تحكم وتنظم كيفيه التعامل مع النفايات الطبية الخطرة , وحظي الموضوع أيضا باهتمام الباحثين في مجال الصحة العامة والعلوم البيئية.

تعريف المخلفات الطبية

ظهرت بخصوصها عدة تعريفات معتمدة أكثرها في مؤسسات متخصصة من بينها:-
تم تعريف المخلفات الطبية من قبل المديرية العامة للشئون الصحية بالمدينة المنورة بأنها كل المواد التي تم استخدامها لتشخيص المرضى أو العناية بهم سواء أكان ذلك داخل المراكز الصحية أو خارجها[1]. كما تم تعريفها في التقرير الوطني الليبي الأول للبيئة بأنها تلك المخلفات التي تحتوي على جراثيم وميكروبات[2].

(1) النفايات الطبية، المديرية العامة للشئون الصحية، منطقة المدينة المنورة، مستشفى أحد. 2005، ص 2. في:
www. ohudhosp.com
(2) المخلفات الطبية، التقرير الوطني الأول للبيئة، الهيئة العامة للبيئة،2001، ص 177

أما في قانون حماية البيئة المصري رقم (4) لسنة 1994، وكذلك في مؤتمر بازل فقد تم تصنيف المخلفات التي تنتجها مراكز الخدمات الصحية، والمخلفات الناتجة عن المستحضرات الصيدلانية كالعقاقير والأدوية من ضمن المخلفات الخطرة التي يتطلب الأمر ضرورة التعامل معها بطريقة سليمة [3].

أما منظمة الصحة العالمية فقد أكدت على أنها تلك المخلفات الناتجة عن عمليات علاج المرضى داخل المرافق الصحية[1]. وفي السياق نفسه تجدر الاشارة إلى ان النظام الموحد لإدارة مخلفات الرعاية الصحية الذي تم اعتماده من قبل المجلس الأعلى لدول التعاون الخليجي فقد عرفها على أنها النفايات التي تنتجها مراكز الرعاية الصحية بأنواعها المختلفة بما في ذلك المختبرات ومراكز إنتاج الأدوية واللقاحات ومراكز العلاج البيطري والمؤسسات البحثية ذات العلاقة[2].

وبناء على التعريفات التي سبقت الإشارة إليها فقد تم تقسيم المخلفات الطبية إلى قسمين هما:

1. المخلفات الطبية غير الخطرة: تم تصنيف بعض المخلفات الطبية على انها ليست بالخطرة وذلك لأنها مماثلة في محتوياتها للمخلفات المنزلية العادية لأنها تنتج من الأقسام الإدارية والايوائية كمخلفات الأكل والشرب وغالبا ما تشكل الجزء الأكبر من إجمالي مخلفات الرعاية الصحية ويتم التعامل معها بنفس طريقة التعامل مع المخلفات المنزلية[3]
2. المخلفات الطبية الخطرة: هي المخلفات التي تنتجها المصادر المختلفة والتي تتسم بدرجة تلوثها العالية بالمواد المعدية أو الكيميائية أو المشعة ورغم ان كميتها تشكل النسبة الأقل من كمية مخلفات مراكز الرعاية الصحية ولكنها في الوقت نفسه تشكل خطراً كبيرا على الإنسان والبيئة سواء أكان ذلك أثناء إنتاجها أو جمعها أو نقلها أو التخلص منها. ويصنف هذا النوع من المخلفات الطبية إلى:-

1. مخلفات باثولوجية:- تتضمن المخلفات الباثولوجية بقايا غرف العمليات الجراحية، مثل الأعضاء البشرية المستأصلة، وسوائل الجسم الناتجة عن العمليات الجراحية، وبقايا المختبرات بما في ذلك العينات التي تتطلبها التحاليل الطبية.
2. المخلفات الملوثة: تشمل جميع المستلزمات التي يتم استخدامها أثناء العمليات الجراحية مثل الضمادات والقطن والحقن، وملابس المرضى والقفازات التي يستخدمها الأطباء ومساعديهم .
3. المخلفات المشعة:- تشمل المخلفات المشعة جميع بقايا غرف الأشعة، والمختبرات المتخصصة، والمحاليل المشعة وخاصة اليود المشع[1].
4. المخلفات الدوائية: يقصد بها جميع مخلفات تصنيع وتحضير الأدوية ومنتجاتها الدوائية التالفة أو المنتهية صلاحيتها، والمنتجات الملوثة والأمصال وما يرتبط بها من الأدوات المستخدمة في إنتاجها وتعبئتها[2]

(3) جهاد أحمد أبو العطى، الإدارة الحديثة للمخاطر المهنية والبيئية للصناعات الدوائية والمستحضرات الصيدلانية، المعهد العربي للصحة والسلامة البيئية، دمشق2000،ص 43.

(1) الطاهر إبراهيم الثابت، الاهتمام العالمي بالمخلفات الطبية، 2006 ، ص،5 ، في:www. Libyanmedicalwaste.com

(2) أحمد بن علي الشرياني، تشريعات إدارة النفايات في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ندوة إدارة النفايات الصلبة القابلة للتدوير وإعادة الاستخدام، بنغازي، الجماهيرية الليبية، 2003، ص219.

(3) علاء كامل علوان، معالجة المخلفات الطبية بطرق سليمة ضرورة بيئية، منتديات شبكة العراق الأخضر، 2006، ص 6 في: www.forumira..com

(1) المصدر السابق، ص،3

(2) علاء كامل علوان، معالجة المخلفات الطبية بطرق سليمة ضرورة بيئية، مرجع سابق، ص 2.

المصادر المنتجة للمخلفات الطبية

تنقسم المخلفات الطبية حسب مصادرها إلى نوعين، يتمثل النوع الأول في مخلفات مراكز الخدمات الطبية العامة والخاصة، وتشمل المستشفيات بنوعيها العامة والتخصصية، والمراكز الصحية مثل مراكز علاج العقم ومراكز علاج الدرن وغيرها، والعيادات المجمعة والمصحات الخاصة، ووحدات الرعاية الصحية، ومراكز غسيل الكلى، وخدمات ومصارف الدم، ومعامل التحاليل الطبية، والمؤسسات والمراكز البحثية للتقنيات الحيوية، ومراكز الأبحاث والمعامل البيطرية، وعيادات الأسنان، ومراكز إعادة تأهيل المعاقين، والعيادات النفسية، بالإضافة إلى مراكز العناية بالمسنين. ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن مراكز الخدمات الطبية تختلف في كمية إنتاجها للمخلفات الطبية من مركز إلى آخر، على سبيل المثال نجد أن المخلفات الطبية الناتجة من المستشفيات العامة متعددة الأقسام تختلف في كميتها عن تلك التي تنتجها وحدات الرعاية الصحية الأولية[3]. وبالمثل فان نوع المخلفات الطبية تختلف في المرفق الصحي الواحد باختلاف الأقسام التي يضمها، حيث يلاحظ أن أقسام الإيواء تحتوي على مخلفات طبية معدية مثل القطن والأربطة والمخلفات الطبية الحادة كالإبر. أما مخلفات حجرة العمليات فهي تحتوي على مخلفات طبية باثولوجية من أنسجة وأجنة وأعضاء بشرية ومخلفات حادة كإلابر والمشارط. كما تحتوى حجرة سحب العينات على مخلفات طبية حادة وبعض القطن الملوث. أما فيما يخص صالات الولادة فهي تحتوي على مخلفات طبية باثولوجية ومعدية مثل الأجنة والمشيمة والغيارات الملوثة بدماء النزيلات. وتضم معامل التحاليل مخلفات معدية مثل عينات دم المرضى وأطباق المزارع والمخلفات الكيميائية كالمحاليل المستعملة لتشغيل الأجهزة. أما المخلفات الصيدلانية ومخازن الأدوية فمعظمها تتمثل في الأدوية المنتهية الصلاحية[4].

أما النوع الثاني فيتمثل في المخلفات الطبية المنزلية، والتي يتمثل أغلبها في المخلفات الصيدلانية، خاصة تلك التي تنتج بعد شفاء المريض، أو التي تنتج بعد انتهاء صلاحيتها، مثل المضادات الحيوية، أدوية الزكام، وغيرها من الأودية التي تضمها معظم الصيدليات الموجودة في البيوت، حيث يلاحظ أن المخلفات الطبية المنزلية بنوعيها سواء أكانت صلبة أو سائلة لها أثار سلبية على الإنسان والبيئة ان لم يتم التخلص منها بالطرق الصحيحة. كما تضم المخلفات الطبية المنزلية المخلفات الحادة مثل إبر الأنسولين والتي تستخدم بكثرة من قبل مرضى السكر، خاصة ان غالبيتهم يستهلكون إبرتين في اليوم الواحد[1]

مخاطر المخلفات الطبية:- تتفاوت درجة مخاطر المخلفات الطبية وتختلف باختلاف مصادرها، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى عدد من المخاطر ومسبباتها:-

أ- **مخاطر المخلفات الطبية المعدية والحاد :-** قد يتعرض الإنسان إلى مخاطر المخلفات الطبية المعدية والحادة بطرق مختلفة منها:-

1. المخاطر التي تحدث عن طريق وخز أو جرح الجلد بمواد حادة ملوثة قد تسبب أمراض التهابات الجلد والتي تنشأ بسبب بعض البكتيريا الجلدية شأنها في ذلك شأن تلك التي تنقل عن طريق القطن والشاش الملوث بصديد جروح المرضى والتي قد تسبب في انتقال فيروسات الدم الخطيرة مثل

(3) نفس المصدر، ص 3.
(4) الطبابة الخطرة في لبنان، تسويق محارق النفايات الطبية، مكتب غرين بيس البحر المتوسط، 2000، ص ص7 -8: في www.Green peace.org
(1) الطاهر إبراهيم الثابت، حوادث وإصابات من المخلفات الطبية، 2004 ص، 1 ،في: www. Libyanmedicalwaste. Com

فيروسات فقد المناعة المكتسبة (الإيدز)، وفيروسات التهاب الكبد الوبائي بأنواعها. وخير دليل على ذلك الآثار المأساوية للمخلفات الطبية التي أصابت عدداً من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين 6-12 سنة في روسيا بسبب عبثهم بزجاجات فارغة للقاح الجذري، عثروا عليها في سلال القمامة على مقربة من إحدى العيادات الطبية، مما أدى إلى إصابتهم بفيروس الجذري، كما سجلت ثماني حالات عدوي بفيروس فقد المناعة المكتسبة في فرنسا في عام 1992 بسبب إصابات مهنية للعاملين بالصحة من بينها حالتين كانتا بسبب جروح ناتجة عن نقل المخلفات الطبية، وفي عام 1994 سجلت 39 حالة إصابة بنفس الفيروس في الولايات المتحدة الأمريكية منها 32 بسبب وخز إبر ملوثة، وحالة واحدة بسبب جرح مشرط ملوث، وحالة واحدة بسبب جرح من أنبوب مكسور كان به دم مريض مصاب، والباقي كانت بسبب تلوث الجلد أو الأغشية المخاطية بدم ملوث بالفيروس، اما في عام 1996 فقد سجلت 12 حالة إصابة غالبيتهم من الأطباء والأطباء المساعدين وفني التحاليل، وفي تقرير لوكالة حماية البيئة الأمريكية تمت الإشارة إلى أن عدد الإصابات بفيروس التهاب الكبد الوبائي يتراوح مابين 162 إلى 321 حالة سنوياً بسبب المخلفات الطبية الحادة [1]وفي عام 2000م، كشفت منظمة الصحة العالمية عن حوالي 160 ألف حالة إصابة بفيروس الإيدز عن طريق الاستعمال غير السليم للحقن، والتي كانت سببا في إصابة ما بين 8-16 ألف حالة بفيروس التهاب الكبد الوبائي، وحوالي 30 ألف حالة إصابة بالفيروس الجيمي[2].

2. مخاطر المخلفات والعينات الملوثة الناتجة من الإفرازات التناسلية للمرضى المصابين ببكتيريا السيلان وفيروسات الهربس في أقسام الأمراض التناسلية.

3. مخاطر الفيروسات التي توجد في معظم سوائل وإفرازات أجسام المرضى المصابين بدون استثناء مثل فيروس MARBURG, EBOLA وغيرها، وميكروبات السل والحصبة في أقسام الأمراض الصدرية، وميكروبات الالتهابات المعدية في أقسام الأمراض السارية والمعدية[3]، إلا ان ما تجدر الإشارة إليه أن المخلفات الحادة مثل إبر الحقن أو الأدوات الحادة الطبية الأخرى الملوثة مثل المشارط والأمواس والمناشير تعتبر من أهم وأكثر مسببات المخاطر الطبية ويرجع ذلك لسهولة انتقال الميكروب عن طريقها إلى الجسم عبر الوخز أو القطع إلى مجرى الدم مباشرة.

ب- **المخاطر الصحية للمخلفات الكيماوية والصيدلانية**: العديد من منتجات الصناعات الكيماوية والصيدلانية يتم استخدامها في المراكز الصحية من أجل المحافظة على صحة الإنسان ووقايته من الأوبئة والأمراض، ولكن قد تكون مخاطر مخلفاتها أكثر خطورة من فوائدها. حيث أن بعض المواد الكيماوية سامة ومحدثة للسرطانات الجلدية، وغالبيتها حارقة وسريعة الاشتعال، والتعرض لبعضها مفيد والتعرض لكثير منها مضر مثل مواد التطهير والتعقيم. وتزداد مخاطر هذا النوع من المخلفات (الكيماوية) إذا ما تم التخلص منها في الحاويات المخصصة للمخلفات العادية، وهذا ما حدث بالقرب من مجمع الرياض الطبي، حيث قام عمال النظافة برمي المخلفات الكيماوية القابلة للاشتعال مع المخلفات العادية ما أدي إلى احتراق سيارة متوقفة بجوار الحاوية واشتعال النار بها

(1) رحاب عبد الله، النفايات الطبية الخطر المماثل، صحيفة الصحافة، العدد 5112، 2007 ص ص،3-5 في:
www.alsahafa.com
(2) النفايات الطبية، المديرية العامة للشئون الصحية، مصدر سابق، ص 9.
(3) النفايات الطبية، المديرية العامة للشئون الصحية، ، مصدر سابق، ص 10.

نتيجة لتفاعلها مع الحرارة حيث قذفت ما بها من مواد خطرة إلى مسافة بلغت حوالي 100متر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم وعي عمال النظافة بمخاطر المخلفات الطبية (الكيماوية) وما ينتج عنها من أضرار[1]. أما مخلفات الأدوية فقد أثبتت الدراسات أن لها المقدرة على قتل الأحياء الدقيقة، وإحداث تشوهات للكائنات الحية المحيطة. إضافة إلى سمّية الأدوية المستعملة في العلاج الكيماوي والتي تؤثر غالبيتها في الحمض النووي للخلايا وتسبب في تكوين أورام سرطانية[2].

ت- مخاطر المخلفات الطبية المشعة: ترتبط درجة مخاطر المخلفات الطبية المشعة بكمية ودرجة التعرض إليها، فالتعامل مع مصادر المواد المشعة النشطة في تشخيص وعلاج بعض الأمراض قد تفوق أثارها السيئة الآثار الايجابية المرجوة منها، حتى أن أطباء العظام ينصحون بعدم تعرض الجسم لأشعة X لأكثر من مرة واحدة كل ستة اشهر مع ضرورة وجود واقي الحماية لبعض أجزاء الجسم خشية تعرضها لهذه الأشعة علما بان الأكثر عرضه لمخاطر المخلفات المشعة هم فنيو أقسام الأشعة وبعض الأيدي العاملة في هذه الأقسام، وخير دليل على مخاطر المخلفات الطبية المشعة إصابة 249 شخصا إثر تعرضهم لمصدر إشعاعي من أحد الأجهزة المهملة في أحد المعاهد الصحية البرازيلية مما أدى إلى وفاة بعضهم وإصابة البعض الآخر بأمراض سرطانية(2). ناهيك عن المخاطر الأخرى التي يمكن أن يتعرض إليها الإنسان من المخلفات الطبية المختلفة. وخير دليل على ذلك تحسس الإنسان وعدم قبوله رؤية المخلفات الطبية خاصة تلك التي تحتوي على البقايا البشرية الناتجة من مخلفات العمليات الجراحية سواء أكانت أعضاء بشرية، أو بقايا دماء ملوثة، ولا يتم معاملتها معاملة النفايات الأخرى[3].

أساليب التعامل مع المخلفات الطبية

تكمن أساليب التعامل مع المخلفات الطبية في عمليات فرزها، وجمعها، ونقلها، ومن ثم التخلص منها:-

عمليات فرزها وتجميعها:- يشكل فرز المخلفات الطبية أهم خطوة في تقليص حجمها حيث لا تعتبر عملية فرز المخلفات الطبية شرطا أساسيا لنجاح عملية إعادة التدوير فقط بل وتقليل الضرر الناتج عنها أيضا. ولكن إذا ما تم خلط كمية كبيرة من المخلفات الطبية غير المعدية مع كمية قليلة من المخلفات الطبية المعدية، فحينئذ تسمى كلها مخلفات خطرة. ولكن إذا تم فصل المخلفات الطبية غير المعدية عن تلك المعدية فبالتالي تسهل عملية إعادة استعمالها أو تدويرها، وخاصة منتجات الورق والزجاج وأنواع البلاستيك والمعادن، مع ضرورة معرفة أنواع المخلفات الطبية المنتجة في كافة الأقسام حتى يتم وضع برنامج مناسب لتقليص حجمها وفرزها في أي مرفق صحي[1]. وفي هذا السياق يتولى الطاقم الطبي المكون من الأطباء وهيئة التمريض فرز وتصنيف المخلفات الطبية وفصل المخلفات الخطرة عن غيرها من المخلفات داخل الأقسام حيث تقع على عاتقهم مسئولية ذلك قبل القيام بعملية تجميعها، حتى

(1) نايف عبد الله الحربي، صحيفة الرياض، العدد13538 ،2005، ص ص 6-7، في:. www.alriadh.com
(2) النفايات الطبية، المديرية العامة للشئون الصحية ، ، مصدر سابق، ص11
(3) المصدر السابق، ص 12.

(1) الطبابة الخطرة في لبنان، مصدر سابق، ص 7.

لا يتم اختلاط المخلفات غير الخطرة مع المخلفات الخطرة والتقليل من مخاطر تلوث المخلفات العادية عند اختلاطها بغيرها من المخلفات الأكثر خطورة[2].

عمليات نقلها

لحماية العاملين المكلفين بنقل المخلفات الطبية يجب ان تكون الأكياس محكمة الإغلاق ويتم نقلها بحرص، وأن تمسك الأكياس من الجزء الأعلى ولا تضم إلى الجسم، أو ان تمسك بالأيدي من أسفل، تحاشيا لتمزقها، وفي حالة تسرب المخلفات الطبية من الحاويات أو من عربات النقل يجب أن يتم التعامل على أنها شديدة الخطورة. وفي حالة إصابة أحد العاملين بإحدى أدوات المخلفات الطبية الحادة يجب أن يتم عرضه فورا على الطبيب المختص، كما ويجب تحصين جميع العاملين والذين لهم علاقة بالمخلفات الطبية ضد الأوبئة والإمراض كالالتهاب الكبدي وغيرها من الإمراض. كما يفترض عند التعامل مع المخلفات الطبية أن لا تزيد الفترة الزمنية لتخزين المخلفات الطبية في مراكز التجميع عن يوم واحد، وأن يكون المكان مهيأ للتخزين بحيث يكون جيد التهوية والإضاءة وأن يكون مصمماً بدرجة تحول دون دخول القوارض والحيوانات إليه وقرب موقعه لشبكة الطرق، بالإضافة لذلك يكون بعيداً عن مخازن الأطعمة، والمطابخ[1].

لتحقيق ما سبق يجب أن تلتزم المرافق الصحية بكل مستوياتها بالقوانين والتشريعات التي تضمن صحة وسلامة المكلفين بنقل المخلفات الطبية من أماكن تجميعها إلى أماكن التخلص منها، وتتمثل في الالتزام بالمواصفات التي سبق الإشارة إليها والمتمثلة في تصنيف وفرز ووضع العلامات المميزة لكل نوع منها، ووضعها في أكياس محكمة، وحاويات مطبوع عليها الشعارات الخاصة بكل نوع من المخلفات الطبية وذلك حفاظا على سلامة ناقليها من جهة، والمحافظة على سلامة البيئة المحيطة من جهة أخرى، بالإضافة إلى ذلك تحدد مسبقا الطرق التي تنقل عبرها المخلفات الطبية بحيث تكون قصيرة وسريعة، وأن تكون ناقلات المخلفات الطبية سهلة التحميل والتفريغ، وسهلة التنظيف، ومحكمة الإغلاق بحيث لا تتسرب منها المخلفات الطبية ولا تؤدي إلى تلوث البيئة[2].

أنواع أوعية وحاويات جمع المخلفات الطبية

لكي يتم التعامل مع المخلفات الطبية بطريقة سليمة يجب أن تكون عملية جمعها ونقلها صحيحة، ولا يتأتى ذلك إلا بجمعها في أوعية وحاويات مخصصة لذلك، بحيث تكون مميزة بألوان تختلف عن تلك التي توضع فيها المخلفات الأخرى كالقمامة المنزلية، وعادة ما تكون ذات الألوان الحمراء والصفراء حيث تستخدم الأولى منها في بعض دول العالم كالولايات المتحدة، والثانية وهي المتعارف عليها من قبل منظمة الصحة العالمية وتستخدم في العديد من الدول الأخرى، أما فيما يخص أحجامها فهي متفاوتة على حسب الحاجة، كما وتوجد أوعية بالإمكان استخدامها عدة مرات، وهناك أنواع أخرى يمكن استخدامها مرة واحدة وهى المفضلة عند جمع المخلفات الطبية وخاصة الحادة منها بحيث تجمع وتغلق ومن ثم يتم التخلص منها بواسطة المحارق. أما فيما يتعلق بالمخلفات الحادة والملوثة بأدوية العلاج الكيماوي الناتجة من أقسام علاج الأمراض السرطانية فيتم تخصيص اللون البنفسجي للأوعية المخصصة لهذا النوع من المخلفات لكي يتم تمييزها عن الأنواع الأخرى من المخلفات الطبية لما لهذا

(2) نفس المصدر، ص 8.

(1) رمضان سالم ساطي، ادارة المخلفات الطبية الصلبة في مستشفيات مدينة بنغازي، وكيفية التعامل معها، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم البيئية، اكاديمية الدراسات العليا، فرع بنغازي، 2004، ص ص 53-54

(2) المصدر السابق، ص 51.

النوع من خطورة كبيرة فيما لو اختلط مع باقي المخلفات، كما وتوجد أوعية مميزة باللون الأحمر وهي مخصصة للمخلفات الباثولوجية كالمشيمة البشرية والتي عادة ما تكون كمياتها كبيرة خاصة في مستشفيات الولادة، كما وتستخدم أيضا لجمع كل المخلفات البشرية الناتجة من غرف العمليات بالمستشفيات، أو بقايا الأنسجة في المعامل الباثولوجية[1]، أما فيما يتعلق بالحاويات الكبيرة التي يتم فيها تجميع المخلفات الطبية الموجودة بالمكب المؤقت الخاص بكل مستشفى لحين نقلها خارجه، ومحافظة على صحة العاملين والذين لهم علاقة بنقل المخلفات الطبية فيفضل أن تكون هناك حاويات ذات الوان حمراء وأخرى رمادية اللون تخصص الأولى للمخلفات الطبية، ، وتخصص الثانية للمخلفات العادية(المنزلية)[2].

طرق معالجة المخلفات الطبية

قبل التطرق لمعالجة المخلفات الطبية توجد عدة خطوات من المفترض تتبعها قبل التفكير في طرق التخلص منها وتتمثل في محاولة وضع برنامج للتخلص من استعمال المواد الخطرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تفادي شراء بلاستيك الـ PVC والمواد التي تحتوي على الزئبق. كما تتمثل الخطوة الأخرى التي لا تقل أهميتها عن الأولى في تقليص حجم المخلفات الطبية قدر الامكان وذلك بتولي ذوى الاختصاص شراء المعدات الطبية القابلة لإعادة الاستعمال، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى تقليص حجم المخلفات الطبية وتقليص ما ينتج عنها من مخاطر. ولكن نظرا لعدم الاستفادة من إعادة تصنيع معظم المخلفات الطبية كما هو الحال في المخلفات المنزلية، لذلك فهي تحتاج إلى طرق خاصة لمعالجتها، وهي مشكلة لا تعاني منها دول العالم الثالث فحسب بل وتعاني منها الدول المتقدمة أيضا، وتختلف طرق المعالجة حسب نوع وكمية تلك المخلفات ومن بينها:-

المعالجة الكيميائية

تستخدم هذه الطريقة لقتل أو إضعاف أو التقليل من عدد الميكروبات التي تتواجد على أسطح المعدات الطبية، والأرضية، والجدران، ويعتبر التطهير الكيميائي هو الأنسب لمعالجة المخلفات الطبية السائلة مثل الدم، البول، البراز للمجاري الخاصة بالمرافق الصحية وعند استخدام هذا النوع من المعالجة لابد من الاهتمام بالصفات الخاصة للمطهر المستخدم للمعالجة من حيث درجة حساسيته لأكثر أنواع الميكروبات المتوقع وجودها في المخلفات الطبية[1].

المعالجة باستخدام الحرارة الجافة والرطبة

تستخدم المعالجة الحرارية بطريقتيها الرطبة و الجافة، حيث يتم استخدام المعالجة الحرارية الرطبة وذلك بتعريض المخلفات المقطعة إلى درجة حرارة وضغط عاليين وفي وقت محدد تحت درجة حرارة تصل إلى 121 درجة مئوية وتحت ضغط 2 بار لمدة 20 دقيقة حيث تأكد فعالية المعالجة باستخدام الحرارة الرطبة ضد معظم الميكروبات. وعند استخدام المعالجة بالحرارة الجافة يتم إدخال المخلفات في بريمه متحركة يتم تسخينها بواسطة الزيت المار خلال أنبوب يتوسطها لتصل الحرارة من 110 إلى 140 درجة مئوية، ومن ثم يتم تحريك المخلفات في البريمة لمدة 20 دقيقة وضغط المتبقي منها

(1) الطاهر إبراهيم الثابت، أنواع العلب والحاويات البلاستيكية المخصصة لجمع المخلفات الطبية الحادة والمخلفات الملوثة والمخلفات الباثولوجية، النادي الليبي للمخلفات الطبية،2005، ص ص 1-2.
(2) المصدر السابق، ص 2.
(1) نفس المصدر، ص3.

بعد عملية الحرق علما بان الحرارة الجافة تستخدم لمعالجة المخلفات المعدية والأدوات الحادة ولا يمكن ان يستخدم هذا النوع من المعالجة للأنسجة والمخلفات المشعة[2].

المعالجة بالتخلص الحراري

من ضمن طرق المعالجة للتخلص من المخلفات الطبية طريقة التخلص الحراري (طريقة الميكروويف الحراري) وفيها يتم تركيز الأشعة على المخلفات المراد التخلص منها وذلك من خلال حفظ المخلفات المعدية منها أو المشعة في قوالب محكمة الإغلاق حتى لا تتسبب في تلوث البيئة المحيطة ومن ثم أخذها إلى أماكن التخلص منها مباشرة دون وضعها في حاويات وبذلك يتم التخلص منها بطريقة نهائية وسليمة[3].

المعالجة بطريقة الردم

من الطرق المؤقتة المتبعة للتخلص من المخلفات الطبية طريقة الردم أو الدفن وخاصة في دول العالم الثالث، ويتم فيها اختيار مكان بعيد عن المراكز العمرانية، ومن ثم نقل المخلفات الطبية إلي ذلك المكان بحرص شديد لمنع تسرب أي منها، وتتمثل مزايا هذه الطريقة في إبعاد المخلفات السامة والخطرة عن جميع مظاهر الحياة، بينما تتمثل سلبياتها في إفساد التربة وتصاعد الأبخرة، إضافة إلى احتمالية تلوث المياه الجوفية، وتكمن صعوبة هذه الطريقة في اختيار المكان الملائم لعملية الردم وعدم التحكم في مواعيده مما يؤدي إلى ترك هذه المخلفات فترة طويلة على السطح، ولكي تتم هذه العملية بطريقة سليمة لابد من وجود طبقة تحت الردم غير نفاذة لمنع تلوث الأرضية والمياه الجوفية ومراقبتها خوفا من التلوث، وإضافة طبقة جديدة من الردم يومياً لمنع انتقال الميكروبات عن طريق النواقل المتمثلة في الحشرات، والتقليل من الروائح الكريهة المنبعثة من المخلفات، كما يفضل عند القيام بعملية الردم وضع المخلفات البيولوجية في الطبقة السفلى لباقي المخلفات، وتغطيتها بطبقة صلبه من الردم بسمك لا يقل عن المتر، مع ضرورة مراعاة أن تكون منطقة ردم المخلفات الطبية على مسافة لا تقل عن ثلاث أمتار من حافة المكب، وأن يكون عمق المخلفات الطبية المردومة لا يقل عن مترين من سطح الردم[1]، وتعتبر طريقة الردم السليم أفضل طريقة في حالة عدم إمكانية توفر طرق أخرى، ورغم جدوى هذه الطريقة للتخلص من المخلفات وشوائبها بما في ذلك الرماد الناتج من المحارق وبقايا ورواسب عمليات المعالجة الأخرى، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه أن هذا النوع من المعالجة لا يصلح لمخلفات الأدوية المستعملة في علاج الأورام، والمخلفات الصيدلانية والكيماوية، والمخلفات المشعة، والأنسجة والأعضاء البشرية[2].

المعالجة بالاحتواء وإبطال الفعالية

تعتبر طريقة الاحتواء واحدة من الطرق الرخيصة والآمنة للتخلص من المخلفات الطبية ولها دورها الفعال في تقليل خطر التلوث البيئي، وتكمن هذه الطريقة في التخلص من المواد الحادة والأدوية، حيث يتم وضعها في براميل ثم تضاف مادة مثل الإسمنت عليها، أو مادة طينية حتى تتصلب ومن ثم يتم قفل البراميل، أما فيما يختص بإبطال الفعالية فهو خلط المخلفات الطبية ببعض المواد مثل

(2) رمضان سالم ساطي، مصدر سابق، ص ص68-69.
(3) محمد حمادي، المخلفات الطبية الصلبة وطرق معالجتها، 2006 ،ص 2 في: www .beeaty com .2006
(1) الطاهر إبراهيم الثابت، المحارق وطرق معالجة المخلفات الطبية، مصدر سابق، ص ص5-6.
(2) محمد حمادي، النفايات الطبية إلى أين، 2005، ص ص 2-3 فيwww : Al-jazirah.com

الإسمنت قبل التخلص منها وذلك بهدف التقليل من خطر وسمية المواد الموجودة فيها وتستخدم هذه الطريقة في التخلص من المخلفات الدوائية والرماد الذي يحتوي على معادن ثقيلة[1].

إعادة التدوير

وهي إعادة تصنيع بعض المخلفات الطبية للاستفادة منها، ولكن تكمن عيوب هذه الطريقة في عدم صلاحية العديد من المخلفات الطبية لإعادة تصنيعها، إضافة إلى أن هذه الطريقة تعتبر مكلفة وتحتاج لعملية جمع المخلفات الطبية وفرزها في مصدر إنتاجها.[2]

المعالجة بالحرق

تستعمل المحارق في التخلص من المخلفات الطبية بصفة عامة بما في ذلك المخلفات الطبية الخطرة، والتي لا يمكن الاستفادة منها أو إعادة تصنيعها، وهي عملية حرق جاف للمخلفات الطبية في وجود أكسجين ودرجة حرارة عالية وفيها يتم تحويل المركبات العضوية والمواد القابلة للاحتراق إلى مواد غير عضوية وغير قابلة للاحتراق وينتج عن هذه العملية تقليل حجم ووزن المخلفات. وتتم عملية حرق المخلفات الطبية في المحارق الخاصة بها وغالبيتها ذات أنظمة الغرف المزدوجة حيث يتم وضع المخلفات في الغرفة الأولى بهدف الإتلاف والاشتعال ثم تنتقل الغازات المشتعلة والدخان والجسيمات الناتجة إلى الغرفة الثانية لاستكمال معالجتها، ولكن نتيجة لعدم كفاءة تشغيل المحارق غالبا ما يتصاعد غاز الديوكسين والفيوران السامان أثناء عملية الاشتعال، وما ينتج عنه من رماد والذي من المفترض أن يزال بطريقة آلية ويدفن في أماكن مرخصة نظرا لخطورته، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن سلبيات عملية الحرق في المحارق تكمن في تصاعد الأدخنة الملوثة للهواء، بالإضافة إلى صعوبة صيانتها وعدم وضع رقابة صارمة عليها[3] .

وبغض النظر عن درجة فاعلية المحارق، إلا أن تقنية حرق المخلفات الطبية تعتبر إحدى أشد وأكثر التقنيات خطرا على صحة الإنسان وبيئته حيث تعتبر المنظمات البيئية العالمية أن الاعتماد على إنشاء وتشغيل محارق المخلفات سمة من سمات التخلف في الإدارة البيئية والتي ينتج عنها تدمير للأرض وغلافها الجوي وتحويلهما إلى مستودعات للمخلفات الطبية الخطرة سواء أكانت الغازية أو السائلة أو الصلبة، فالغازية منها تشمل كل ما ينبعث من المحارق من غازات مثل الديوكسين والفيوران، أما الصلبة فهي تشمل كل المخلفات التي يتم معالجتها بالطرق سالفة الذكر، واستجابة لذلك اتجهت الكثير من دول العالم إلى التكنولوجيا الصديقة للبيئة والتي تحقق الكثير من الحلول العلمية المناسبة بيئيا واقتصاديا في الوقت الذي تسعى فيه تدريجيا إلى إزالة وإقفال محارق المخلفات الطبية، وذلك لعدم مراعاتها للأنظمة والمقاييس المعمول بها. وفي هذا السياق أفاد صندوق الدفاع عن البيئة في الولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة الديوكسين تناقصت بشكل كبير في أمريكا بسبب تناقص عدد المحارق بعدما تم التأكد من مسبباته للسرطان. حيث تقلص عددها في الولايات المتحدة من 6200 محرقة في عام 1988م إلى 5000 محرقة في عام 1994م وإلى2373 محرقة في عام 1997 وتقلصت بشكل واضح حتى بلغت (115) محرقة في عام 2005، وربما تكون قد أقفلت جميعها حاليا بناء على ما أكدته منظمة السلام الأخضر في تقريرها والذي تضمن أيضا أن 4600 محرقة قد تم إقفالها من بين

(1) الطاهر الثابت، المخلفات الطبية الصلبة وطرق معالجتها، النادي الليبي للمخلفات الطبية 2005، ص ص 12-13.
(2) المصدر السابق، ص 14.
(3) الطبابة الخطرة في لبنان، مصدر سابق، ص ص 7-9.

27 ألف محرقة في اليابان وذلك بسبب الشروط الصارمة التي فرضت على انبعاثات الديوكسين منذ عام 1999، ومن المتوقع أن يستمر إقفال أكبر عدد من المحارق وفقاً لدراسة قامت بها الوكالة اليابانية لحماية البيئة[1].

أنواع المحارق

هناك عدة أنواع للمحارق الخاصة بالتخلص من المخلفات الطبية وهي تختلف من حيث التركيب نذكر منها:- محارق البرولويتك المزودة بمصفيات الغاز وهي ذات غرف مزدوجة وتتميز بقدرتها العالية في التعقيم وخاصة عند التعامل مع المخلفات الطبية المعدية، وبعض المخلفات الصيدلانية، والكيماوية، وتتراوح درجة حرارتها من 800-900 درجة مئوية، وتصل قدرتها الاستيعابية إلى 10 طن/ يوم، ويرجع ذلك لحجم المخلفات التي تنتجها المرافق الصحية، وعادة ما يتم حرق طن واحد يوميا في هذا النوع من المحارق وخاصة في المستشفيات الكبيرة، كما أن الرماد المتبقي يمكن ردمه دون أضرار مترتبة عليه ويرجع ذلك لدرجة الحرارة العالية في هذا النوع من المحارق، ومن عيوب هذا النوع من المحارق أن تكلفة إنتاجها عالية، وتحتاج لتقنيات عالية جدا لتشغيلها، حتى تتمكن من القضاء على المخلفات الطبية المشعة[2].

هناك نوع أخر من المحارق وهي ذات الحجرة الواحدة والمزودة بأجهزة تقليل الغبار وتختلف من حيث أنواعها وأشكالها فمنها البسيطة والمتطورة والتي لها قدرة في التعقيم والتقليل من حجم المخلفات، كما أنها لا تحتاج إلى تقنيات عالية لتشغيلها، وهي أقل تكلفة في التشغيل من سابقتها، وتتسم بدرجة فاعلية عالية في معالجة المخلفات الطبية المعدية والحادة، ولكن ما تجدر الإشارة إليه ان من عيوب هذا النوع من المحارق انها تنفث كميات كبيرة من الغازات السامة مثل الديوكسين، إضافة إلى عدم صلاحيتها للتخلص من المخلفات المشعة، ومخلفات الأدوية السامة، وبعض المركبات غير العضوية والمقاومة لدرجة الحرارة العالية وذلك لحاجة هذه المخلفات إلى درجة حرارة تتجاوز 800 درجة مئوية في الوقت الذي تتراوح درجة حرارة هذا النوع من المحارق مابين 300-400 درجة مئوية، وقدرتها الاستيعابية تتراوح ما بين 100-200 كجم/اليوم، ولهذا لا يفضل استعمالها في الدول التي تعاني من تلوث الهواء[1].

وتوجد المحارق الدوارة ذات درجات الحرارة العالية، وهي ذات اسطوانات حرارية تتراوح عدد مرات دورانها ما بين 2-5 مرات في الدقيقة، وتتراوح قدرتها الاستيعابية من 0.5-3 طن/ساعة، حيث يتم التخلص فيها من المخلفات الطبية بعد تقطيعها إلى جزئيات صغيرة، وهي فعالة مع المخلفات الطبية المعدية بما فيها الحادة، والباثولوجية، والكيميائية، والصيدلانية، ومخلفات العلاج الكيماوي، لأن درجة الحرارة فيها تتراوح ما بين 1200- 1600درجة مئوية، ولكنها غير فعالة مع المخلفات المشعة والمحتوية على كميات كبيرة من المعادن الثقيلة، ، ولكن من عيوبها عدم اختزال الأبخرة السامة مثل الرصاص والكادميوم والزئبق، إضافة إلى حاجتها للصيانة الدورية المستمرة[2].

(1) عبد المولى علي البلعزي، نظرة العالم للمحارق حاليا، النادي الليبي للمخلفات الطبية، 2004-2005، ص ص 1-2.
(2) الطاهر إبراهيم الثابت، المحارق وطرق معالجة المخلفات الطبية، مصدر سابق، 2005،ص 5.
(1) الطاهر إبراهيم الثابت، المصدر السابق، ص 5.
(2) المصدر السابق، ص 5.

إضافة إلى المحارق السابقة توجد محارق أخرى وهي تختلف عن سابقتها متمثلة في المحارق الصغيرة الحجم، والمحارق المتنقلة، فالصغيرة الحجم تسمى بالمحارق الحقلية وهي عبارة عن برميل من الحديد أو الحجارة مفتوح الجانبين موضوع على شباك لدخول الهواء فوق حجارة تتحمل درجات الحرارة العالية ثم توضع فيه أكياس المخلفات، ومن ثم يتم إشعال النار في الحطب تحت البرميل، وهذا النوع لا يحتاج إلى شخص مؤهل لتشغيلها، فهي تتميز بتكلفتها المتواضعة، ولكن لا تزيد درجة حرارتها عن 200 درجة مئوية، وهذا ما جعل كفاءتها في القضاء على المخلفات الكيماوية والصيدلانية محدودة، إضافة إلى عدم مقدرتها على اختزال الأبخرة السوداء والرماد المتطاير والغازات، وذلك بسبب درجة حرارتها المحدودة.

أما فيما يتعلق بالمحارق المتنقلة فهي تتميز بسهولة نقلها على عربات خاصة إلى مصدر المخلفات الطبية كالمستشفيات، تفاديا لنقل المخلفات إليها من مصادرها، وهي مزودة بمصفيات تساعد على تقليل انبعاث الغازات السامة[1].

الملوثات الخطرة

تكمن خطورة الملوثات الناتجة من محارق المخلفات الطبية الخطرة في محتوى المخلفات التي يتم حرقها وما ينبعث عنها من غازات أثناء عمليات الحرق، والمتمثلة في الغازات الحمضية، والغازات المنبعثة من المعادن الثقيلة كالزئبق والزرنيخ والرصاص والكادميوم والزنك والمركبات العضوية والكلورينية السامة وأكاسيد الكبريت وأول أكسيد الكربون وأكاسيد النتروجين، إضافة إلى الجراثيم والفيروسات ، حيث ثبت أن الحرق ليس الوسيلة السليمة لمعالجة المخلفات الطبية الخطرة ويرجع ذلك لنواتج الحرق المدمرة للإنسان والبيئة حتى ولو أحرقت هذه المخلفات في درجة حرارة 800 درجة مئوية وتم تعريضها لعملية احتراق ثانية بحرارة 1000درجة مئوية، فانه لن يتم التخلص من كل الجراثيم المتواجدة فيها، حيث ثبت وجود معدلات مرتفعة لأنواع من البكتيريا في الغازات الصادرة من المحارق الموجودة في المستشفيات لان التلوث الناتج عن محارق النفايات الطبية مرتفع جدا خاصة الديوكسين الذي يعتبر أخطر وأهم الغازات التي تنبعث عند حرق المخلفات الطبية. وفي هذا السياق حذرت منظمة الصحة العالمية في عام 1996 أن الديوكسين مادة سرطانية قاتلة وأوصت بالحد من معدلات انبعاثه كما حذرت من تعرض الإنسان له وذلك لعدم تحديد نسب مأمونة لانبعاثه مؤكده على درجة خطورته الشديدة. واعتبرت وكالة حماية البيئة الأمريكية محارق المخلفات الطبية مصدراً أساسياً للتلوث بالديوكسين والزئبق. كما أجرت الوكالة الدولية لأبحاث السرطان مجموعة من الأبحاث، ومن خلالها تبين أن الديوكسين مادة مسببة للأمراض السرطانية وتم ربط تأثير الديوكسين بسرطان الكبد والرئة والمعدة والأنسجة بالإضافة إلى الأورام اللمفاوية، كما أكدت أن ملوثات الديوكسين تنتقل عبر الهواء إلى مسافات بعيدة وتتراكم في التربة دون أن تتحلل أو تتغير، ويتمثل أثر التعرض لنسب قليلة منه في إضعاف جهاز المناعة على مقاومة الأمراض، لدرجة يؤدي معها تعرض الحامل إلى الديوكسين إلى ولادة أطفال يعانون من تشوهات وعاهات خلقية ومشاكل في التعلم[2].

(1) الطاهر الثابت، المصدر السابق، ص 6.
(2) خالد محمد الهاجري، محارق النفايات الطبية تحرق البيئة الكويتية 2004: .www.greenline.com

إضافة إلى ذلك حذر الخبير الياباني ماسايوكي شيدا المستشار في وزراة الإدارة المحلية والبيئة اليابانية للنفايات الصلبة بما فيها الطبية، من الآثار التي يمكن أن تنجم عن المحارق الحديثة ، منبهاً من مخاطر الديوكسين المسرطن على المناطق السكنية، كما ورد في تقرير للوكالة الأمريكية لحماية البيئة تأكيدا على أن الديوكسين مادة سرطانية بغض النظر عن نسبة الجرعة التي يتعرض لها الإنسان وأكد أيضا أن "الديوكسين ينتقل في الهواء ويدخل في السلسلة الغذائية من مصدره إلى مناطق بعيدة، وأن اللحوم ومشتقات الحليب والبيض والأسماك تعتبر المواد الغذائية الأساسية التي ينتقل عبرها ثم يتراكم في الأنسجة الدهنية. وبسبب النسبة المرتفعة من الدهون في حليب الأم فإن الأطفال الرضّع يتعرضون للديوكسين بنسبة تفوق الراشدين بخمسين مرّة [1]. وفي السياق نفسه أكدت معظم المنظمات العالمية التي تعنى بالبيئة والصحة، أن محارق المخلفات الطبية هي المصدر الأساسي لمادة الديوكسين الموجود في البيئة، وان 84% من الديوكسين في الولايات المتحدة مصدره محارق المخلفات الطبية الناتجة عن المرافق الصحية(1). إضافة إلى الديوكسين هناك نوع آخر خطر جدا من الملوثات متمثل في الزئبق، حيث ثبت أن الحرق يجعل الزئبق ينبعث بقوة من مداخن المحارق ومن تم انتشاره بقوة في الهواء وانتقاله إلى المناطق السكنية القريبة من هذه المحارق، حيث أن كمية الزئبق الذي يستخدم في موازين الحرارة وآلات قياس ضغط الدم وأنابيب التوسيع والتغذية بالإضافة إلى البطاريات والمصابيح تشكل 20% من كمية الزئبق التي تتضمنها المخلفات الطبية الصلبة. وتكمن خطورة الزئبق في أنه المسبب الرئيسي في إصابة الإنسان بالتسمم العصبي وبالتالي تكون أضرارها بالجهاز العصبي المركزي في الجسم بليغة جدا كما تضر بالدماغ والكليتين والرئتين وبإمكانه اختراق الحاجز الدموي الدماغي والغشاء الجنيني بسهولة والدخول إلى دماغ الجنين والتسبب في أعراض مرضية خطيرة[2].

أما فيما يتعلق بالبلاستيك(PVC) والذي يعتبر المصدر الأساسي لمادة الكلورين الناتجة عن محارق المخلفات الطبية، فقد اشار الهاجري إلى أن 10% من المخلفات الطبية الملوثة هي من البلاستيك (PVC). حيث أن بعض مكونات هذه المادة تتحلل داخل جسم الإنسان وتترسب في السوائل الدهنية في الجسم ما ينتج عنها تعريض الكبد والجلد لمخاطر صحية شنيعة نتيجة تلوث الجسم بهذه المادة المستخدمة في كثير من المعدات الطبية[1].

تكنولوجيات المعالجة البديلة

بالرغم من أن هناك بعض المراكز الصحية في العالم تتبع برنامج تقليص وفرز وإعادة استعمال بعض المخلفات الطبية إلا انها تظل تنتج بعض المخلفات المعدية، ولكي يتم تجنب مخاطرها كان من الضرورة بمكان إتباع طرق بديلة للحرق، وهو ما أدى إلى إنشاء 1500 مرفق في الولايات المتحدة في عام 1997 لمعالجة المخلفات الطبية بطريقة يتم فيها تحويل المخلفات من معدية إلى غير معدية[2]. ومنها طريقة "التعقيم البخاري" البديل الأمثل للحرق والأكثر استعمالا لمعالجة المخلفات. والذي يتم فيه التخلص من الجراثيم المعدية وذلك باستخدام حرارة البخار وضغطه. وفي بعض الأحيان يتم فرز المخلفات قبل تعقيمها لتحقيق جدوى هذه العملية علما بأن طريقة التعقيم البخاري تتميز بقلة تكلفتها

(1) جريدة المستقبل، الشركة العربية المتحدة للصحافة،2005،ص،5 في: www.almustaqbal.com
(2)خالد الهاجري، محارق النفايات الطبية تحرق البيئة الكويتية، مصدر سابق، ص ص 4-5

(1) المصدر السابق، ص 5.
(2) الطبابة الخطرة في لبنان، مصدر سابق، ص 6.

مقارنة بالمحارق الحديثة، وهي من الطرق المعروفة في المستشفيات رغم أن استخدامها كان مقتصرا على تعقيم بعض الأدوات الصغيرة الحجم، كما تم اتباع طريقة "التعقيم البخاري" في 10 مستشفيات في الهند تفوق سعتها السريرية ألف سرير أولها استخداما كان مستشفى سانجاي غاندي في دلهي ثم تبعه 9 مستشفيات حكومية أخرى من بينها المستشفى الأكبر في الهند. إضافة إلى هذه الطريقة هناك بدائل أخرى متمثلة في تقنية التعريض إلى الموجات الصغرى، والتي يتم فيها استخدام الطاقة الإشعاعية لرفع حرارة الماء إلى درجة الغليان ومن ثم رشه على المخلفات بهدف الحد من مخاطر محتوياتها وبالتالي آثارها البيئية[3]

التشريعات البيئية الليبية المتعلقة بالمخلفات الطبية

تمثل البيئة بعناصرها المختلفة التربة والماء والهواء المحيط الحيوي الذي تعيش فيه الكائنات المختلفة بما في ذلك الإنسان، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن استمرارية سلامة الكائنات الحية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوازن البيئي الذي يلعب الإنسان دورا كبيرا في الحفاظ عليه أو الإخلال به، ولا يتأتى ذلك إلا بإيجاد وتطبيق قوانين تهدف إلى حماية البيئة وسلامة عناصرها مما قد يشوبها من التلوث بغض النظر عن مصادره ومخاطره. وفي هذا السياق برز دور القانون الليبي في المحافظة على البيئة، وذلك بصدور القانون رقم 8 لعام 1973 وهو الأول من نوعه لمنع تسرب المخلفات النفطية إلى مياه البحر، وتم تعديله بالقانون رقم 7 لعام 1982 الذي اختصت فيه الفقرة الثالثة من المادة الأولى بحماية عناصر البيئة من الملوثات بشتى أنواعها بما في ذلك المخلفات الطبية وذلك لمنع وصول مخاطرها للهواء والماء والتربة، وبصورة أدق لحماية صحة الإنسان وحماية بيئته التي يعيش فيها. كما تضمن القانون المشار إليه عددا من الفصول اختص بعضها بحماية الهواء والمياه والتربة والغذاء، واختص البعض الأخر بالحماية من الإمراض المعدية والحماية من الملوثات المشعة مثل أشعة اكس المستخدمة في التصوير الطبي. ثم جاء القانون رقم 15 لسنة 2003م بديلا لسابقه الصادر في عام 1982 ولكن رغم ذلك لم يتم التركيز فيه على حماية الإنسان والبيئة من مخاطر المخلفات الطبية رغم الحاجة الماسة إلى قوانين ذات علاقة بمخاطر هذه المخلفات وفق توصيات منظمة الصحة العالمية[1].

تحليل البيانات المجمعة من الدراسة الميدانية

في البداية تجدر الاشارة إلى ان بعض المصحات الايوائية لم يبادروا بالإجابة على الاسئلة التي تضمنتها ورقة الاستبانة رغم وعودهم بالتعاون الامر الذي ادى بالباحث للاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من المصحات الايوائية (مصحة الفردوس، الفتح، المختار، المواساة، الخليل، تاج النور، البشرى، اويا، الخليل، ومصحة المتحدة) لاستكمال هذه الدراسة.

تبين من خلال البيانات التي تم الحصول عليها من الدراسة الميدانية للمصحات الايوائية الخاصة سالفة الذكر والتي شملتها الدراسة في مدينة طرابلس وتم توزيع ورقة استبانة على كل منها ان المصحات الايوائية تقدم خدمات للسكان القاطنين بمدينة طرابلس وخارجها خاصة وان فترة اجراء

(3) المصدر السابق، ص 13.
(1) رمضان سالم ساطي، التشريعات البيئية الليبية وعلاقتها بالخدمات الطبية، 2006، ص 3-4، في:
www. Libyanmedicalwaste.com

الدراسة الميدانية كانت معظم المستشفيات بالمدينة تعاني من نقص في الخدمات المقدمة للمواطنين مما اضطر الامر بهم الى اللجوء الى المصحات الخاصة حتى وان كانت مكلفة ماديا نظرا لعدم وجود بديل لذلك. خاصة وان المصحات تقدم كل الخدمات التي تقدمها المستشفيات العامة وتضم مختلف التخصصات التي يحتاجها المواطن، سواء أكان ذلك للرجال او النساء أو الاطفال باستثناء عمليات القلب والقسطرة القلبية وغسيل الكلى.

فيما يتعلق بالتخصصات الطبية المتوفرة في المصحات الايوائية وخدماتها التي تقدمها، لوحظ من خلال الدراسة الميدانية ان جميع المصحات تتضمن جناح للإسعافات الاولية والطوارئ وعيادات خارجية. حيث تقدم الاسعافات الأولية خدماتها طوال 24 ساعة لتستقبل المترددين عليها من قبل اطباء عامون يقومون بالكشف على المرضى وتقديم الخدمات الدوائية لبعضهم واحالة البعض الاخر للأقسام التخصصية حسب حالة المريض. إضافة إلى ذلك تتمثل الخدمات التي تقدمها المصحات في اجنحة الاسعاف والطوارئ في المداوة والحقن والغيارات...ألخ. إضافة إلى ذلك اتضح وجود معامل تحاليل بجميع المصحات دون استثناء. أما فيما يتعلق بالأقسام التخصصية فهي متوفرة في معظم المصحات باستثناء التخصصية منها مثل مصحة البشرى التي تختص بأمراض النساء والولادة والاطفال، عدا ذلك فأن المصحات الايوائية تضم تخصصات متنوعة متمثلة في الباطنة، النساء، الاطفال، العظام، العيون، المسالك، وأنف واذن وحنجرة. ويقوم بالعمل في كل من هذه الأقسام اطباء متخصصون وأطقم مساعدة .

وفيما يتعلق بجودة الخدمات الطبية التي تقدمها هذه المصحات أفاد غالبية المترددين على هذه المصحات من خلال ورقة استقصاء وزعت عليهم أن الخدمات التي تقدمها هذه المصحات على درجة عالية من الجودة وذلك بسبب توفر الاطباء الاخصائيين واستدعاء بعضهم عند الضرورة وتوفر الامكانيات اللازمة بما في ذلك المعدات الطبية ومعامل التحاليل بالإضافة الى لمظهر الداخلي للمصحة وأقسامها المختلفة والذي يعتبر مرآة تعكس درجة اهتمام القائمين على هذه المصحات باتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية المترددين والذين يتم ايوائهم مما قد يؤثر سلبا على صحتهم اثناء تواجدهم بالمصحة، وخير دليل على ذلك فقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية أن مصحة البشرى يتم تعقيمها من قبل شركة ايراون لخدمات النظافة ومقاومة العدوى وذلك من خلال اتباع اساليب وتقنيات شركة ستيريس الامريكية التي تقدم النظام المبتكر بيوجيني والذي صمم خصيصا لتطهير غرف ومرافق المصحات والمستشفيات والقضاء على طوائف الميكروبات والفيروسات والفطريات. وفي السياق نفسه لوحظ من خلال الدراسة الميدانية وجود طبيب في مصحة المواساة متخصص في عدوى المستشفيات يقوم بتوعية العاملين في المصحة للوقاية من العدوى .

أما عن انواع النفايات الطبية الناتجة عن المصحات الايوائية فقد تبين من الدراسة الميدانية أنها تتمثل في بقايا عينات المختبرات، نفايات حادة، غيارات ملوثة، مخلفات العمليات، انسجة اعضاء بشرية، والنفايات السائلة وغيرها، بالإضافة الى النفايات العادية المشابهة للنفايات المنزلية وهذه الاخيرة لا تشكل أي خطر عن الانسان والبيئة وتنتج عن حجرات الايواء في المصحات

فيما يخص كمية النفايات التي يتم تجميعها من كلَ من المصحات الايوائية الخاصة في مدينة طرابلس تبين ان كميتها تتراوح ما بين 50-100 كيلوجرام يوميا ، ولو اخذنا في المتوسط 75

كيلوجرام يوميا لكل مصحة ايوائية (في المصحات قيد الدراسة) البالغ عددها 10 مصحات ايوائية، فأن الكميات الناتجة يوميا تبلغ في المتوسط حوالي 750 كيلو جرام، ونظرا لعدم وجود محارق خاصة تقوم بحرق هذه النفايات، فأن الاعتقاد السائد يتمثل في التخلص منها في المكبات العامة وبالتالي اختلاطها بالنفايات المنزلية، وما ينتج عن ذلك من اضرار نظرا لاختلاط النفايات العادية الغير خطرة مع النفايات الخطرة، ولكن اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن جميع المصحات(قيد الدراسة) تتعامل مع شركة مرسيليا للنظافة العامة وحماية البيئة للتخلص من النفايات الطبية باعتبارها شركة متخصصة في هذا المجال وتمتلك الامكانيات اللازمة لذلك.

أما فيما يتعلق بفصل النفايات عن بعضها البعض داخل المصحة فقد تبين من خلال البيانات التي تم الحصول عليها ان العاملين بالمصحات يقومون بفصل النفايات عن بعضها البعض في اكياس بألوان مختلفة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر انهم يقومون بفصل مخلفات اقسام النساء والولادة ووضعها في اكياس حمراء، والنفايات الحادة في علب بلاستيكية، والضمادات في اكياس صفراء، كما انهم يقومون بوضع النفايات العضوية والسائلة في اكياس وحفظها في المجمدات الى ان يتم نقلها عن طريق الشركة المشار اليها (مرسيليا) ليتم التخلص منها. وبتم التخلص من النفايات العادية (المنزلية) التي يتم تجميعها من غرف الايواء في اكياس النفايات العادية السوداء. وفيما يتعلق بعدد مرات تجميع النفايات من كل مصحة فأنها تتجاوز مرة واحدة في اليوم. ويتم وضعها في حاويات خاصة بالمصحات الايوائية الى أن يتم نقل النفايات الطبية منها عن طريق الشركة المختصة (مرسيليا)، ونقل النفايات العادية عن طريق التشاركية او جهاز حماية البيئة.

وفي سؤال يتعلق بوجود محارق حتى وان كانت صغيرة في المصحة للتخلص من النفايات الخطرة تبين بانه لا توجد محارق في أي مصحة خاصة، بالإضافة الى انه لا يوجد أي تعاون مع أي مستشفى فيما يتعلق بحرق النفايات الطبية، ولكن يتم تعامل المصحات الايوائية قيد الدراسة مع شركة مرسيليا كما سبقت الاشارة الى ذلك.

فيما يخص التشريعات التي تلزمهم بتصنيف النفايات الطبية حسب درجة خطورتها تبين ان هناك تشريعات تلزمهم بذلك وانهم يقومون بتطبيقها. خاصة فيما يتعلق بفصل النفايات الخطرة في اكياس بألوان تميزها عن النفايات العادية. وفيما يخص عزل المرضى المصابين بأمراض معدية تبين انهم يقومون بعزلهم في حجرات خاصة، كما ان هناك تعليمات بالتعامل معهم بطريقة تقي العاملين وأهاليهم من انتقال العدوى اليهم.

وفي سؤال يتعلق بعدد العاملين بتجميع النفايات من داخل المصحات تبين ان عددهم يتراوح مابين 12-20 عامل في كل مصحة. اما فيما يخص ارتداء العاملين بالمصحات الخاصة لملابس واقية وقفازات وكمامات فقد تبين من خلال البيانات التي تم الحصول عليها انهم يرتدون ملابس خاصة متمثلة في القفازات والكمامات والسترة الواقية التي تحمل اسم المصحة، بالإضافة الى انهم يخضعون لكشف دوري وإعطاء تطعيمات لهم للوقاية من الامراض المعدية .

وفي نهاية الاستبانة طُلب من ذوو العلاقة تقديم مقترحات يمكن من خلالها التغلب على المشاكل والمعوقات التي تحول دون حماية الانسان والبيئة من مخاطر النفايات الطبية فقد تباينت هذه المقترحات ويمكن ايجازها فيما يلي:

- ضرورة التزام المصحات الايوائية بالتعامل مع مراكز مكافحة عدوى المستشفيات وذلك لتحسين درجة وعي الكوادر الطبية والطبية المساعدة والايدي العاملة وذلك من خلال محاضرات توعوية، وورش عمل تتعلق بذلك (مصحة الفردوس).
- إعادة تدوير بعض انواع النفايات بهدف الاستفادة منها وتقليص الكميات المحالة الى المحارق كما هو الحال في كندا التي ارتفعت فيها نسبة تدوير النفايات من 8% الى 42% فيما بين عامي 1988-2002 (مصحة تاج النور) .
- انشاء محارق خارج المدن وبعيدا عن التجمعات السكانية بحيث تتكفل الدولة بأنشائها وتوفير وسائل نقل خاصة بالنفايات الطبية من مصادرها الى تلك المحارق وبتكاليف زهيدة (مصحة المواساة، ومصحة المختار).

الخاتمة

يكمن الهدف الأساسي من هذه الدراسة في التركيز علي أساليب التعامل مع النفايات الطبية من قبل العاملين في المصحات الايوائية والأطقم الطبية أو الجهات التي لها علاقة بالتخلص منها خاصة وأن مخاطر النفايات الطبية تفوق مخاطرها غيرها من النفايات الأخرى التي قد تصيب الأفراد الذين يتعرضون لها دون غيرهم، في الوقت الذي تصيب فيه النفايات الطبية الأفراد الذين يتعرضون لها وعن طريقهم قد تنتقل عدواها إلى المحيطين بهم وذلك لاحتواء بعضها على كائنات حية دقيقة تتسم بسرعة انتقالها عن طريق الحيوانات، والقوارض، أو عن طريق الحواس مثل حاستي اللمس والاستنشاق، إضافة إلى محاولة إبراز الآثار السلبية للنفايات الطبية سواء أكان ذلك على العاملين بالمصحات الايوائية أو المترددين عليها، ومن خلال البيانات التي تم تجميعها تم التوصل الى:

1. ان النفايات الطبية يتم فصلها داخل المصحات الايوائية بأكياس بألوان مختلفة منها الصفراء والحمراء والسوداء والعلب البلاستيكية.
2. اجبار العاملين بارتداء ملابس واقية وقفازات وكمامات اثناء العمل بالمصحات.
3. تتراوح كمية النفايات الطبية الناتجة عن كل مصحة ما بين 50-100 كيلو جرام يوميا.
4. لوحظ من خلال الدراسة الميدانية عدم استجابة ذوو العلاقة في عدد من المصحات بالتعاون مع الباحثين وذلك من خلال عدم التزامهم بالإجابة على الاسئلة التي تضمنتها ورقة الاستبانة ولا يخرج ذلك عن احد امرين: يتمثل اولهما في عدم الرغبة في التعاون مع الباحثين من منطلق اخفاء بعض الحقائق المتعلقة بتعاملهم مع النفايات الطبية بغض النظر عن درجة مخاطرها، ويتمثل ثانيهما في عدم وعيهم بأهمية البحوث العلمية ونتائجها التي تتوصل إليها والتي تهدف إلى حماية الانسان وبيئته من مخاطر النفايات الطبية.

وبناء على النتائج التي تم التوصل اليها يكون من الضرورة بمكان وضع توصيات من المفترض ان تؤخذ بعين الاعتبار من قبل ذوو العلاقة لوقاية الانسان والبيئة من مخاطر النفايات الطبية الخطرة:

- ضرورة إنشاء إدارة نفايات طبية بالمصحات الخاصة واتباع المعايير الدولية في جميع مراحل إدارة النفايات الطبية من فرز وجمع ونقل ومعالجة.

- اقامة دورات تدريبية وورش عمل للعاملين والكوادر الطبية، لتوعيتهم بكيفية التعامل مع النفايات الطبية تجنبا لمخاطرها المترتبة.

- إيجاد طرق معينة لتنظيم إدارة آمنة وسليمة للتخلص من حجم الكميات الكبيرة من النفايات الطبية، بطريقة اقتصادية وبأقل تكلفة ممكنة بحيث تقلل الأضرار الصحية والأضرار البيئية .

- إلزام المؤسسات الطبية بإرسال نفاياتها إلى مرادم تكون خاصة بالنفايات الطبية وتكوين إدارة خاصة للنفايات الخطرة التي تشمل النفايات الطبية.

- الالتزام بتطبيق نظام التصنيف للمخلفات الطبية والغير طبية وضرورة استخدام الأكياس المخصصة لكل نوع من النفايات و ضرورة استعمال حاويات أو حافظات صغيرة من البلاستيك المقوي عليها إشارة المخلفات المختلفة واستخدام طرق بديلة للتخلص من النفايات الطبية بدلاً من عملية الحرق مثل التعقيم والمعالجة الكيماوية, وسن قوانين ولوائح صارمة واتخاذ إجراءات قانونيه لكل من يتسبب في تعريض حياة المواطنين لخطر العدوى بسبب عدم الالتزام بالقوانين ذات العلاقة في التعامل مع النفايات الطبية ورفع الوعي البيئي والصحي لكل شرائح المجتمع بالتعريف بخطورة النفايات الطبية عبر البرامج المتخصصة.

- توفير أكياس ذات ألوان مختلفة وأوعية معدنية خاصة بتجميع المخلفات الطبية كل حسب درجة خطورتها كما يستوجب الأمر ضرورة توفير وسائل نقل متطورة لتجميع ونقل النفايات الطبية من الأقسام إلى حيث يتم تجميعها أو التخلص منها وتكون محكمة الإغلاق .

- يتم إنشاء محرقة مركزية خارج المدينة وبعيدة عن التجمعات السكانية على أن تكون عملية نقل النفايات الطبية إليها بطريقة صحيحة وبوسائل نقل ذات مواصفات خاصة بالمخلفات الطبية.

- توعية القائمين على ادارة المصحات الايوائية بأهمية البحوث والدراسات العلمية التي تهدف الى حماية الانسان وبيئته ليتم دعمهم وتعاونهم مع الباحثين وتقديم المعلومات والبيانات المطلوبة منهم، وفي المقابل يمكنهم الاطلاع على ما تتوصل اليه هذه البحوث من نتائج وما تقدمه من توصيات للاستفادة منها.

وفي الختام يظل السؤال الذي يطرح نفسه ويفتح آفاقا لدراسة مستقبلية مفاده كيفية تعامل شركة مرسيليا للنظافة وحماية البيئة ومثيلاتها من الشركات المتخصصة في اساليب وطرق تخلصها من النفايات الطبية في الوقت الذي تحاول فيه العديد من الدول مثل امريكا واليابان التخلص من المحارق واللجوء الى بدائل تضمن من خلالها المحافظة على البيئة من التلوث بدلا من عمليات الحرق التي تنبعث من خلالها العديد من الغازات السامة في الهواء مثل الديوكسين، وبدلا من عمليات الدفن التي تلعب دورا كبيرا في تلوث التربة والمياه.

المراجع

1. أبو العطى، جهاد أحمد، الإدارة الحديثة للمخاطر المهنية والبيئية للصناعات الدوائية والمستحضرات الصيدلانية، المعهد العربي للصحة والسلامة البيئية، دمشق2000
2. الشرياني، أحمد بن علي ، تشريعات إدارة النفايات في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ندوة إدارة النفايات الصلبة القابلة للتدوير وإعادة الاستخدام، بنغازي، الجماهيرية الليبية، 2003.
3. رمضان، ساطي، ، إدارة المخلفات الطبية الصلبة في مستشفيات مدينة بنغازي وكيفية التعامل معها، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم البيئية، أكاديمية الدراسات العليا، فرع بنغازي، 2004.
4. خالد محمد ، الهاجري، محارق النفايات الطبية تحرق البيئة الكويتية 2004 : www.greenline.com.2004
5. النفايات الطبية، المديرية العامة للشئون الصحية، منطقة المدينة المنورة، مستشفى أحد،2005 في ohudhosp.com www .
6. علاء كامل علوان،معالجة المخلفات الطبية بطرق سليمة ضرورة بيئية، منتديات شبكة العراق الأخضر، 2006، في www.forumira..com
7. الطبابة الخطرة في لبنان مكتب غرينيس البحر المتوسط، ، تسويق محارق النفايات الطبية ، 2000، في 8- : peace.org www. Green :
8. الطاهر إبراهيم الثابت، حوادث وإصابات من المخلفات الطبية،.2004 في: www.Libyanmedicalwaste.com
9. الطاهر إبراهيم الثابت، أنواع العلب والحاويات البلاستيكية المخصصة لجمع المخلفات الطبية الحادة والمخلفات الملوثة والمخلفات الباثولوجية، النادي الليبي للمخلفات الطبية،2005.
10. الطاهر إبراهيم الثابت، الاهتمام العالمي بالمخلفات الطبية، 2006 في: www.Libyanmedicalwaste.com
11. نايف عبد الله الحربي، صحيفة الرياض، العدد 13538،2005، في . www.alriadh.com :
12. محمد حمادي، المخلفات الطبية الصلبة وطرق معالجتها، 2006 في: www .beeaty com .2006
13. عبد المولى علي البلعزي، نظرة العالم للمحارق حاليا، 2004. في: النادي الليبي للمخلفات الطبية
14. جريدة المستقبل، الشركة العربية المتحدة للصحافة،2005، في www.almustaqbal.com :
15. رمضان سالم ساطي، التشريعات البيئية الليبية وعلاقتها بالخدمات الطبية، 2006، في : www.Libyanmedicalwaste.com

الأضرار العامة الناتجة عن التصريف الخاطئ لمياه الصرف الصحي منطقة العواتة " نموذجاً "

د. عرفات قرينات أ. حافظ رحيم المبروك أ. فرج الجعراني عثمان

أعضاء هيئة التدريس - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الزيتونة

المقدمة

الماء نعمة من الله وهبة منه وهو ضروري للحياة على الأرض وأساس التنمية المستدامة من أجل الأجيال القادمة، إلاّ أن المياه وخصوصاً الصالحة للشرب تعد شحيحة، وبقدر ما هو معقد أمر توفيرها في كثير من الأحيان، فإن التخلص منها بعد استعمالها يعد أمراً معقداً أيضاً ويحتاج إلى جهد كبير وتكلفة عالية، وهذا ما يعرف بالصرف الصحي،حيث تبدل دول العالم جهوداً كبيرة في هذا المجال مستخدمة التقنيات الحديثة لتقديم خدمة مميزة في مجال توصيل شبكات الصرف الصحي ومعالجة مياهها للحفاظ على بيئة نظيفة، وحماية صحة مواطنيها من أضرارها.

تزامنت مشكلة مياه الصرف الصحي مع وصول التخديم المائي إلى الدورات الصحية حيث تتلوث المياه عند استعمالها، ويجب التخلص منها بشكل سريع وبطريقة علمية حتى لا تكون لها آثار سلبية على السكان، فهي تتسبب بكثير من الأمراض التي تهدد الصحة العامة نظراً لاحتوائها على العديد من المركبات الكيميائية والتي يجب أن تكون بعيدة عن مياه الشرب والتجمعات السكانية، الأمر الذي يتطلب معالجتها قبل تصريفها.

إن شبكات الصرف الصحي في معظم مدن ليبيا تعتبر قديمة ومتهالكة فهي لم تستوعب الضغط الناتج عن الاستخدام المفرط للمياه والناتج عن زيادة عدد السكان في المدن، علاوة على عدم إجراء الصيانات الدورية لها أو تطويرها بشكل يتماشى مع هذه الزيادة، الأمر الذي نتج عنه العديد من المشاكل و الإنسدادات والتي نلاحظها من خلال التجوال في أزقتها.

ومنطقة العواتة من المناطق التي تعاني من هذه المشكلة حيث لا تظهر بعض التسربات لمياه الصرف الصحي بها فقط، بل إن منطقة التصريف " المصب " قريبة جداً من أحيائها السكنية الأمر الذي من شأنه أن يسبب العديد من المشاكل والأمراض والأضرار البيئية.

مشكلة الدراسة

يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:-

1. ما هي أهم المركبات المسببة للتلوث والتي تحملها مياه الصرف الصحي ؟

2. كيف يمكن التخلص من هذه المياه بالطرق الصحيحة ؟ وهل هذه الطرق تستخدم في منطقة الدراسة ؟

ما هي الأضرار البيئية الناتجة عن التصريف الخاطئ لهذه المياه ؟

فرضياتها

1. تحتوي مياه الصرف الصحي مركبات كيميائية تعد خطيرة وتؤثر على صحة وحياة السكان بالمنطقة.
2. لا يتم إتباع الطرق الصحيحة والحديثة في التصريف.
3. هناك تقصير كبير من قبل الشركة العامة للمياه والصرف الصحي والجهات ذات العلاقة في تفاقم هذه المشكلة.

أهمية الدراسة

1. أهمية علمية: وهي تطبيق المناهج العلمية في دراسة أحد مواضيع العصر ألا وهو التلوث البيئي.
2. أهمية عملية: وتتمثل في الاستفادة من هذه الدراسة في التعرف على العديد من الأمور المتعلقة بالتلوث بالمنطقة قيد الدراسة.

أهداف الدراسة

1. معرفة أهم الملوثات التي تحتويها مياه الصرف الصحي بشكل عام.
2. محاولة ايضاح المخاطر والأضرار الناتجة عن هذا النوع من التلوث.
3. المساهمة في رفع المستوى الثقافي والوعي البيئي عند المواطنين لحل هذه المشكلة.

حدود الدراسة

ستركز هذه الدراسة علي موضوع الأضرار العامة الناتجة عن التصريف الخاطئ لمياه الصرف الصحي منطقة العواتة " أنموذجاً "الواقعة ضمن إقليم سهل الجفارة شمال غرب ليبيا و التي تقع جنوب مدينة طرابلس علي بعد 65 كم تقريبا علي الطريق الرابط بين منطقتي سوق الخميس إمسيحل و العربان حيث يحدها من جهة الشمال ملتقي الأودية ومن جهة الشرق منطقة أولاد علي بترهونة و من ناحية الغرب و الجنوب الغربي يحدها الطريق الرابط بين منطقتي سوق الخميس إمسيحل و العربان والتي تنحصر بين

دائرتي عرض (16" 17' 32° و 30" 18' 32°) شمالا

وخطي طول(45" 15' 13° و 42" 17' 13°) شرقا

علي مساحة تقدر بحوالي 350 هكتار تقريبا و الذي يتبين من خلال الصورة الجوية رقم (1)

الخريطة رقم (1) موقع منطقة الدراسة

المصدر : صورة فضائية حديثة مستخرجة بواسطة برنامج جوجل ايرث بتاريخ 2019/11/2

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تفسير وتعليل العديد من الظواهر المتعلقةبموضوع الدراسة، إضافة إلى الاعتماد على الملاحظة المباشرة والزيارة الميدانية لموقع المشكلة، واستخدام الكتب والمراجع المتعلقة بموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة

1. نعيمة عيسى قرارة، التلوث بالصرف الصحي والفضلات على شاطئ مدينة " الخمس وطبرق " وأثره على الأحياء البحرية من سنة (1990 – 2005).
2. هدى محمد الفرعاس، دراسة وتقييم الصرف الصحي بمدينة غريان (2014).
3. عبدالرزاق مصباح عبدالعزيز، المياه والصرف الصحي في منطقة الزاوية وأثره على استهلاك المياه خلال الفترة الزمنية من (1982 – 2002).

مفهوم التلوث

يعرف التلوث بأنه كل تغيير مباشر أو غير مباشرفيزيائي أو حراري أو بيولوجي أو أي نشاط إشعاعي في كل جزء من أجزاء البيئة بطريقة ينتج عنها مخاطر فعالة تؤثر على الصحة العامة والرفاهية لكل الكائنات الحية الأخرى.**(1)**

وهو بالمفهوم العلمي يوصف بأنه حدوث خلل أو تغير في الحركة التوافقية التي تتم من العناصر المكونة للنظام البيئي بحيث تشل فاعلية هذا النظام وتفقده القدرة على أداء دوره الطبيعي في التخلص الذاتي من الملوثات وخاصة العضوية منها بالعمليات الطبيعية أو هد كل ما يطمر في عناصر البيئة الطبيعية سواء كان ذلك زيادة أو نقصاً في المركبات أو الخواص الفيزيائية والكيميائية أو البيولوجية للتربة والهواء والماء، وقد ذكره بعض العلماء بأنه كل ما يؤثر في عناصر البيئة بما فيها من إنسان وحيوان ونبات.**(2)**

وتعد مياه الصرف الصحي من أهم الملوثات في عصرنا الحالي حيث تعد من أهم العمليات اللازمة لضمان توفر البيئة الصالحة للحياة في كل المجتمعات الريفية والحضرية والتي يجب أن تتم لطرق مناسبة وفي ظروف صحية واقتصادية جيدة، فهي تتكون من المخلفات السائلة من المياه المتخلفةعن الحمامات والمطابخ والجلي والغسيل ومياه المخلفات الصناعية ومياه الأمطار ومياه غسيل الفرش ومياه غسل الورش .**(3)**

وتعرف مياه الصرف الصحي على أنها المياه الناتجة عن الاستخدام الشخصي أو المنزلي أو الصناعي، وهي تتكون من (99.9%) مياه وحوالي (0.1%) مكونات ضارة إذا لم يتم معالجتها بالشكل الصحيح وهي خليط مخفف من أنواعمختلفة من المخلفات من المصادر المنزلية والعامة والصناعية، وتحتوي علي مواد عضوية وغير عضوية قد تكون في حالة مذابة أو عالقة ، وتكون المواد العضوية عادة ملتصقة بكائنات حية دقيقة تتغذى على المواد العضوية وتسبب تحللها، وتشمل الكائنات الحية الدقيقة كائنات حيوية مثل البكتيريا والفيروسات وكائنات نباتية مثل الطحالب والفطريات.**(4)**

وعلى الرغم من أن نسبة الملوثات والشوائب المختلفة الموجودة في مياه الصرف الصحي لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من إجمالي المياه، إلا أن بعضها وهي الملوثات الحيوية تسبب أمراض خطيرة وهي أهم أنواع الملوثات الموجودة في مياه الفضلات.**(5)**

الخصائص العامة لمياه الصرف الصحي وأثرها البيئي:

على الرغم من أن نسبة الملوثات والشوائب المختلفة الموجودة في مياه المجاري لا تشكل أكثر من (0.1%) من إجمالي هذه المياه إلا أنها تعتبر مصدراً هاماً للتلوث البيئي ولمعظم الأمراض السارية التي تشكل خطراً على الصحة العامة للإنسان، ومن هنا وجب التخلص منها بنقلها بعيداً عن التجمعات السكانية ومن ثم معالجتها ضمن محطات المعالجة لإزالة التلوث بأنواعه والحصول على مياه يمكن إعادة استعمالها مرة أخرى.

إن العوامل الأساسية المسؤولة عن التغيرات القصيرة الأجل (الساعية – اليومية – الأسبوعية) أو الظروف الفصلية والتي عادة ما تسبب التغيرات القصيرة والطويلة الأمد، حيث إن وجود مياه راسخة ضمن شبكات الصرف تؤدي إلى تخفيض تراكيز المواد الصلبة الراسخة والمواد الصلبة العالقة ولكن التخفيض الفعلي لتراكيز الملوثات يتبع لخواص المياه الراسخة، ففي بعض الحالات تزداد تراكيز بعض الملوثات اللاعضوية عندما تحتوي المياه الجوفية على مستويات عالية من المكونات المتحللة، أما التغيرات الفصلية فهي تشع كمية الأمطار الداخلة لشبكات الصرف الصحي.

وعموماً فإن قيم المواد الصلبة الراسخة والمواد الصلبة العالقة هي أقل من المعدل العام أثناء الربيع وأثناء فترات الهطول المطري المرتفع، وأما الحمولة الكتلية الساعية الأعظمية للمواد الصلبة الراسخة فهي تزيد ثلاثاً وأربع مرات عن قيمة الحمولة الكتلية الدنيا للمواد الصلبة الراسخة المسجلة خلال ساعة من أجل تأدية محطات المعالجة وظيفتها على نحو ملائم فإن تغيرات معدلات تحميل الكتل من المواد الصلبة في مياه الصرف يجب أن تحسب وهذا مهم أيضاً لتصميم أنظمة المعالجة البيولوجية.**(6)** ومن خلال الجدول رقم (1) و الشكل رقم (1) اللذان يوضحان التركيب الكيميائي التقليدي لوحل مياه الصرف الصحي و التركيب النموذجي لمياه الصرف الصحي الخام.

جدول رقم (1) يوضح التكوين الكيميائي التقليدي لوحل مياه الصرف الصحي

المكون	النسب في %		
	الابتدائي	النشط	المهضم
مواد عضوية	**60 – 80**	**60 – 75**	**45 – 60**
الرماد الكلي	**20 – 40**	**25 – 40**	**40 – 55**
بروتينات	**20 – 30**	**30 – 40**	**15 – 20**
شحوم ودهون	**6 – 35**	**5 – 12**	**3 – 20**
سلولوز	**5 – 15**	**2 – 15**	**5 – 15**
نيتروجين	**2 – 4**	**2 – 6**	**1.5 – 6**
فسفور	**1 – 3**	**2 – 7**	**1.5 – 4**
بوتاس	**0 – 1**	**0 – 2**	**0 – 2**

المصدر / أحمد أمحمد عون، الماء من المصدر إلى المكب، الهيئة العامة للبيئة، طرابلس 2002، ص191.

الشكل رقم (1) يوضح بشكل بسيط التركيب النموذجي لمياه الصرف الصحي الخام

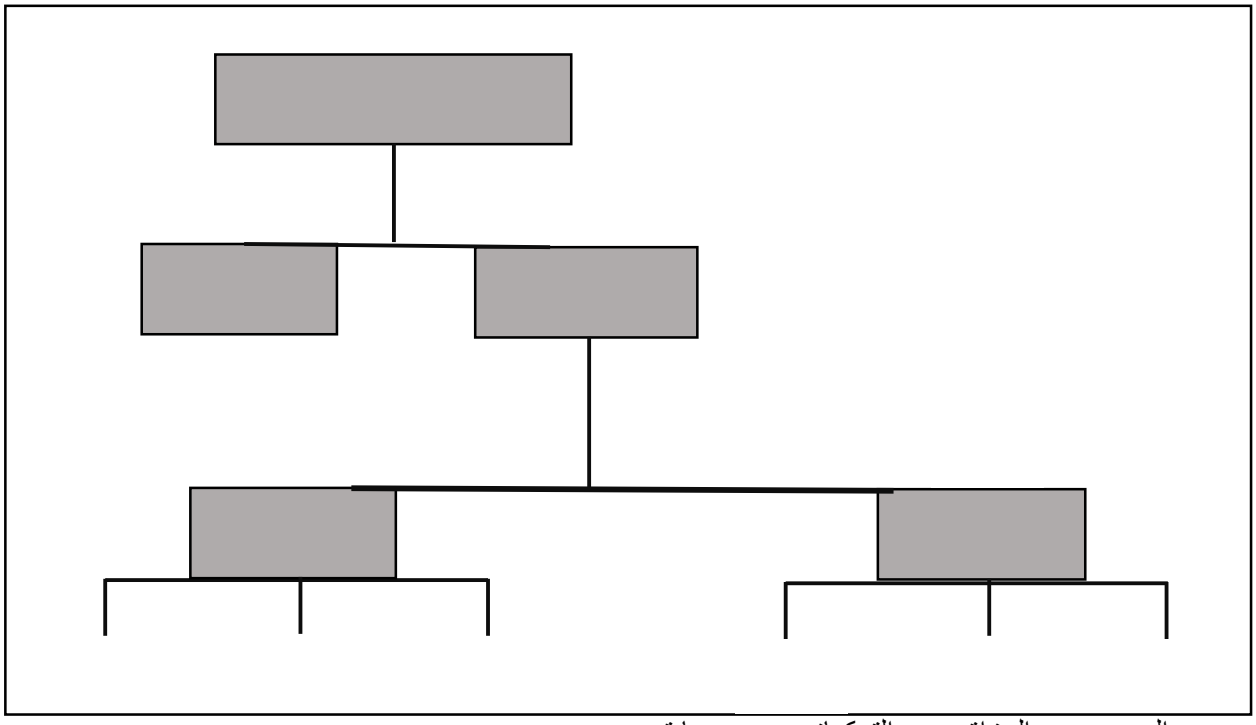

المصدر :عبد الرزاق محمد التركماني ،مصدر سابق

وبشكل أوضح يمكن حصر الملوثات الموجودة بمياه الصرف الصحي فيما يلي:- **(7)**

1. المواد العضوية: مثل البروتينات والكربوهيدرات، الدهون، الأمونيا، اليوريا، وغيرها، وهذه المواد تتأكسد مع الماء وتتكون من فضلات الطعام.
2. الميكروبات: وتشمل البكتيريا، الفيروسات، الطفيليات، الديدان، وهي تقوم بتحليل المواد العضوية باستخدام الأكسجين فتؤدي إلى تخمرها مسببة روائح كريهة.
3. المغديات: وهي عناصر كيميائية منها الفسفور والنيتروجين والكربون، حيث صرف المياه المحسوبة على هذه العناصر على الأرض بكميات كبيرة يؤدي إلى وصولها إلى المياه الجوفية وتلوثها.
4. الأملاح: وهي أملاح غير عضوية سامة ذائبة مثل الكلوريدات والكبريتات وغيرها.
5. العناصر أو المعادن الثقيلة: وهي من أهم المواد الملوثة وتعتبر من السموم الرئيسة في مياه الصرف الصحي ومنها الرصاص والزئبق والكادميوم والنحاس والحديد والنيكل والكروم، وتزداد تركيز هذه المعادن في مياه الصرف الصحي الصناعي.
6. المركبات العضوية المتطايرة: وهي المركبات التي لها نقطة غليان أقل من (100 ^{0}م)، أو ضغط بخار أقل من (1 مم زئبق) عند درجة حرارة (25 ^{0}م)، وهذه المركبات تؤثر عكسياً على صحة العاملين بشبكات الصرف الصحي ومحطات المعالجة.
7. المواد الصلبة العالقة: وهي تكون عالقة في مياه الصرف الصحي ويمكن إزالتها عن طريق الترشيح، ويعبر عنها بالمليجرام في اللتر. والشكل رقم (1) يوضح بشكل بسيط التركيب النموذجي لمياه الصرف الصحي العام.

ومما يزيد من خطورة المشكلة وجود المخلفات الطبية السائلة واختلاطها بمياه الصرف الصحي، لا سيما أن منطقة الدراسة تحتوي على مستشفى قروي، وتتم تصريف نواتجه في المجاري، وهذه المخلفات تحتوي على أنواع مختلفة مع إنها قليلة إلاّ أن مركباتها خطيرة نظراً لأنها ناتجة عن العناية بالمرضى وهي تحتوي على الآتي:- **(8)**

1. الميكروبات الممرضة: وهي كميات كبيرة من ميكروبات الأمراض المعوية من بكتيريا وفيروسات وديدان، والتي تنتقل بسهولة خلال الماء، خصوصاً في أقسام الأمراض السارية والمعدية.
2. سوائل كيميائية خطيرة: ناتجة عن عمليات التعفن والتنظيفات اليومية للأجهزة والمعدات والأسطح الأرضية، وكميات كبيرة من المترسبات من أحماض وقلويات عضوية وغير عضوية من معامل التحاليل وبدون معالجة.
3. المخلفات الصيدلانية: مثل الأدوية خصوصاً المضادات الحيوية والأدوية السامة وأدوية الأورام.
4. مخلفات بقايا الطعام الثقيلة: وهي ذات سمة غالبية مثل الزئبق والقطن، والرصاص في مراكز الخدمات الأسنان وأقسام التصوير بالأشعة.

معالجة مياه الصرف الصحي

أدى التطور الكبير الذي شهدته معظم دول العالم وزيادة عدد السكان وارتفاع المستوى المعيشي إلى ارتفاع ملحوظ في الطلب على المياه وبالتالي ارتفاع في كمية المياه العادمة التي يستوجب التخلص منها، ورغم أن بعض الدول لا تعاني من مشكلة توفر المياه بسبب تنوع مصادرها ووجودها بكميات تفي بالطلب إلاّ أن توزيع المياه الصالحة للاستعمال على سطح الأرض ليس متساوياً الأمر الذي أدى إلى اختلال التوازن بين الكميات المتوفرة من المياه والطلب الفعلي عليها وأدى بالتالي إلى التفكير في تنويع مصادر المياه واستغلال أكبر كمية ممكنة منها بشتى الطرق ولو بإعادة استعمال مياه الصرف الصحي. **(9)**

وتعد عملية إعادة استعمال مياه الصرف الصحي المعالجة من طرق استغلال المياه التي تلاقي قبولاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، والغرض منها إزالة ما يؤثر بشكل سلبي على الصحة العامة وعلى البيئة مثل المواد العالقة والطافئة والتخلص من المواد العضوية والمتحللة وبعض الأحياء الدقيقة المسببة للأمراض.

ويقصد بمعالجة مياه الصرف الصحي، إعادة تأهيل هذه المياه بإعادتها لحالة هي أقرب ما يمكن للحالة الأصلية للمياه تمر خلالها المياه بسلسلة من مراحل المعالجة لفصل الملوثات ما أمكن ذلك وإخراجها وتحويلها لصور أخرى بحيث تنتج مياه يمكن استعمالها في ري الأعلاف والمحاصيل الزراعية والحدائق، كذلك استعمالها في الأغراض الصناعية أو تصديرها للبيئة دون أن تسبب آثار ضارة بها، وتتم المعالجة في العادة من أربع مراحل هي:-

1. المعالجة التمهيدية: وتستخدم فيها وسائل الفصل وتقطيع الأجزاء الكبيرة الموجودة في المياه لحماية أجهزة محطات المعالجة ومنع الانسدادات، وتتم هذه العملية عن طريق استعمال مناخل مختلفة الاتساع وأجهزة سحق، وأحياناً أحواض أولية للتزويد بالأكسجين، ومن خلال هذه العملية يمكن إزالة من 5 – 10% من المواد العضوية القابلة للتحلل، إضافة إلى 2 – 20% من المواد العالقة، إلا أن هذه النسب من الإزالة لا تعد كافية لغرض إعادة استعمال المياه.
2. المعالجة الأولية: وهي إزالة المواد العضوية والمواد الصلبة غير العضوية القابلة للفصل من خلال عملية الترسيب، ويمكن في هذه المرحلة إزالة من 35 – 50% من المواد العضوية القابلة للتحلل إضافة إلى إزالة من 50 – 75% من المواد العالقة، وحتى مع هذه الدرجة يبقى الماء المعالج غير صالح للاستعمال.

وتحتوي الوحدة الخاصة بالمعالجة الأولية على أحواض للترسيب بالإضافة إلى المرافق الموجودة في وحدة المعالجة التمهيدية، ويمكن أن تحتوي أيضاً على وحدات تغذية (بعض المواد الكيميائية إضافة لخلط هذه المواد مع الماء).

3. المعالجة الثانوية: وتعتمد على العمليات الحيوية عن طريق الكائنات الحية، حيث يتم بها تحويل المواد العضوية إلى كتل حيوية تزال فيما بعد عن طريق الترسيب في حوض الترسيب الثانوي، والمعالجة الثانوية لها عدة أنواع حسب سرعة تحليلها للمواد العضوية وهي كالتالي:-

أ- عمليات عالية المعدل: وهي المعالجة باستخدام الحمأة المنشطة (المحفزة) والترشيح بالتنقيط، والتلامس الحيوي دائري الحركة.

ب- عمليات منخفضة المعدل: ومن أمثلها البحيرات والبرك الضحلة ذات التهوية.

ومن خلال المعالجة الثانوية يمكن إزالة ما يقرب عن 90% من المواد القابلة للتحلل إضافة إلى 85% من المواد العالقة.

4. المعالجة المتقدمة: ويتم إجرائها عند الرغبة في الحصول على ماء معالج ونقي بدرجة كبيرة، وتحتوي هذه المرحلة على عمليات مختلفة لإزالة الملوثات كالنيتروجين والفسفور والمواد التي يصعب تحللها بسهولة والمواد السامة، وتتضمن هذه العمليات الآتي:-

أ- التخثر الكيميائي والترسيب: ويتم ذلك بإضافة مواد كيميائية مثل مركبات الحديد والألومنيوم والكالسيومفينتج عن تلك الإضافات تلاصق الجسيمات الدقيقة فيتم تجميعها تم ترسيبها.

ب- الترشيح الرملي: وهنا يتم استخدام وسط رملي لا تقل سماكته عن 50 سم بحيث يسمح بنفاذية الماء منه، وبهذه العملية تُزال معظم الجسيمات العالقة والتي لم تُزال بالترسيب لصغر حجمها.

ت- الامتصاص الكربوني: ويستخدم هنا كربون منشط لإزالة المواد العضوية الذائبة، وذلك بتمرير المياه خلال خزانات تحتوي على الوسط الكربوني لامتصاص المواد العضوية.

ث- التبادل الأيوني: وذلك بإحلال أيونات معينة في الماء من مادة تبادل غير قابلة للذوبان بأيونات أخرى.

ج- التناصح العكسي: ويتم هنا ضخ الماء تحت ضغط عالي من خلال غشاء رقيق ذو مضخة صغيرة جداً يسمح بمرور جزيئات الماء وتمنع مرور جزيئات الأملاح.

ح- عملية التطهير: ويتم من خلالها حقن الكلور لأحواض التطهير بكمية تتراوح ما بين 5–10 ملج / لتر.

ومع هذا يمكن القول أن هناك مساوي لاستعمال مياه الصرف الصحي المعالجة، فهي تسبب مشاكل صحية إذا لم تتم معالجتها بشكل صحيح بسبب وجود أنواع مختلفة من الفيروسات والبكتيريا، ناهيك عن التركيزات العالية للمواد الكيميائية والتي قد تسبب أضراراً للإنسان. **(10)**

ويوضح الجدول رقم (2) نسبة إزالة بعض الملوثات الموجودة في مياه الصرف الصحي من خلال طرق المعالجة المختلفة.

جدول رقم (2) نسبة إزالة بعض الملوثات الموجودة في مياه الصرف الصحي من خلال طرق المعالجة المختلفة

الطريقة / عنصر الإزالة	معالجة أولية	معالجة ثانوية محفزة	معالجة متقدمة المرشحات في الرمل
الأكسجين الكيميو حيوي	**42**	**94**	**96**
الأكسجين الكيميائي	**38**	**83**	**86**
المواد العالقة والصلبة	**63**	**91**	**99**
نيتروجين الأمونيا	**18**	**70**	**80**
الفوسفور	**27**	**60**	**83**
الكربون العضوي	**34**	**89**	**90**
الزيوت والدهون	**65**	**94**	**94**
العكر	**31**	**90**	**97**
القلوية	تزداد	**38**	**89**
اللون	**15**	**56**	**70**
المواد المسببة للزبد	**27**	**79**	**79**

المصدر / أحمد أمحمد عون، الماء من المصدر إلى المكب، الهيئة العامة للبيئة، طرابلس 2002.

أما فيما لو تمت تنقية ومعالجة هذه المياه لكان من الممكن الاستفادة منها في عدة استعمالات حسب اقتراحات منظمة الصحة العالمية والتي تتمثل في الآتي:-

أ- مياه الشرب: وقد بدأ هذا الاستعمال في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1956 عندما تعرضت المناطق الوسطى منها للجفاف بعد معالجتها في محطات التنقية فقد تم معالجة 4000 م ^{3} من المياه يومياً في مدينة شاتوت بولاية كنساس، وفي مدينة ويندهوك في ناميبيا أنشأت عام 1968 محطة معالجة متقدمة لمياه الصرف الصحي لإمداد المدينة بما يقارب 50% من احتياجاتها لمياه الشرب.

ب- الاستخدام الترفيهي: حيث لاقى هذا الاستخدام نجاحاً كبيراً في حالات كثيرة، حيث تم ضخ المياه المعالجة لتكوين بحيرات كبيرة في حدائق عامة، ويمكن استخدامها في صيد الأسماك ورياضة القوارب وحمامات السباحة بعد تلوثها.

ت- الزراعة: فقد أنشأت العديد من المشاريع الزراعية المرورية بمياه الصرف الصحي المنقاة وقد لاقت نجاحاً باهراً.

أما في منطقة الدراسة فيتم التخلص من مياه الصرف الصحي بالطرق التالية:-

1. الطريقة الأولى وتتمثل في شبكة الصرف الصحي المقامة في مركز المنطقة " الشعبية " وهي شبكة قديمة أنشأت عام 1986 ومنذ ذلك الوقت لم تحدث لها أي عمليات تطوير لاستيعاب الضغط المتزايد الناتج عن زيادة الاستعمال تبعاً لزيادة عدد سكان المنطقة، ومن الشبكة تصب هذه المياه في أحواض قريبة جداً يسميها السكان بالبيارات، وهي لا تبعد سوى 300م عن بعض الأحياء السكنية، ومن هذه البيارات تندفع المياه إلى الوادي وبدون أدنى معالجة لها مسببة بتلوث للتربة، بالإضافة إلى أن تجمع هذه المياه يسبب الروائح الكريهة وانتشار الذباب والبعوض والحشرات المسببة للأمراض، ناهيك عن امكانية تسرب هذه المياه إلى المياه الجوفية خصوصاً إذا ما علمنا أن مكان تجمع هذه المياه لا يبعد سوى 500م من بئر المياه المغذي للمنطقة.

2. الطريقة الثانية: وهي الآبار السوداء وهي عموماً أكثر انتشاراً خصوصاً بعد التوسع الأفقي لبناء المنازل في المنطقة خارج المخطط وبعدها عن الشبكة العامة، ومن عيوب هذه الآبار أنها تكون متصلة بالتربة مباشرة فتسمح بتسرب المياه إلى الطبقات الأرضية الحاملة للمياه الجوفية.

إضافة إلى طفوحها للسطح عند امتلاء هذه الآبار وتسربها إلى الشوارع نتيجة لعدم توفر وسائل التفريغ في الوقت المناسب، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هو دور شركة المياه والصرف الصحي والجهات المسؤولة في التعامل مع هذه المشكلة، وهنا نجد أنه في الوقت الحالي وفي ظل عدم وجود محطة معالجة مع قلة الإمكانيات الحالية نظراً للوضع العام للبلاد وعدم صيانة وتطوير الشبكة بشكل دوري، فأن دورها هنا يقتصر فقط على حلحلة بعض الانسدادات والصيانات البسيطة بما هو متوفر لديها من إمكانيات فقط، وبهذا تستمر مشكلة انسياب هذه المياه في العراء.

ومن خلال ما سبق وإذا ما قارنا الطرق الصحيحة والمعمول بها في دول العالم لمعالجة وتصريف مياه الصرف الصحي بما هو موجود بمنطقة الدراسة نجد أنها تفتقد لأدنى هذه الطرق، الأمر الذي ينذر بمشاكل خطيرة على المدى القريب من حيث انتشار الحشرات الضارة كالبعوض والصراصير وبعض الحشرات الأخرى المسببة والناقلة للأمراض كالملاريا وغيرها. خصوصاً إذا ما علمنا أن منطقة التصريف لا تبعد سوى 300م عن التجمع السكاني.

وعلى المدى البعيد وهو الأخطر فتتمثل الخطورة في تسرب هذه المياه بما تحمله من ملوثات إلى خزانات المياه الجوفية مسببة تلوثها بنسب مختلفة.

التوصيات

من خلال الدراسة بشأن الصرف الصحي في منطقة العواتة يقدم الباحث التوصيات التالية:-

1. ضرورة الاسراع في تنفيذ شبكة صرف صحي جديدة وعدم ربطها بالشبكة القديمة، بحيث تشمل الشبكة الجديدة المباني والمساكن المعتمدة في التصريف على الآبار السوداء.
2. لابد من إنشاء محطة معالجة لمياه الصرف الصحي لتحقيق الاستفادة المثلى منها بدلاً من صرف هذه المياه في العراء مسببة مشاكل لا حصر لها.
3. إذا ما تعذر إنشاء محطة معالجة في الوقت الحاضر، يجب على وجه السرعة إبعاد منطقة التصريف عن أحياء المنطقة.
4. تطوير وتأهيل وتدريب العاملين في هذا المجال ودعم شركة المياه والصرف الصحي بالعناصر الفنية وتقديم الحوافز التشجيعية وتوفير الآلات والمعدات اللازمة للتشغيل والصيانة.

هوامش البحث

1. محمد السلاوي، المياه الجوفية بين النظرية والتطبيق، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، 1986، ص 217.
2. محمد السيد أرناؤوط، الإنسان والبيئة، الدار المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1993.
3. محمد علي فرج، تقنية المياه المعالجة الهندسية لتلوث المياه، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2000، ص 33.
4. أحمد السروي، الملوثات المائية (المصدر – التأثير – التحكم – العلاج)، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 204.
5. عبدالرزاق محمد التركماني، الإدارة الهندسية لمياه الصرف الصحي، وزارة البيئة، سوريا، 2009، ص 25.
6. نفس المرجع السابق، ص 12، 13.
7. عبد العاطي أحمد حداد، تأثير بعض ملوثات مياه الصرف الصحي الصناعي على تلوث المياه الجوفية بالخزان الأول الضحل بمدينة ترهونة وضواحيها، 2007، ص 81 – 83.
8. الطاهر إبراهيم التابت، المخلفات الطبية السائلة ومياه الصرف الصحي، 2009.
9. أنور سيالة، التصحر وندرة المياه في شمال أفريقيا، ندوة الأمم المتحدة لاستعمال الاستشعار عن بعد في إدارة المياه، الرياض، 2007.
10. أحمد السروي، مرجع سبق ذكره، ص 198 – 200.

المراجع

أولاً: الكتب.

1. أحمد السروي، الملوثات المائية (المصدر – التأثير – التحكم – العلاج)، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
2. أحمد أمحمد عون، الماء من المصدر إلى المكب، اصدار الهيئة العامة للبيئة، طرابلس 2002.
3. محمد السلاوي، المياه الجوفية بين النظرية والتطبيق، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، 1986.
4. محمد السيد أرناؤوط، الإنسان والبيئة، الدار المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1993.
5. محمد علي فرج، تقنية المياه المعالجة الهندسية لتلوث المياه، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2000.

ثانياً: الرسائل العلمية

1. عبد العاطي أحمد حداد، تأثير بعض ملوثات مياه الصرف الصحي الصناعي على تلوث المياه الجوفية بالخزان الأول الضحل بمدينة ترهونة وضواحيها، 2007.

ثالثاً: المجلات العلمية.

1. عبدالرزاق محمد التركماني، الإدارة الهندسية لمياه الصرف الصحي، التجمعات السكانية الصغيرة، وزارة الإدارة المحلية والبيئة، دمشق، سوريا، 2009.

رابعاً: التقارير والندوات.

1. الطاهر إبراهيم التابت، المخلفات الطبية السائلة ومياه الصرف الصحي، 2009.
2. أنور سيالة، التصحر وندرة المياه في شمال أفريقيا، ندوة الأمم المتحدة لاستعمال الاستشعار عن بعد في إدارة المياه، الرياض، 2007.

الصورة الحالية لمظاهر العمران الريفي ببلدية ترهونة

د. ابوعائشة الهمالي عمر امطيرق
0926034413
د. خالد عبدالله محمد ابراهيم
091378662
قسم الجغرافيا – كلية الأداب – جامعة الزيتونة

المقدمة

تؤدي الزيادة المستمرة في عدد سكان الكرة الأرضية إلى زيادة الطلب على الموارد المتاحة, ويتطلب ذلك العمل على التوسع في استغلال المتاح منها سواء كانت طبيعية أم بشرية, كاستغلال الأرض لإنتاج الغذاء, أو للسكن والخدمات المختلفة كالطرق والمواصلات, وإنشاء المراكز الخدمية والترفيهية اللازمة للنشاط البشري تلبية لضرورات الحياة اليومية للإنسان؛ لذلك فإن توجه الجغرافيين لدراسة التحولات الحضرية ليس فقط لأهميتها في وصف وتحليل تلك التحولات, وإنما في إمكانية التنبؤ بالتغيرات التي يمكن أن تحدث لها مستقبلاً, انطلاقاً من كون العلاقة بين الإنسان والأرض قديمة قدم الإنسان نفسه, وهي قائمة على أن الأرض مسخرة للإنسان, ففيها يمارس نشاطاته المتنوعة ليؤمن حاجاته ومتطلباته المتعددة من طعام وشراب ولباس ومسكن وترفيه وكل ما يعود عليه وعلى بني جنسه بالتقدم والرقي.

ومن هذا المنطلق فإن الحاجة ماسة لدراسة التحولات التي تطرأ على الأرياف؛ لما لها من أهمية لاستيعابها أعداداً كبيرة من سكان المعمورة وما تجود به تلك المناطق من ثروات يمكن استغلالها لديمومة الحياة البشرية بها, ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على مكونات النظام البيئي بأحد الأقاليم الريفية الليبية المتمثل في (بلدية ترهونة) التي تبلغ مساحتها (3820 كم2), وهي بذلك تشغل رقعة جغرافية كبيرة المساحة ذات مظاهر طبيعية مختلفة وتضم مناطق قروية وحضرية عديدة أهمها: (مدينة ترهونة) المركز الإداري للبلدية وعدة قرى أخرى هي :(سيدي الصيد, وسوق الأحد, وسوق الجمعة, والداوون, والخضراء)؛حيث تضم هذه التجمعات أعداداً كبيرة من السكان الذين يتوزعون على كل هذه المساحة وخاصة الجزء الشمالي منها, الذي يتميز بموارده الطبيعية الجيدة مقارنة بالجزء الجنوبي.

أولاً: الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة

تقع بلدية ترهونة (1). في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا بين دائرتي عرض (32)ْ و(32,38)ْ شمالاً وخطي طول (13,15)ْ و(14,15)ْ شرقاً. بذلك تستحوذ على مساحات واسعة من الأراضي التلالية الخصبة لجبال طرابلس. كما تبعد (مدينة ترهونة) المركز الإداري للبلدية حوالي (40كم) جنوب ساحل البحر المتوسط و(90كم) عن العاصمة الليبية طرابلس. يحدالبلدية من الشرق بلديتا مسلاتة وزليتن وبلديتا قصر بن غشير وغريان غرباً, وشمالاً تحدها بلديتا قصر الأخيار والقره بوللي الساحليتين, وجنوباً تحدها بلدية بني وليد (وتبلغ مساحتها نحو3820كم2(2)), شكل (1).

قسمت بلدية ترهونة إدارياً الى خمسة فروع بلدية متمثلة في (الفرع البلدي ترهونة المركز والداوون وسوق الجمعة وسوق الأحد وسيدي الصيد) إضافة إلى تقسيم محلي لتلك الفروع متمثلاً في (21) محلة على مستوى المنطقة ككل متباينة في عددها في كل فرع بلدي. يبلغ أقصى امتداد لها من الشمال إلى الجنوب إلى أكثر من (70كم) وأقصى امتداد من الشرق إلى الغرب أكثر من (90كم). هذا الوضع أعطى للمنطقة شخصية جغرافية مميزة من حيث الحجم والقرب والبعد عن ساحل البحر. فبينما يبعد أقصى حدود شمال المنطقة حوالي (20كم) فقط عن الساحل, يبعد أقصى حدود جنوبها أكثر من (80كم) مما أثر ذلك على نوعية المناخ وكميات الأمطار التي يتلقاها شمال المنطقة مقارنة بجنوبها.

شكل (1) الموقع الجغرافي والتقسيم الاداري لبلدية ترهونة

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على خريطة بلديات ليبيا بمقياس رسم 1 :1000000، بتصرف

(1) يرجع تسمية ترهونة إلى اسم إحدى القبائل التي كانت تقطنها ولاتزال في جزء صغير من المدينة والتي تسمى (قبيلة أولاد ترهون).
(2) أمانة المرافق. المخطط الشامل لمدينة ترهونة، بولسيرفس. وارسوا. بولندا 1980.

وقد ساهمت المساحة الواسعة للمنطقة في تنوع طبوغرافيتها. حيث تخترقها سلسلة جبلية شبه متوازية مع حدودها الشمالية والشمالية الغربية والغربية منها بإرتفاعات تتراوح من (300م) فوق مستوى سطح البحر في أقصى الشمال الشرقي إلى (450م) في الشمال إلى أكثر من (800م) في الغرب. وتنحدر هذه السلسلة بشكل مفاجئ نحو الشمال وتخترقها العديد من الأودية والمسيلات ذات التسميات المحلية المختلفة وذات الانحدارات الشديدة والتي تجري مياهها عقب سقوط الأمطار شتاءً حتى تصل في معظمها لتصب على ساحل البحر.

الدراسات السابقة

توجد بعض الدراسات التي اهتمت بالمنطقة جغرافياً منها:

1. دراسة **المزيود** (2004م) بعنوان **(الأنشطة الزراعية والرعوية وتأثيرها على الحياة الاقتصادية في منطقة سيدي الصيد بترهونة),** تعد هذه الدراسة شاملة للمظاهر الطبيعية والبشرية المؤثرة على النشاط الاقتصادي القائم بالمنطقة, ووضعت تصوراً دقيقاً للوضع الحالي وإمكانية تحسنه في حالة الأخذ في الاعتبار التوصيات المقترحة(3).
2. دراسة **المختار غيث** (2005م) بعنوان **(النمو الحضري لمدينة ترهونة وانعكاساته على البيئة المحلية)** وقد اهتمت هذه الدراسة بتقييم وضع مخطط المدينة وعناصر التركيب الوظيفي لها مع الوقوف على أغلب المشاكل التخطيطية لتقييم مدى الآثار البيئية المترتبة على ذلك التخطيط (4).
3. دراسة **الزغداني** (2005م) التي تناولت **(علاقة النمو السكاني بالموارد المائية بمنطقة ترهونة).** مستعرضاً فيها أهم المكونات الطبيعية والبشرية بالمنطقة مع تحليل مفصل لمصادر المياه المتاحة بها, والعوامل المختلفة التي تؤثر في الاستهلاك المائي سواء الطبيعية منها أو البشرية, إضافة إلى تحليل لآثار العجز المائي على مختلف الأصعدة, لاسيما الزراعية منها, حيث توصل إلى أن مساحة الأراضي الزراعية المروية قد انخفضت من (2506 هكتار) عام (1995م) إلى (1100 هكتار) في عام (2003م), مما أسفر عن عزوف (76%) من فلاحي المنطقة عن ممارسة الحرف الزراعية(5).
4. وجاءت دراسة **البركي** (2005م) حول **(التقييم الكمي والنوعي للموارد المائية لمنطقة ترهونة ومدى مواكبتها للاحتياجات البشرية)** مستعرضاً المقومات الطبيعية والبشرية بالمنطقة, إضافة إلى مصادر المياه واستخداماتها والبدائل الممكن الاعتماد عليها لتوفير المياه اللازمة للاستخدامات البشرية المختلفة لاسيما الزراعية منها, مشيراً إلى أن استخدام المياه في الزراعات المروية قليل جداً نتيجة لعدم توفر مصادر مائية دائمة يمكن من خلالها قيام مثل هذه الزراعات, موضحاً أن الزراعة البعلية هي السائدة ووجد أنه في عام (1974م) كانت الزراعات المروية لا تشكل سوى (93 هكتاراً) على مستوى المنطقة, وارتفعت إلى حوالي (2506

(3)- عبد السلام أحمد المزيود, الأنشطة الزراعية والرعوية وتأثيرها على الحياة الاقتصادية في منطقة سيدي الصيد بترهونة,رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2004م.

(1)- المختار أحمد أحمد غيث, النمو الحضري لمدينة ترهونة وانعكاساته على البيئة المحلية, رسالة ماجستير,غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.

(5) خالد عبدالله الزغداني, علاقة النمو السكاني بالموارد المائية بمنطقة ترهونة, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.

هكتار) عام (1995م), بينما كانت مساحة الأرض الزراعية البعلية تقدر بحوالي (94835 هكتار) عام (2003م)(6).

5. كما جاءت دراسة **الفرجاني** (2005م) عن **(الإنتاج الزراعي الرعوي لمنطقة ترهونة من واقع استعمالات الأرض)**,وقد تبين من الدراسة أن الانتاج الزراعي يعتمد بالدرجة الأولى على النشاط الزراعة البعلي نظراً لعدم وجود مصادر طبيعية دائمة للمياه, حيث تسود الزراعات البعلية بأغلب مزارع المنطقة أهمها أشجار الزيتون واللوز والحبوب كالقمح والشعير بالدرجة الأولى(7).

ويعد النشاط الرعوي السائد متمثلاً في تربية الأغنام والماعز كنشاط ريفي امتهنه السكان منذ القدم, حيث تأقلم هذا النوع من الحيوانات مع الظواهر الطبيعية السائدة.

مشكلة الدراسة

ترتبط استعمالات الأرض للأغراض الريفية في منطقة الدراسة بالعديد من العوامل سواء كانت طبيعية أو بشرية, وهي بيئة ذات إمكانيات طبيعية محدودة وخاصة التربة والمياه, مما أثر على نوعية وكثافة ومساحة العمران الريفي بها وعليه فإن مشكلة الدراسة تتمحور في التساؤلات الآتية:

1. هل الاهتمام بالمناطق الحضرية أكثر من المناطق الريفية بالمنطقة انعكس سلباً على الأخيرة؟
2. هل الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة مواكبة لاحتياجات السكان والعمران؟
3. هل لشبكات طرق النقل تأثير على توزيع مظاهر الاستيطان الريفي بالمنطقة؟
4. ما الواقع المكاني للعمران الريفي بالمنطقة وما العوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً؟
5. إلى أي مدى أثر النشاط الزراعي والرعوي في توطين السكان في ريف منطقة الدراسة؟
6. إلى أي حد يمكن اعتبار شكل ومساحة وتوزيع السكن الريفي انعكاساً لظروف البيئة الطبيعية في المنطقة؟

فرضيات الدراسة

يمكن صياغة فرضيات الدراسة على النحو الآتي

1. توسع العمران الريفي بالمنطقة سيؤدي إلى الضغط على الموارد الطبيعية مستقبلاً.
2. ارتفاع مستوى معيشة السكان بشكل عام بالإقليم سبب في تراجع الاستخدام الزراعي بالمنطقة.
3. عشوائية استخدامات الأراضي في شتى المجالات أدى إلى العديد من المشاكل التخطيطية بالإقليم.
4. بناء المساكن الريفية وملحقاتها سبب تقلص المساحات الزراعية.
5. عدم الصرامة في تطبيق القوانين واللوائح المعمول بها لتنظيم استخدام الأرض بالمنطقة أدى إلى الإخلال بالخطط الموضوعة لذلك.

(6) عصام عبد السلام البركي, التقييم الكمي والنوعي للموارد المائية بمنطقة ترهونة ومدى مواكبتها للاحتياجات البشرية, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.

(7)- أبوعائشة الهمالي عمر الفرجاني, الإنتاج الزراعي الرعوي في منطقة ترهونة من واقع استعمالات الأرض, رسالة ماجستير, غير منشورة كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.

اولاً: أنماط التوزيع المكاني للعمران الريفي

1. تحديد نمط التوزيع بحساب معامل التبعثر

يقوم دارسو العمران الريفي بدراسة التبعثر للوقوف على النمط العمراني الموجود, حيث يدل الاندماج على وجود القرى بدون توابع أما التوزيع المتبعثر عادة مايتكون من خلال توفر عوامل ذلك, سواء كان نتيجة لامتداد الطرق الرئيسية أو اتساع الملكية الزراعية وتباعدها عن بعضها أو نتيجة لنمط الملكية القبلية للأرض والتي تحدد انتشار معين لطبيعة العمران الريفي داخل الوحدة المكانية. تلك الأسباب قد تؤدي ظهور القرى المشتتة والتي تتباعد مساكنها عن بعضها البعض لمسافات قد تطول.

وتعد معادلة (ديمانجون) للتبعثر من أنسب المعادلات صلاحية للتطبيق على منطقة الدراسة, وذلك كونها تدخل في الاعتبار عدد مراكز العمران وعدد سكان التوابع والتي حددت كالآتي(8) جدول (1):

جدول (1) معامل التبعثر للمراكز العمرانية

المركز	س	ع	ت	ت*ع	معامل التبعثر
الداوون	28637	2	17946	30892	1.25
ترهونة	67805	6	41162	246972	3.64
سوق الأحد	10467	2	6793	13586	1.3
سوق الجمعة	11856	1	4954	4954	0.41
سيدي الصيد	21071	3	12715	38145	1.81
	27967.2	2.8	16714	66909.8	1.682

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات وعلى بيانات الكتيب الإحصائي للسكان لعام2010م.

من خلال الجدول السابق الذي يوضح معاملات التشتت للمراكز العمرانية في منطقة الدراسة على النحو الآتي:

- يتصف الفرع البلدي سوق الجمعة بأنه عمران متجمع وذلك لكون معامل التشتت يقل عن الواحد الصحيح, على الرغم من أن عدد سكأنه يقل بكثير عن أغلب المراكز بالمنطقة وذلك راجع إلى وجود تابع واحد مقارنة ببقية المراكز.
- تصنف بقية الفروع البلدية بأنها ذات نمط توزيعي متشتت حيث يزيد معامل التشتت بها عن الواحد الصحيح وهي (الداوون وترهونة وسوق الأحد وسيدي الصيد).
- تعد منطقة الدراسة في ذات طابع عمراني متشتت بسبب زيادة متوسط معامل التشتت بها عن الواحد الصحيح والذي سجل (1.81).

---

(8) - $م = \frac{ت*ع}{س}$

حيث إن:
م = معدل التبعثر أو التشتت.
ت = عدد سكان التوابع (بدون القرية الأم).
س = عدد سكان الناحية (القرية الأم + التوابع).
ع = عدد التوابع في الزمام الإداري.
(Monk house. (F.J). & wilkinpon. H.P. Maps &Diagrams .2 end. London. 1976 .p. 362)

2. تحديد نمط التوزيع باستخدام نسبة التركز

يستخدم هذا المقياس للكشف عن توزيع وتركز المحلات العمرانية وذلك يعتمد على نتيجة المعادلة, فإذا كانت نسبة التركز تساوي صفراً فأنه يعد توزيعاً مثالياً وكلما كبرت هذه النسبة دل ذلك على شدة التركز والعكس صحيح, وإذا قلت نسبة التركز يبدأ في القلة ويبدأ التشتت في توزيع العمران وتعرف نسبة التركز من تطبيق المعادلة التالية(9):

ومن خلال قراءة الجدول (2) الذي يبين نتائج تطبيق المعادلة سابقة الذكر يتضح أن:

- تعد الفروع البلدية الداوون وسيدي الصيد ذات عمران أكثر تركزاً وذلك لارتفاع نسبة التركز بها مقارنة مع بقية المراكز والتي سجلت (6.84) , (17.23) على التوالي.
- تنخفض قيمة نسبة التركز عن التوزيع المثالي, والذي يكمن في قيمة تلك النسب عندما تساوي صفراً في كل من بقية المراكز بالمنطقة إلى أقل من الصفر مما يدل على التشتت في توزيع القرى والمتمثلة في ترهونة (8.75-) وسوق الأحد (9.91-) وسوق الجمعة (5.4-) حيث تكمن ظروف ذلك الأختلاف في الفروق الواضحة في مساحات وعدد التوابع بالنسبة لكل مركز.
- الجدير بالذكر أنه رغم الاختلاف الواضح بالنسبة للمراكز الا أن نتيجة الاجمالي لنسبة التركز تساوي صفراً مما يدل على أن التوزيع في عموم منطقة الدراسة يتصف بالمثالية على الرغم من الاختلاف بالنسبة لها مقارنة بكل مركز على حدة.

جدول (2) نسبة التركز للمراكز العمرانية عام 2010م

المركز	المساحة % (س)	التوابع % (ص)	س - ص
الداوون	21.13	14.29	6.84
ترهونة	34.11	42.86	-8.75
سوق الأحد	4.37	14.28	-9.91
سوق الجمعة	4.11	9.52	-5.4
سيدي الصيد	36.28	19.05	17.23
الإجمالي	100	100	0

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات على بيانات الكتيب الإحصائي للسكان لعام 2010م

3. تحديد نمط التوزيع بحساب متوسط التباعد بين القرى

متوسط التباعد بين القرى مقياس يستخدم في الكشف عن توزيع الكثافة للمستوطنات البشرية, والعلاقة هنا عكسية فكلما قل متوسط التباعد دل على تجمع وتكاثف العمران, وكلما ارتفع متوسط التباعد دل ذلك على انتشار العمران وتباعده, ويمكن معرفة متوسط التباعد بين القرى من خلال

(9)- التركز $= \frac{1}{2}$مج(س -ص)

حيث إن:
س = النسبة المئوية لمساحة الوحدة الإدارية (المركز إلى جملة مساحة منطقة الدراسة) / ص = النسبة المئوية لعدد القرى
مج = مجموع س + ص
(مختار الشهاوي , ضوابط التوزيع الجغرافي للقرى السعودية, مجلة الملك عبدالعزيز للآداب والعلوم الإنسانية, المجلد الأول, 1988م, ص 101)

المعادلة الآتية (10): من خلال قراءة بيانات الجدول (3) والشكل (2) يمكن تقسيم المراكز العمرانية على أساس متوسط التباعد بعد ترتيبها تصاعدياً إلى :

- مراكز الكثافة المرتفعة وتضم كلاً من (سوق الأحد وسوق الجمعة), والتي سجل بها معامل التباعد على التوالي (8.016) و(9.520).
- مركز الكثافة العمرانية المتوسطة وتضم مركز(ترهونة), والذي سجل بها معامل التباعد (12.927).
- مراكز الكثافة العمرانية المنخفضة وتضم (الداوون وسيدي الصيد) والذي سجل معامل التباعد فيهما (17.623) و(19.616) على التوالي.

جدول (3) معامل التباعد للمراكز العمرانية عام 2010م بمنطقة الدراسة

المركز	المساحة كم2	عدد مراكز العمران	م/ع	معامل التباعد
الداوون	807	3	269	17.623
ترهونة	1303	9	144.77	12.927
سوق الأحد	167	3	55.66	8.016
سوق الجمعة	157	2	78.5	9.520
سيدي الصيد	1386	4	346.5	19.998
المجموع	3820	21	178.886	13.616

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على بيانات الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات وعلى بيانات الكتيب الإحصائي للسكان لعام2010م

شكل (2) تصنيف المراكز العمرانية عام2010م حسب معامل التباعد

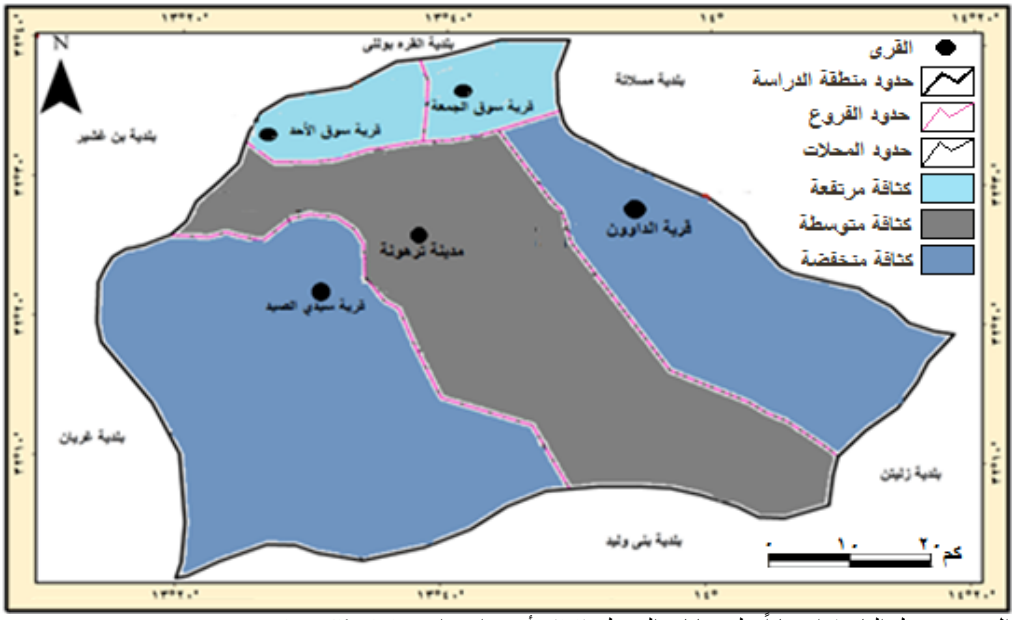

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (21) بأستخدام برامج Arc Gis 9.3

(10) - معامل التباعد (س) = 1.0746 * (م + ع)√ . حيث إن:
س= متوسط المسافات بين القرى. / م = مساحة المنطقة ب كم2 / ع = عدد التوابع ويحقق الثابت 1.0746 رقم ثابت.
(محمد محمد سطيحة, الجغرافيا العملية وقراءة الخرائط, دار النهضة العربية, القاهرة, 1977م, ص 381)

ثانياً: مظاهر توزيع العمران الريفي

يغلب طابع الانتشار على العمران الريفي بمنطقة ترهونة بشكل عشوائي على مساحة كبيرة من المنطقة، وذلك لأسباب متعددة أهمها المساحة الشاسعة للمنطقة وتوزيع السكان على تلك المساحة. بشكل غير منظم حيث ارتبط السكان في توزيعهم بأراضيهم وحيازاتهم الواسعة, التي بدورها عملت على اتساع الملكية الزراعية بشكل ملحوظ بالنسبة لأغلب الأسر بمنطقة الدراسة، كانعكاس لقيمة الأرض المنخفضة في الأرياف بالمنطقة.

حيث نلاحظ تأثير تلك الأسباب وانعكاسها على توزيع العمران الريفي بالمنطقة, فساعدت على انتشار المساكن بشكل أفقي. كما أن لتلك المساحة تأثير ليس على طبيعة الانتشار فقط, وإنما على طبيعة المسكن الريفي بالمنطقة, حيث نلاحظ أن نمط العمران تسيطر عليه المساكن أحادية الطابق, وذات مساحات متباينة وملحقات مختلفة، الأمر الذى يمكن ملاحظته بشكل واسع على نمط العمران الريفي, إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود المساكن متعددة الطوابق ولكن بالمقارنة بسابقتها تعد نسبة وجودها منخفضة بلغت (14,7%). كما ساهمت مساحة المنطقة بإمكانية الانتشار العمراني بالريف متأثراً بالعديد من المعطيات الطبيعية والبشرية, حيث كان العامل الطبيعي ينحصر على مدى تأثير العوامل التضاريسية ونوع التربة والمناخ. إضافة إلى العامل البشري والذى يعد من أهم العوامل تأثيراً على طبيعة العمران بالريف, والذي يعد التوزيع القبلي من أهمها, إضافة إلى تأثير توزيع الخدمات الريفية. وقد عملت العوامل السابقة على تحديد مراكز العمران وتوزيعه داخل المنطقة, سواء كان عمراناً ريفياً أو حضرياً، متمثلاً في مدينة ترهونة والقرى الرئيسية الأخرى.

ومن خلال الشكل (3) تبلغ مساحة العمران بالمنطقة ما مقداره (23.031.445م2). أي ما نسبته (0.6%) من مساحة منطقة الدراسة ككل. كما يمكن ملاحظة انتشار العمران الريفي بشكل واسع من أجزاء المنطقة، حيث يمتد نطاق تركز العمران على شكل حزام في الوسط يمتد من الشرق إلى الغرب متماشياً مع امتداد الطريق الرئيس الذى يربط القرى, مثل قرية الداوون والخضراء ومروراً بمدينة ترهونة وقرية سيدي الصيد كما عملت طبيعة الانتشار للعمران على تشكيل ظهير سكاني ضمن ذلك النطاق متلازماً مع أجود الأراضي الزراعية بالمنطقة.

كذلك يمكن ملاحظة تأثير العوامل الطبيعية على نسق الامتداد للعمران, فقد ساهمت الحافة الجبلية لجبال ترهونة على الحد من العمران ضمن نطاق امتدادها في أقصى الشمال ضمن أقليم سوق الجمعة وسوق الأحد, بحيث عملت على فصل مظاهر العمران الريفي بين جزئين شمالي وجنوبي بالنسبة لإقليم سوق الجمعة وجعلت منها منطقة خالية تماماً, كذلك عملت على انعدام العمران بالنسبة لجنوب أقليم سوق الأحد, بحيث أصبح الامتداد العمراني ينحصر في الشمال والغرب فقط متخذاً الأراضي السهلية الزراعية الواقعة تحت قدم جبل ترهونة مجال للانتشار بها.

وبالاتجاه جنوباً نلاحظ التناثر والتباعد لمظاهر العمران الريفي بشكل واضح, مما جعل كثافته تقل تدريجياً, ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التشتت والتباعد الملحوظ بين مظاهر العمران، كلما زاد الاتجاه ناحية الجنوب من المنطقة.

ويستمر الانخفاض التدريجي للعمران جنوباً حتى ينعدم نهائياً في جزء كبير من جنوب وجنوب شرق المنطقة, ويرجع ذلك إلى سيطرة المناخ شبه الجاف وقلة خصوبة التربة, التي انعكست على

طبيعة الغطاء النباتي, ناهيك عن التكوينات الصخرية التي تسيطر على أغلب مساحة الإقليم الجنوبي, والذى اقتصرت الاستفادة منه من قبل السكان كمناطق رعوية مفتوحة تربى فيها الأغنام والماعز والإبل, والتي غالباً ما تكون قطعان كبيرة العدد، لاسيما وفي السنوات وفيرة المطر تستغل بطون الأودية في هذا النطاق من المنطقة في زراعة الحبوب, والمتمثلة في أودية حوضي وادي ترغلات في الجنوب الشرقي, ووادي تاجموت في الجنوب من المنطقة. ومما سبق يمكن الحديث عن مظاهر العمران حسب تقسيماتها المختلفة في الآتي:

شكل (3) التوزيع العمراني في بلدية ترهونة

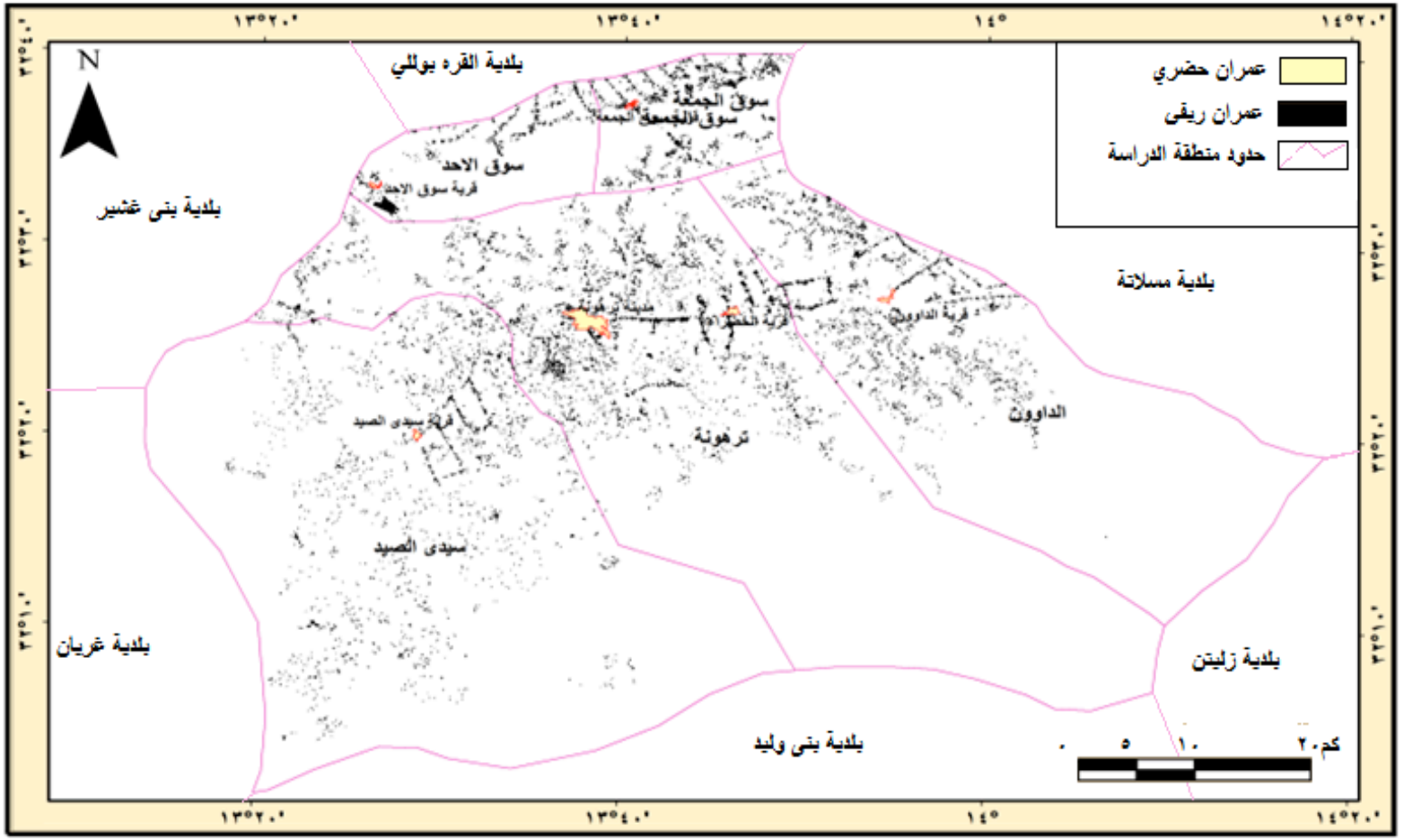

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

1. توزيع العمران الريفي حسب الفروع البلدية

عملت الإدارة المركزية لبلدية ترهونة على تقسيم المنطقة إلى خمسة فروع بلدية, وذلك لتوزيع المهام الإدارية والخدمية التي تقدمها إدارة البلدية, والتي ترجع إليها الإدارة المركزية لكل تلك الفروع, والمتمثلة في الفرع البلدي ترهونة والداوون وسوق الجمعة وسوق الأحد وسيدي الصيد.

وتعد القرى الرئيسية الواقعة ضمن نطاق كل فرع بلدي الوجهة الإدارية الأولية لسكانه، ومنها إلى الإدارة الرئيسية للبلدية الواقعة بمدينة ترهونة المركز.

ومن خلال الجدول (4) والشكل (4) يمكن الوقوف على مساحة العمران الريفي لكل فرع بلدي ونسبة ما تشغله مساحة كل جزء من مجموع كامل المساحة.

جدول (4) مساحات ونسب العمران الريفي حسب الفروع البلدية بمنطقة الدراسة عام 2013

الفرع البلدي	مساحة العمران الريفي م2	النسبة المئوية
ترهونة	9834503	42.7
الداوون	4553178	19.8
سوق الجمعة	2110217	9.1
سوق الأحد	2509062	10.9
سيدي الصيد	4024485	17.5
المجموع	23031445	%100

المصدر: عمل الباحث باستخدام برامج Arc Gis 9.3

شكل (4) نسب العمران الريفي حسب الفروع البلدية بمنطقة الدراسة عام 2013

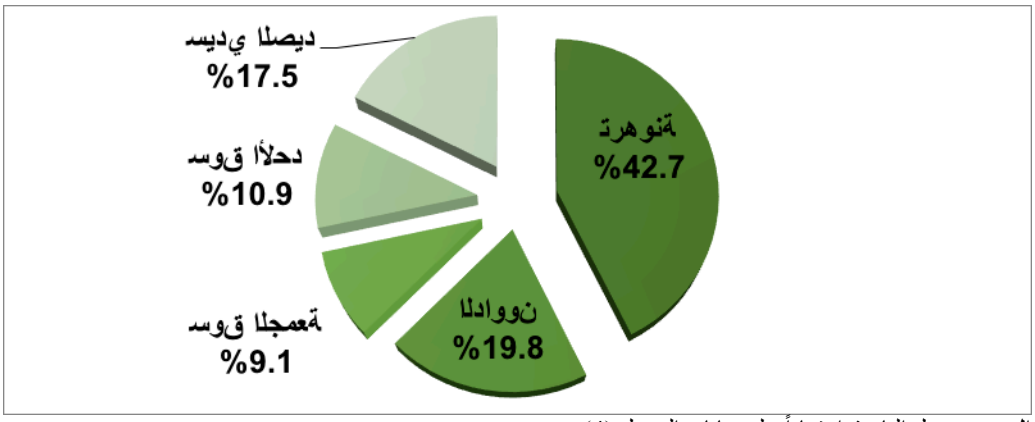

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (4)

من خلال الجدول (4) والشكل (4) تبلغ مساحة العمران الريفي بكامل منطقة الدراسة (23.031.445م2) مقسمة إلى خمسة فروع كما يأتي:

أ- العمران الريفي بالفرع البلدي ترهونة

تبلغ مساحة العمران الريفي بهذا الجزء ما مقداره (9834503م2) بواقع (42.7%) من المساحة الكلية للعمران الريفي بالمنطقة, وبالنظر إلى الشكل (5) نلاحظ أن انتشار العمران لا يتوزع على مساحة المنطقة بشكل متوازنٍ, حيث عملت المؤثرات الطبيعية السائدة على التأثير المباشر على

طبيعة تركزه وانتشاره, بحيث جعلت أجزاء منه ذات كثافة عالية في الوسط, والذى تعد خصوبة التربة وانبساط السطح بشكل عام من أهم أسباب التركز العمراني بهذا الجزء. وبالاتجاه شمالاً وغرباً نلاحظ التشتت والتباعد الواضح بين مظاهر العمران, بحيث توجد مساحات خالية تماماً وذلك لتأثير هذا الجزء بالحافة الجبلية التي تشكل عائقاً أمام الامتداد العمراني والزراعي.

شكل (5) العمران في الفرع البلدي ترهونة عام 2013

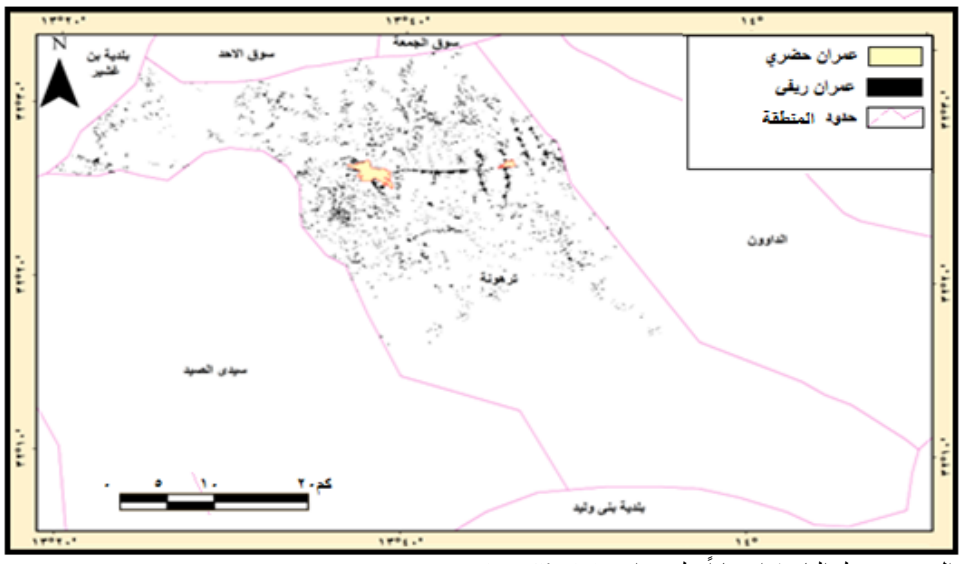

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

وجنوباً يقل العمران بشكل عام إلى أن يختفي تماماً متأثراً بعدة عوامل أهمها:

- قلة الأمطار.
- انتشار التلال المنعزلة والمتسلسلة.
- رداءة نوعية التربة وفقر الغطاء النباتي.

وجدير بالذكر أن هذه العوامل غالباً ما تجتمع تأثيراتها في المكان والزمان ذاته, صورة (1) وبالتالي أصبح النطاق الجنوبي بيئة غير ملائمة للاستيطان بأنواعه.

صورة (1) فقر الغطاء النباتي والتربة بوادي ترغلات جنوب شرق المنطقة

المصدر: تصوير الباحث 2 / 6 /2019م

وعلى النقيض من ذلك أثرت الطرق كعامل بشري على شكل التوزيع العمراني في نطاق تركزه شكل (6).

شكل (6) العمران والطرق في الفرع البلدي ترهونة عام2013

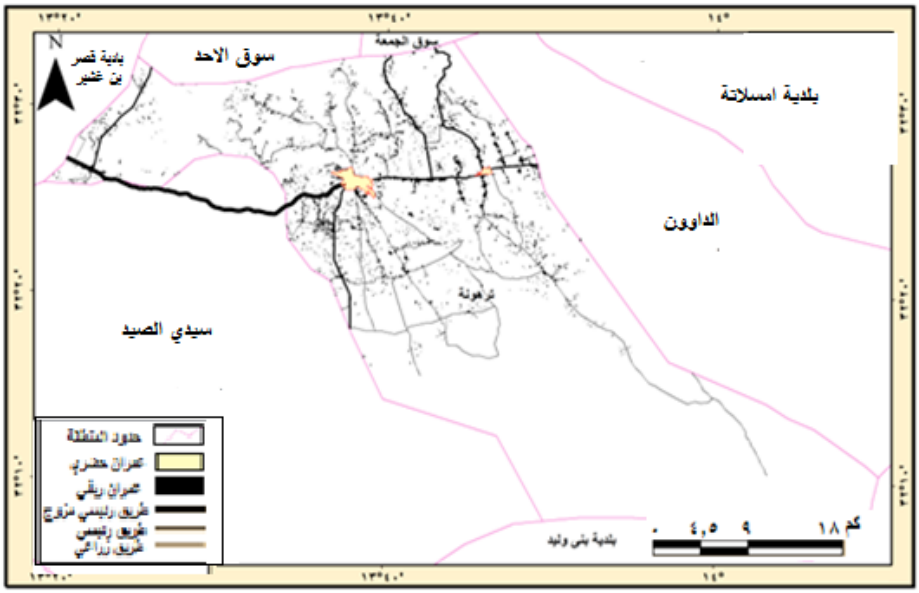

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

من خلال الشكل يلاحظ أن العمران الريفي غالباً ما يكون متلازماً مع امتداد الطرق بأنواعها، إذ مثلت شبكة الطرق محاور امتداد وتوسع للعمران في مختلف الاتجاهات، و يمكن ملاحظة الارتباط الوثيق بين شبكة الطرق وكثافة العمران.

ب- العمران الريفي بالفرع البلدي الداوون:

يقع الفرع البلدي الداوون في الجزء الشرقي من منطقة الدراسة, وتبلغ المساحة العمرانية به (4553178م2) بنسبة (19.8%) من المجموع الكلي للعمران بالمنطقة. ومن خلال الشكل (7) يمكن القول أن العمران يتوزع في القسمين الأوسط والشمالي نظراً لتحسن ظروف البيئة الطبيعية إذا ما قورنت بالنصف الجنوبي منها,الذي تسيطر عليه ظروف الجفاف ورداءة نوعية التربة وفقر الغطاء النباتي .

شكل (7) العمران في الفرع البلدي الداوون عام 2013

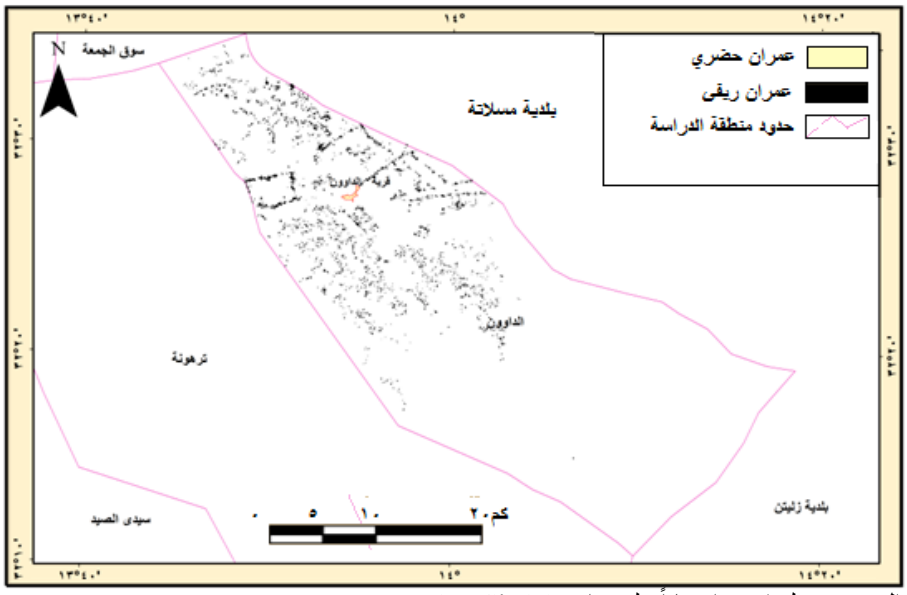

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

بحيث عملت على خلو هذا الجزء من مظاهر العمران, وكذلك يمكن ملاحظة الارتباط بين توزيع شبكة الطرق والعمران من خلال الشكل (8). والذي من خلاله نلاحظ تأثير الطرق على اتجاهات نمو العمران. ويجب الإشارة إلى وجود شبكة من الطرق الثانوية التي تربط الأحياء الريفية ببعضها, والتي لم يكن لها تأثير يذكر على اتجاهات نموه قديماً, وذلك بسبب حداثتها إذ أنشئت معظمها أثناء العقد الأول من هذا القرن.

شكل (8) العمران والطرق في الفرع البلدي الداوون عام 2013

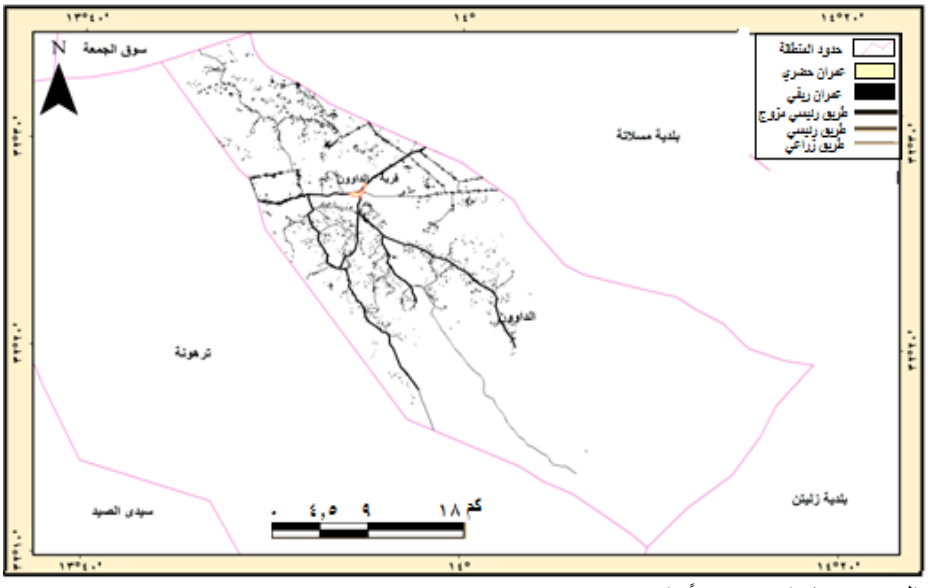

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

في حين أن الطرق الرئيسية التي تم إنشاؤها قبل التوسع الكبير للعمران الريفي, وبالتالي ظهر تأثيرها واضحاً في نمو العمران في هذا الجزء.

ت- **العمران الريفي بالفرع البلدي سوق الجمعة**

يقع الفرع البلدي سوق الجمعة في الجزء الشمالي من منطقة الدراسة, وتسجل مساحة العمران به (2110217م2) بنسبة (9.1%) من المساحة الكلية شكل (9).

ومن خلال الشكل يمكن أن نلاحظ انتشار العمران الريفي على جزئين من المنطقة, جزء شمالي والآخر جنوبي، تفصل بينهما تلال جبلية وعرة تتخللها مجاري عميقة جعلت هذا الجزء خالياً تماماً من مظاهر العمران أو النشاط الزراعي صورة (2).

كما نلاحظ أن كثافة العمران في الجزء الشمالي من الفرع البلدي (سوق الجمعة) أكثر من الجزء الجنوبي, وذلك لكونها أراضي سهلية ذات تربة خصبة, إذ تعد جزءاً من الهوامش الجنوبية لسهل الجفارة، وبالنسبة للعمران في الجزء الجنوبي يتميز بوجوده على هيئة تجمعات أو أحياء صغيرة ضمن المساحات التي تقل فيها نسبة التضرس والوعورة.

شكل (9) العمران في الفرع البلدي سوق الجمعة عام 2013

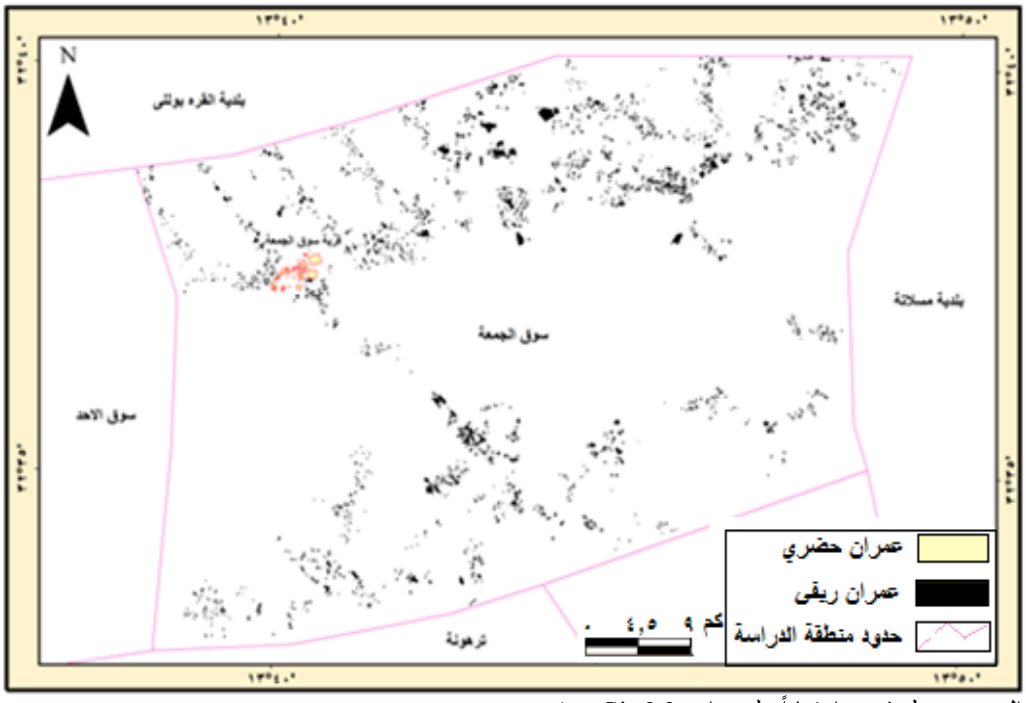

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

صورة (2) جانب من المرتفعات في منطقة سوق الجمعة

المصدر: تصوير الباحث 20 / 5 / 2019م

ومن خلال الشكل (10) يمكن ملاحظة العلاقة الوثيقة بين العمران وامتدادات الطرق فكلاهما يؤثر في الآخر بشكل واضح. ففي شمال المنطقة, والذى يقع ضمنها جزء من الأطراف الجنوبية لمشروع (القره بوللي/ الزراعي), حيث تمتد الطرق بشكل محاور شبه متوازية باتجاه شمالي جنوبي والتي كان لها تأثير واضح على طبيعة توزيع العمران.

شكل (10) العمران والطرق في الفرع البلدي سوق الجمعة عام 2013

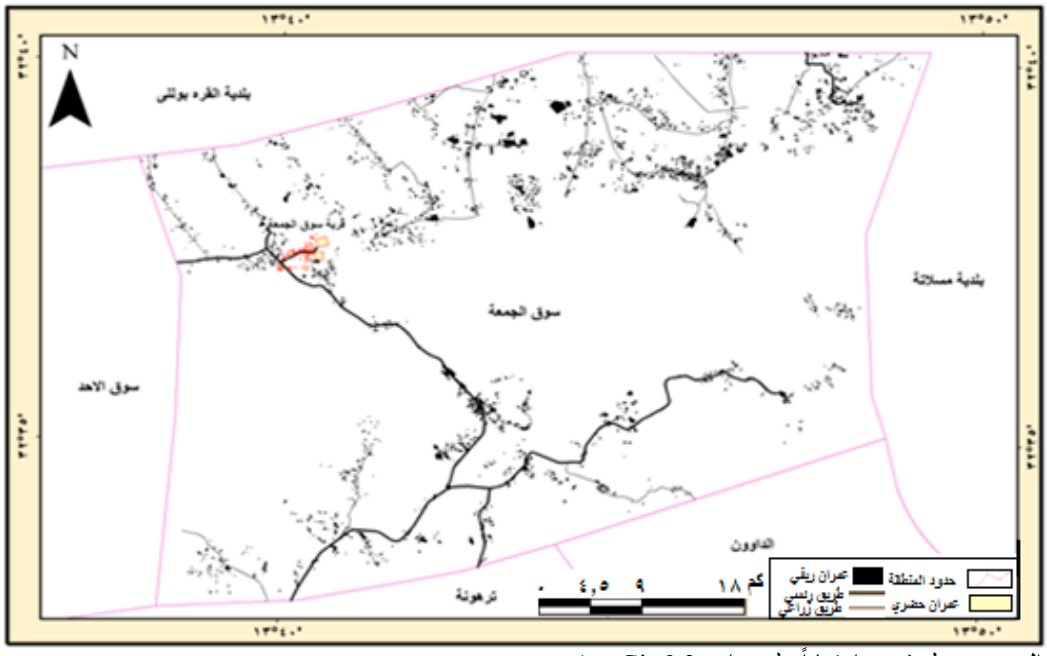

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3

ث- العمران الريفي بالفرع البلدي سوق الأحد

يقع الفرع البلدي سوق الأحد في الجزء الشمالي من منطقة الدراسة محاذياً للفرع البلدي سوق الجمعة من ناحية الغرب, وتقدر مساحة العمران الريفي به (2509062م2) بنسبة (19.9%) من جملة العمران الريفي بمنطقة الدراسة.

من خلال الشكل (11) يظهر العمران الريفي متأثراً بوجود الحافة الجبلية التي تسيطر على مساحة واسعة من جنوب المنطقة, حيث عملت وعورة السطح والمجاري المائية على الحد من وجود العمران في جزء كبير من مساحته. ونظراً لكون الأطراف الشمالية من هذه المنطقة تعد ضمن الهوامش الجنوبية لسهل الجفارة ذي التربة الخصبة والسطح المستوي, أدى ذلك إلى تركز العمران الريفي في هذا الجزء, الأمر الذى صاحبه تطور ملحوظ في النشاط الزراعي واستصلاح الأرض.

كما تجدر الإشارة أنه لصعوبة التضاريس في الجزء الجنوبي (الحافة الجبلية) فقد عملت على الحد من مد الطرق والعمران في هذا الجزء, ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الشكل (12) الذى يوضح تلازم امتداد الطرق ضمن الأرض السهلية في الجزء الشمالي والغربي حيث الانتشار العمراني والزراعي.

شكل (11) العمران في الفرع البلدي سوق الأحد عام 2013

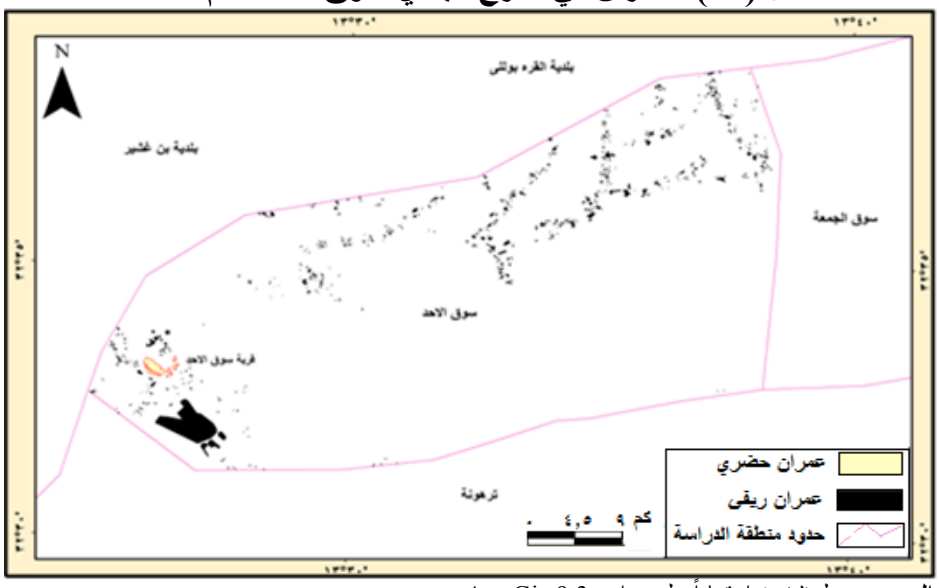

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

شكل (12) العمران والطرق في الفرع البلدي سوق الأحد عام 2013

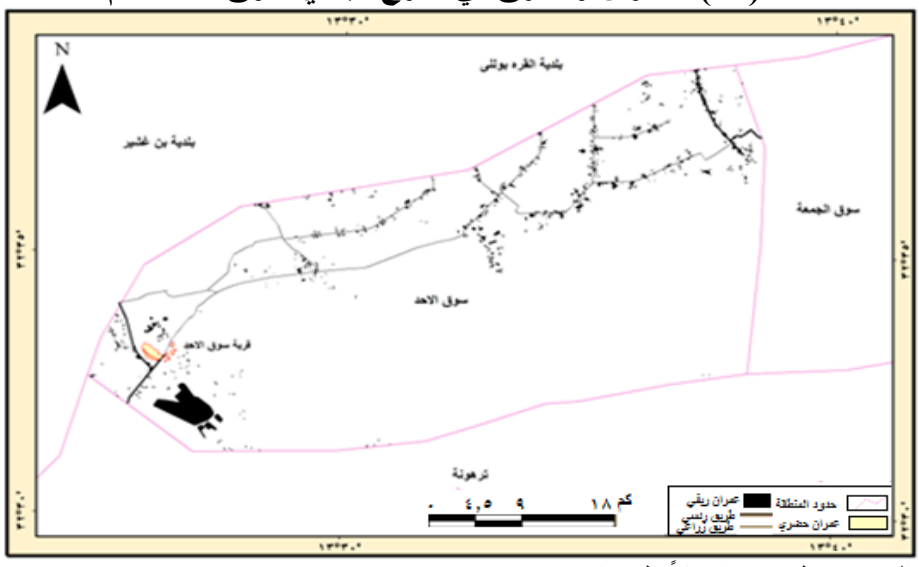

المصدر: عمل الباحث اعتماداً على برامج Arc Gis 9.3.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

1. انعكس اتساع مساحة منطقة الدراسة على الانتشار العشوائي والتناثر للعمران الريفي، وسيادة نمط الطابق الواحد.
2. تمثل الزيادة الطبيعية العامل الأكثر فاعلية والأبرز تأثيراً على معدلات النمو السكاني بالمنطقة التي تضاعف فيها عدد السكان أكثر من ثلاث مرات منذ أول تعداد للسكان ولم تكن هناك دلالات واضحة على تأثير الهجرة والهجرة الوافدة على معدلات النمو السكاني وهذه الزيادة الملفتة كانت نتيجة لارتفاع معدل النمو كنتيجة أساسية لارتفاع معدل المواليد وانخفاض معدل الوفيات بسبب زيادة الوعي الصحي وتحسن مستوى المعيشة.
3. تنخفض قيمة نسبة التركز مما يدل على التشتت في توزيع القرى والمتمثلة في ترهونة وسوق الأحد وسوق الجمعة, حيث تكمن ظروف ذلك الاختلاف في الفروق الواضحة في مساحات وعدد التوابع بالنسبة لكل مركز, ورغم الاختلاف الواضح بالنسبة للمراكز إلا أن النتيجة الإجمالية لنسبة التركز تساوي صفراً مما يدل على أن التوزيع في عموم منطقة الدراسة يتصف بالمثالية على الرغم من الاختلافات فيما بينها.
4. تعد منطقة الدراسة ذات طابع عمراني يغلب عليه التشتت لاسيما في الفروع البلدية الداوون وسيدي الصيد ويكون ذا طابع متجمع في الفرع البلدي سوق الجمعة حيث يقل معامل التشتت عن الواحد الصحيح.

5. تمثل المراكز القروية بمنطقة الدراسة نقاط خدمية تختص بتقديم الخدمات الإدارية الأساسية للسكان التابعين لها, ولا تمثل وجهة انتقال لسكان الأرياف بالسكن بها ويتضح ذلك من خلال عدم نموها بالوتيرة التي تخص بها مدينة ترهونة المركز الإداري للمنطقة.
6. من خلال تحليل خريطة توزيع العمران نلاحظ أنه يتركز في نطاق وسط وشمال المنطقة مقروناً بمظاهر السطح قليلة التضرس والوعورة, والتي تتحسن فيها ظروف التربة والغطاء النباتي ومعدل المطر، في حين تقل كثافته بالاتجاه جنوباً حيث تتدهور الظروف البيئية المسيطرة على المكان.
7. يتأثر توزيع العمران بشبكة الطرق بشكل كبير ويكون تأثير الأقدم منها أكثر وضوحاً إذا قورن بالطرق حديثة النشأة وخاصة بالجزء الجنوبي من المنطقة.

ثانياً: التوصيات

1. العمل على توفير الإقراض السكني لتمويل العمران الريفي بالمنطقة حتى يتمكن المواطن من الحصول على منزل عصري ولائق جمالياً وصحياً.
2. الاهتمام بتوفير الخدمات الأساسية بالريف والتي تعد الطرق وشبكات الكهرباء والاتصالات من أهمها إضافة إلى توفير الخدمات التعليمية والصحية وخاصة في المحلات الجنوبية من المنطقة.
3. دعم النشاط الزراعي بالمنطقة بتوفير الأسمدة والميكنة الزراعية والبذور الجيدة إضافة إلى توفير الإقراض الزراعي وذلك لتحسين مستوى الدخل من ناحية والمساهمة في الاكتفاء الذاتي.
4. العمل على توفير مجمعات صناعية تقوم على نوع الإنتاج الزراعي القائم بالمنطقة, مثل مصانع تعليب زيت الزيتون حيث تعد المنطقة من اكثر مناطق ليبيا زراعة للزيتون, ذلك يشجع المزارعون على الاستمرار في المهنة وتوفير فرص عمل جديدة للسكان, وخاصة وأن المنطقة لا توجد بها مصانع قائمة على المنتجات الزراعية.
5. الدعم الحكومي لزيادة الرقعة الزراعية واستصلاح الأراضي البور, حيث توجد مساحات واسعة متفرقة في انحاء المنطقة تحتاج الى استصلاح, والقيام بعمليات التشجير والتوسع في المشاريع الزراعية الحكومية للرفع من القدرة الإنتاجية بالمنطقة.
6. يجب العمل على مبدأ المساواة في التنمية الريفية على أنها جزء لا يتجزأ من التنمية على مستوى الدولة. واعطاء هذه المناطق حقها المشروع للنهوض بها أسوة بالمناطق الحضرية.
7. تبني مبدأ المحاصصة في توزيع مجالات التنمية على مراكز المنطقة كتوزيع الإقراض السكني بناءً على عدد السكان في كل مركز, والإقراض الزراعي بناءً على عدد الحيازات الزراعية ومالكيها ومساحاتها والإقراض الصناعي بناءً على نوع المنتج الذي يجب أن يكون مرتبطاً بما تجود به أنشطة السكان واستحداث هيئات رقابية لمتابعتها وتنظيمها والحد من المخالفات.

المراجع

1. عبد السلام أحمد المزيود, الأنشطة الزراعية والرعوية وتأثيرها على الحياة الاقتصادية في منطقة سيدي الصيد بترهونة,رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2004م.
2. المختار أحمد أحمد غيث, النمو الحضري لمدينة ترهونة وانعكاساته على البيئة المحلية, رسالة ماجستير,غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.
3. خالد عبدالله الزغداني, علاقة النمو السكاني بالموارد المائية بمنطقة ترهونة, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.
4. عصام عبد السلام البركي, التقييم الكمي والنوعي للموارد المائية بمنطقة ترهونة ومدى مواكبتها للاحتياجات البشرية, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.
5. أبوعائشة الهمالي عمر الفرجاني, الإنتاج الزراعي الرعوي في منطقة ترهونة من واقع استعمالات الأرض, رسالة ماجستير, غير منشورة كلية الآداب ترهونة, جامعة المرقب, 2005م.
6. محمد محمد اسطيحة. الجغرافيا العملية وقرائة الخرائط. دار النهضة العربية. القاهرة 1977م.
7. مختار الشهاوي. ضوابط التوزيع الجغرافي للقرى السعودية. مجلة الملك عبدالعزيز للأداب. والعلوم الانسانية. المجلد الاول. 1988م.
8. الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات وعلى بيانات الكتيب الإحصائي للسكان لعام2010م
9. أمانة المرافق. المخطط الشامل لمدينة ترهونة، بولسيرفس. وارسوا. بولندا 1980.
10. Monk house. (F.J). & wilkinpon. H.P. Maps &Diagrams .2 end. London. 1976

التصحر في منطقة سرت "2008-2013م"

الأسباب البشرية للتصحر، وأثارها، والجهود المبذولة لمكافحته

جامعة سرت كلية الآداب قسم الجغرافيا

د. أحمد علي أبو مريم

دكتوراه في الجغرافيا البشرية "السكان والتنمية"

المقدمة

التصحر هو تدهور خصوبة الأراضي المنتجة بالمعدل الذي يكسبها ظروف تشبه الأحوال المناخية الصحراوية، وتختلف درجة حالات التصحر ودرجة خطورتها من منطقة لأخرى تبعًا لاختلاف نوعية العلاقة بين البيئية من ناحية والإنسان من ناحية أخرى، ويؤدي التصحر إلى تحويل مساحات كبيرة وكانت لها قدرة إنتاجية غنية نباتيًا وحيوانيًا إلى مساحات فقيرة، ويرجع إلى سببين أحداهما طبيعية، وثانيهما بشريا وهذا موضوع بحثنا أي تعامل الإنسان بقوة وإجهاد، للزيادة السكانية المطردة، وإكثار المخصبات والأسمدة للربح السريع، وتتضرر التربة بشكل كبير، والتي تمثل الأساس الذي تقوم عليه الزراعة والحياة الحيوانية، وهي الطبقة السطحية الرقيقة من الأرض الصالحة للنمو، والتي تتشكل خلال عمليات طويلة على مدار فترة من الزمن، وتتأثر خلال هذه الفترة بعوامل عديدة مثل ما يقوم به الإنسان من إصلاح، وري، وصرف، وتسميد، وغيرها.[1]

ومشكلة التصحر لها آثار سلبية لعدد كبير من الدول، لتأثيرها السلبي على كافة الحياة البشرية واجتماعيا واقتصاديا، ومنطقة سرت بحكم موقعها الجغرافي، من ضمن المناطق الجافة ذات الأنظمة البيئية الهشة، إذ يلعب المناخ دورًا هامًا في تركيبتها، وقد عملت هشاشة النظم البيئية، وسيادة المناخ الجاف، وقلة المياه على زيادة اتساع رقعة التصحر في المنطقة، حيث تتعرض المنطقة إلي مشاكل مرتبطة بزيادة تكرار الجفاف المناخي وزيادة نشاط عوامل التصحر وتتصف نظم أمطارها بالعشوائية، وعدم الانتظام في كمياتها السنوية وفي توزيعاتها على فصول السنة وفي مكان سقوطها، وارتفاع درجة حرارتها، وبزرع الأرض وحرثها بالهطول المبكر للمطر يتسبب في تجفيف التربة وقتل البدرات، ويجتاح التصحر الأرضي في منطقة سرت في وقت أصبحت فيه زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني والنمو السكاني المتزايد وارتفاع مستوى المعيشة، وزيادة الطلب على الغذاء، والتوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية، والتوسع الكثيف غير المرشد في استثمار الأراضي، إلى غير ذلك من جوانب الضغط على موارد الأراضي، مما دعا الدولة إلى السعي لإيجاد

[1]- حسن عبد القادر صالح، مشكلة التصحر، مجلة الريم، العدد السادس، تشرين الثاني، عمان، الأردن.1981م.ص2.

حلول تحد من تفاقم مشكلة التصحر، وتكثيف الجهود للحد من آثارها السلبية، وقد بدلت جهودا متواضعة لمكافحة ظاهرة التصحر في ليبيا وفي منطقة الدراسة سرت منذ فترة من بينها غرس الاشجار للتثبيت الرمال ورش المواد المثبتة للرمال الزاحفة وأخرها النهر الصناعي للتوفير المياه لاستغلاله للشرب ثم لإحداث ثورة زراعية لزيادة المزروعات والغطاء النباتي، وتوعية المواطن بإتباع الطرق الحديثة في ذلك وسيحاول الباحث من خلال هذه الورقة توضيح الأسباب البشرية، وأثارها، والجهود المبذولة لمكافحته، ويخلص البحث إلى النتائج والتوصيات، ثم الهوامش والمراجع.

مشكلة الدراسة

1- ويمكن صياغة التساؤلات التالية:
2- إلى أي مدى تؤثر العوامل البشرية لتصحر المنطقة
3- ما هو دور المواطن في الحد من التصحر بالمنطقة
4- هل الحلول المبذولة كافية للحد من مشكلة التصحر

أهداف الدراسة

1- تهدف هذه الدراسة إلى ان التصحر مضر للبيئة ولابد الحد منه ومعالجته.

2- التعرف على حجم المشكلة وتصنيفها داخل المنطقة.

3- معرفة الاسباب البشرية المتسببة للتصحر داخل المنطقة

4- تبيان الحلول المبذولة للحد من هذه المشكلة.

أهمية هذه الدراسة

1- يستفاد من هذه الدراسة في تقديم المقترحات للحد من المشكلة
2- لهذه الدراسة أهمية كبرى عند استحداث خطة عمل تنموية شاملة فتكون عون لأصحاب القرار
3- تقديم صورة واضحة للأسباب البشرية لحدوث التصحر
4- ندرة الدراسات في هذا المجال وللاستفادة منها في المكتبة

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي لتجميع المعلومات، والإحصائيات، وخاصة التاريخية منها والاستعانة ببعض الكتب والدوريات والبحوث والدراسات السابقة، كما اعتمدت على المنهج البحث الوصفي والتحليلي وتم الاستعانة بالخرائط والرسوم البيانية، والصور والجداول الإحصائية الحديثة والدراسات والمراجع على المستوى المحلي والعربي.

حدود البحث

أ- **مكانيًا:** تقع منطقة الدراسة "منطقة سرت" ضمن الحدود الإدارية الحالية لبلدية سرت التي يحدها البحر المتوسط شمالا وبلدية مصراته غربا والجفرة جنوبا وبلدية هراوة شرقا، بمتوسط ارتفاع قدره 20 متر فوق مستوى سطح البحر.

ب- **زمنيًا:** تغطى هذه الدراسة الفترة الزمنية (1995-2016م.)

1. الموقع الجغرافي

تقع منطقة الدراسة "سرت" فلكيا بين خطي طول(30º 16-45º 16شرقا) ودائرتي عرض º 31) 15،(31º أما الموقع الجغرافي فأنها تطل على ساحل البحر المتوسط الذي يحدها شمالا، ومن الشرق بلدية هراوة، ، ومن الجنوب بلدية الجفرة. أما من ناحية الغرب فتحدها بلدية زمزم، شكل رقم 1.

وتقع المنطقة ضمن المناخ شبه الصحراوي عدا الأجزاء الشمالية منها فهي تخضع لتأثير مناخ البحر المتوسط الذي يساعد على اعتدال المناخ في الأطراف الشمالية للساحل وكذلك وجود الصحراء في جنوبها يجعل المنطقة تخضع للمناخ القاري وبذلك يظهر التفاوت الحراري بين الليل والنهار والصيف والشتاء، وتتعرض المنطقة لهبوب رياح القبلي التي تأتي من الصحراء في مقدمة المنخفضات الجوية في أواخر فصل الربيع وتجلب معها الحرارة اللافحة والعواصف الترابية.

و الرياح السائدة في المنطقة تتأثر بالرياح الشمالية الغربية والشمالية الشرقية في فصل الشتاء، أما في فصل الربيع فتسود الرياح الشمالية الشرقية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية، أما في فصل الخريف تزداد نسبة الرياح التي تهب من ناحية الغرب حيث تسود في هذه المنطقة الرياح الشمالية الغربية والشمالية الشرقية.

وتعتبر مدينة سرت هي المركز الإداري للمنطقة التي تتوسط مدن ليبيا، كما أن موقعها يعتبر ذو أهمية استراتيجية وذلك لأنها تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فهي بوابة أفريقيا من الشمال، وتعتبر كذلك نقطة التقاء حركة النقل بين المناطق الجنوبية سبها، الجفرة، والشرقية بنغازي، اجدابيا، والغربية طرابلس، مصراته، أما من الشمال فهي ذات صلة ببلاد ما وراء البحر" أوربا"..

ويعد موقع مدينة سرت من أكثر المواقع أهمية بسبب وقوعه في منطقة التقاء بين أكبر المدن الليبية طرابلس، بنغازي، وسبها.

شكل 1 موقع منطقة الدراسة سرت

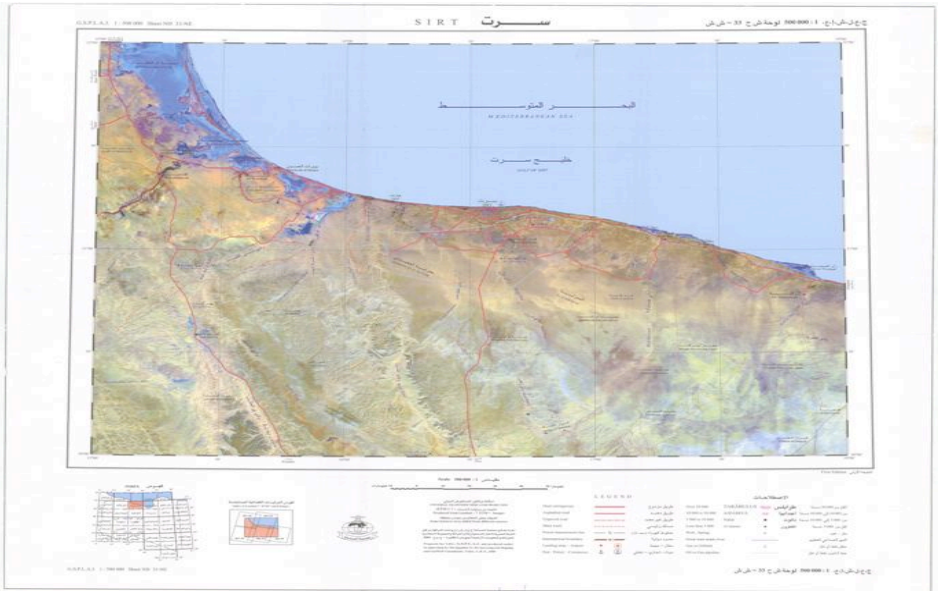

المصدر: مصلحة المساحة طرابلس ليبيا.

أ- سطح منطقة سرت

تكونت من رواسب الوديان، وسطح الأرض سهل حركة الرياح في نقل الرمال وإرسابها في الأراضي الزراعية، والرعوية، الذي أدى إلى نشر مظاهر التصحر في منطقة الدراسة، وتضاريس منطقة سرت والخليج عمومًا هي جزء من هضبة مترامية الأطراف التي تتكون منها الصحراء الكبرى وتنحدر هذه الهضبة انحدارًا تدريجيًا بصفة عامة نحو الشمال حتى تنتهي عند ساحل البحر المتوسط، والتي تطل عليه السهول الساحلية بخليج سرت، وتتجانس في الإقليم العديد من العوامل الجغرافية من حيث البناء الجيولوجي، والتربة، والعوامل المناخية التي يغلب عليها الطابع الصحراوي، فالحرارة مرتفعة معظم

شهور السنة، والأمطار قليلة، ومتذبذبة، وتتناقص كلما ابتعدنا عن الساحل بضعة كيلومترات، وتتبعنا خطوط المطر المتساوي على الخريطة فخط مطر 50ملم لا يبتعد عن ساحل المنطقة في معظم الأماكن

[1]-حسين مسعود ابو مدينة التحليل الجغرافي لشبكة الطرق في بلدية سرت، مجلة جامعة سرت للعلوم الانسانية، المجلد السابع ، العدد الاول، يونيه 2017م، ص199.

عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الطبعة الثالثة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996م.

عن مسافة 20كم ويستمر في التناقص بعد ذلك حتى يكاد ينعدم عند 100كم جنوبًا حيث يسود المناخ الصحراوي.[2]

وسواحل المنطقة في جملتها رملية منخفضة، وتوجد على شكل سلاسل طويلة من الكثبان الرملية في معظم منطقة الدراسة وأحواض مستطيلة تغطي قاعدتها تربة شديدة الملوحة تغمرها مياه البحر في معظم شهور السنة، ونظرًا لانخفاض سطح الأرض بمنطقة سرت_عن المناطق المحيطة لها أصبحت بمثابة حوض عظيم الاتساع ينحدر نحوه العديد من الأودية الجافة مثل وادي زمزم، والو شكة ومراح، وتلال، والحنيوة، وغيرها من الأودية التي تصب في البحر وتسبب انجراف للتربة وإغراق للمحاصيل الزراعية، وقد عملت الدولة السدود الترابية لبعض هذه الأودية لدرء الفيضان والاستفادة من مياهها.

ب- المناخ

إن مناخ منطقة الدراسة سرت يمثل خليطًا من المناخ البحري، والمناخ الصحراوي، فالمناخ البحري الذي يسود في تأثير البحر عبارة عن شريط ضيق لا يزيد عرضه على بضعة كيلومترات، ثم نمر في نطاق متسع يختلط فيه المناخ البحري بالمناخ الصحراوي وترجع إلى موقعها الجغرافي وشكل تضاريسها.[3] ولقد صنف مناخها من ضمن المناخ الشبه الجاف وفق تصنيف مناخ ليبيا.[4] أما الأجزاء الشمالية الساحلية من المنطقة فتخضع لتأثير مناخ البحر المتوسط الذي يساعد على اعتدال مناخها، ولوجود الصحراء في جنوبها فهي تخضع للمناخ القاري، ولهذا يظهر التفاوت الحراري بين الليل والنهار والصيف والشتاء، وكذلك تتعرض هذه المنطقة لرياح " القبلي" في أواخر فصل الربيع

3- التهامي أبوغرسة، العوامل الجوية المؤيدة للتنمية المتواصلة في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 1996م.
3- التهامي أبوغرسة، تصنيف مناخ ليبيا، مجلة جامعة سرت العلمية، المجلد الثاني، العدد الثاني، 2008مص58.

وأوائل فصل الصيف التي تهب من الصحراء في مقدمة المنخفضات الجوية، أما في فصل الشتاء وأوائل الربيع فيجتاح هذه المنطقة رياح باردة في أعقاب المنخفضات الجوية، وتتحرك المنخفضات الجوية مع رياح شمالية غربية على الأجزاء الشمالية للمنطقة لدرجة تكفي للتأثير بسقوط أمطارًا بمعدل حوالي 184ملم^3 في السنة وتتناقص هذه الأمطار سريعًا كلما اتجهنا جنوبًا، وإن معدل الحرارة العظمى يبلغ حوالي º 33 أما معدل الحرارة الصغرى بلغ 10 درجة مئوية، وأنه هناك ارتفاع في درجة الحرارة خلال فصول الصيف بصورة عامة وانخفاضها خلال أشهر الشتاء وأن المعدل مرتفع مقارنة بالمدن الساحلية الأخرى نظراً لتداخل الصحراء مباشرة في خليج سرت[5].

ت- **التربة**

يمكن تصنيف التربة في منطقة سرت بأنها جافة وشبة صحراوية بها نمو بسيط في قطاعها نتيجة لعمليات النحت ويتركز فيها الحجر الجيري بنسبة أعلى من الطبقة التي تليها بنسبة قليلة وتعتبر تربة فقيرة لتكونها من الرمال الناعمة البيضاء في شكل سيوف محاذية لخط الساحل تنمو بعض النباتات الشاطئية بها مثل نبات اللبينة، كما أن الجزء السائد من التربة هو الملحية في شكل أسباخ غرب المدينة وشرقها على طول ساحل البحر، حيث لا تنمو أية نباتات في هذه التربة لملوحتها الشديدة وتوجد بعض الترب الجبسية الجافة التي تقع تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبة الصحراوي وهى تربة جيرية ضحلة فوق مواد حجرية غير متماسكة ، ويوجد ثلاثة أنواع من التربة في منطقة سرت وهى:

- التربة المائية الرياحية وهى عبارة عن رمل مع طمي وتعتبر هذه التربة رديئة التدرج وتتكون من مختلف المعادن من جير ورمل وسطحها مستو. - تربة الشاطئ وهى عبارة عن رمل رقيق الحبيبات وغير متماسكة وسريعة النفاذية ورديئة التدرج.

- تربة الوديان فهي عبارة عن رمل مع طمي وهى تربة رسوبية تعرضت للتجوية بدرجة متوسطة ويمثلها في ذلك تربة مجرى وادي تلال وهى جيدة التدرج وقوية التماسك بها العديد من المواد العضوية وكمية من كربونات الكالسيوم[6].

2. النمو السكاني في منطقة الدراسة

تطور حجم ونمو السكان نتيجة لزيادة معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات وتطور حجم الهجرة نتيجة لتحسن وارتفاع مستوى المعيشة ومستوى التعليم والمستوى الصحي مثلها مثل بقية المناطق حيث بلغ 45417 نسمة في تعداد عام 1973م، وكان سكان ليبيا2052372 نسمة، ثم تضاعف في تعداد 1984م فوصل إلى 90261نسمة، وسكان ليبيا أرتفع إلى 3231059نسمة، وكان معدل النمو بين تعدادي 73\م84م مرتفع إذ بلغ 6.2%، وفي تعداد 1995م وصل عدد سكان المنطقة 139887 نسمة، وسكان البلاد بلغ 4404986، وكان معدل النمو بين تعدادي84\95م حوالي 3.9%، وفي تعداد 2006م أرتفع سكان المنطقة إلى 193720نسمة، 56861 نسمة، وسكان ليبيا بلغ 5900754نسمة، بمعدل نمو بين تعدادي95\2006م حوالي 2.9%، جدول 1و2. وشكل2

1- التهامي أبوغرسة، مرجع سابق،ص20

6- الهيئة العامة لاستثمار مياه النهر الصناعي، تقرير عن التربة، 2000 م .

جدول 1 تطور عدد السكان في منطقة سرت، وليبيا في الفترة ما بين (1973-2006م)

سنوات التعداد	1973م.	1984م.	1995م.	2006م.
منطقة سرت	45417	90261	139887	193720
ليبيـــــــــــا	2052372	3231059	4404986	5900754

المصدر: : إعداد الباحث من تعداد السكان ، 2006م.

شكل 2 تطور عدد السكان في منطقة سرت، وليبيا في الفترة ما بين (1954-2006م

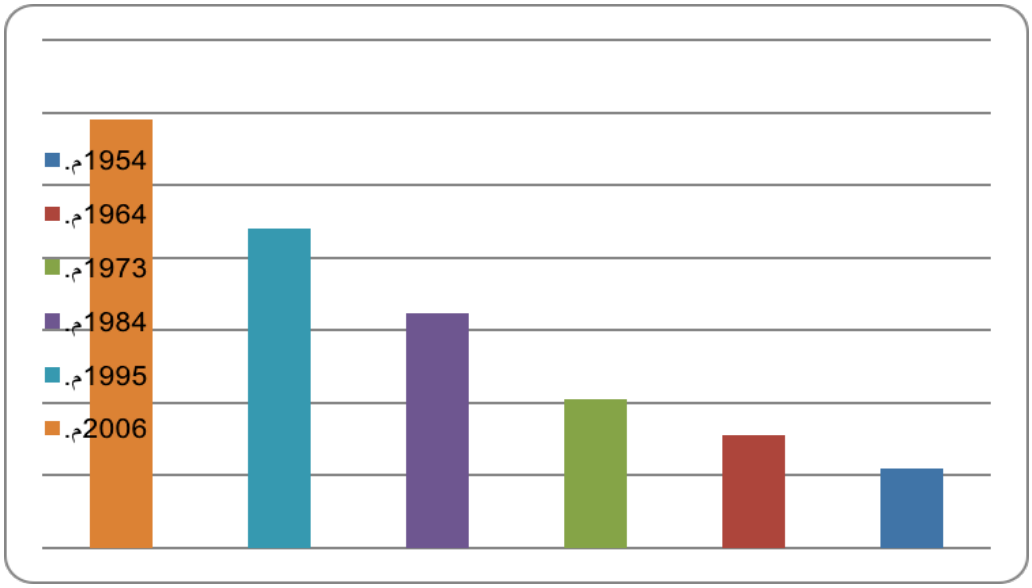

المصدر: من إعداد الباحث من واقع تعدادات السكان

جدول 2 معدل نمو سكان منطقة سرت في الفترة 1973-2006م.

التعداد	84\73 م	95\84 م	2006\95 م
منطقة الدراسة سرت	6.2	3.9	2.9

المصدر: من إعداد الباحث من واقع تعدادات السكان،.

3. معدل الخصوبة

ويقصد بهذا المعدل النسبة بين العدد السنوي للمواليد إلى جملة عدد الإناث في سن الحمل (15-49)سنة والغرض من ذلك هو تحديد الإناث المحتمل أن يكن أمهات باستبعاد كل الذكور ومجموعات الإناث الأخرى خارج فترة الحمل وبتتبع نتائج تعدادات السكان نجد أنه قد بلغ معدل الخصوبة في منطقة سرت عام 1973م حوالي 122 طفلا لكل ألف امرأة في سن الحمل ثم أرتفع إلى 146 طفل لكل ألف امرأة في سن الحمل عام 1984م وأنخفض إلى 132 طفلا لكل ألف امرأة في سن الحمل عام

1995م وفي ليبيا كان معدل الخصوبة العام سنة 1973م 240 طفلا لكل ألف امرأة في سن الحمل أنخفض إلى 93.6 طفلا لكل ألف امرأة عام 1995م. وهذا الانخفاض راجع إلى التقدم العلمي ومواصلة الدراسة الجامعية والعليا والتأخر في سن الزواج لدى الجنسين.

4. معدل الخصوبة الكلية

ويقصد به متوسط عدد المواليد الذين يمكن للمرأة أن تنجبهم طوال فترة قدرتها على الإنجاب في العمر (15-49) سنة، وقد بلغ معدل الخصوبة الكلية في منطقة سرت في تعداد عام 1973م. 6.1 طفل للمرأة الواحدة ثم أرتفع إلى 8.7 طفل للمرأة الواحدة عام 1984م. ثم أنخفض المعدل إلى 7.1 طفل للمرأة الواحدة في تعداد عام 1995م.أما في البلاد فقد بلغ 10.8 طفل للمرأة الواحدة في تعداد عام 1973م. وأنخفض هذا المعدل إلى8.7 طفل للمرأة الواحدة في تعداد عام 1984م. وواصل الانخفاض إلى 6.4 طفل للمرأة الواحدة في تعداد عام 1995م.شكل3

شكل 3 رسم بياني لمعدل الخصوبة في ليبيا ومنطقة سرت حسب تعدادات"73،84،95"

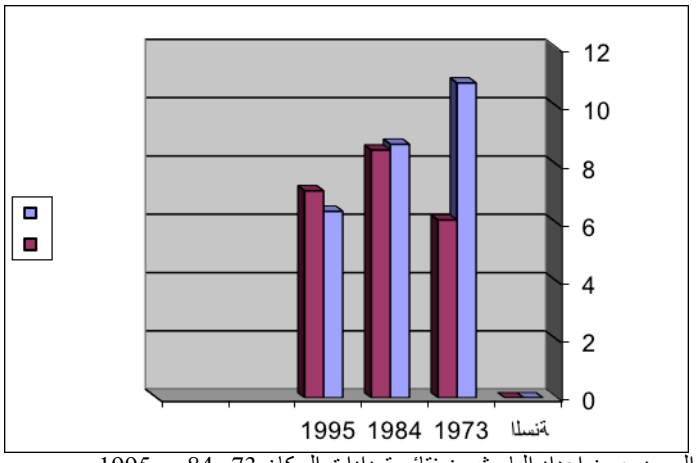

المصدر: من إعداد الباحث من نتائج تعدادات السكان 73م،84م، و1995م

5. التوزيع والكثافة السكانية

حيث بلغ 45417 نسمة في تعداد عام 1973م، منهم 16280 نسمة سكان أحياء المدينة والباقي وعددهم 29137 نسمة سكان بقية الأحياء بالمنطقة، ثم تضاعف في تعداد 1984م فوصل إلى 90261نسمة منهم 35280 نسمة سكان أحياء المدينة الخمسة و69991 نسمة سكان بقية الأحياء بالمنطقة، وكان معدل النمو بين تعدادي 73\م84م مرتفع إذ بلغ 6.2%، وفي تعداد 1995م وصل عدد سكان المنطقة 139887 نسمة منهم 45383 نسمة سكان أحياء المدينة الخمسة و94504 نسمة سكان باقي المنطقة، وكان معدل النمو بين تعدادي84\95م حوالي 3.9%، وفي تعداد 2006م أرتفع سكان المنطقة إلى 193720نسمة، منهم 56861 نسمة سكان أحياء المدينة و137039 نسمة سكان بقية الأحياء بالمنطقة بمعدل نمو بين تعدادي95\2006م حوالي 2.9%، جدول 3.

وبمؤشرات النمو الديموغرافي بمنطقة الدراسة سرت نلاحظ الضغط السكاني الهائل والمستمر على موارد البيئة، فكانت الكثافة السكانية المطلقة (3.2نسمة\كم^2) حسب تعداد السكان عام 1973م.

ارتفعت في تعداد عام 1984م. إلى (7.3نسمة \كم^2) ثم إلى 10.2 نسمة\كم^2) في تعداد عام 1995م. وإلى (15.5 نسمة\كم^2) في تعداد 2006م.

وإذا أخذنا في الحسبان بأن مؤتمر "أبو نجيم" الوحيد من مؤتمرات منطقة سرت الذي يبعد عن ساحلها بأكثر من 20كم أما بقية سكانها يقطنون على الساحل الممتد على طول منطقة الدراسة، من ضمنها الست مؤتمرات أو الأحياء والتي مركزها يبعد في حدود15 كم عن الساحل هي من غرب منطقة الدراسة إلى شرقها الهيشة الجديدة "أبوقرين"، وادي زمزم، جارف، الغربيات، أبوهادي، والنوفلية، وتعداد سكانها عام 2006م تضم 30447 نسمة وهي امتداد سكاني إلى بقية مؤتمرات وأحياء المنطقة الواقعة على الساحل، وأن مساحة الأرض الزراعية محدودة جدًا ففي التعداد الزراعية في المنطقة عام 1984م بلغت 77400هكتار مربع تقريبًا وسجلت الكثافة الفيزيولوجية (72 نسمة\كم^2)، ارتفعت عام 1995م. إلى (100.9 نسمة\كم^2)، ثم إلى(152.8 نسمة \كم^2) عام 2006م.[7]

جدول 3 تطور عدد السكان في منطقة سرت، والمدينة وباقي سكان المنطقة، في تعدادات 73 2006م.

	1973م.	1984م.	1995م.	2006م.
منطقة الدراسة سرت	45417	90261	139887	193720
أحياء مدينة سرت	16280	35280	45383	56681
باقي أحياء المنطقة	29137	69991	94504	137039

المصدر: من إعداد الباحث من واقع تعدادات السكان، 73-2006م

اولا: التصحر والنظام البيئي

إن التصحر من أكبر الكوارث التي تهدد المجتمعات البشرية، وهو يعبر عن درجة معينة من الاختلال في توازن العناصر المختلفة المكونة للنظم الايكولوجية، وتدهور خصائصها الحيوية وانخفاض إنتاجيتها إلى الدرجة التي تصبح فيها هذه الأنظمة عاجزة " تحت ظروف الطبيعة" عن توفير متطلبات الحياة الضرورية للإنسان والحيوان على السواء ، مما يضطر الإنسان في النهاية إلى الهجرة، أو قيامه باستيراد مصادر الطاقة اللازمة لاستمرار ما فيها من أنظمة أخرى، وهو أيضا نتيجة مباشرة لسوء استغلال الإنسان للموارد الطبيعية لهذه الأنظمة وبخاصة الموارد الحيوية بالإضافة إلى التأثيرات السلبية لعناصر البيئة وبخاصة الظروف المناخية الجافة، إذ أن عناصر البيئة المختلفة في أي منظومة تتفاعل وتتكيف مع بعضها البعض إلى أن تصل عبر التاريخ إلى نوع من التوازن الديناميكي مكونة ما يعرف بالأنظمة الايكولوجية ويظل كل نظام محافظا على خصائصه المميزة له طالما بقيت التغيرات ضمن حدود القدرات الطبيعية.

7- أحمد علي أبو مريم، مرجع سابق.

إلا أن هذا التوازن يبدأ في الاضطراب بسبب الإفراط في استغلال عنصر أو أكثر بمعدل يفوق قدرته الكامنة على التعويض، أو بسبب عدم ملائمة أساليب الإدارة لطبيعة النظام القائم، وتحت هذه الظروف تبدأ سلسلة من التغيرات المتدهورة في الغطاء النباتي، والتربة، وتغير المناخ المحلي، وتتولد ظروف جديدة هشة أكثر حساسية، مما يهيئ الفرصة للعوامل البيئية الأخرى غير الملائمة لمضاعفة تأثيراتها السلبية.

ويتضح من سيناريو الديناميكية هذه أن معدل التدهور له علاقة كبيرة بدرجة حساسية النظام الايكولوجي حيث يزداد معدله ويتضح تأثيره كلما ازدادت حساسية النظام. ونظرا لأن الأنظمة الايكولوجية في المناطق الجافة وشبه الجافة تعتبر حرجة وأكثر حساسية من الأنظمة الأخرى، فإن ذلك يفسر لنا ازدياد معدلات التصحر بها ووضوح تأثيراته. وقد تسبب ذلك في حدوث بعض الخلل الذي لحق بالتوازن الطبيعي للبيئة، خاصة في حالة البيئات الهامشية الهشة، مثل الأراضي الرملية التي تشكل مساحات كبيرة في منطقة الدراسة، وأراضي المراعي التي تكون عادة نطاقات ذات تربة ضحلة. وكما سبب سوء استعمالات المياه في بعض المناطق، ارتفاع منسوب الماء الأرضي وتملح التربة، وخاصة في بعض المناطق الساحلية كمنطقة الدراسة سرت.

وقد جرى تحديد عناصر التصحر في مناطق زراعية تخضع لاستعمالات زراعية لا تتناسب وطاقاتها الإنتاجية الطبيعية مثل إجهاد موارد التربة وتدهور أديم الأرض والإفراط في استعمالات المياه وتدني نوعيتها وعمقها، وتدهور الغطاء النباتي، وغيرها من العوامل المؤدية إلى الإخلال بالتوازن الطبيعي بشريا أم بيئيا.

إن المناطق الجافة وشبه الجافة في منطقة سرت تستغل رعويا وزراعيا، للمناطق البيئية شبه الصحراوية، هي بطبيعتها أنظمة هشة وحساسة وغير مستقرة، تعرضها لمخاطر التصحر يعتبر كبيرا جدا، كما أن المناطق الأكثر مطرا، في النطاق الساحلي التي تستغل زراعيا ورعويا تعتبر هي الأخرى من الأنظمة البيئية الحساسة، وبالتالي فهي معرضة أيضا لمخاطر التصحر بدرجة كبيرة.

أما في المناطق الجافة وشبه الجافة ذات الكثافات السكانية المتوسطة أو المرتفعة في بعض المناطق، وتزدهر بالتبعية عدة أنشطة بشرية خاصة الاستغلال الزراعي المتزايد والمعتمد على زراعة المحاصيل البعلية والمروية كالقمح والشعير.

وقد أدت الوسائل التكنولوجية الحديثة وما نتج عنها من إنشاء شبكة للطرق واستخدام للسيارات والآلات الحديثة وحفر الآبار إلى الإفراط في استغلالها، الأمر الذي أدى إلى تزايد حدة التصحر بهذه المناطق ويمكن مشاهدة كل درجات التصحر في هذه المناطق.

ثانيا: مظاهر التصحر

يتجلى التصحر في تدهور الوضع العام للبيئة وانخفاض إنتاجية الأرض التي تمثل أهم عنصر في منظومة البيئة وزيادة مخاطرها على حياة الإنسان والحيوان على حد سواء، ويمكن حصر مظاهر التصحر فيما يلي:

1. تدهور حالة الغطاء النباتي في الكثير من المناطق واختفائه من مناطق أخرى، فالاحتطاب الجائر وانتشار الحرائق أثناء موسم الجفاف في المناطق الحرجة والرعي الجائر في المناطق الرعوية والزراعة البدائية التي تستخدم النار في تهيئة الأرض للزراعة، أو تستخدم الجرارات الضخمة في حرث الأرض الهامشية الهشة يتسبب كل ذلك، في القضاء على الأشجار والشجيرات الحولية التي كانت تحمي التربة من الانجراف. ففي جميع هذه الأحوال نجد أن أنشطة الإنسان غير المسئولة تتسبب على وجه العموم في تدمير الغطاء النباتي، وتنشيط عمليات التعرية، وبالتالي سيادة ظروف التصحـــــــــر.
2. **التملح:** وتتجلى مظاهر التصحر الرئيسية في الأراضي المروية بنظم ري حديثة "كالرش والتنقيط" تستمد مياهها من قنوات النهر الصناعي، أو الأراضي المطرية في تملح التربة نتيجة عدم كفاية غسل الأملاح التي تحويها التربة، أو تضاف إليها مع مياه الري. وفي العادة يحدث التملح وتشبع الأرض بالمياه في وقت واحد، فعندما تكون التربة غارقة بالمياه، فإن حركة المياه الجوفية المالحة من أسفل إلى أعلى، ترسب الأملاح على السطح، حيث تتبخر المياه. كذلك يمكن لتملح الأراضي أن يحدث في الأرض غير المشبعة بالمياه، وذلك عندما تتحرك المياه المحتوية على الأملاح القابلة للذوبان من وسائل الري إلى الخطوط المرتفعة التي تزرع فيها المحاصيل، أو في البقع المرتفعة من الأراضي غير جيدة الاستواء، وعدم كفاية ري الأراضي ضعيفة النفاذية، يمكن أن يؤدي هو الآخر إلى التملح إذا كانت مياه الري مالحة كما هو الحال في منطقة الشريط الساحلي. وإذا استمر ضغط استخدام الأرض أثناء الجفاف، تصبح هذه الأنظمة البيئية نفسها أقل صمودا، وتبدأ العمليات التي بها يصبح التصحر ذاتي التسارع.
3. تكون الكثبان الرملية وزحفها على عدد من القرى، والواحات، وخطوط المواصلات البرية، بسبب ظاهرة الانجراف النشطة، كما تشهد هذه الأقاليم المتضررة زيادة في تكرار العواصف الغبارية التي من شروط تكونها وجود تربة عملت ظروف الجفاف والرعي الجائر أو حرائق الغابات أو محاريث الجرارات على زيادة تفككها.

ثالثا: الأسباب البشرية للتصحر وأثاره في منطقة الدراسة سرت

نظرا للنمو السكاني السريع والمتزايد الذي يؤدي إلى تكثيف استخدام الأراضي وتغيير نمط استغلالها، مما يؤدي إلى إنهاك التربة وسرعة استنزاف الموارد المائية وتلوث التربة والماء بالكيماويات. الهجرة الجماعية لسكان الأرياف إلى المدن بسبب تدهور المرعى وانجراف التربة، وقلة إنتاجيتها، ففي جميع هذه الأحوال نجد أن أنشطة الإنسان غير المسئولة تتسبب على وجه العموم في تدمير الغطاء النباتي، وتنشيط عمليات التعرية، وبالتالي سيادة ظروف التصحـــــــــر.

- استنزاف الموارد المائية، باستخدام تقنيات غير ملائمة لظروف المنطقة كالاستخدام المكثف للمضخات في آبار سطحية بالمنطقة وعدم استخدام طرق الري العلمية الحديثة.
- تكثيف استخدام الأراضي وتغيير نمط استغلالها، مما يؤدي إلى إنهاك التربة وسرعة استنزاف الموارد المائية وتلوث التربة والماء بالكيماويات.

- الزحف العمراني الأفقي غير المرشد على حساب الأراضي الزراعية وقطع الأشجار وبناء المساكن، وحظائر الدواجن والحيوانات، والاستراحات مكانها.
- الرعي الجائر والمبكر الذي يؤدي إلى إزالة الغطاء العشبي نتيجة لانحسار مساحات المراعي وطاقتها الإنتاجية، وتفوق الكثافة الحيوانية على المقدرة الاستيعابية للمراعي، وغياب برامج تنظيم أعداد الحيوانات حسب القدرات الاستيعابية للمراعي بشكل يزيد عن الحمولة الرعوية للمراعي الطبيعية.
- الحراثة الخاطئة مع الانحدار، واستخدام الجرارات الضخمة في حرث الأرض الهامشية والهشة لأغراض الزراعة، وما يتسبب في انجراف التربة التي كانت محمية من الشجيرات والنباتات الطبيعية.
- التوسع الزراعي، واستعمال السماد الكيماوي بعشوائية وعدم تتبع الدورة الزراعية.
- التوسع الزراعي على حساب أراضي المراعي بحيث زاد الضغط على مساحات المراعي.
- المكانة الاجتماعية المتمثلة في تفاخر عدد من الأفراد بما يمتلكونه من رؤوس الأغنام والإبل متناسيين ما تسببه تلك الحيوانات من دمار للبيئة في حالات الرعي العشوائي الغير منظم.
- تدهور حالة الغطاء النباتي في المنطقة، واختفائها، وانتشار الحرائق أثناء موسم الجفاف، وعدم معالجة الأراضي الملوثة لتستعيد غطاءها النباتي، حيث كانت تنمو في منطقة الدراسة مجموعة من النباتات الطبيعية في مثل: الحلفا، والقطف، والرتم، وكذلك الشجيرات كالسدر، وغيرها، والتي تنمو وتزداد نمواً عقب موسم سقوط الأمطار وتساهم هذه النباتات في تثبيت التربة ومكافحة التصحر والمحافظة على التنوع الحيوي وقد أُزيلت العديد من هذه النباتات عند عمليات التطور العمراني واستصلاح الأراضي للزراعة وكذلك للرعي الجائر ولم يبق منها سوى في بطون بعض الأودية وظهورها حسب سقوط الأمطار ووقتها وكميتها، وكذلك نباتات الحريق، والغسول، والخروع، والمصاص، وغيرها من النباتات التي تنبت على الشريط الساحلي الضيق وفي المستنقعات، وفي أطراف السباخ.
- الاحتطاب الجائر وقطع الأشجار، وهذه العملية كانت تمارس بشكل واسع وكبير في الماضي، لاعتماد أغلب التجمعات السكانية في المنطقة على الحطب في التدفئة والطهي، وأحيانًا في الإضاءة، والآن وبوجود الغاز الطبيعي والكهرباء والوقود، الذي قلل من ذلك كثيرًا ، ولكن لازال الاحتطاب الغير منظم موجودًا، حيث يتم قطع الأشجار من أجل صناعة الفحم النباتي، وأغصانها الصغيرة وأوراقها كأعلاف للحيوانات.

رابعا: الجهود المبذولة لمكافحة التصحر في منطقة سرت

ويقصد بها وقف التصحر والتقليل من مخاطره، وإعادة الأراضي التي أصابها التصحر إلى طبيعتها الأولى، وتنبهت ليبيا لمشاكل وقضايا مشكلة التصحر، وإفرازاتها الشائكة والمعقدة، والتي حتمت عليها القيام بدور جاد لمواجهة تحديات تلك المشكلة، والتي يتطلب منها القيام بالدراسات العلمية والبحثية الدقيقة للتعرف على أوجه المشكلة، ورصد حجم التصحر وإيجاد الحلول لمكافحته باعتباره

مكونًا أساسيًا من مكونات التنمية المستدامة، والتي تقوم أساسًا على حسن استثمار الموارد الطبيعية بشكل يضمن استمرارية التنمية للأجيال المتعاقبة. [8]

ولليبيا الأساليب العلمية الحديثة والتي أعطت مثالًا رائدًا في الشمال الأفريقي حيث استخدمت هذه الأساليب في مناطق أخرى من الوطن العربي المطل على البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والخليج العربي، وكذلك في الغرب الآسيوي لا سيما في وادي نهر العاصي السوري.[9]

ومكافحة التصحر يتطلب التقويم والمراجعة المستمرين والتخطيط البعيد المدى والإدارة الرشيدة على كل المستويات وبتعاون عربي وعالمي، وينبغي أن تكون الجهود المبذولة لمكافحة التصحر جزاء من برنامج شامل لدفع عجلة التقدم الاجتماعي والاقتصادي، وعملت ليبيا عدت محاولات للحد من هذه المشكلة فأنشأت المشاريع الزراعية لاستصلاح أراضي الأودية وبناء التجمعات السكنية المتكاملة لاستقرار السكان والتي من بينها أودية منطقة سرت، وأنشأت السدود الترابية والخراسانية لحجز المياه وغرس الأشجار المثمرة وأشجار الغابات التي تتلاءم مع مناخ المنطقة وتربتها وتثبيت الكثبان الرملية وتطبيق كل الوسائل لذلك، وبنيت محطات للأرصاد الجوية في منطقة الدراسة سرت كمحطة أرصاد المدينة وكذلك بالمطار وجارف وأبو هادي وهراوة وبن جواد وغيرها من مناطق سرت وذلك لمعرفة عناصر المناخ من حرارة ورياح ورطوبة والتعرف على كمية الأمطار في حينها، ولتفاقم هذه المشكلة والتي من الصعب الحد منها بسهولة أمام تزايد أعداد السكان والزحف العمراني الرهيب والذي يتطلب بناء قاعدة المعلومات اللازمة لتحديد طرق المكافحة، وتشمل توفير المعلومات الدقيقة لعناصر المناخ ومواسم الجفاف، وخصائص التربة، ودرجة انحدار السطح، وكمية ونوعية المبيدات والمخصبات المستخدمة في الزراعة وتأثيرها على التربة، ومعلومات عن الغطاء النباتي لمعرفة نمو النبات الطبيعي وأشجار الغابات وحالة التدهور في إنتاجيتهما، والكثافة الحيوانية على المقدرة الاستيعابية للمراعي.، ومعرفة مساحة المراعي، وتوفير معلومات عن الممارسات البشرية والزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، وإلقاء النفايات ومياه الصرف الصحي، والممارسات التي تضر بأراضي المزارع، والمراعي، والغابات، وكذلك توفير المعلومات عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وتشمل تعداد السكان وونوعهم وتركيبتهم التعليمية والاقتصادية، والاجتماعية، والكثافة السكانية، والهجرة، وتوفر معلومات عن دخل الفرد، والمشاريع الداعمة لإنسان الريف في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتتلخص الجهود المبذولة لمكافحة التصحر في الآتي:

1. طرق صيانة التربة

يتبع في ليبيا عدة طرق لصيانة تربة منطقة سرت بغرض حماية المشاريع الزراعية القائمة، وحماية مناطق التنمية الزراعية المتكاملة، وهذه الطرق والخطوات تتمثل في الآتي:

أ- **إتباع دورة زراعية:** للمحافظة على خصوبة التربة وعدم إنهاكها في منطقة سرت، تم إتباع الدورة الزراعية في أكثر المشاريع الزراعية وإرشاد المزارعين لذلك وإنشاء مصدات الرياح والأحزمة، الواقية لصيانة التربة وحماية المحاصيل الزراعية المختلفة.

8- مسعود عياد كريم، التصحر في سهل الجفارة، دراسة تطبيقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر،طرابلس، ليبيا، 2010م.
9- محمد إبراهيم حسن، جغرافية المياه، وأنواعها ومقوماتها الإقليمية، ودورها في التوسع العمراني، مؤسسة سباب الجامعة، 2005الإسكندرية.

ب- **تثبيت الكثبان الرملية:** نظرًا لكثرة الكثبان الرملية وتحركها في فصلي الربيع والصيف بمنطقة سرت، فهناك عدة طرق لتثبيت الرمال منها تثبيت بالنباتات الجافة وهو تثبيت مؤقت ويحتاج إلى تجديد، ومتبعة منذ زمن بعيد وقد شهدت بنفسي في الستينات من القرن الماضي، حيث يتم تأجير أناس بحيواناتهم لنقل النباتات الجافة،" الديس، والصبط، " وهي موجودة في المنطقة ويتم ردم جزء منها في الرمال، وعلى شكل أشكال هندسية، ثم أتجه إلى زراعة أنواع من النباتات مثل الخروع، والسرول، والأثل، حيث تعمل جذورها على تثبيت التربة، خاصة أشجار السرول التي تمتد جذورها بشكل سطحي لمسافات طويلة مما يثبت مساحة كبيرة من الرمال. طرق أخرى لتثبيت الرمال خاصة بعد إنشاء مشاريع التنمية الزراعية في هذه المنطقة ومنها حملات التشجير لحماية مناطق التنمية الزراعية المتكاملة كما هو الحال في مشروع الطويلة والشريط الساحلي الزراعي، ومشروع الأربعين الزراعي، ومشروع النوفلية الزراعي، وغيرها من مشاريع المنطقة الزراعية والحيوانية، والصناعية،" مصنع حليب القرضابية، ومصنع الجبن".[10]

ت- **التشجير:** وذلك بزراعة الأشجار المناسبة كالتين الشوكي، والخروع، والمصاص بالكثبان الرملية لتثبيتها، وإنشاء حزام من الأشجار حول المزارع لوقف زحف الرمال ومتابعة نموها، وإزاحة الرمال كلما تراكمت حول سيقانها، وزراعتها بأنواع من الحشائش، وشجيرات التين الشوكي التي تتحمل الجفاف، والتشجير مهمًا جدًا لحماية التربة من الانجراف المائي والريحي، وتثبيتها وحائلًا دون ضياع المياه، وتساعد جذور الأشجار أيضًا في تعميق التربة وتحسينها، لهذا تم الاهتمام بتوفير الأنواع الكثيرة من شتل الغابات، وذلك باستيراد هذه الشتل من الخارج، في بداية الأمر، ثم أنشأت عدة مشاتل لهذا الغرض، ومن بينها مشتل القرضابية 20كم إلى الجنوب الشرقي لمدينة سرت، وعلى مساحة 76هكتار مربع ، وبطاقة إنتاجية تقدر بحوالي 5مليون شتلة مختلفة، وبها 27صوبة تعمل بنظام الري بالرش، منها أربعة بيوت زجاجية لإنتاج الأشجار المثمرة، تعمل بنظام التنقيط، وملحق بالمشتل خزان تجميع للمياه، ومحطة ضخ.[11]

ث- **حماية الأراضي الرعوية:** تعاني منطقة الدراسة سرت من الرعي الجائر بسبب كثرة أعداد الحيوانات يقابلها صغر المساحة التي يجب أن تكون مراعي شاسعة تتناسب مع العدد الموجود لأن سكان المنطقة من أصول بدوية ويتفاخرون في تربية أكبر عدد من الحيوانات خاصة الإبل والأغنام، مما ساهم في القضاء على أغلب الغطاء النباتي الطبيعي التي كانت تشتهر به منطقة الدراسة، وتاريخ هذه المنطقة يشهد على ذلك منذ القدم، وتكلمت كثيرًا من الكتابات على ذلك، وكانت المنطقة تصدر في الحيوانات إلى مصر وكان والدي رحمه الله أحد المصدرين للأغنام إلى الحمامات ومطروح بمصر، إلا أن الأراضي في ذلك الوقت جلها مستغلة للرعي ولا توجد مشاريع زراعية أو مزارع يخاف عليها من الحيوانات، فجميع الأراضي تستغل للرعي وبعض منها تستغل للحرث في موسم الأمطار، ويستفاد من مخلفات الحصاد وبعض محاصيل الحبوب في فصل الصيف كأعلاف، وقد اتخذت بعض الإجراءات لحماية أراضي المراعي وعدم المساس بحرفة الرعي التي توفر اللحوم الضرورية لسكان المنطقة نظرًا لارتفاع مستوى المعيشة بين السكان.

10- فايق حسن عويدات، مرجع سابق.

11- قمت شخصيًا، بزيارته ميدانًا واشتريت منه بعض الأشجار المثمرة، والغابية لمزرعتي الكائنة بمشروع الطويلة الزراعي قرب المشتل.

2. طرق المحافظة على المياه ووسائل زيادتها

لأهمية هذه الطريقة يجب أن يتم استخدام تقنية الاستشعار عن بعد بالأقمار الصناعية والتطوير الجوي والمسح الطبوغرافية، وجمع بيانات الأرصاد الجوية وإيجاد نظام معلوماتي جغرافي متكامل لنظم المراقبة الفضائية عن طريق صور ومرئيات فضائية تبتها الأقمار الصناعية.

وإنشاء عدد من المحطات المناخية التي ترصد وتتابع كل العناصر المناخية لمعرفة مشكلة التصحر وحجمها، ومدى انتشارها في المنطقة، وأن يخصص إدارة لاستغلال مياه المطر والتخفيف من ضياعها بحجز أكبر كمية منها خلف سدود ترابية ، وأخرى خراسانية، والاستفادة منها بدلًا أن تضيع في البحر، والتقليل من استهلاك الماء في الزراعة بالتقليل من زراعة الطماطم والبطيخ وغيرها ممن تستهلك كميات كبير من المياه، أو زراعتها داخل خيام بلاستيكية أو بيوت زجاجية، واستخدام الطرق الحديثة في الري مثل التنقيط، وتنقية مياه المجاري لإعادة استخدامها في الزراعة وتم تجميع بها مياه مجاري المدينة " مياه الأمطار والمياه السوداء" قي محطة حديثة لمنطقة الزعفران غربي المدينة، وهي تقوم بتنقية هذه المياه لاستعمالها للزراعة، وتستخلص مواد أخرى كسماد للتربة.

3. الاستثمار العلمي لمياه النهر الصناعي

وصلت مياه النهر الصناعي إلى سرت عام 1989م. عبر منظومة من الأنابيب "الكفرة- اجدابيا- سرت"، وأنشأ خزان القرضابية الصغير 12كم. شرقي سرت وبدء في تنفيذ أعمال المشروع بالكامل والتي من بينها خزان القرضابية الكبير 20كم شرق سرت، الذي تم بنائه وتدفق المياه إليه في مارس 2002م. وتبلغ سعته حوالي (15.4 مليون متر مكعب) من المياه فيما يبلغ قطرة 1182متراً ويبلغ عمق المياه 16متر وتم الانتهاء من ، وتمت تعبئة الخزان بمياه النهر الصناعي بنسبة 100%، وثم أيضاً تنفيذ تحويل كهرباء بقدر 66/11 ك. ف لغرض تزويد محطة الضخ وإنشائها علي خزان القرضابية الكبير وحسب التدفق المائي الكلي يصل 287مليون مترًا مكعبًا سنويًا، يفقد منها حوالي (2.79%) ويستغل ما نسبته (79.65%) للزراعة، و(17.54%) للاستخدامات المدنية والصناعية.[12] جدول3، وتم تنفيذ مشروع المزارع الصغيرة، ويضم عدد (960) مزرعة في كل من مشروع الحنوة، والسواوة ،والطويلة، والشريط الساحلي شرق سرت، وكذلك في منطقة الظهير والقبيبة، غربي سرت، وكذلك في القرضابية وأبو هادي جنوب سرت وتم توصيل المياه عبر شبكة وتضمن المشروع تنفيذ خزانات مياه بسعة 240م^3 لكل مزرعة، وتم إيصال المياه لعدد (850) خزان بالانسياب الطبيعي وبمياه النهر الصناعي المتدفقة بغزارة واستثمارها في زراعة كل شبر بالحبوب والنباتات والأشجار المثمرة وأشجار الغابات، وزيادة الغطاء النباتي، يعتبر أحد الحلول لمكافحة التصحر لمنطقة سرت.

12-فايق عويدات، مرجع سابق، 2009.

صورة 6 خزان (القرضابية) الكبير لمياه النهر الصناعي

المصدر: تصوير الباحث في الزيارة الميدانية لقسم الجغرافيا.

الاستنتاجات

خلصت هذه الدراسة إلى تأكيد عدد من العوامل أثرت تأثيرًا مباشرًا في نطاقات واسعة داخل أراضي منطقة سرت بشكل أو بآخر من أشكال التصحر وتدهور الأراضي وتراجع إنتاجيتها سواء الزراعية أو الرعوية، وكانت أبرز هذه العوامل متمثلة في الجفاف ومسبباته بالإضافة إلى المظاهر الحضارية الآخذة في التوسع، ورغم ما قامت به الدولة من جهود لمكافحة والمتمثل في:

- الزحف العمراني الأفقي غير المرشد على حساب الأراضي الزراعية وقطع الأشجار وبناء المساكن، وحظائر الدواجن والحيوانات، والاستراحات مكانها.
- الرعي الجائر والمبكر الذي يؤدي إلى إزالة الغطاء العشبي.
- الحراثة الخاطئة مع الانحدار، واستخدام الجرارات الضخمة في حرث الأرض الهامشية الهشة لأغراض الزراعة
- التوسع الزراعي، واستعمال السماد الكيماوي بعشوائية وعدم تتبع الدورة الزراعية.
- استخدام تقنيات غير ملائمة لظروف المنطقة كالاستخدام المكثف للمضخات في آبار سطحية.
- تداخل مياه البحر في منطقة الدراسة الساحلية.
- ازدياد نمو هجرة سكان الأرياف والقرى إلى المدنية بسبب تدهور حالة المرعى وانجراف التربة، وقلة إنتاجيتها.
- تدهور حالة الغطاء النباتي في المنطقة، واختفائها.

- انتشار الحرائق أثناء موسم الجفاف، وعدم معالجة الأراضي الملوثة لتستعيد غطاءها النباتي.
- اختفاء مجموعة من النباتات الطبيعية بمنطقة الدراسة مثل: الحلفاء، والقطف، والرتم، وكذلك الشجيرات كالسدر، وغيرها، والتي تنمو وتزداد نمواً عقب موسم سقوط الأمطار وتساهم هذه النباتات في تثبيت التربة ومكافحة التصحر

التوصيات

- إيجاد نظام معلوماتي جغرافي متكامل لنظم المراقبة الفضائية.
- الاستمرار في إنشاء عدد من المحطات المناخية التي ترصد وتتابع كل العناصر المناخية.
- سن القوانين والتشريعات التي تكافح التصحر.
- الحد من النشاطات الجائرة للسكان غير الواعية بخصوص حرفة الرعي، وتطوير المراعي.
- العمل على الإبقاء على الكثافة الحيوانية دون القدرة الاستيعابية للمرعى تجنب للرعي الجائر.
- العمل على زيادة الكفاءة الإنتاجية للأرض باستعمال الأسمدة الكيماوية وزرعها بأنواع الحشائش المحسنة التي تلاءم ظروف الجفاف.
- تطوير برامج لتسويق الحيوانات وقت الحاجة.
- إنشاء مخازن للعلف الجاف المركز لاستعماله في موسم الجفاف تجنبا للرعي الجائر.
- تطبيق برامج الرعي الدوري، ليتم الرعي فيها بالتناوب مما يعطي الأرض فرصة للراحة تستعيد فيها خصوبتها من جديد.
- تجنب الزراعة البعلية في المناطق الهامشية.
- ترشيد استهلاك المياه الجوفية، والسطحية، واستثمار مياه النهر الصناعي بعلمية.
- تطوير النظم الزراعية.
- تخصيب التربة واستعمال المبيدات تحت إشراف فني زراعي.
- تطبيق نظم الدورات الزراعية.
- ترك بقايا المزروعات وعدم اقتلاعها من جذورها.
- الاتجاه نحو الزراعة المروية المستقرة في الأودية وإقامة السدود والصهاريج وحفر الآبار.
- غرس الأشجار التي تتحمل الجفاف في الأقاليم الشحيحة في أمطارها.

المراجع

1. كتاب النهر الصناعي، (1989 م)، جهاز تنفيذ وإدارة مشروع النهر الصناعي.
2. محمد عبد النبي بقي، التصحر في شمال أفريقيا، الأسباب والعلاج، ترجمة عبد القادر المحيشي، المركز العربي لأبحاث الصحراء وتنمية المجتمعات الصحراوية، مرزق ليبيا،1991م.
3. عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الطبعة الثالثة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996م.
4. جامعة الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، حالة التصحر في الوطن العربي، وسائل وأساليب مكافحته، منشورات المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، دمشق، 3\1996م.
5. عبد القادر مصطفى المحيشي، عبد الرزاق محمد البطيخى، التصحر، مفهومه، وانتشاره المكاني، وأسبابه، ونتائجه، وسبل مكافحته، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1999م.
6. أمحمد عياد مقيلي، مخاطر الجفاف، والتصحر، والظواهر المصاحبة لها،ط.1 (الزاوية، دار الشموع، للثقافة،2003م.)
7. النتائج الأولية للتعداد العام للسكان 2006 الهيئة العامة للمعلومات، طرابلس، ليبيا.
8. حسن عبد القادر صالح، مشكلة التصحر، مجلة الريم، العدد6، تشرين الثاني، عمان، 1981م
9. فائق عويدات، التصحر في المنطقة الممتدة بين وادي جارف وهراوة. منشورات جامعة سرت، 2009م
10. أحمد علي أبو مريم، مجلة ، جامعة سرت العلمية، المجلد الثالث، العدد الأول، 2009م.
11. مسعود عياد كريم، التصحر في سهل الجفارة، دراسة تطبيقية، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 2010م.

تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في دراسة التتابع الزمني للنمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبري خلال الفترة من 1972-2012

كلية الآداب والتربية - جامعة صبراته - قسم الجغرافيا

د. إنتصار محمد الزنان

المقدمة

يتناول البحث مشكلة النمو الغير مخطط الذي ظهر على أرضية مدينة طرابلس وخاصة في الآونة الأخيرة كتلبية لاحتياجات الإنسان، والتعبير عن تحقيق متطلباته الأساسية التي عجزت الدولة عن حلها. فالزيادة السكانية الناتجة عن النمو الطبيعي والهجرة بفرعيها خاصة في السنوات الأخيرة التي تزامنت مع أزمة السكن شكلت عبئاً ثقيلاً على المدينة ومناطقها. وذلك لقلة توفر الأراضي وارتفاع أسعارها، وكذلك خضوع الاستعمال السكني داخل المخطط لمعايير مقننة، ناهيك عن ارتفاع حجم التعويضات والقروض العقارية التي قدمتها الدولة لبعض المواطنين لإخلاء مساكنهم التي وقعت ضمن الإزالة، فاجتمعت كل هذه الأمور لتدفع بالسكان نحو الأطراف خارج المخطط حيث رخص أثمان الأراضي وتوفرها، الأمر الذي أدي إلى خروج المدينة عن حجمها المألوف ومخططها المعروف الذي رُسم لها؛ لتتحول الكثير من أرضيها الزراعية ومساحاتها الخضراء والفضاء إلى كتلة اسمنتية اتسعت مع مرور الزمن لتصبح جزءاً لا يتجزأ من المدينة الأم. وتوصلت الباحثة لمجموعة من النتائج التي من شأنها تدعم أفكار القائمين على عمليات التخطيط ومتخذي القرار والمسئولين بالجهات المختصة وذلك من خلال الاهتمام بعملية التخطيط المستقبلي للأماكن التي تشهد نمواً عشوائياً متطرد بمدينة طرابلس.

كلمات مفتاحية : نظم المعلومات الجغرافية ، التسلسل الزمني ، العشوائيات، اتجاهات النمو غير المخطط ، تصنيف الأراضي.

تعد مدينة طرابلس عاصمة البلاد وأكبر مدن ليبيا حجماً سكانياً، وإطاراً مكانياً تخطيطياً، ونواة قديمة وثمرة من ثمار التنمية الإسكانية والاجتماعية والاقتصادية، فطرابلس تاريخياً لم تكن وليدة الصدفة بقدر ما هي نتاج ذاك التاريخ الحضري الطويل، وهذا النتاج ترتب عليه ظهور العديد من المناطق العمرانية التي تعاني من خلل وعدم توازن تخطيطي، وينقصها الكثير من الشروط والأسس التخطيطية السليمة التي تتماشي مع الواقع المتغير بكل معاييره، ومما يزيد المشكلة صعوبة هو عدم

معرفة عدد هذه المناطق على مستوي المدينة، وعدد الأسر التي تعيش في تلك المناطق. والواقع أن نمو وانتشار هذه المناطق يتصف بالعشوائية وعدم الدقة لدرجة لا يمكن إخضاعها لعملية تعداد شامل. ومن ناحية أخرى فأن المفاهيم تختلف من جهة لأخرى بل ومن متخصص لأخر. فهذه المناطق تختلف تمام الاختلاف عن العشوائيات التي يطلق عليها اسم (أحياء الصفيح) أو المناطق المتدهورة عمرانياً. وهذا النوع من العشوائيات وهو ما أسمته الباحثة بالعشوائيات الفارهة * وقد جاءت أغلبها علي حساب الأراضي الزراعية والحزام الأخضر المحيط بالمدينة، فأصبحت تشكل عائقاً أمام الأجهزة التنفيذية في كيفية التعامل معها، نظراً لعدم وجود مصدر يمكن الاعتماد عليه من ناحية الأرقام والاحصائيات، ويمكن الأشارة إلى الزيادة المضطردة للأرقام والمعدلات الخاصة بالمناطق العشوائية على مدي السنين على الرغم من أن الأرقام والمعدلات المنشورة هذا أن وجدت تكون أقل دائماً مما هو موجود في الواقع تبعاً للنمو الغامض لهذه المشكلة، خاصة في وقتنا الراهن الذي تشهده ليبيا عامة، وطرابلس خاصة من استفحال كبير لهذا النمو الغير مخطط في ظل غياب الرقابة والمسطرة القانونية.

مشكلة البحث

تتمثل إشكالية البحث فيما تضمنتها ثنايا الطرح السابق، وفرضتها معطيات الواقع المعاش لهذه المشكلة. الأمر الذي يجعلنا نتساءل فيما إذا كان هذا هو الواقع للمدينة في الوقت الحالي، فكيف به بعد عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن؟ وكيف يمكن قياس حجم النمو الغير مخطط ، وتحديد اتجاهاته.

أهداف البحث

يهدف البحث إلي:

1. دراسة التتابع الزمني لنشأة النمو غير المخطط بمدينة طرابلس .
2. قياس ورصد حجم النمو غير المخطط الذي وصلت إليه المدينة خلال الفترة 1972-2012.
3. تحديد محاور اتجاهات النمو غير المخطط .

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث في بيان دور التخطيط الحضري السليم والمنظم في الاستخدام الأمثل للأرض في مدينة طرابلس، الأمر الذي يفتح المجال لحل المشكلات التي تعاني منها المدينة. وتدعم نتائج البحث أفكار القائمين على عمليات التخطيط ومتخذي القرارات والمسئولين بالجهات المختصة وذلك من خلال الاهتمام بعملية التخطيط المستقبلي للأماكن التي تشهد نمواً عشوائياً متطرد في منطقة الدراسة.

* العشوائيات الفارهة: هي مباني حديثة الطراز من حيث أساليب تصميمها، وذات مساحات كبيرة الحجم، وبتكلفة إنشاء عالية وبمواد بناء ذات جودة ونوعية باهضة الثمن. ويسكنها فئات من الطبقات المختلفة بما فيها الطبقة الغنية. إلا أن العشوائية بها هي أنها بنيت خارج المخطط المعتمد متجاوزة الأسس التخطيطية والمسطرة القانونية.

منهجية البحث

اعتمد البحث على عدد من المناهج البحثية الرصينة تمثلت بشكل أساسي في المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كماهي في الواقع، ومحاولة وصفها وصفاً دقيقاً والربط بين البيانات المكانية والوصفية وتوقيعها على الخريطة. وكذلك تم استخدام المنهج التاريخي لترصين المفاهيم التي تم تناولها وتـأصيلها في التتبع الزمني لحيثات الظاهرة ونموها.

موقع منطقة الدراسة

تمثل مدينة طرابلس الإطار المكاني لهذه الدراسة في الكتلة العمرانية داخل حدود المدينة المحددة بالموقع الفلكي مابين دائرتي عرض 32.49.30 و32.54.19 شمالاً، وبين خطي طول 13.03.34 و 13.13.24 شرقاً. وهي تتميز بطبيعة موقعها الجغرافي على ساحل البحر المتوسط شكل (1)، وباعتبارها عاصمة البلاد فهي تحتل النطاق الحضري للمدينة، ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد 2006 [1] ما يقارب 1,682,000 نسمة.

شكل (1) الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة طرابلس عام 2012

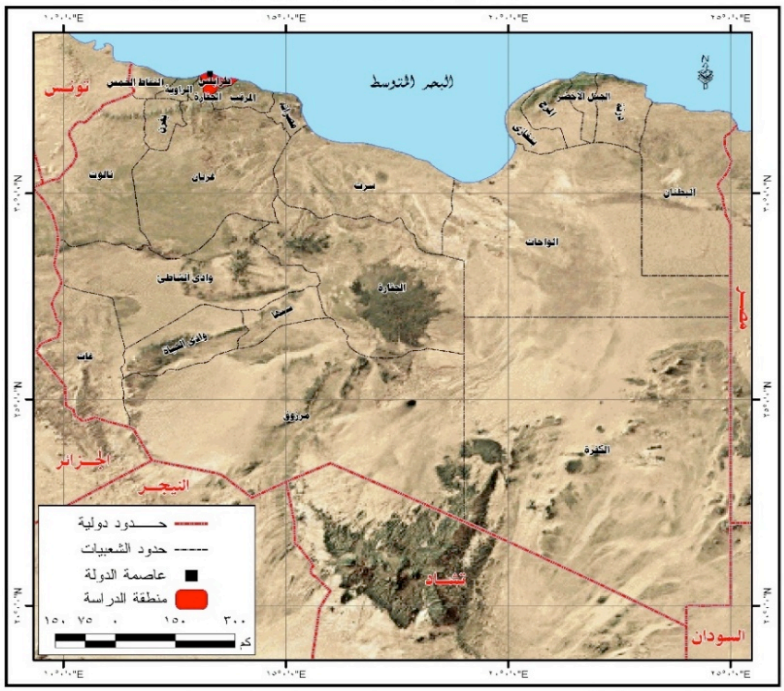

المصدر: إعداد الباحثة استناداً إلى أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، خريطة التقسيم الإداري لدولة ليبيا، 2012م

التسلسل الزمني للنمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبري

إذا تمعنا في جذور المشكلة نجدها بدأت في **الستينيات** من القرن الماضي وتحديداً في الفترة ما بين1964-1973، حين أنشئت أول وزارة للإسكان عُنيت بإنشاء المساكن على شكل مجاورات سكنية صغيرة في العديد من المدن غير أن هذه التغيرات لم تحدث آثاراً عميقة على الوضع السكني من الناحية المكانية نتيجة للتغير الكبير الذي حصل على التوزيع الجغرافي للسكان، والذي أسفر عن تفاقم

الأوضاع السكنية بالقطاع المستقر بالمدينة. فالزيادة في عدد السكان كان يقابلها عجز في عدد المساكن بما يقارب 25% في 1973 نتيجة لاستقطاب عدد من ساكني الأكواخ. واستمرت هذه السياسة إلى ما بعد 1969 حين تم إزالة الأكواخ في مدينة طرابلس سنة 1976 واستبدالها بما يسمي بالمساكن الشعبية في كل من حي الأكواخ سابقاً بطريق المطار في أبو سليم، والحي الإسلامي بحي الأندلس، والفرناج والهضبة وغوط الشعال وغيرها، والهدف منها توفير مسكن صحي ولائق لكل مواطن.

وبالرجوع لبدايات ظهور المشكلة نجدها في عقد **السبعينيات** نتيجة للاستقرار الإسكاني في المراكز الحضرية منها طرابلس وبنغازي ترتب عليه زيادة سكانية كبيرة، كان لها دور كبير في زيادة الطلب علي الوحدات السكنية، ورغبة الكثير من السكان بالمناطق الداخلية والأرياف الهجرة من مناطق إقامتهم الأصلية والاستقرار بالمدينة من أجل تعليم أبنائهم وتحبيذهم للأعمال الوظيفية بالدوائر الحكومية، وابتعادهم عن العمل الزراعي بمناطق إقامتهم بالأرياف. وميلهم لتغير نمط حياتهم إلى الحياة الحضرية. وعلى إثر ذلك ارتفعت نسبة الاستقرار بمدينة طرابلس وحدث العجز السكني على الرغم من أن الخطة التنموية 1980-1985 استهدفت تشييد ما يقارب 190,000 وحدة سكنية على مستوي البلاد وكانت هذه الخطة آخر خطة خمسية وضعتها الدولة. حظي إقليم طرابلس بما يقارب 22,800 وحدة سكنية أو ما يعادل 12% [2] من المستهدف ونتيجة لتضاعف معدلات العجز السكني لدى السكان، ترتب عليه قيام السكان بعلاج المشكلة ببناء المساكن خارج مخطط المدينة وخاصة بالأطراف القريبة من حدود المخطط الحضري بهدف القرب من المراكز الخدمية، وكانت البداية بسيطة وغير ظاهرة للعيان وفي ذات الوقت لم تفطن الجهات المختصة وجهاز الرقابة والمتابعة لذلك أو بالمعني الأصح غضت بصرها ولم تأخذ حيالها إي إجراء.

وفي بداية الثمانينيات، زادت المشكلة وتنامت بسبب مخرجات نتائج قانون رقم 4 لسنة 1978، الذي منع فيه الإيجار وامتلاك أكثر من مسكن. حيث ضيق هذا القانون وما نص عليه الخناق على كلا الجانبين العرض (الملاك) والطلب (المواطن الباحث عن السكن). وما زاد من تفاقم الأزمة تزامن مثل هذه القوانين مع انخفاض ميزانية الإسكان[3] بالإضافة إلى تكبيل القطاع الخاص عموماً وإحجام قطاع الاستثمار العقاري على وجه الخصوص. كما أن عدم توازن خطط التنمية للمدن والأرياف. ومع هذا تم تنفيذ جزء من الوحدات السكنية على شكل مشاريع إسكانية في العديدة من مناطق مدينة طرابلس منها طريق المطار،سيدى المصري، أبوسليم وتاجوراء وجنزور. حيث بلغت نسبة الإنجاز مابين 65-70%. ويرجع السبب في أن الدولة تقاعست عن تقديم المخصصات المالية للشركات المنفذة لهذه المشاريع للعجز الذي تمر بها الدولة في الميزان المالي الليبي في تلك الفترة. فقد أسهمت تلك الأمور بشكل أو بـآخر في إذكاء ظاهرة النمو غير المخطط ليس في مدينة طرابلس فحسب بل في المدن الليبية الأخرى. فكل هذه العوامل سطرت بشكل عميق إبجديات مشكلة النمو غير المخطط كنتيجة طبيعية لمثل تلك الظروف.

ومع بداية عقد التسعينات زادت عمليات النمو غير المخطط حيث ظهر نمط أو جيل جديد من مناطق النمو غير المخطط الذي يتميز بالعشوائية في التخطيط، من حيث الاعتداء على الأراضي الزراعية والغابات وأراضي الفضاء خارج المخططات، وخاصة في أطراف مدينة طرابلس. حيث الفخامة في التصميم والإنشاء، وهذا ما يميز العشوائيات في ليبيا ومدينة طرابلس بالأخص. فهذا النمو

تزامن مع فترة توقف تفعيل المخططات التفصيلية التي وضعت من خلال المخططات الشاملة للجيل الثاني. وقد ترتب على ذلك حدوث عجز سكني حاد في تخصيص قطع أراضي سكنية وخدمية. زد على ذلك وجود الفساد الإداري الذي يخيم على المؤسسات والدوائر الإدارية في البلاد [4]، الذي أتاح الفرصة للتحايل والتلاعب على القوانين وخاصة فيما يتعلق برفع الصبغة الزراعية عن الأراضي من خلال القروض الزراعية والريفية التي مُنحت للمواطنين وتم استغلالها لبناء المساكن على الأراضي الزراعية بالرغم من نسبتها البسيطة إلا أنها فتحت الأبواب لهذا النمو غير المخطط. وهذا الجيل أو النمط من المناطق العشوائية ولد وترعرع ومازال ينمو بشكل مرعب تخطيطياً، وفي ظل عدم قدرة الأجهزة الزراعية والتخطيطية على سيطرة هذا الهيجان العمراني العشوائي الجامح، ربما سيؤدى في حال استمرار فاعلية القوى الدافعة لظهور ناتجه العمراني والاجتماعي والايكولوجي إلى خنق المدينة بحلقات وأحياء عشوائية أكثر وأكبر، وسيكون التعامل معها ومعالجتها أكثر صعوبة وكلفة اقتصادية واجتماعية وعمرانية من المناطق العشوائية داخل المخططات.

وفي مطلع القرن الواحد والعشرين زادت عمليات النمو والامتداد لمثل هذه المناطق نظراً لأزمة السكن وعدم توفره من قبل الدولة، حيث حدث اختلال في التوازن بين العرض والطلب خلال الفترة مابين 1986-2010. وحسب ما أشارت إليه الإحصائيات فإن النمو السنوي في الطلب على المساكن بلغ 2,9%، الأمر الذي جعل النمو السنوي للطلب على العرض يزيد بمقدار 3%. تنامت هذه النسبة إلى أن وصلت حوالي 18% سنة 2010. وتم حساب هذا العجز على أساس تنفيذ ما يقارب 2700 وحدة سكنية سنوياً في إطار الجدول الزمني المحدد. ووفقاً للتقارير الصادرة من المجلس المحلي للمدينة فإن هنالك 3000 أسرة بدون مسكن، أي يعيشون مع أسرهم في حجرة، أو أنهم مستأجرين. ووفقاً للبرنامج الاسكاني الوطني والذي صدر بشأنه قرار من اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) رقم 20 لسنة 2005، الذي نص على بناء 500 ألف وحدة سكنية على مستوى مدن ليبيا [5] من قبل مصرف الادخار والاستثمار العقاري من خلال منح القروض العقارية والاستثمار العقاري، فان هذا البرنامج كان يفترض ان يكون منتهياً، ويكون برنامج التسليم على دفعات آخرها قبل نهاية شهر مارس2010. وقد منح المصرف مامقداره 4,261 مليار من إجمالي قروض المصرف. وفي واقع الأمر فأن القصة تختلف والأرقام تتبدل لتوضح وجهاً مقيتاً يعكس واقع المواطن في صراعه من أجل الحصول على سكن صحي تتوافر فيه معالم الحياة الحضرية التي تتماشي مع تطورات العصر. حيث تبين أن الفترة من 2005 ظهرت المشروعات الإسكانية السالفة الذكر، وهي لوقتنا الحاضر بين التنفيذ وتحت الإنجاز، ومنه ما لم يبدأ بتنفيذه بعد، والجدير بالذكر بأن ما تم تنفيذه مايزال دون البنية التحتية، وهو محصور ب 5000 وحدة سكنية في مدينة طرابلس. الأمر الذي حتم على السكان البحث عن سكن بطرقهم الخاصة، وكُلٌّ حسب قدراته المادية، وخاصة في ظل عدم تنفيذ ما جاء بالمخططات الحضرية والتفصيلية في جدولها الزمني المحدد لها من قبل الشركات التخطيطية والتنفيذية. ومع ظهور فترة الفراغ التخطيطي من سنة 2000-2006. ولم يظهر فيها أي برامج تنفيذية فعلية على أرضية المدينة، بل كلها كانت عبارة عن إعداد مخططات على الورق، وبعض منها لم يُعتمد بعد، ولم تأخذ أي عملية تنفيذ لها على الواقع حتي الآن، ماعدا عمليات الهدم والإزالة للمناطق المتدهورة عمرانياً داخل مخطط المدينة بغرض تطويرها، وهي التي أذكت عملية النمو غير المخطط وجعلتها مستشرية بالمدينة.

حجم النمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبري

يُعد معرفة حجم النمو غير المخطط مؤشراً مهماً على مدي تأثير تلك المناطق على مخطط المدينة ونسيجها العمراني، حيث يلعب دوراً كبيراً في زيادة التأثيرات السلبية على مفردات المخطط وهيكله العام، وينعكس بدوره على بيئة المدينة من خلال التأثير الكبير على نموها وامتدادها وتغير استعمالات الأراضي بمخططها. فالاختلاف في حجم النمو لتلك المناطق يؤثر بشكل آخر على الصورة المكانية، إذ إن تأثيرها على مخطط المدينة ومفرادات نسيجها الحضري يتوافق تصاعدياً مع حجم تلك المناطق، فكلما كان حجم النمو بسيطاً كان تأثيره أقل والعكس. بمعني آخر أن درجة التأثير للمناطق العشوائية على مخطط المدينة يرتبط بحجم النمو غير المخطط، وموقع تلك المناطق بالنسبة للمدينة. مما يؤدي إلى استنتاج العلاقة بين هذين المحددين وخصائص تلك المناطق، وبخاصة فيما يتعلق بضعف مستوي الخدمات بجميع أنواعها، وفي تغير خصائص استعمالات أراضيهم. والأهم من ذلك أن حجم النمو يؤثر هو الآخر على إمكانية التعامل مع تلك المناطق في اختيار طرق وأساليب المعالجة لهذه المشكلة، والتدخل المستقبلي لها من قبل الجهات ذات الأختصاص.

وبتتبع حجم النمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبري على فترات زمنية متعاقبة (1972-2010) من خلال التحليل والمقارنة لصور الأقمار الفضائية من نوع (Spot XS)[6]، وتطعيم هذه الصور بالبيانات التي يتم الحصول عليها من الدراسة الميدانية، يمكننا تتبع مشكلة النمو غير المخطط، وايضاح حجم التغيرات التي طرأت على أرضيها. حيث يكشف الجدول(1) والشكل(2) حجم ذلك النمو والامتداد خاصة خارج حدود مخططات الجيل الثاني ونهاية حدود منطقة الدراسة. إذ يتضح من خلال الصور والأشكال أن مدينة طرابلس خضعت لنمو حضري سريع في أقل من أربعة عقود (1972- 2010). خاصة بجنوب، وجنوب شرق وجنوب غرب منطقة الدراسة، حيث يظهر النمو غير المخطط على حساب المساحات الزراعية والغابية وأراضي الفضاء لتحل محلها مناطق عمرانية وصناعية وخدمية وغيرها. وقد نجمت عليه تأثيرات مكانية انعكست على المخطط، وعرقلت عمليات التنفيذ، وأدت إلى تغير في استعمالات الأرض بها، وأكسبتها صفة العشوائية على عكس ما كان يهدف إليه المخطط، والذي إذا ما استمر سيكون له أثره على التخطيط المستقبلي للمدينة.

جدول (1) التغيرات في طبيعية استعمالات الأراضي بمدينة طرابلس خلال الفترات 1972-2010

التصنيف / السنة	حضرية %	زراعية %	غابات %	فضاء %	تصحر %	إجمالي المساحة
1972	11,6	63,6	18,4	6,4	0	100
% التغير بين 1972-1986	8,4	-3,4	-4,5	-4,1	3,6	-
1986	20	60,2	13,9	2,3	3,6	100
% التغير بين 1986-1996	8,5	-5,2	-7,4	-0,3	2,2	-
1996	28,5	55	6,5	2	8	100
% التغيير بين 1996-2010	19	-20,1	-3,7	2,9	1,9	100
2010	47,5	34,9	2,8	4,9	9,9	100
% التغيير من 1972-2010	35,9	-28.7	-15.6	-1.5	9,9	-

المصدر: إعداد الباحثة استناداً لتحليل الصور الفضائية الملتقطة من القمر الصناعي الفرنسي Spot للسنوات 1972-1986-1996-2010م.

وبالتتابع الزمني لهذ النمو من خلال الجدول (1) وما يظهره الشكل (2) يتبين ما يلي :

شهدت منطقة الدراسة خلال الفترة من 1972-2010 نمواً كبيراً غير متوقع في المساحة الحضرية على حساب الأراضي الزراعية والغابات، وانخفاضها على مستوي مخطط المدينة. مما ترتب عليه أن بعض المناطق من المدينة بدأت تظهر بها علامات التصحر على أراضيها. وهذا يرجع إلى تبوير الأرض وإهمالها من قبل ملاكها ومن تم تقسيمها وبيعها بهدف المنفعة الشخصية والربحية.

ففي عام 1972 قدرت نسبة مساحة الأراضي الحضرية بمدينة طرابلس بحوالي 11,6% من إجمالي مساحة المدينة، وفي المقابل شكلت نسبة الأراضي الزراعية والغابات 63,6% و18,4% من المساحة الكلية على التوالي. حيث يظهر نطاق الغابات الواقع حول شرق منطقة تاجوراء الشكل (2) بشكل واضح وقد أزيل معظمه، لأجل زيادة مساحة الأراضي الزراعية المروية لتلبية حاجة الأعداد المتزايدة من السكان. في حين بلغت نسبة الأراضي الفضاء حوالي 6,4%. ولم يتم تسجيل أى مساحة متأثرة بظاهرة التصحر. ويستدل من ذلك أن المساحة الحضرية كانت محدودة، وأن الأراضي الزراعية والغابات كانت هي الغالبة بمخطط مدينة طرابلس وتشكل حوالي 82% من المساحة الإجمالية لمنطقة الدراسة.

شكل (2) تصنيف الأراضي بمدينة طرابلس خلال الفترة 1972-2010

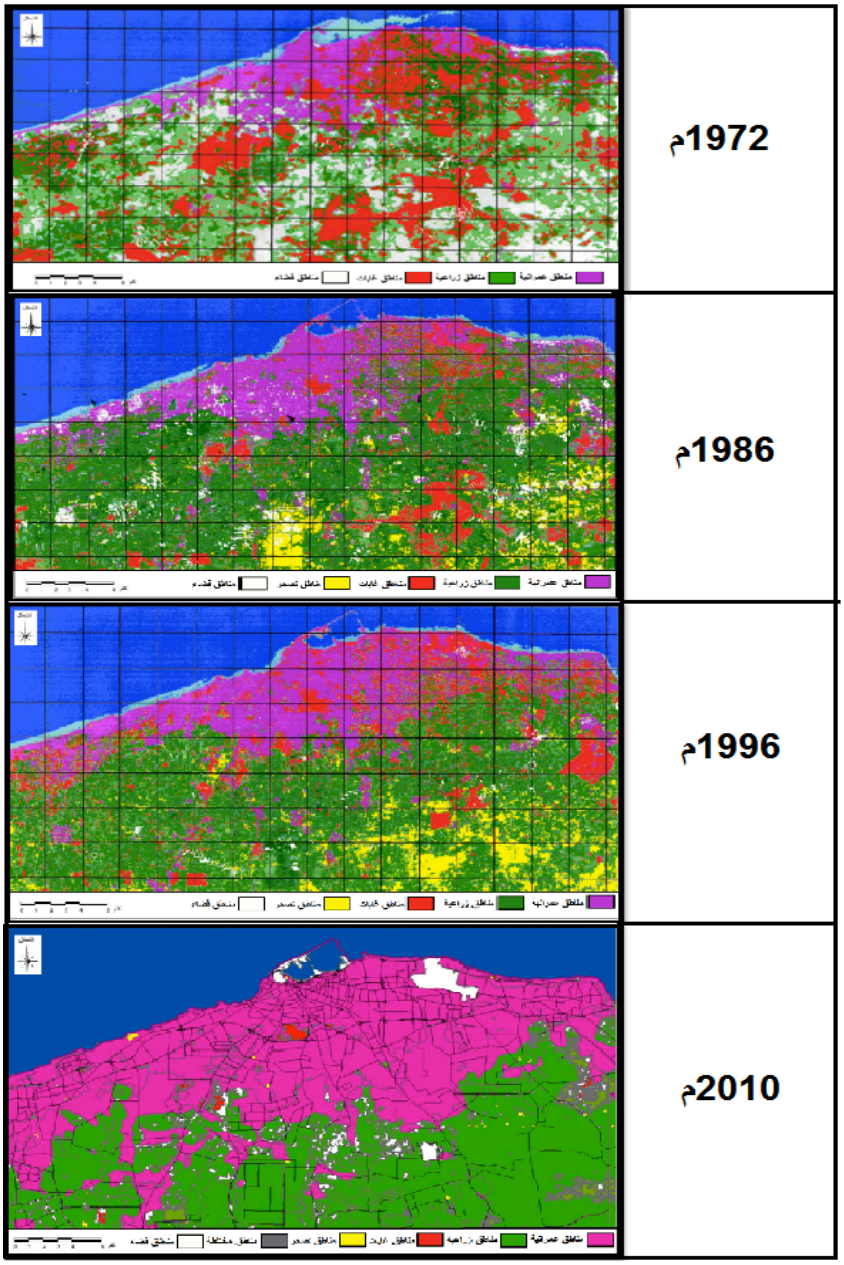

المصدر: مركز البيروني للاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء، والصورة الفضائية ملتقطة من القمر الصناعي الفرنسي Spot XS للسنوات 1972-1986-1996-2010م.

وبالرغم من أنها عاصمة البلاد، وتتمركز بها الخدمات الإدارية الاقتصادية إلا أنها كانت محاطة بالأراضي الزراعية، ورغم أنها سمة تميزت بها مدينة طرابلس إلا أن النمو غير المخطط حال دون استمرار هذه السمة لفترة طويلة.

بينما في عام 1986 زادت رقعة الأراضي الحضرية بدرجة شكلت معها حوالي 20% من مساحة منطقة الدراسة مقابل انخفاض في مساحات الأراضي الزراعية والغابات حيث شكلت نسبتها

60,2% و13,9% على التوالي، ناهيك عن ظاهرة التصحر التي استحوذت على حوالي 3,6% من المساحة الكلية لمنطقة الدراسة. ويرجع السبب في ذلك إلى عمليات القطع المستمرة لأشجار الغابات بدرجة تناقصت معها مساحة الغابات خلال فترة العشر سنوات(1986-1996) إلي حوالي 53,4% من إجمالي مساحة الغابات، والتي منها غابات منطقة الهضبة الخضراء جنوب مدينة طرابلس، وغابات منطقة عين زارة جنوب شرق طرابلس، بالإضافة إلى النقص في المياه التي عانت منها مدينة طرابلس بل والبلاد في تلك الفترة.

وبقياس حجم النمو غير المخطط خارج مخطط المدينة حتى سنة 1986 من خلال مطابقة الصورة الفضائية الملتقطة للمدينة لنفس السنة مع مخططاتها الحضرية، وذلك لوقوع سنة 1986 في نطاق المرحلة التخطيطية الثانية. حيث تم تحديد حد المخطط الحضري عليها كما بالشكل (3) وتبين أن حجم النمو غير المخطط بلغ ما يقارب 2264 هكتار، وهذه المساحة ضئيلة إذ ما قورنت بحجم النمو والاتساع العمراني الذي وصلت إليها المدينة في نفس الفترة، وهو راجع إلى احتواء المخطط لهذا الاتساع في نمو مدينة طرابلس.

أما في سنة 1996 فقد بينت التحليلات الرقمية للبيانات المتحصل عليها من الصور الفضائية ارتفاع نسبة الأراضي الحضرية بمخطط المدينة حيث شكلت 28,5% من مساحة منطقة الدراسة بزيادة بلغت 4074,6 هكتار. وكانت هذه الزيادة على حساب تناقص حجم مساحة الأراضي الزراعية. إذ بلغت نسبتها حوالي55% وعلى إثر ذلك تناقصت مساحة الغابات أيضاً بدرجة لم تشكل معها سوى 6.5% من مساحة منطقة الدراسة وذلك نتيجة لعمليات القطع المستمر التي ترتب عليها عمليات التصحر التي اتسع نطاقها لتشغل حوالي 8% من إجمالي المساحة. وبمطابقة الصورة الفضائية مع مخطط المدينة لنفس السنة تبين من خلال الشكل (3) أن حجم النمو غير المخطط قد استحوذ على مساحة تقدر بحوالي 2852 هكتار خارج المخطط المعتمد.

والجدير بالذكر أن حجم النمو غير المخطط الذي كان بطيئاً في عام 1972، قفز بشكل سريع خاصة بعد عام 1996، وبدرجة ملحوظة عندما وقعت بعض المناطق تحت مشروع الإزالة لغرض التطوير وهي المناطق المتدهورة عمرانياً، وأغلب تلك المناطق تقع داخل المخطط سواء مخطط الجيل الأول أو الثاني. وبمعاينة الشكلين (2-3) لتصنيف استعمالات الأراضي لسنة 2010 يتبين لنا أن مساحة الأراضي الحضرية شكلت ما يعادل

شكل (3) حجم النمو غير المخطط خارج مخطط مدينة طرابلس خلال السنوات (1986-1996-2010)

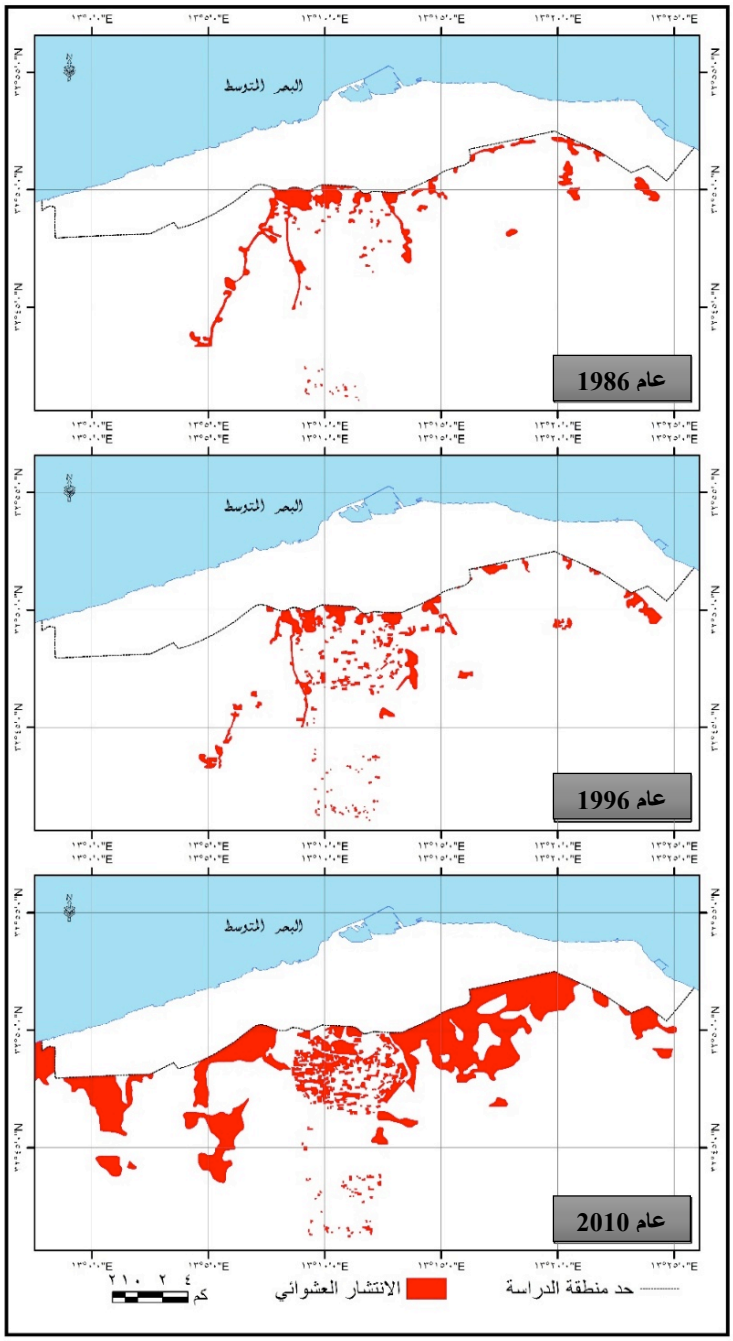

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على المرئيات الفضائية لمنطقة الدراسة عام 1986-1996-2010

45,7% من مساحة منطقة الدراسة. وعلى أثرها تناقصت نسبة الأراضي الزراعية لتشكل 34,9% مقارنة مما كانت عليه عام 1996 وتقلصت مساحة الغابات لتصل نسبتها حوالي 2,8%. وجاء هذا الانخفاض في نسبة الأراضي الزراعية والغابات نتيجة لتواصل عمليات التبوير والإزالة

التي تعرضت لها تلك الأراضي بشكل سريع بهدف المتاجرة بها. وبناء على الدراسة الميدانية فلقد لوحظ أن ما يقارب 78,7% من الحزام الغابي الواقع جنوب، وجنوب شرق وغرب مدينة طرابلس، والتي تشمل الغابات المنتشرة بمنطقة تاجوراء وتحديداً بالوادي الشرقي والغربي، وغابات وادي الربيع بمنطقة عين زارة، وكذلك الغابات المنتشرة بمنطقة ابوسليم أو ما يعرف بمشروع الهضبة الزراعي والغابات الواقعة في منطقة جنزور قد تمت إزالة معظمه وما تبقي من الأراضي فهي تُعد أراضي فضاء عرضة لعوامل التعرية المختلفة. وتزامن مع هذا اتساع نطاق الأراضي الفضاء ليشكل حوالي 4.9% من مساحة منطقة الدراسة مقارنة بما كان عليه في عام 1996 الذي لم يتجاوز انذاك 8% وفي الوقت نفسه اتسع نطاق المناطق التي تأثرت بظاهرة التصحر لتشكل حوالي 9.9% من مساحة منطقة الدراسة.

ومن خلال رصد حجم النمو غير المخطط الذي وصلت إليه المدينة سنة 2010 يتبين أن مساحته بلغت حوالي 112,75كم^2 أي ما يقارب 11275 هكتار، وتظهر هذه المساحة بوضوح إذ تمت مطابقة الشكل (3) بحدود المخطط الحضري الخاص بالفترة التخطيطية الثانية على الرغم من أن سنة 2010 تعد بعد الفترة التخطيطية الثانية، وقد تم الاعتماد عليها وذلك لانعدام وجود أي مخططات حضرية جديدة ومعتمدة بعد سنة 2000.

وتأسيساً لما سبق ومن خلال بيانات الجدول (2) والشكل (4) يتضح جلياً بلغة الأرقام حجم النمو غير المخطط الذي طرأ على مخططات مدينة طرابلس من حيث المساحة ومعدلات نموها السنوية خلال الفترة 1986-2010 والتي يتبين من خلالها مايلي:-

جدول (2) مقدار الزيادة في المساحة والمعدل السنوي في حجم النمو الغير مخطط بمدينة طرابلس الكبري خلال السنوات (1986-1996-2010)

السنة / التصنيف	1996-1986		2010-1996		2010-1986	
المساحة/ هـــ	2264	2852	2852	11275	2264	11275
مقدار التغير / زيادة كلية	+588		+8423		+9011	
زيادة سنوية	58		602		375	
% معدل نمو سنوي	%2,3		%9,8		%6,7	
% التغير	%26		%295		%398	

المصدر:إعداد الباحثة، استناداً على القياس من الصورة الفضائية ومطابقاتها مع خرائط مدينة طرابلس مقياس1 : 5000، أعوام (1986-1996-2010)، باستخدام الحاسب الآلى برنامج (Arc Map 9,3).

خلال الفترة 1986-1996: بلغت مساحة النمو غير المخطط بمنطقة الدراسة 2264 هكتار سنة 1986 ثم زادت هذه المساحة حتى وصلت 2852 هكتار سنة 1996، بزيادة بلغت 588 هكتاراً خلال عشر سنوات، وبمتوسط قدره 58 هكتار سنوياً، وبلغ معدل النمو المساحي حوالي 2,3% وبنسبة تغير بلغت 26%. وهذه الزيادة في حجم مساحة النمو نتجت بسبب تجاهل مخطط الجيل الأول لمعالجة المناطق المتدهورة عمرانياً، وكذلك عدم استكمال تنفيذ ما جاء به المخطط الذي تزامن مع توقف عمليات إعداد المخططات التطويرية لمناطق وأحياء المدينة.

أما خلال الفترة 1996-2010م: بلغ مقدار الزيادة في حجم النمو غير المخطط حوالي 8423 هكتار خلال أربعة عشر عاماً، حيث بلغت مساحة النمو سنة 2010م 11275 هكتار مقارنة بما كانت عليه في عام 1996م (2852 هكتار). أي بمتوسط زيادة بلغت 602 هكتار سنوياً، مسجلاً بذلك نسبة تغير قدرت 295%، ومعدل نمو سنوي وصل إلى 9,8%. وهذا مؤشر يدل على زيادة في حجم مساحة النمو غير المخطط بمنطقة الدراسة، وهو ما يؤكد على أن التنمية العمرانية بالمدينة تسير باتجاه غير منظم وغير منضبط، والنأي عن التخطيط السليم والموجه. والذي دفعت ضريبته اضمحلال الأراضي الزراعية والغابات.

شكل (4) النمو غير المخطط خارج المخطط بمدينة طرابلس الكبري عام 2012

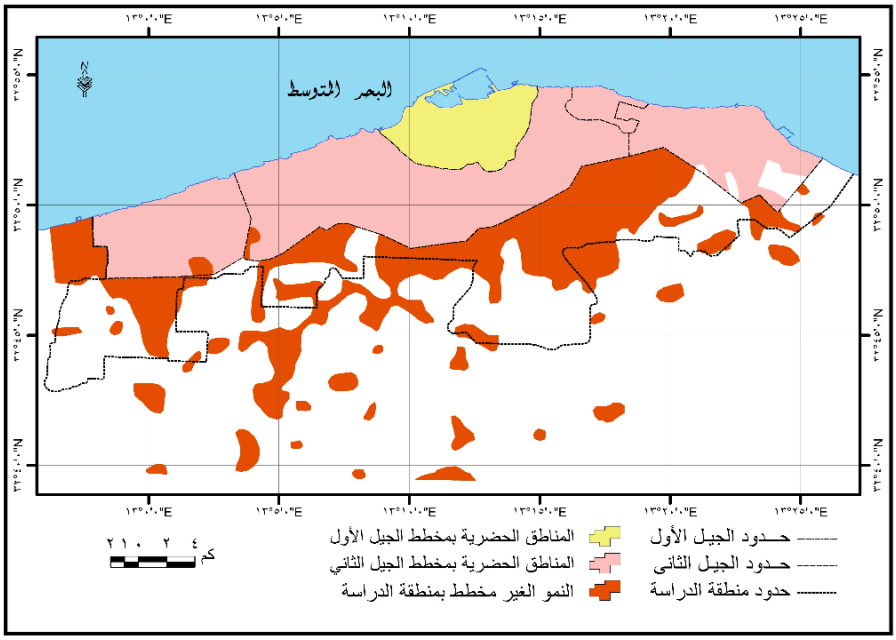

المصدر: إعداد الباحثة، استناداً لعمليات المطابقة للمرئيات الفضائية من موقع Google Earth لمنطقة الدراسة 2012 م.

وبقياس حجم التغير المساحي للنمو غير المخطط خلال الأربع والعشرين سنة، أي ما بين 1986-2010، فيتضح الفارق في حجم الزيادة التي بلغت حوالي 9011 هكتار، وتمثل حوالي 398% كنسبة مئوية للتغير، أي بزيادة سنوية بلغت 375 هكتار سنوياً بمنطقة الدراسة، وبمعدل نمو سنوي قدر 6,7%. هذا إذا علمنا أن مساحة النمو غير المخطط بمدينة طرابلس الكبرى وصل إلى ما يقارب 17898 هكتار (178,98كم^2)[7] سنة 2012م، ومازال حجم مساحة النمو الغير مخطط بالمدينة في استمرار وتزايد، مادامت المخططات وعمليات التنفيذ متوقفة، وسيكون انعكاسها على المدينة في صورة تنمية عشوائية، فكل عشوائية تنتج عشوائية أخري، وهنا العلاج سيكون أصعب بكثير.

اتجاهات النمو المخطط وغير المخطط بمدينة طرابلس الكبري

بتتبعنا لاتجاهات النمو العمراني لمدينة طرابلس في بداياته الأولي، نجد أنه أخذ نمطاً يكاد يكون متوازياً ومنتظماً في كل اتجاهاته، وخاصة في الشمال بمحاذاة ساحل البحر متعدياً أسوار المدينة تدريجياً. حيث بدأ التوسع والنمو الغير مخطط على حساب المساحات الخضراء والأراضي الزراعية والأحراش التي كانت محاطة بالأسوار بحيث تكونت بؤر صغيرة في أطراف المدينة، أي خارج الأسوار وأخذت هذه البؤر العمرانية تنمو منفصلة شيئا فشيئا بشكل غير ملفت للأنظار، ومع مرور الزمن بدأت تلتحم مع بعضها على شكل تراكمات من المباني موازية للطرق التي توصلها لمركز المدينة، بحيث تبدأ عملية التواصل والاستمرار العمراني مع المدينة الأم كما في الشكل (5). وهذا التواصل العمراني العشوائي عمل على تأكل الكثير من الأراضي التي كانت تفصل بينها وبين المدينة واضمحلالها، بحيث أصبحت الآن جزء لا يتجزأ منها، مما أظهر حالياً اختلاف بين المدينة ومجاوراتها. واكتسبت هذه المناطق صفة العشوائية واللانظامية.

بتواصل عمليات النمو العمراني في طرابلس نتيجة لتحسن الوضع الاقتصادي، ومشاريع التنمية العمرانية التي بدأت تتحقق في ثلاثة اتجاهات، باعتبار مدينة طرابلس القطب الذي يجتذب إليه معظم مظاهر التنمية الاجتماعية والمكانية والاقتصادية. رغم أن كُلٌّ من تاجوراء وجنزور كانا مركزين عمرانيين منفصلين في مخطط الجيل الثاني 2000م ولكنهما أصبحا ينموان بسرعة ويوفران الدعم لطرابلس بدرجة كبيرة في مجال الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية, ونظراً للتأثير القطبي الجاذب لطرابلس والحركة الانسيابية باتجاهها من كل من تاجوراء وجنزور تعززت العلاقة بين المراكز الثلاثة بشكل كبير, بحيث أصحبت تسير المنطقة الحضرية ثلاثية الأقطاب (طرابلس– جنزور– تاجوراء) نحو تكوين منطقة حضرية واحدة أحادية القطب وهي ما تسمي حالياً(بطرابلس الكبرى) في برنامج مخطط الجيل الثالث 2006-2030. وهذا يعنى أن المراكز الحضرية الثلاثة تتداخل مع بعضها البعض بشكل بطيء دون حدود تفصل بينهما بسبب عمليات النمو العشوائي للعمران.

وبنظرة تحليلية سريعة لاتجاهات هذا النمو غير المخطط يلاحظ أنه يتمدد ليحيط ببعض المناطق الغربية من مدينة طرابلس الكبري، والتي كانت مغطاة بالنباتات. تم يأخذ بالنمو ناحية الجنوب والجنوب الشرقي والشرق. إذ تبين أنه لا يتوافق مع حدود المخطط سواء على مستوي المدينة أو الحاضرة في حد ذاتها. ومن خلال تحليلنا للمعلومات المتحصل عليها من مشروع تقييم التغير الذي طرأ على الغطاء الأرضي في المدن الليبية ومنها مدينة طرابلس ومقارنتها بصور الأقمار الصناعية التي أخذت بواسطة القمر الصناعي سبوت Spot تبين أنها طرأت عليه تغيرات بسبب هذا النمو حيث تضاعفت نسبة مساحة المنطقة المبينة خلال ربع قرن من 20% من إجمالي مساحة المدينة سنة 1986 إلى 46% سنة 2012 نتيجة للأسباب التي ذكرت آنفاً، حيث وصل معدل التناقص في الأراضي الزراعية والمساحات الخضراء إلى ما يقارب 10,947هكتار، أي بنسبة تغير بلغت 94,4%. وهذا مؤشر سلبي في حق هذه الأراضي. ومردوده ينعكس هو الآخر بالسلب على الأمان البيئي، والأمن الغذائي للمدينة وسكانها.

وبنظرة فاحصة لمحاور واتجاهات النمو حول طرابلس يتضح جلياً من خلال (الشكلين5-6) ما يلي:

شكل (5) مراحل النمو المخطط وغير المخطط بمدينة طرابلس الكبري خلال الفترة 1975- 2012

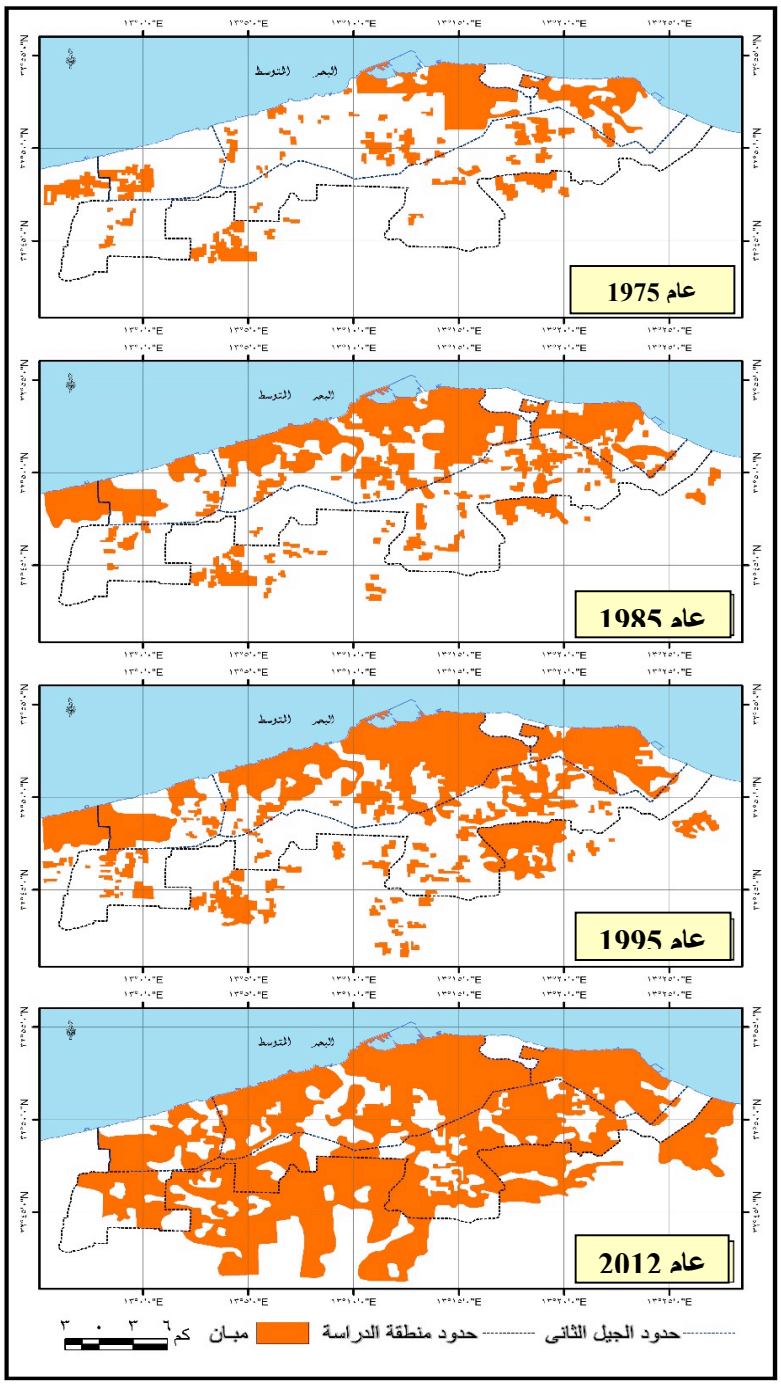

المصدر:إعداد الباحثة، استناداً على خرائط مدينة طرابلس،مصلحة التخطيط العمراني خلال أعوام 1975 -1985-1995-2010م

شكل (6) تطور البناء واتجاهات النمو غير المخطط بمدينة طرابلس 1994- 2012

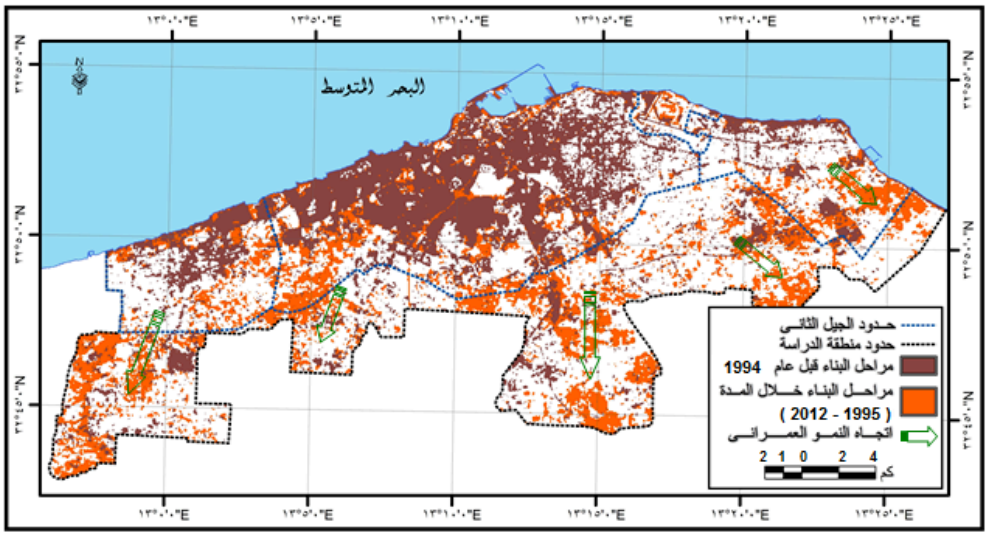

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على المرئيات الفضائية(Land Sat) عامي 1994 و2010م لمنطقة الدراسة.

يتضح جلياً أن مركز المدينة الذي يطلق عليه (المركز) في حالة نمو مستمر خاصة في المنطقة الممتدة إلى الطريق الدائري الأول وتسير عمليات التعمير باتجاه الشمال وصولاً إلى شارع الجمهورية. ويستمر امتداد مدينة طرابلس نحو الخارج شرقاً وغرباً وجنوباً، بالإضافة إلى امتداده في الجنوب الشرقي من مخططات الجيل الثاني، وتزامن ذلك بنمو كل من تاجوراء وجنزور مركزياً. وأدى ذلك إلى التحام المراكز الثلاثة دون وجود أي فجوات بينها.

وفي هذا السياق تجدر الأشارة إلى وجود **مناطق تنمو بمعدلات سريعة** حيث تشكلت بؤر نمو عشوائية في أطراف المدينة كانت بدايتها عبارة عن نوايا صغيرة، ومع مرور الزمن بدأت هذه المناطق تنمو تدريجياً علي هيئة تراكمات من المباني مكونة مجاورات سكنية تختلف من حيث المساحة والكثافة والشكل ومعايير التصميم، إلا أنها تكتسب صفة العشوائية من حيث أن أغلبها غير مخططة وتفتقر للخدمات والبنية التحتية، وهي تتمثل في كل من النجيلة الواقعة بجنوب غرب جنزور، وجنوب حي الأندلس والفلاح وعين زارة، وجنوب أبي الأشهر وجنوب تاجوراء، وكذلك علي امتداد وادي الربيع وهذا يشير بوضوح إلى نمط من التنمية يجرى على أطراف حدود المخطط الشامل للجيل الثاني.

كما تجدر الأشارة إلى أن النمو غير المخطط **اتسم بسرعته** في الاتجاه الجنوبي الغربي من المدينة نتيجة لحيوية تلك المناطق وتمركز الكثير من الخدمات. في حين كان النمو بطيئاً في الاتجاه الجنوب الشرقي.

استمر النمو غير المخطط والتوسع المساحي له بشكل رئيسي نحو اتجاه الجنوب الغربي والأطراف الجنوبية الشرقية للمخططات الشاملة للجيل الثاني، إلا أنه كان بدرجات متفاوتة من حيث سرعة النمو والانتشار, حيث يتركز النمو غير المخطط بشكل رئيسي في المناطق الجنوبية تحديداً

من المنطقة القريبة من حدود المخطط، وهذا النمو غير المخطط لم يقتصر على المساكن فقط، وإنما على الأنشطة والخدمات المختلفة.

ومن واقع تحليل الوضع القائم لمناطق النمو والامتداد غير المخطط بالمدينة, يتبين أنها تتميز بالتغير الدائم في نمط استخدام الأرض بسبب عمليات الامتداد والتوسع التي تجري عليها، وماينجم عنها من عمليات ضم واندماج لهذه المناطق. وبالرجوع إلى العوامل التي تتحكم في هذا النمو غير المخطط، يتضح أن في مقدمتها نوعية الأرض وموضعها وما يجاورها من مناطق، فمن الملاحظ أن أهم العوامل التي حددت اتجاهات النمو والامتداد غير المخطط في مدينة طرابلس الكبري، ترجع بالدرجة الأولي إلى استخدام الأرض في المناطق والأطراف المجاورة للمدينة، إذ توازت اتجاهات نمو وامتداد المدينة مع خطوط التنظيم للمواصلات والطرق خاصة في المساحات والأراضي غير المزروعة وهوامش الغابات التي تحيط بالمدينة. ولم يبقي منها إلا القليل داخل حدود المخطط. كما أن قيمة الأرض في بعض مناطق المدينة كان لها الدور الأكبر في تحديد اتجاهات هذا النمو من حيث تحديد الأسعار، حيث يتبن أن النمو للعشوائيات في بعض مناطق مدينة طرابلس الكبري لعبت فيه أثمان الأراضي دوراً كبيراً إذ خضعت الأرض للمنافسة، وبدأت ترتفع أثمانها بسبب التحول الذي حدث على طبيعتها ونمط الاستعمال الذي ترتب عليه ظهور العديد من المشاكل في مفردات النسيج الحضري الذي بدأت معه ملامح العشوائية في التخطيط والنمو الغير الموجه في الظهور بالمدينة.

وتشير الدلائل من خلال الزيارة الميدانية والواقع المكاني لمنطقة الدراسة إلى أنه في حالة استمرار التنمية التلقائية، التي فاقت المعايير المخططة بشكل طولي كما هو الحال الآن؛ فإن المتوقع لكل من السواني وبن غشير اللتين لم يشملهما المخطط إندماجهما مع طرابلس مكونة ما يسمي بالحاضرة، وبالتالي يترتب عليه عدم إمكانية ضبط النمو والامتداد غير المخطط، والتحكم في اتجاهاته وهو ما سيعمل على تغيير خارطة المدينة في شكل قطاعات نمو عرضية [8].

الخاتمة

إن اتساع رقعة المدينة ونموها هي ظاهرة ليست في مدينة طرابلس فحسب بل في كل مدننا الليبية وهو امر لا مفر منه، ولكن الذي يجب الانتباه اليه هو الإمكانيات التخطيطية والتنموية المرافقة لهذا النمو والتوسع والذي يكون عبر سياسات فنية وتكنولوجية معدّة من قبل الدولة، فالتنمية الاجتماعية والاقتصادية لمحاور نمو المدينة ودراستها يقّي المدينة من العديد من المشاكل المترتبة على هذا النمو غير المخطط، فمشاكل الأزمات السكنية الحادة وتخلف قطاع الخدمات وقلة كفاءتها ومشاكل التصاميم الأساسية للمدينة وغيرها كلها يمكن السيطرة عليها من خلال اعتماد سياسات واجراءات تخطيطية مدروسة يضعها المختصون من ذوي العلاقة كل حسب تخصصه، الخبراء من أساتذة الجامعات والفنيين والإداريين والمخططين لاستيعاب تفاقم هذه المشاكل التي لربما تصبح بعد حين أمراض مستعصية يصعب إيجاد الحلول المناسبة لها.

النتائج

1. تبين أن نظام النمو بالمدينة لا يسير على نمط محدد واحد، وأنها ساهمت أنماط النمو الخطي والمتناثر والمنتظم والتراكمي في رسم صورة النمو غير المخطط فيه.
2. اتضح من خلال التتابع الزمني لحجم النمو غير المخطط بمدينة طرابلس عن طريق الصور الفضائية للسنوات 1972-1986-1996-2010 الزيادة الكبيرة في مساحته، حيث زادت مساحته من 2264 هكتار سنة 1986م إلى 11275 هكتار سنة 2010. مما يعني أن الزيادة الكلية في مساحته وصلت بين عامي 1986-2010م حوالي 9011 هكتار وبمتوسط بلغ 375 هكتار بالسنة، وبمعدل نمو سنوي 6.7% وبنسبة تغير بلغت 398%.
3. تناقص مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية بسبب تبويرها وتقسيمها إلى قطع للبناء ، حيث وصلت نسبتها 7% سنة 2010 بعد أن كانت 32% سنة 1980. كما تناقصت نسبة الغابات أيضاً بواقع 78,7% خلال الفترة ما بين 1986-2010 وكان هذا التراجع في مساحة الأراضي الزراعية والغابات لصالح المساحة الحضرية التي اتسمت بملامح عشوائية في الآونة الأخيرة.
4. بينت نتائج البحث أن النمو والامتداد غير المخطط بمدينة طرابلس اتخذ اتجاهات وأنماطاً متعددة. فقد أسهمت جملة من العوامل الطبيعية والبشرية في تحديد اتجاهاته ومساراته، بحيث أعطته أشكالاً وأنماطاً متعددة. إذ ظهرت بؤر نمو عشوائية في أطراف حدود المخطط الشامل للجيل الثاني. أي باتجاه الشرق والغرب والجنوب حيث اتسم هذا النمو بالبطء نحو الجنوب الشرقي عكس الجنوب الغربي الذي اتسم بالسرعة نتيجة لحيوية تلك المناطق الواقعة في هذا الاتجاه، كما أن استخدام الأرض في هذه المناطق والأطراف المجاورة للمدينة حددت اتجاهات هذا النمو، إلا أن ما يميز مناطق النمو غير المخطط هو حداثة البناء والتصميم.

التوصيات

1. تعديل القوانين والتشريعات ذات العلاقة بالتخطيط العمراني ومنها قانون رقم 4 لسنة 1978م الخاص بالملكية العقارية، وقانون رقم 88 لسنة 1975م بشأن تقرير الحكم الخاص ببعض حالات بيع الأراضي المملوكة للدولة، والقانون رقم 7 لسنة 1987م بشأن إلغاء ملكية الأرض وغيرها من القوانين وإعادة النظر في علاقة هذه القوانين بالتشريعات الأخرى مثل التشريعات الضريبة.
2. التعجيل بإعداد المخططات التطويرية للمدينة بالكامل. مع الإسراع في تنفيذ مخططات الجيل الثالث بما يضمن توفير أراضي للبناء داخل المخططات في الوقت المحدد بمساحات تتلاءم واحتياجات مختلف شرائح المجتمع.
3. اعداد مخطط شامل لاستعمالات الأراضي ليكون دليلاً توجيهياً في توضيح التوجهات التنموية والتوسعات السكنية، وتوجيه الاستثمار والمحافظة على ما تبقى من الأراضي الزراعية والغابات وضمان استدامة استغلالها للزراعة ووقف النمو غير المخطط للمدينة.

4. وضع سياسة جيدة لإدارة الأرض داخل وخارج المخططات، والسيطرة عليها بمنع المضاربة فيها وإتاحتها للجميع، وذلك من خلال توثيق مواقع النفع العام باسم الدولة وإدخال برنامج التهيئة العمرانية وتجهيز الأرض للبناء، وإعادة توزيعها بشكل عادل يضمن عدم تعرضها لعمليات النمو غير المخطط.
5. إعداد فرق عمل وتكليفها من الجهات المختصة بمتابعة ورصد أى بناء عشوائي بمختلف أشكالها بكل حي ومنطقة، واتخاذ الإجراءات المناسبة بشأنها، وذلك بالتنسيق مع الإدارات العامة ومؤسسات المجتمع المدني المَعنيّة بالأمر. وإيجاد الحلول والبدائل المناسب من المجالس المحلية وذلك لدرايتهم الكاملة باحتياجات سكان تلك المناطق.

المراجع

1. الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق – النتائج الأولية لتعداد العام للسكان 2006.
2. أمانة اللجنة الشعبية العامة للتخطيط، تقارير المتابعة وخطة التحول الاقتصادي والاجتماعي 1981-1985. طرابلس، ص125.
3. رحاب بن سعود، مريم محمد الكوافي، البناء العشوائي واقع وملموس وحلول مقترحة، بحث مقدم لمؤتمر الإسكان بليبيا، بحث غير منشور، سبتمر 2012م،ص ص2-4.
4. المكتب الاستشاري الهندسي للمرافق، ظاهرة المناطق المتدهورة عمرانيا في المدن والقرى الليبية وأساليب ومنهجيات التدخل والمعالجة. غير منشورة ، يوليو/ 2010. ص7.
5. الجمعية الليبية للتخطيط العمراني، ورشة عمل حول التخطيط العمراني والإقليمي المستدام في مواجهة المخالفات والبناء العشوائي ، أبحاث غير منشورة، 2012، صفحات متعددة بدون أرقام.
6. مركز البيروني للاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء، خرائط وصور فضائية مصححة ملتقطة من القمر الصناعي الفرنسي Spot SX لسنة1972- 1986-1996-2010 غير منشورة.
7. حسبت من قبل الباحثة.
8. مصلحة التخطيط العمراني، مسودة المخطط الشامل لطرابلس الكبرى- تحليل الوضع القائم، ،تقرير غير منشور، طرابلس، 2009.

Exploring The Concept Of Error In English : A Content Analysis

Azzaytuna Unversity - Faculty of Arts Suq aljumeat Tarhuna
Alemmari A.M Almusbahi
Faculty member at azzaytuna university
Year 2019

Abstract

Language can be described as a tool in which every individual is used to communicate or pass verbal information to one another. In human society, there are different languages which are used as a means of communication across the globe. Thus, it is applied for different purposes in different sectors of life. Language is peculiarly used in social gathering, educational institutions, government sector, and the market place and even in political campaigns and the arena. Therefore, regarding English language, it has become very obvious that English is becoming a global language; in fact, it has been considered an international language which is used as a medium of communication anywhere in the regions of the world. Hence, despite the high growth of English speakers in the world and there have been a large number of countries who have made English a compulsory subject in their education curricula. Hence, there have also been a reasonable number of common errors in English speaking—this has really created some level of irregularity in establishing a Standard English speaking which is some extent error free. For this reason, this study intends to explore the common errors that are always made among the university students especially those who are studying English.

Introduction

There are a good number of scholars, teachers, researchers, and theorists of linguistic study who have tried as much as possible to give an appropriate definition to the term "error". In their attempt to define error, they have tried to establish the reality of their points on several components of error analysis in order to be critically correct in their definition. They tend to focus on the ability of the native speakers in their English communication and this common tradition of the students who are trying to learn language on the basis of the progress they are personally making in their learning procedure. Thence, the way the definitions of those terms were given by the experts are to some extent idealistically established and somehow full of subjectivity. This appears that those definitions dogmatically place some rules about second language on the learners that force them to make a direct mimicry of the native speakers as regard their

personalities. Regarding these definitions, Liski and Putnanen explain that error can happen when there is no proper observation of how the teachers in those countries where English is spoken today (1993).Coder (1967) explains that the students tend to tend to make a deviation from the construct of TL when they lack knowledge about its linguistic understanding. Moreover, Lennon maintains that:

…teaching materials could be tailored to the needs of learners of a specific first language. Lado himself was an English and Spanish bilingual, who was born in America of Spanish parents, grew up in Spain and then went to college in the USA. He was all too aware of the importance of cultural difference in mastering a foreign language. However, his appeal to compare cultures was not taken up, and in practice contrastive analysis focused on a surface comparison of languages, starting with the sounds, then the grammar and finally - and only selectively - the vocabulary(Lennon,2008:1).

Hence, James postulates that the students tend to commit error when they are entirely not wary of the error they are committing(1998:78).Furthermore, Shastri (2010) explains that it is very important to understand that the error that the students make while expressing themselves in English is not made deliberately but they are actually not wary of the error they are making. Hence, errors in English are made by the learners when they are not aware that their expression is not appropriately made regarding their grammatical expression. However, it is possible for students to sometimes, or most times make a lot of unidentified errors which they don't really know that those expressions are actually wrong. Regarding this, Richard and Schmidt (2002:4) explains vigorously that an error has to do with the inadequacy in English expression that can easily be discovered by native speaker or someone who has adequate understanding of English language. In this sense, when an English learner speaks these errors are easily detected in their process of speaking. Though, there is no how errors will not be made while speaking English especially when one is a beginner, or when it is learned as a foreign language. But the more one continues to learn more understating and adequate improvement will beginning to fall in place. Wun—pyo opines that error can be made based on the little understanding of the students who learn English (2002:1).Thus, this study intends to annotate the concept of error analysis in English using content analysis.

The Difference between Error and Mistake

Talking about the disparity between error and mistake, it is very important to give a critical and insightful look into the two words. Though, the two terms are intertwine but when one looks at it from different angle there are some little differences that may be obvious in the process of their definitions. Hence, error and mistake have been mistakenly used for each other, people tend to use them ignorantly hoping that they both mean the same and they are pointing people's attention to the same direction of meaning. Regarding the mistake, it happens because of some certain reasons. Richard tries to give the definition of mistake as a blunder in language expression that takes place as a result of personal inadequacy such as nervousness or lack of focus. Therefore, this is not properly corrected because the person who has made the mistake did not make it as a result of his incompetent knowledge about the language but it happened based on the personal defect of the speaker(James1988:94). However, Nezami el tel explain that:

> The study of second language learners' errors has emerged as one the focal concerns of second language studies since 1970s. Since then, many researchers have devoted their time to explore the nature and the cause of the errors second language learners make in their production of the second language. Many studies aimed at identifying the frequency of error types among either EFL or ESL learners (Nezami, el tel, 2012:160).

Hence, Cambridge Online Dictionary defines mistake as "an action, decision, or judgment that produces an unwanted or unintentional result" .However, errors can be regarded as a miscarriage of competence while mistake can be considered as the incompetence in the process of performance. Hence, there are a lot of linguistic scholars who have tried to make disparities between the two terms. Brown (1980) explains that it is therefore very essential to approach the two terms from different perspectives because they both have different meanings and they serve different purposes while looking at it from the technical aspect. Therefore, making a difference between mistake and error needs to be considered from the technical purpose when one wants to make a disparity about them. James therefore tries to make a difference between two of them from the term of "intentionality". He explains that there is always an occurrence of error when one does not have any deliberate action to commit it(1987:77).Therefore, a correct sentence is made unintentionally but when there is an error or errors in a sentence, it becomes abnormal. Looking at the clear and proper peculiarity of error difference, the analysis made by Allen and Corder (1974) will be an acceptable concept of error analysis.

Thus, they explain that error can take place specifically when the students learning the language are not consciously wary, and this means they do not really deliberately commit the error. There is another import distinction between error and mistake—it is very easy for a mistake to be given an adequate correction when it is committed by the speaker of the language when he quickly becomes aware of it. But it is not always possible for an error to be corrected until when it is subsequently discovered. When the speaker of the language becomes aware of the language, he becomes conscious to self-correct himself especially when he realizes that his language structure is inappropriate (James1998:78). Corder (1984) explains certain differences in his book titled The Significance of Learners' Error; he talks about the area of competence and performance. He considers mistake as deviation that takes place as a result of the ability of the learners' performance while he refers to an error as failure that occurs as a result of the inadequacy of the learners. Thus, he further opines that mistakes and errors have a significant function in language learning procedure that even L1 and L2 both find themselves in committing mistakes.

According to Edge, he refers to mistake in general as the errors that all L2 always commit. He fragments mistakes into three categories: slips—this is committed as a result of being careless, but the learners have consciousness to make a self-correction; errors—this is a faulty production which is impossible for the learners to make a self-correction; attempts—these are not understandable, and the learners do not also have

understanding of how to apply them ((1989:14-20). Therefore, knowing the differences between the two terms is very important in order to understand how they are both used technically. Many people have mistaken the two terms for each other, and they have always been misusing them, assuming that both terms have the same meaning and function. Hence, there is a clear distinction between the two terms and they must be properly applied while making sentences.

The Disclosure of Error Analysis

Regarding the analysis of error in language sentence and structure, there have been several approaches applied in making accurate analysis of errors. But it is important to understand that in the process of learning a language, whether as a second language or as a foreign language, we must realize that error occurs while going through the process of learning. But when errors occur, the ability to be able to put them in order and correct them becomes paramount. Hence, one cannot do without committing some errors; those errors are channels to another discovery of higher learning process. Understanding the significant role error plays in language learning process is very significant. However, Hasyim maintains that:

> Errors in foreign language teaching especially in English are the cases which are difficult enough to avoid. Many aspects that can cause the learners of English as a foreign language make errors. These aspects are interference, overgeneralization, and markers of transitional competence, strategies of communication and assimilation and teacher-induced errors. As teachers of English as a foreign language, we should improve the way we teach to reduce the errors which are always made by the learners. (Hasyim, 2002:42).

Thus, some people commit error even when they are experts in the target language, but there is always an ability to make correction. Hence, in as much that the language concerned is a foreign language, the tendency to commit errors is inevitable—errors will occur but there will be an immediate attempt to correct them. Language is an important tool of communicating meanings to one another in human society—and the way language is express takes a very significant space in the arena of knowledge. Language acquisition is therefore taken with a great significance because it plays an important role in human society. Learning process of language however should be taken with serious attention to establish a concrete correctness of language development. In analysing error in language, Allwright and Bailey (1991) explain that there are always different methods, thus some use Contrastive Analysis but there has always been some disadvantages in using Contrastive Analysis. Contrastive Analysis always results in establishing a particular linguistic style. First of all, if one makes use of Contrastive Analysis; it has no capacity to give a vivid and accurate analysis of the errors in the language expression. Second, Contrastive Analysis has a capacity to predict some errors that are not real in the language expression. Furthermore the origin of error analysis is traceable to late 1960s.Corder and his associates were the ones who

began Error Analysis of language expression. Though Shastri explains that the two methods are used to predict error but Contrastive Analysis is less effective in the sense that it attributes all the errors detected to the interference of the first language of the learners but Error Analysis traces the errors to all areas which includes intralingua interference, exaggeration, incompetent teaching method, individual attitude of the learners and motivation (2010:25).

Another important aspect of Error Analysis is that the errors made by the learners are incorrectly deduced by the learners and this contributes to making a lot of errors. Furthermore, Error analysis is more advantageous because it reveals some other components of errors in language learning, e.g., the source of error, the consistency of errors, and the result of inappropriate use of language. Yang (2010) opines that the peculiarity of error analysis while comparing it with the Contrastive Analysis is that it dispels the regulations of the hegemony of the first language over the reason of the errors. Hence, it is very possible for Error Analysis to spot errors without making any reference to the interference of the first language. Also, Error Analysis does not only detect errors but there is always clear evaluation of the type of the errors. Error Analysis tries to examine the sentences of learners' first and second languages. Talking about the comparative explanation of first and second languages Corder postulates that the interest is what the learners have learned and how the learners have been able to assimilate what they have been taught so far (1981:57).In making comparison and try to predict the process of Error Analysis, it essential to be able to evaluate the misunderstood meaning of expression of the learners and what is the right expression they need to make. Some learners actually will mean something else, but the manner of expressing the original meaning of their language expression always brings about error. Learners of English need to have an appropriate way of making their sentences clear, but error cannot be avoided while learning. Thus, "Learning a language necessarily means learning the grammar of that language. Learning grammar must begin with a working knowledge of its components, meaning learning about the parts of speech and how they fit together into sentences"(Ibrahim,2017:214). It is the duty of the teachers to try as much as possible to apply a good teaching method in teaching and making appropriate correction. Thus, going from Contrastive Analysis to Error Analysis has not been a straightforward process as people may think. Hence, there have been a lot of conflicting arguments and opinions about the right method but at the end they needed to have an agreement on which is the right method to be used in analyzing errors in language expressions. (Lightbound, 2005:107).

The Definition of Error Analysis

There have been a good number of scholars of linguistics who have tried to give an appropriate definition of Error Analysis. Factually the term error is what everyone has tried to see from different perspectives. Talking about Error Analysis as it applies to language learning process; there are any factors that are associated with this term. Thence, "Errors are not anymore taken as bad signs of nonperformance, in teaching or learning, that should be eliminated at any cost; rather, they are considered to become a necessary part of language learning process. More than that there exists and functions a special type of linguistic analysis that focuses on the errors learners make"(Kotsyuk,2015:390).

Error as we all know can be made by the learners of language especially when they are learning it as their second or foreign language. In this sense, Error Analysis has been given different definitions from different angles. There have been some scholars who agree on the basis of one opinion and they define Error Analysis according to what they see as the reality of it. But some scholars have had contrary opinions as regard the definition made by others due to the fact that they see it from different perspective. Hence, Ellis gave his own definition regarding Error Analysis as a "set of procedures for identifying, describing and explaining errors in learners' language" (1994:701). Looking at it from the perspective of Ellis, it simply means Error Analysis is the procedure of Error Analysis that is methodical in the process and detecting the errors should be evaluated. Detecting the errors is about revealing the fault that makes the language sentences in inaccurate. Hence, Error Analysis is an empirical knowledge that detects and evaluates the error made by the learners while expressing themselves in second language. Corder (1974) points out that the analysis of errors is the examination of the methodical errors made by the learners whether written or spoken forms, specifically to provide reestablishment of the weak aspect of the language. However, various definitions of error have been presented by expert. Basically those definitions contain the same meaning while the difference lies only on the ways they formulate them. That is way the writer only puts forward two definitions of error in this research. These two definitions are adequate to reveal the errors showing up in the written texts. (Hasyim, 2002:45).

Richards and Schmidt assert that Error Analysis can be described as the examination of the error made by the learners in their second language (2002:184) .Thence, the definition reveals the efficacy of Error analysis in language expression and how it can be advantageous to improvement of language. Hasyim (2002) highlights the definition of Error Analysis that it is meant to : (a) Figure out the level of knowledge someone has mastered of a language, (b)The way the person learns that language, and (c)Disclose shared obstacles and hindrances in language learning as curative findings when developing language-teaching materials(2002:43). However, looking at this aspect of error analysis, one will realize that there are different approaches at which people use in giving the definition of error analysis. Scholars of linguistic tend to give different analytical approaches to the definition. While some have different opinions to which some scholars have analyzed it. According to Cook(1993) he categorically explains that Error Analysis is just a medium of bringing data together, thus it does not really mean that it is a process of obtaining the correct sequence of language. Language acquisition is one of the most important aspects of human society. People who learn a language whether as their second or foreign language have a lot of effort to render. The teaching methodology of every teacher also becomes a very significant aspect which helps in establishing a good language learning procedure. Hence, "Languages generally have an important function in terms of communication and exchange of ideas and interests among people" (Eisa, 2015: 158) . In the case of English, it has become very glaring that English has become an international language. There are several countries in the world that make English as a priority in their education system. In most of the countries across the globe, English subject is made compulsory. Yet, those countries in which they just need to learn English before they can speak and understand it will one

way or the other make errors while speaking. The corrections of these errors become paramount in order to establish a standard practice.

Error made by the learners while expressing themselves in second language. Corder (1974) points out that the analysis of errors is the examination of the methodical errors made by the learners whether written or spoken forms, is specifically provided to reestablish the weak aspect of the language. Hasyim highlights that there are some causes of error in language which are:

1) Carelessness

Carelessness is often closely related to lack of motivation. Many teachers will admit that it is not always the student's fault if he loses interest, perhaps the materials and/or style of presentation do not suit him.

2) First language

Norrish states that learning a language (a mother tongue or a foreign language) is a matter of habit formation. When someone tries to learn new habits the old ones will interfere the new ones. This causes of error is called first language interference".

3) Translation

Translation is one of the causes of error. This happens because a student translates his first language sentence or idiomatic expression in to the target language word by word. This is probably the most common cause of error (Hasyim, 2002:47).

The Importance of Error and its Analysis

The significance of Error Analysis has always been an ongoing study. Many scholars have tried as much as possible to give different meanings and analysis to the definition of error analysis. Scholars of linguistic tend to give different analytical approaches to the definition. While some have different opinions to which some scholars have analyzed it. According to Cook (1993) he categorically explains that Cook, it can obviously be noted that Error Analysis is just a medium of bringing data together, thus it does not really mean that it is a process of obtaining the correct sequence of language. Language acquisition is one of the most important aspects of human society. People who learn a language whether as their second or foreign language have a lot of effort to render. The teaching methodology of every teacher also becomes a very significant aspect which helps in establishing a good language learning procedure. In the case of English, it has become very glaring that English has become an international language. However, "Aside from the syntactic, lexical and semantic issues that must be dealt with, some learners must simultaneously balance these features within a new alphabet of characters, as is the case with my Arabic speaking students"(Storke, 2015:2) . There are several countries in the world that make English as a priority in their education system. In most of the countries across the globe, English subject is made compulsory. Yet, those countries in which they just need to learn English before they can speak and understand it will one way or the other make errors while speaking. The corrections of these errors become paramount in order to establish a standard practice. Lennon points out that:

For the foreign language learner, the usual direction of the influence will be from the mother tongue to the foreign language at the phonological level; this will produce typical foreign pronunciations. The German learner of English may, for example,

replace the English weak alveolar [r] sound with a German uvular [r] in English. At the level of structures, the German Perfekt may be identified with the English present perfect tense, for example, and the learner may use the present perfect when he or she would use the Perfekt in German(Lennon,2008:2).

Conclusion

As explained by Lennon, there are different ways at which the learners can make error while speaking. These errors could happen as a result of the first language intrusion or interference. Therefore, error in language learning can be seen as useful tool to bring about improvement in the process of learning. However, error in English language is essentially part of learning process—if there are no errors one will not identify the importance of language development in students. Though, many students tend to learn sincerely, and they tend to express themselves as the process of their learning persists. They try as much as possible to practice what they have learned; in this case committing some errors is inevitable. When these errors occur, it is an opportunity to bring improvement to the students. Talking about the interlanguage analysis, Corder explains that there are many advantages in error analysis, that is, finding out errors in language is a way of improving in language expression. He maintains that error analysis must consist of certain aims which are: "the instructive (pedagogical) justification that involves the fact that first there must be a systematic comprehension of the nature of errors. Then an eradicative method can be adopted to eliminate them. The theoretical objective declares that a study of learners' errors is a segment of the efficient examination of the learners' language which is itself essential to an understanding of the strategy of second language learning"(Corder,1981:1).From the explanation made by Corder, it can be deduced that Corder tries to explain that discovering errors in language expression gives an opportunity for language development.

Bibliography

Akhmad Subkhi Ramdani. (2009). The Students Mastery in Using Simple Past Tense of Faculty of Letters GunadarmaUniversity.Unpublished Master's thesis. Indonesia: Gunadarma University.

Ali, M. (1984). An error Analysis of Prospective teachers' errors in Translation. Master's thesis.Zagazig University, Benha Faculty of Education, Egypt.

Allen, J.P.B. and Corder, S.P. (1974) The Edinburg course in Applied linguistics: vol. 3. London: Oxford University press.

ALawad Badraddin and Balal King Khalid University. (2015)Intanational Intercul International Intercultural Interdisciplinary ,Dubai

Allwright, D., & Bailey, K. M. (1991).Focus on the language classroom. Cambridge:CUP.

Arani, M. T. (1985). Error analysis: The types and the causes of the major structural errors made by Iranian university students when writing expository andimaginative prose. Master's thesis. Ann Arbor, MI: UMI.

AyşegülSığınç (2008). Error analysis in writing skill: a case study of private PamukkaleEğitimvakfı (PEV) Primary school students within fivesemesters from 6th to 8th grades. Masters' thesis.Pamukkale University,Denizli, Turkey. Accessed on: 14/10/2017. Retrieved from: https://tez.yok.gov.tr

Bartram, M. & Walton, R. (1995). Correction. A positive approach to languagemistakes. Hove: LTP.

Bell, R.T. (1974). Error Analysis: a recent pseudo procedure in applied linguistics. Vol. 25-26, p. 35.

Brislin, R. W., Lonner, W. and Thorndike, R. M. (1973) Cross-Cultural Research Methods. New York: John Wiley & Sons.

Brown, H.D. (1980). Principles of language learning and teaching. Englewood Cliffs: Prentice-Hall,Inc.

Brown, H.D.(1994). Principles of language learning and teaching. Third edition. New Jersey. Prentice hall.

Brown, H.D.(2000). Principles of language teaching and learning. New Jersey.Prentice Hall.

Chiang, Tai-Hui. 1981. "Error analysis : a study of errors made in written English by

Chinese learners." Unpublished M.A. thesis. NTNU. Christison, M.A. &Krahanke,

Din, Muhammad (2018)Problem in Sentence Construction at HSSC Level in Pakistan.International Journal of English Linguistics, Canada. (Vol.No 1,)

Eisa,Hago.(2015).Difficulties of Building English Sentences in Writing.SUST Journal of Humanities.

K.L.(1983). Recent language research and someLanguage teaching principles.TESOL quarterly, 17(4), 625-649. Corder, S. P. (1962).the language laboratory. English language teaching journal.(Vol.16)

Corder, S. P. (1967)." the significance of learners' errors ". IRAL.,5,no.4, . Coder, S.P.(1973). Introducing Applied Linguistics. London. Penguin.

Corder, S. P. (1974). Error Analysis. In J. P. B. Allen and S. Pit Corder (edsTechniquesin Applied Linguistics (The Edinburgh Course in Applied Linguistics:3),London: Oxford University Press (Language and LanguageLearning), pp. 122-154.

Corder, S.P. (1981). Error Analysis and Interlanguage. 4th impression. London: Oxford University Press.p.1---)

Corder,S.P. (1984). The significance of learners' errors. In Richards,J.C.(Ed). Error analysis. Perspectives on second language acquisition. Harlow. Longman.

Corder, S.P. (1987).Error analysis and Interlanguage. Oxford. Oxford University press.

Dalal, A. Al-Dubib (2013). Error Analysis of Subject Verb Agreement in the Writing of EFL Saudi Female Students: a corpus case study. Master's thesis.

ImamMuhammad Saud University, Riyadh, Saudi Arabia. Arab world Englishjournal, Vol.5.No.3.accessed on 15/ 10/2017. Retrieved from:http://www.awej.org

Dulay, Heidi C., Burt, Marina K., and Krashen, Stephen D.(1982) Language Two.New York: Oxford. University Press. Edge, J. (1989).Mistakes and correction. London/New York. Longman.

The role of assessments and feedback techniques in improving teaching English as a foreign language in Ean Zara secondary school

Branch of Alawatta - Faculty of Education - University of Azzytuna
Ali Alnafati Ali Saleh
E-mail :(alielt915@gmail.com)
Mobile No. 0913251706

Abstract

Communication has become easier across nations and boarders because of English language and has reached the highest point of recognition in the event of globalisation With this basic premise, it has become a necessity for non-native English speaking nations to include English as a foreign language programmes in their curriculum, particularly in secondary education. The aim of English as a foreign language programme would be to make teachers competitive by equipping them with the necessary knowledge and eventually mastery of the English language. The main motivation for this study is to determine if the use of assessment feedback procedures contribute to improving teaching practice in English as a foreign and language in Ean Zara secondary school in Tripoli. To be more specific, the use of feedback and assessment techniques to evaluate the level of understanding of students are examined in terms of how it contributes to improving teaching practice of English as a foreign language in Ean Zara secondary school in Tripoli. This research was concerned with the role of assessments and feedback techniques in improving teaching English as a foreign language in Ean Zara secondary school. During the investigation of this study, efforts were made to secure the way in which assessments and feedback procedures help to improve teaching process as well as the education system in that school.

CHAPTER ONE

Introduction

1.1 Area and topic

English has been considered as a global language and has reached the highest point of recognition in the event of globalisation where everything has become interconnected and communication has become easier across nations and boarders. With this basic premise, it has become a necessity for non-native English speaking nations to include English as a foreign language programmes in their curriculum, particularly in secondary education. The aim of English as a foreign language programme would be to make teachers competitive by equipping them with the necessary knowledge and eventually mastery of the English language. The main motivation for this study is to determine if the use of assessment and feedback procedures contribute to improving teaching practice in English as a foreign language in Ean Zara secondary school in Tripoli. To be more specific, the use of feedback and assessment techniques to evaluate the level of understanding of students are examined in terms of how it contributes to improving teaching practice of English as a foreign language in Ean Zara secondary school in Tripoli.

1.2 Importance of the study

This study will highlight how students are assessed. During the process of assessment and feedback, teachers will gain some advantages when they are trying to correct the mistakes of their students. As a result, this will eventually improve students' performance and competence in addition to this; teachers need to give a regular feedback in order to help students recognising all kinds of problems which may occur during assessment. Moreover, this study may help students understand and overcome their mistakes in the near future. The underlying reality in this study is that English as foreign language teachers should have means of identifying weak areas and doing necessary actions to improve these weaknesses manifested by students in learning English as a foreign language. This study will investigate the importance of assessment and feedback in improving teaching practice in English as a foreign language in Ean Zara secondary school in Tripoli.

1.3 Aims of the study

First, this study aims to describe the current assessment and feedback practices employed in teaching English as foreign language teachers specifically in the case of secondary Ean Zara school in Tripoli. Second, this study seeks to evaluate the use of various assessment and feedback techniques related to teaching English as a foreign language. More particularly, this study seeks to investigate the current condition of English as a foreign language assessment and feedback methods in Ean Zara secondary school in Tripoli. Third, this study also aims to develop concrete suggestions as to how the numerous assessment and feedback tools can be improved in order to be fully incorporated to English as a foreign language teaching practice. Finally, this study aims to provide new avenues for research and inspire other scholars, particularly in the domain of education and

English as a foreign language to explore the domain of assessment and feedback as mechanisms to improve the teaching process in the long run.

1.4 Research questions

1. How is English as foreign language learning assessed in Ean Zara secondary school?
2. What are the specific strategies used by English as a foreign language teachers in Ean Zara secondary school to assess the performance of students?
3. How is feedback procedure in English as a foreign language education implemented in Ean Zara secondary school?
4. How effective feedback procedure is used facilitate teaching of English as a foreign language in Ean Zara secondary school?

1.5 Methods

In order to determine whether the use of assessment and feedback techniques improve teaching practice among English as a foreign language teachers in Ean Zara secondary school in Tripoli, both qualitative and quantitative research methods will be used in this study. For the quantitative research method, questionnaires will be given to the teachers of English as a foreign language in Ean Zara secondary school in Tripoli. To supplement the findings of the self-administered questionnaires, a set of in-depth interviews will also be conducted with teachers of English as a foreign language in the same school.

1.6 Organization of the study

This study will consist of six chapters. The first chapter will be the introduction which will contain some points such as the area and topic of the study, its importance, aims and objectives, research questions. The second chapter is a review of the literature related to this topic from different sources. The third chapter will discuss the methods and explain the techniques used in collecting the data of the study such as questionnaires and interviews. The fourth chapter will include the results and the data analysis of both the questionnaire and the interview. The fifth chapter is a discussion of the findings of the study. The last chapter will be the conclusion, in which a summary of the study will be given in addition to some recommendations and concluding remarks.

CHAPTER TWO
LITERATURE REVIEW

2.0 Introduction

Assessment and feedback have been one of the most significant elements in language teaching and learning. Assessment and feedback can play an important role which enables teachers not only to determine if they are effective but also to identify areas of improvements in teaching English as a foreign language. Moreover, assessment and feedback are techniques that are used to measure teaching and learning process. As a result, teachers can know the progression of their students during this process.

During the activity of assessment which is integral to teaching and learning process of English as a foreign language. Teachers and students can interact between each other. Thus, there will be some responsibilities on the part of the teachers. In other words, teachers should be trained and aware of assessment in relation to its various purposes, kinds and strategies and benefits that can be achieved for both teaching and learning. So in this chapter, there will be discussions on some points that are related to assessment and feedback in education, for instant, definitions, previous studies, nature and techniques, etc.

2.1 Previous studies

In relation to assessment, Oxford dictionary defines assessment as a mechanism
by which the skills and knowledge involved in performance are measured and judged according to specific criteria, such as written and oral exams and other types of assessment. Hughes (19) claims that there are two kinds of assessment, objective and subjective testing. Objective assessments consist of multiple choice formats of written tests. Whereas, subjective assessments are designed when the judgments are required from the teacher. These two types are dealing with scoring and nothing else, so in this case the distinction is between the ways of scoring.

From another viewpoint, Brown (43) identifies four types of assessment; the first one is assessment as aptitude and it means whether the student is able to learn the language, particularly English as a foreign language. Language aptitude assessment can works with any kind of classroom language learning activities.

The second type of assessment is proficiency; this kind of assessment is designed to assess people's ability in a language in order to know if the individuals have command of the language or not yet. A good example of this assessment is test of English as a foreign language. Assessment of achievement is the third kind and it is directly related to a known programme of teaching and learning.

According to Hughes (10, 11, 12) there are two types of achievement tests, final achievement test and progress achievement tests. Final achievement tests are carried out at the end of a semester of study and they are directly related to the same content of that semester, and thus, the test can be seen as a fair test. While, progress achievement tests seek to measure the progress of individuals while they are studying.

The fourth type is called diagnostic assessments, and is designed to identify the weak and strong areas of knowledge of students. They are looking forward to modify student's abilities in teaching and learning processes and provide any necessary changes on the part of persons' performance.

The fifth type is placement assessments, and they are intended to give helpful information in order to place individual at most suitable level in a certain teaching program. In the same study, Brown (43) states that placement tests are designed to provide an idea about the knowledge of a student in relation to his previous study. Thus, teachers can classify students into a certain place which is the most appropriate to their level.

Hammer (380) claims that there is another kind of assessment which is called portfolio assessments, during this assessment students are allowed to collect a portfolio of their study in their course or semester, and then individuals can be assessed according to the three or four best pieces of work which they have created in that semester. This kind of assessment has obvious benefits; it gives reasons for believing that students are making a significance effort. It encourages students to become more autonomous. Hammer (480) on the other hand, argues that portfolio assessment is time-consuming and it needs a trained teacher to choose items from the portfolio and give them appropriate scores.

According to Harris and (McCann cited in Omer 7) there are two types of assessment, informal assessment and formal assessment. Let us began with informal assessment; this kind of assessment is "a way of collecting information about our students' performance in normal classroom conditions". Thus, students can be assessed unconsciously (informally) by their teachers. For instance, student may be assessed by his teacher while he is presenting a new topic in normal classroom condition. Harris and McCann (cited in Omer 8) claim that there are three factors needed to take in consideration while conducting informal assessment. The first one is to make a decision on what is to be tested. The second factor is talking about some criteria that must be found when assessing students and smooth impressions are needed.

Formal assessment on the other hand, differs from informal assessment and it is carried out in the way of tests and examinations as mentioned by Jones et al and Harris and McCann (cited in Omer 8). The similarity in these assessments is that they are trying to collect information about students. As a result, they may help the assessing agent to take more actions. Tests would be one example of administering formal assessment.

Heaten (6) points out some purposes of classroom assessments, in these types teachers seek to assess individual performance which may help them increase their effectiveness by writing comments in their teaching process. As a result, this may reflect some benefit to certain groups of students. The function of classroom assessment is to enable teachers to figure out areas of difficulty that may face the whole class, or even by one student. Doctors, for example, cannot treat the patient's illness before they diagnose him. So, it is important to find out where gaps exist in students and try to monitor and keep track of students to the source of information and exercises needed. Heaten (7) states that assessment can give teacher chance to ascertain any difficulty which may occur in a language programme. Thus, the teacher can assess the content of the syllabus as well as the ways and subjects he or she is using. For instance, when the assessment takes place the result of it may indicate specific areas of syllabus which have not taken into consideration as foreign language difficulties. In this case, the teacher will be busy in these problems trying to find out some solutions that may help his or her students rather than one student. If, for example, in a classroom which consist of 30 students "one or two students confuse the present perfect tense with the present simple tense (e.g. I already see the film)", the teacher will not move on to another area without

trying to correct the error. If seven or eight students perform this mistake, it should be taken as a problem area while planning syllabus. When classroom assessments are will constructed it can show student ability when they are trying to perform certain task (Heaten 7). Harmer (397) states some functions about assessment. However, assessment is sometimes used to measure the ability of students in order to know if they are ready to join a course or institution. Another use is to discover students' performance during their study. Sometimes assessments help student to get a qualification. Harmer (379) argues that there is a possibility to compare between two types of assessment; summative and formative assessment. Summative assessments are the types of judgments that are intended at the end of a semester or year. Whereas, formative assessment looks like a kind of feedback for students which is given by teachers in order to improve students' performance. Teachers may use this assessment when they find wrong answers from their student; as a result students can get it right.

Sutton (cited in Omer 10) states that "without formative assessment teachers cannot function effectively" (Harmer 379) points out another purpose of assessment, which is called placement assessment. In this kind, new students are placed in the right level in a course. Henning (cited in Omer 11) mentions that placement tests "are used to identify a particular performance level of student and to place him or her at an appropriate few minutes". Harmer (382) illustrates that placement assessment is often made of discrete point testing. Harmer (831) asserts some kinds of test items which may indicate or determine how good or bad are assessments. This includes, direct and indirect assessment. An assessment is said to be direct if it is measures the skill which is being assessed. For example, when you want to test the speaking ability of students ask them to speak. On the other hand, the function of indirect assessment is to measure individual's language skills by using multiple-choice tasks or transformational grammar items.

In the same study, Harmer (382) stats that there are two types of assessment; discrete point assessment and integrative assessment. In the discrete point assessment, student is asked to select, for example, the right tense of a verb. So, it is a matter of assessing one skill at a time. While, in integrative assessment items the student is called to use all aspects of a language. A good example for that is to ask students to write a composition.

Haemer (382) clarifies that in some proficiency assessment which consists of more than one paper," there is a mixture of direct and indirect, discrete-point and integrative testing". During this combination, designers of assessment state that this may provide a successful overall view on the part of student ability. Scottish Qualification Authority (13) goes on to say that formative assessment must be used as a guide in the process of learning. In addition to this, it provides data and observations about the skills of learners to achieve better practice. In contrast, diagnostic assessment is being used in higher study to give an idea about new student, his or her ability, and if a student can overcome the difficulties of university study.

Scottish Qualification Authority (17) mentions that summative assessment is being used to assess students' work at the end of the study, like essays, or dissertations. Scottish Qualification Authority (21) asserts another kind of assessment and it is called teacher assessment. Teacher assessment is designed to assess students on their capacity, the way they behave, problems that may face them in a learning process and gain some information to increase their efforts. Teacher's assessment is seen as a technique that

allows a teacher to form a profile for each student based on how strong and weak the student is.

In order to assess the effectiveness of any assessment, it is necessary to have some criteria which enable us measuring our assessments. Harmer (381) illustrates the term *validity* by saying "assessment is valid if it tests what it is supposed to test". Some teachers assess the writing ability of their students by asking them to write an essay which requires specific knowledge of history. This may cause a problem because some students did not know that specialist knowledge before. In other words, it is new for them. So, this assessment will have a lack of validity. Harmer (381) points out that if similar results in relation to some other measure are found, then the assessment is valid. Reliability has been one of the most effective criteria to measure and develop assessments. Harmer (381) says "a good test should give a consistent result". For instance, take a known group of students and give them the same test in two times and the period between the two assessments should be around two days. If they get the same score on each time then the assessment is said to be reliable. Furthermore, assessment which has reliability should measure consistently (Hughes 2). In the same study, Henning (cited in Omer) explains reliability as "a measure of accuracy, consistency, dependability, or fairness of scores resulting from administration of particular examination". James.M (cited in Omer 20) asserts that ".....reliable assessment is one which gives consistent results by eliminating errors arising from different sources". According to the definitions above, one can come to the conclusion that we can have a reliable assessment if it is administered more than one time with keeping the same conditions. Thus, when scores are similar that means the assessment is reliable. However, in order to have a reliable assessment ambiguity questions must be avoided. In many cases, it is sometimes due to the students who are undertaking the test for the first time and who may have been exposed to some circumstances and thus the results will not be the same in the second trail. For example, a student who is undertaking the assessment may understand the concept or the idea at first, but in the second occasion the questions may be changed, as a result the student might not be in the right mode and this may affect their performance, the reason behind this problem is related directly to what has been called the psychological factor. So the mode of the student may differ from one assessment to another. Also, students may forget or may gain more knowledge.

Hughes (29) states that "human beings are like; they simply do not behave in exactly the same way on every occasion even when the circumstances seem identical". All these factors may affect assessment reliability. Thus, it is not always the case to achieve reliable assessment.

In addition, Bachman (240) states the difference between reliability and validity. Reliability can be defined as a state of agreement between two results in order to find out the same trait by using similar methods. On the other hand, validity is the agreement between two efforts to find out the same trait by using different methods. Hughes (22) argues that assessment could have validity whenever it assesses exactly what is planned or meant to assess. Henning (cited in Omer 7) states that "validity in general refers to the appropriateness for a given test or any of its component parts as a measure of what it is purported to measure". Rivers (cited in Omer 17) mentions that "a valid test is one that actually tests what the designers of the test intended to test".

Backwash can be considered as one of the most important issues that contributes in improving the process of language teaching and learning. Prodromous (cited in Omer 21) illustrates that backwash is "the direct or indirect effects of examination on teaching methods". In relation to language assessment, some assessments often either have positive or negative effects on language teaching and learning. To be more specific, Hughes (1) states "the effect of testing on teaching and learning is known as backwash". According to this definition, there are two types of backwash; harmful and beneficial backwash. Harmful backwash can be defined as the variation between the aims of the course in relation to both the content of the test and its techniques (Hughes 1). On the other hand, in the case of important assessment there should be a kind of preparation that allows commanding all teaching and learning activities. At this case, the assessment can have a beneficial backwash (Hughes 1).

Feedback has been one of the most effective techniques for both teachers and students to follow. Teachers should provide a regular feedback to their students as it carries a lot of benefits. Wiggins (2) defines feedback as "information about how we did in light of some goals. We use the word processor and the spell checker underlines misspelling-feedback". So it is necessary to train teachers.

In addition, self correction is other type of feedback. In this type a student seeks and tries to find out which error that needed correction based on input or advice which is supplied form a teacher. Notes, in this case the teacher will not do the correction.

However, feedback can be beneficial for both learners and teachers, because when the teacher provides feedback, it encourages the students not only to keep them in the right track but also to help them acquire more language skills in relation to responses from the teacher. By using feedback, students may know the weak areas that still need more attention as well as they may know what they are achieving so far. James (cited in Omer 22) defines feedback as "giving knowledge of (results) – in the broadcast sense, telling people whether their utterance or understanding is right or wrong". Accordingly, when students are provided with useful information they can recognise the error they made. As a result, they may not produce it again.

In general, many of students make the same mistake although teachers attempt to give them feedback on the right way in order to avoid repeating the same mistake. Some teachers think long and carefully about this problem. (Harmer 137).

CHAPTER THREE
METHODS

3.0 Introduction

In this chapter, there will be some explanations about the implementation tools which will be used for this study. The methods of the study will be carried out at a secondary school in Tripoli. In addition, English as a foreign language teachers will be the subjects of this research, the researcher will try to find out whether assessment and feedback techniques can improve teaching practice of English as a foreign language in Ean Zara secondary school. The starting point of collecting data for this study will depend on two types; the first one will be questionnaires while the second will be a kind of interviews.

3.1 Questionnaires

Let us illustrate some points about questionnaires and interviews. For example, their definitions, formats, advantages and disadvantages. Nunan (142) defines a questionnaire as a "..... relatively popular means of collecting data". From this definition we can say that it is not difficult for a researcher to elicit necessary information and facts from an area of knowledge which he or she is concerned about. Also, through using questionnaires we can fulfil requirements for a study in an organised way since they are more effective than collecting data without any strict structure (Nunan, 143).

Nunan (143) states some facts that are needed to be taken into account when constructing questionnaires. The items of questionnaires are divided into two types; open and closed. For closed items, the researcher will give a variety of possible answers. Whereas, in questionnaires which have open items the answer requires some judgements, opinions and comments on the part of a respondent. Sometimes, questionnaires can be made of a mixture of open and closed questions. The advantages of the closed items over the open items questionnaires are that the answers to closed items are not difficult to examine and they are faster to calculate than open once. On the other hand, in the case of open items questionnaires, the respondents are likely to be asked to give their opinions and comments which make it more accurate in relation to the respondent reaction (Nunan, 143).

Nunan (145) adds some points related to constructing questionnaires. The first one would be to pay attention to the aims of the study. In other words, the questionnaires should be related directly to the aims of the research. It is also necessary to give some ideas about how the researcher will collect information and facts about the topic he or she wants to investigate. Also, how the researcher will analyse his or her results.

Some researchers make mistakes by collecting the relevant information and facts about the topic of their study, and then they will not be able to examine and analyse their results because the questionnaires were badly constructed (Nunan 145).

In this study, the type of questionnaire which will be used is closed items questionnaire since it is not time consuming especially when analysing its results.

3.2 Interviews

Interviews have been one of the most effective tools which are used by researchers to gather data. Johnston (cited in Nunan 149) stats that "..... It has been used by second language acquisition researchers seeking data on stages and processes of acquisition". By using oral interviews, teachers of language assessment can judge the individuals' performance and proficiency (Ingron cited in Nunan 149).

Nunan (149) argues that there are three types of interviews. The first one is an unstructured interview. In this type the focus is in the reaction of the respondents and not on the researcher plan. It means the researcher will not be highly involved in the process of the interview, and the purpose and instructions cannot be predicted.

The second form is semi-structured interview, in this type the interviewer has control over the direction of the interview and its end but the interview is not proceeding by questions. In other words, in the semi-structured interview there will be some kind of interactional matters, opinions, and discussions between interviewees in a general way but without having questions on the part of the interviewer which are related to the course of the interview. The last type is called structured interview. The questions in this type are already constructed in advance by the researcher (Nunan 149).

Nunan (149) argues that a lot of researchers prefer to apply the semi-structured interview due to its flexibility. Dowsett (cited in Nunan 149) asserts that the semi-structured interview "Is quite extraordinary – the interactions are incredibly rich and the data indicate that you can produce extraordinary evidence about life that you do not get in structured interviews or questionnaire methodology....."

One of the most common advantages of the semi-structured interview is that it encourages the interviewees to have more self-confidence while they are conducting the interview. Moreover, as the interviewer has some general ideas about the topic of the interview, it may help him to be more flexible. Accordingly, this research will be relying on the semi-structured interview because of the advantages like the ones mentioned above.

3.3 Samples

This study will involve eleven English teachers from Ean Zara secondary school in Tripoli. The data collection will depend on the role of assessment and feedback in improving English as a foreign language in the same school.

First of all, the researcher visited the school and asked the headmaster of the school if it is possible to conduct his study which consists of questionnaires and interviews. The age of the English teachers are from 28 up to 47 years old. All of them are Libyans; two are male while the rest are female.

3.4 Procedures

As this study relies on questionnaires and interviews, the distribution of questionnaires of teachers took place. The answers for the questionnaires were filled by six teachers during the break time between the lessons. Some clarifications have been made on some questions of the questionnaire.

To turn to the interviews, self-administered interview has been carried out to five teachers. In the self administered interview the researcher acted as interviewer. The interview is applied in the way of each teacher at a time, that means, the researcher will start the interview not with all teachers at the same time but he will involve the teachers

one by one until he finish all of them. Each interview takes approximately fifteen minutes.

In order to secure both reliable and valid data collection in this study, it is necessarily to use triangulation tools. Manion and Cohen (cited in Omer 27) state that triangulation as "the use of two or more methods of data collection in the study of some aspects of human behaviour". In the sake of data collection it is required to have the triangulation technique. For instance, when researchers attempt to find out some relevant information in their studies or facts about people, it is useful to conduct an interview (Omer 27). Also it is important to involve another method such as questionnaire.

CHAPTER FOUR
RESULTS

4.1 Results of teachers' questionnaire

During the steps of this research, two methods of questionnaires and interviews have been used for collecting and analyzing a good amount of data in order to provide precise answers for the research questions.

Eleven English teachers were involved in this study and their answers have been carefully checked. Some teachers' answers were almost the same particularly with certain questions.

Q1. Do you have any previous knowledge and skills in teaching practice of English as a foreign language through using of assessment and feedback techniques?

When the teachers were asked if they had any previous knowledge and skills in teaching practice of English as a foreign language through using of assessment and feedback techniques. The results in the chart above shows that eight teachers (80%) asserted that they had not any previous knowledge and skills -in using assessment, especially feedback techniques, while two teachers (20%) already had that knowledge and skills.

The following result shows that eight teachers (80%) use tests, whereas the other two teachers use interviews and observations. That means (10%) use interviews and also (10%) use observations.

Q2. Which kind of assessment and technique are you most familiar with in teaching English as a foreign language?

The results show the viewpoints of teachers about how effective are assessment tools in teaching English as a foreign language. Nine teachers (90%) agreed that assessments are very effective in teaching of English as a foreign language while only one teacher who represented (10%) stated that they are effective..

Q3. Do you agree that assessment techniques improve teaching English as a foreign language?

According to the results of data collection, it can be seen that seven teachers (70%) strongly agreed that assessment techniques improve teaching English as a foreign language, while only three teachers (30%) just agreed.

Q4. Are you using feedback techniques in teaching English as a foreign language?

Teachers' responses elicit that one teacher (10%) said that he always used feedback techniques. Also the same number of teachers (10%) said that he usually used them. Moreover, two teachers (20%) stated that they sometimes used those techniques, while six teachers (60%) mentioned that they did not use feedback techniques in their teaching process.

The results show that only one teacher (10%) answered that they used observation as a kind of feedback techniques in teaching English as a foreign language. In addition to this another (10%) stated that they used interviews, whereas a large number of teachers (80%) used written assessment as a kind of feedback technique.

Q5. How often do you use feedback techniques in teaching English as a foreign language?

In this result it is clear to see that all teachers did not use feedback techniques neither everyday nor every week but six teachers (60%) used them monthly and four teachers (40%) used feedback techniques quarterly.
According to the teachers' responses to the question of whether feedback techniques like written assessment, interviews and observations improve teaching English as a foreign language. It appears that all responses (100%) for this question were yes.

4.2Results of teachers' interview
This study involved five English teachers and the interviews were conducted at the end of the year. Each interview took approximately 15 minutes and the researcher used numbers instead of names to refer to participants. Also two out of five interviewees were males while the rest were females. The answers of the participants will be presented according to each item in the interview questions.
The following results clearly illustrated the number of years during which the teachers interviewed have been teaching English as a foreign language. This question has been asked in order to assess the teachers' knowledge towards the use of assessment and feedback techniques which might help to improve teaching practice. According to the responses of the teachers in the interviews, 50% have been teaching for 1-2 years while 15% have been teaching for 3-4 years and the same number (15%) have been teaching for 5 years and more.

Q1. How long have you been employed in teaching English as a foreign language?

The responses given by the interviewees with regard to this question of the most common techniques used in teaching English as a foreign language in Ean Zara secondary school were tests, observations as well as written assignments. In order to explain the responses of the interviewees, a chart has been constructed below. It is also clear that the most commonly used technique in teaching English as a foreign language is that of written assignments.

Q2. What are the most common techniques you are using to teach English as a foreign language in Ean Zara secondary school?

From the responses given by the five teachers that were subjected to the interview, the most common technique used by the teachers is that of giving regular tests.

Q3. How are feedback procedures in English as a foreign language education implemented in Ean Zara secondary school?

In order to know how feedback procedures in English as a foreign language education are implemented in Ean Zara secondary school, It becomes clear that out of five interviewees who answered that question said that the most common form of feedback procedure used is written assessments.

The five teachers who responded to the question ‘do you think both assessment and feedback procedure can improve English as a foreign language education in Ean Zara secondary school were said yes. The summary of the interviewees’ answers is represented below.

CHAPTER FIVE
DISCUSSION

5.0 Introduction

Through this chapter, the results of this study will be discussed elaborating on the responses of both questionnaires and interviews obtained from the English language teachers. The main point of this study is to find answers to the research questions of this research. So this chapter will try to discuss these answers in light of the data results obtained from using the above mentioned data collection tools.

5.1 Discussion of both questionnaires and interviews results

The first question in the questionnaire was 'do you have any previous knowledge and skills in teaching practice of English as a foreign language through using of assessments and feedback techniques'. Analysis of the results have has shown that a large number of teachers did not have any previous knowledge and skills in using assessment and feedback in their teaching process. Only two teachers out of ten stated that they had some previous knowledge and skills in teaching English as a foreign language by using assessments and feedback techniques. So, teachers should be trained to be aware of the importance of the assessment and feedback techniques and their various purposes and benefits that can improve both teaching and learning process. Heaten (6) who stated some purposes of classroom assessments in which teachers seek to assess individuals' performance that may help teachers increase their effectiveness by writing comments in their teaching process. As a result, this may reflect some benefits to certain groups of students. For example, when teachers write some comments in the work of the students, these comments may help students to know their mistakes and to avoid committing mistakes in future. Heaten (7) pointed out that assessment can give teachers chance to solve any difficulty which may occur in a language programme.

Regarding teachers' point of view towards how effective are assessment tools in improving teaching English as a foreign language, most teachers strongly agreed that assessment tools can improve teaching English as a foreign language. At the same time only two teachers just agreed, this was stressed by Sutton (cited in Omer 10) who stated that "without formative assessment teachers cannot function effectively". Because of this reason, formative assessment can be listed as one type of assessment tools that may help improving teachers' effectiveness towards teaching English as a foreign language.

Moreover, the researcher tried to find out how often teachers use feedback techniques in teaching English as s foreign language. From the results, it was obvious that all teachers did not used feedback techniques neither daily nor weekly; only six teachers used them quarterly. In relation to the previous studies of this research, Wiggins (2) stated that teachers should provide a regular feedback to their students as it has a lot of benefits. That means teachers should put pressure on themselves and attempt to carry out feedback techniques at least every week in order to know the weaknesses of individuals. The fifth question attempted to investigate if both assessment and feedback procedures can improve English as a foreign language education in Ean Zara secondary school. The five interviewees who were asked to clarify if both assessment and feedback procedures improve the education of English as a foreign language answered

yes they can improve the education of English language. The reasons behind these improvements are explained as follows:
Both assessment and feedback procedures improve English as a foreign language education by providing teachers the chance not only to observe the skills of individuals but also to monitor the students' performance and their progression, Hughes (10.11.12) asserted that there are two types of achievement tests which are related directly to this question. The first type of this test is called final achievement test and it is carried out at the end of the semester to see what the students had achieved so far while the other type is called progress achievement test and it seeks to assess the performance of individuals during their study which enables teachers to monitor their students' performance.
Finally, the researcher attempted to find out if feedback techniques like written assessment, interviews and observation can improve teaching English as a foreign language. The responses of teachers stated that they were all agreeing that these techniques can improve their teaching process.

5.2 Discussion of research questions

The first research question of this study is about how teachers' assessment of English as a foreign language conducted in Ean Zara secondary school. Most teachers stated that they assess their students by using tests, whereas few of them used interviews and observation to assess their students in their classes.
The second question is dealing with the specific strategies used by teachers of English as a foreign language in order to assess the performance of their students. The responses given by five teachers that were subjected to the interview were to give regular tests such as achievement tests, placement tests and diagnostic tests.
The third question would be that the implementation of feedback procedure in English as a foreign language education. From the teachers' responses in the interviews it was obvious that the most common procedure used in feedback techniques was through written assessments.
The fourth question explains the degree of effectiveness of feedback procedure which is used to facilitate the process of English as a foreign language. All teachers agreed that feedback procedures were effective in the process of teaching English as a foreign language.

CHAPTER SIX
CONCLUSION

6.1 Summary of the study

This research was concerned with the role of assessments and feedback techniques in improving teaching English as a foreign language in Ean Zara secondary school. During the investigation of this study, efforts were made to secure the way in which assessments and feedback procedures help to improve teaching process as well as the education system in that school.

During this research, it was not easy to investigate all aspects that are related to both assessments and feedback procedures because they both have a wide range of variation and they are different from one process to another.

. It was concluded that the teachers in Ean Zara secondary school, did not use and conduct both assessment and feedback procedures regularly. Several reasons were involved. The first reason is related to the fact that most teachers did not have any previous knowledge and skills of using assessment and feedback procedures in their teaching process. This is so since teachers were not trained to conduct these techniques especially feedback.

In relation to assessment and feedback techniques, teachers were most familiar with test techniques in their classrooms such as, diagnostic tests which help them determining strong and weak areas in students' performance.

As for the effectiveness of assessment tools in improving teaching English as a foreign language. All teachers agreed that those tools can develop teaching English as a foreign language because teachers cannot function effectively without conducting assessment in their classes.

Another aspect that has been investigated in this study is the use of feedback techniques in teaching English as a foreign language. The results have shown that the majority of teachers did not use feedback techniques. This drawback was caused by lack of experience and knowledge on the part of the teachers.

6.2 Limitations

The researcher was not able to record the interview of females, because our culture does not allow us to record women's voice. Only the interviews of male teachers were recorded. However, some of the interviews were written down by the researcher in chapter four (the results) of this study.

6.3 Recommendations

During the conclusion of this study, some recommendations have been made by the researcher in order to help improving English as a foreign language in relation to the use of assessments and feedback procedures in Ean Zara secondary school.

The first recommendation which should be taken into account is to put pressure on secondary education to evolve and encourage teachers to use assessments and feedback procedures. The second recommendation is that teachers should use all kinds of assessment and feedback procedures. Finally, teachers should be provided with feedback techniques schedule to use and conduct these techniques regularly.

WORK CITED

Bachman, L. Fundamental Considerations in Language Testing.

Oxford University Press. 1990

Brown, D. Language assessment principles and classroom.

Longman University Press.2003

Harmer, J. The practice of English Language Teaching.

Longman University Press. 2008

Heaton, J. Writing English Language Tests.

Longman university press.1988

Hughes, A. Testing for Language Teachers.

Cambridge University Press. 1989

Miller, G. Assessment: A Literature Review, 17.21.

http://www.sqa.org.uk/files_ccc/ResearchBulletin19.pdf[

Nunan, D. Research Methods in Language Learning. Cambridge University Press.1992

Omer,A.A. "A study of Evaluation and Assessment Methods used by the teachers of English as a foreign language at Al-Jabal Al-Gharbi University." Unpublished master dissertation. The Libyan Academy, 2009.

The Oxford English Dictionary. 1990.

Wiggins,G. Assessment as Feedback.

http://www.nysaae.org/Assessment%20as%20Feedback%20by%20Grant%20Wiggins.pdf